سلسلة تاريخ الدعوة إلى الله تعالى (٤)

القول الدقيق

في سيرة وعصر الصديق رضي الله عنه

تأليف

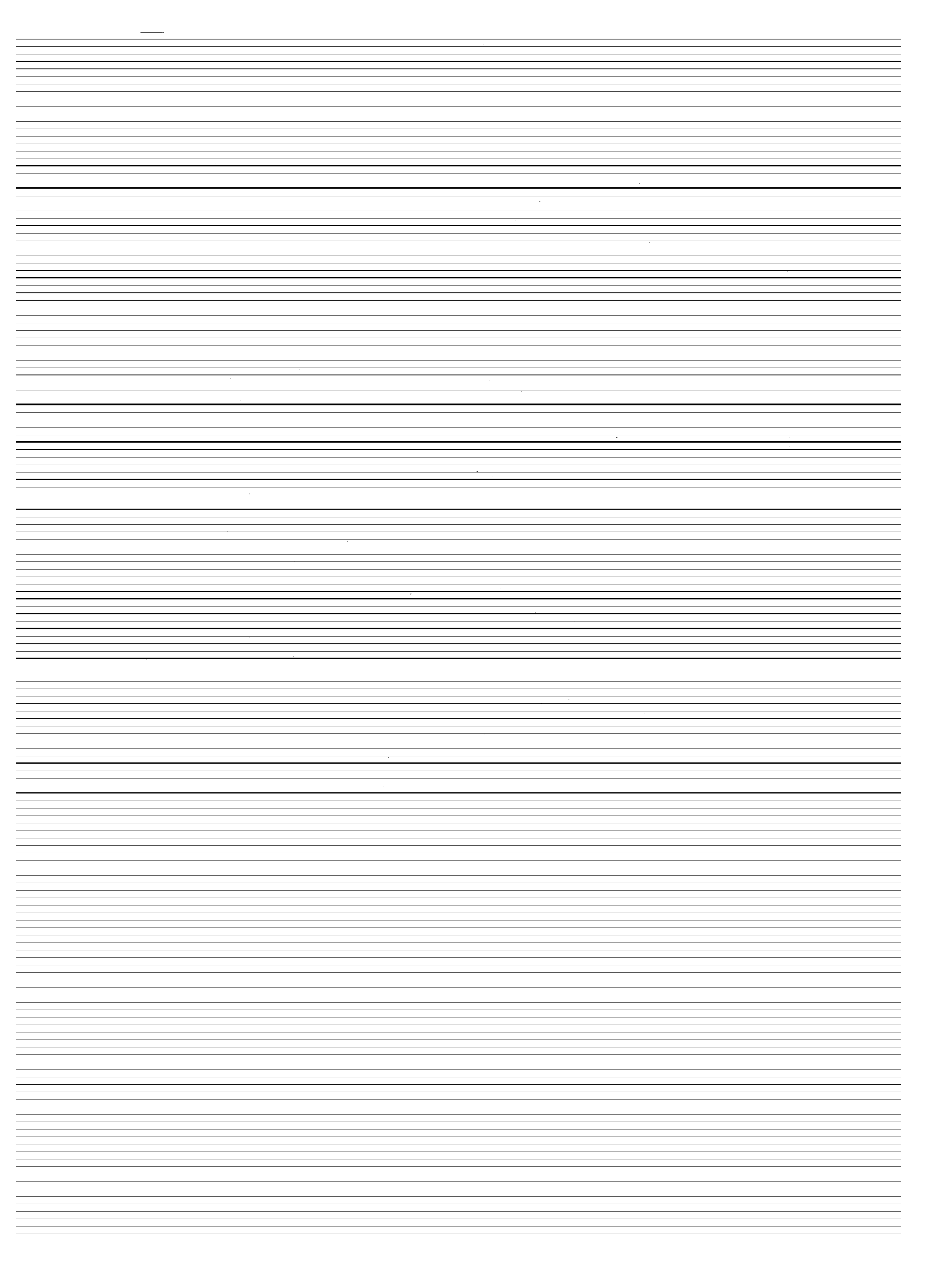
أ.د. أحمد أحمد غلوش

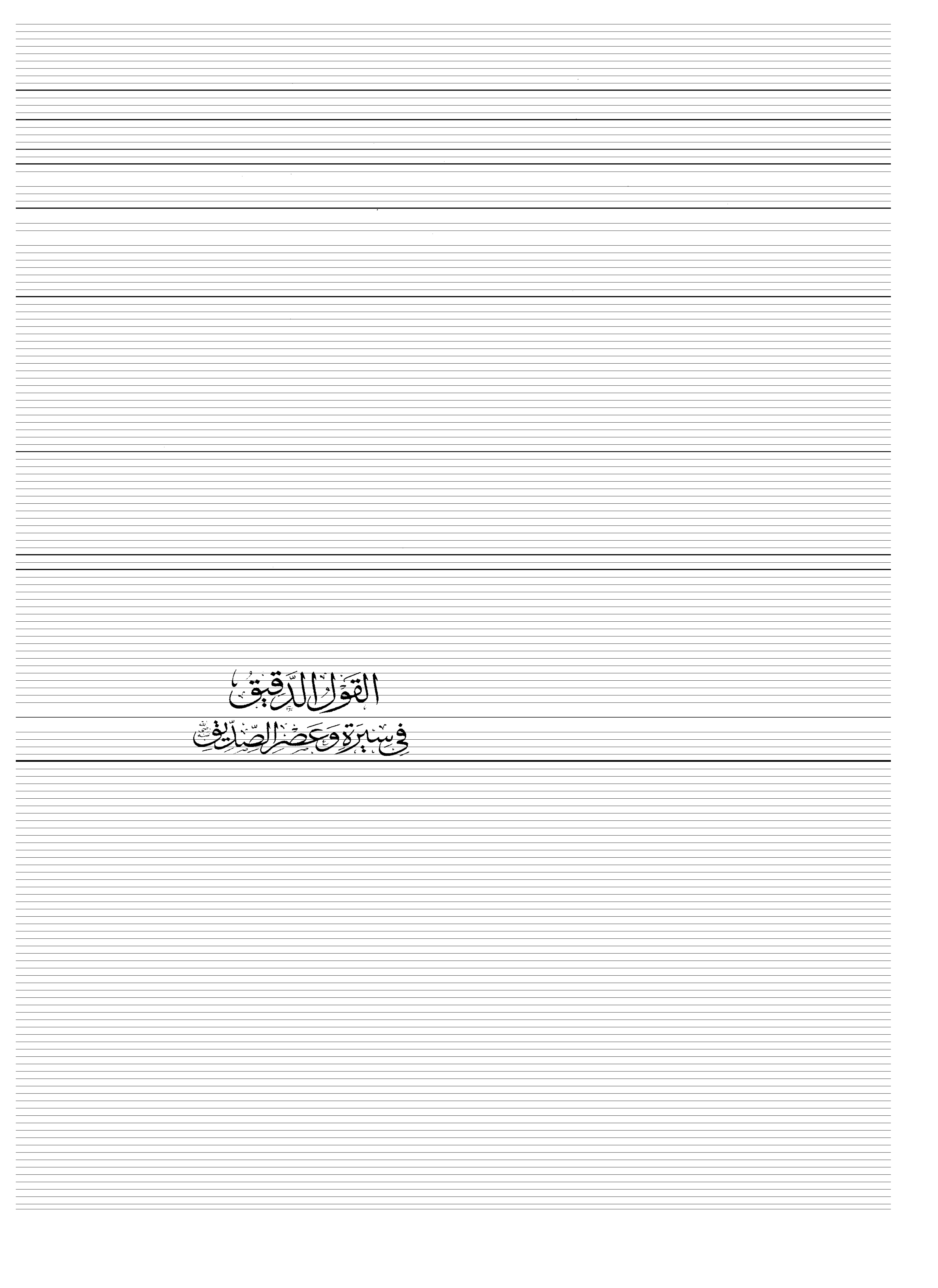
عميد كلية الدعوة الإسلامية الأسبق

جامعة الأزهر

مؤسسة الرسالة

ناشرون





القول الدقيق

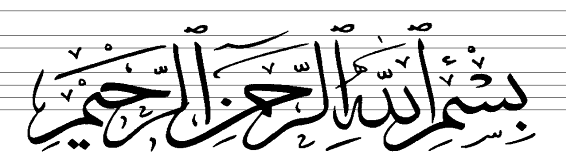
في سيرة وعصر الصديق ﷺ

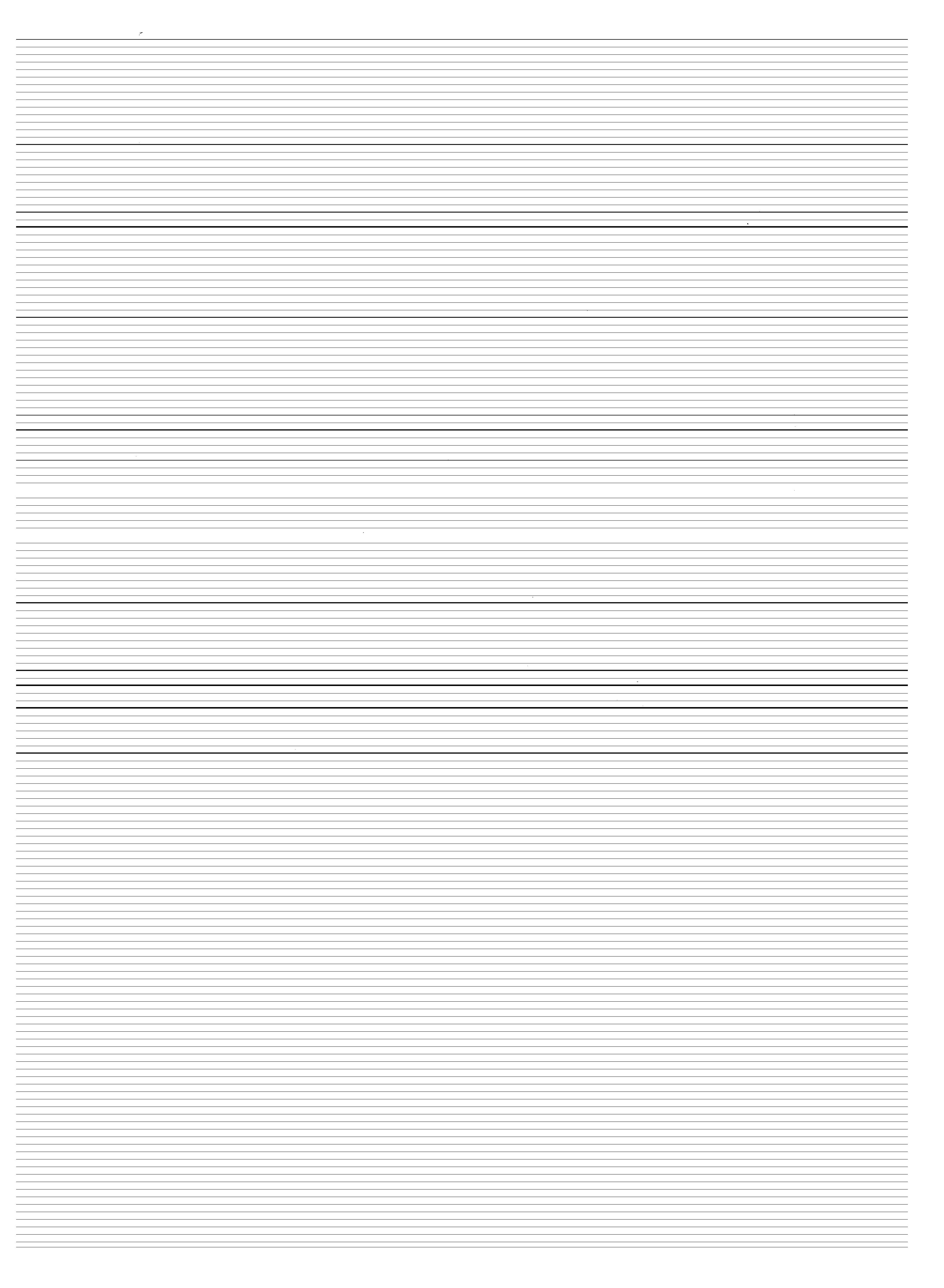
الطبعة الأولى
١٤٢٨ هـ = ٢٠٠٧ م

رقم الإيداع ٢٠٠٧/٥٢٨٧

الشركة الدولية للطباعة

المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر
☎ : ٨٣٣٨٢٤٠ - ٨٣٣٨٢٤٢ - ٨٣٣٨٢٤٤
e-mail: pic@6oct.ie-eg.com


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...

وبعـــــد

فلقد انتهى عصر الرسالة بانتقال رسول الله ﷺ إلى ربه سبحانه و تعالى ، وبدأ عصرا لصحابة الذين خلفوا رسول الله سائرين على هديـــه ، ملتـــزمين بمنهج الله تعالى كما تعلموه من حبيبهم ﷺ .

وقد أعانهم الله تعالى ووفقهم في مواجهة ماجد من أحداث ، كل بما يناسبه أخذا من الوحي الثابت لديهم ، واستمروا على ذلك حتى ســـارت الأمـــة فـــي خطها الصحيح ، وداومت على الصراط الذي رسمه لها رسول الله ﷺ .

لقد انتقل رسول الله ﷺ إلى ربه بعد ما آمنت الجزيرة كلهـــا ، وانتـــشر أمـــر الدعوة في الآفاق ، واستقرت دعائم الدين ، وتوطدت قواعد السعادة والخيـــر في القلوب والعقول .

إلا أن البشرية لم تخل من ضلال يدفعها إلى محاربة الحق ، ويشدها إلـــى السوء ، ويحاول دائما أن يردها عن الخير ، ويوقعها فـــي الـــشر والفـــساد ، ويبعدها عن هدى الله المستقيم .

وقد ظهر واضحا بعد وفاة رسول الله ﷺ ما بـــه يتميـــز النـــاس ، وبمـــا يختصون به من صفات ، وطباع . فلقد ثبت فريق على الحق ، وتشكك فريق وتوقف ، وارتد فريق ثالث وكفر ، وهكذا تنوع الناس فهم في تنوعهم كمعادن الأرض كما ، ونوعا ، وكيفية ...

فرغم بيان الحقائق الإسلامية ، وظهورها في الحياة العملية ، وإيجادها أمة جديدة تتميز بعقيدة صافية ، وشريعة طيبة ... وخلق كريم ، رغم ذلك عـــاش كثير من الناس بأنانيتهم الذاتية ، وحرصهم على استعباد الآخرين ، وتضليلهم

وإبعادهم عن الحق ، وذلك لتبقى السلطة في أيديهم ، وليعيشوا سادة يسيطرون على البلاد والعباد، ولم تخل بعض القبائل العربية من هذا التوجه الردئ ، حيث انتكسوا بعد وفاة رسول الله ﷺ فمنهم من ادعى النبوة ، ومنهم من حاول إلغاء بعض ما شرعه ﷺ ، وذلك بسبب نزوعهم إلى الجاهلية المادية، وميلهم إلى السيطرة والاستعلاء .

وتلك إرادة الله في الناس على الزمن كله ، ليتميز الخبيث من الطيب وتتم المفاصلة بين الخير والشر ..

من أجل ذلك كان التكليف، وكانت المسئولية،وكان الحساب، وكان الجزاء. عاش المسلمون بعد رسول الله ﷺ واقع البشر ، وأخذوا من الإسلام ما مكنهم من السير به مع الناس بنفس المنهج الذى تعلموه من رسول الله ﷺ ، وعاشوا به وهم يحفظون الوحى الذى نزل ، ويحافظون عليه ، ويطبقونه عملا وسلوكا ويحولونه إلى قواعد للحياة ، ومبادئ للنهوض على طول الزمان ، وعند اتساع العمران .

ووضعت المقادير أبا بكر الصديق رضي الله عنه على رأس المؤمنين الذين عاشوا مرحلة ما بعد رسول الله ﷺ فرأوا الواقع ، ونهضوا به ، وساهموا في بناء الأمة ، ونشر الإسلام ، والمحافظة على ما ورثوه من رسول الله ﷺ ، وتركوه لمن بعدهم ، بكل ما فيه من ثبات وثبوت ، وبكل ما يتميز به من وضوح وبيان .

وقد مثل عصر الصديق نموذجا عمليا لبناء أمة مثالية في كافة جوانبها الحضارية والإنسانية ، حيث طبقت الشورى لأول مرة في اختيار الخليفة ، وقام المخلصون بحماية دينهم بكل ما أوتوا من علم وقوة ، وبرزت الأمة الإسلامية تحمى ولا تهدد ، تفيد ولا تبدد ، تعمل لله ، تشد أزر الحق ، وتوهن طرائق الضلال والفساد .

إن عصر الصديق ملئ بالدروس والعبر ، مفيد في مسار الإسلام و الناس ثرى في كل ما يقدمه من مبادئ وأسس ، ولذلك أملت من دراسته أن أقدم

للدعوة و الدعاة خطة عملية مستمدة من منهج النبوة للمساهمة في البناء الجاد للفرد والجماعة .

وهذه الدراسة تحتاج إلى وقفة أمام واقع المجتمع الإسلامى والعالمى عند وفاة رسول الله ﷺ لتتضح مجموعة من الحقائق أهمها :

١ – إظهار مدى حب الصحابة لرسول الله ﷺ وقوة تمسكهم التام بكل ما ورثوه عن رسول الله ﷺ .

٢ – بيان كفاية الإسلام لإقامة دولة كاملة الأركان ، قادرة على تحقيق السعادة ونشر السلام للناس أجمعين بالحق والعدل ، خالية من الظلم والخوف ، وضياع الحقوق .

٣ – بيان مدى ضعف الإنسان أمام مغريات المادة ومظاهر السلطان ، وتأثرهم الكبير بمواريثهم ، وماضيهم ، وبيئتهم .

٤ – بيان ضرورة القيادة الرشيدة للسير بالناس في الطريق المستقيم وفق منهج الحق ، وسبل الصالحين .

٥ – بيان أن الإسلام يسير في الناس متلائما مع الطبيعة البشرية ، حيث حاجته إلى أناس يخلصون له ، ويبلغونه ، ويعملون بمقتضاه لتتضح معالمه بالبيان والتطبيق والخلق والسلوك .

٦ – تأكيد استمرارية عداوة فريق من الناس للإسلام مهما كانت عقيدتهم فيه ولهذا الفريق علمه وعمله وصورته ونشاطه ، للصد عن الحق ، وإضلال غيرهم من الناس .

٧ – توضيح أن النصر في النهاية لأهل الحق المدافعين عن حقهم ، البازلين له كل ما يمكنهم من نفس و نفيس . وأنه لا نصر إلا بتضحيات المحتاجين له ، العاملين للوصول إليه .

٨ – بيان تضحيات صحابة رسول الله ﷺ ودورهم في المحافظة على دين الله تعالى وصيانته من أى دخيل ، والتحرك به وله إلى كل الآفاق ، حيث أظهروا بجهادهم عالمية الإسلام عمليا ،وأبرزوا للوجود البشرى

الأمة المسلمة الخيرة بخصائصها ، ومزاياها .

٩ - إبراز تعاليم الإسلام التي ينظم بها سلوك المسلمين في السلم والحرب ، ومدى محافظتها على كرامة الإنسان ، وصيانة حقوقه ، وتحديد واجباته .

١٠ - بيان أن أعداء الإسلام مستمرون في الكيد للإسلام حتى الآن بكل ما يتصوره عقل بشرى ، فهم يحاولون تشويه الإسلام ، ومحاربة المسلمين ، وصرف غير المسلمين عن الإسلام ، وإلحاق التهم بالمسلمين الصادقين ، وتشجيع شياطين الإنس على النيل من الإسلام وأهله ، وإبداع المثيرات والشهوات والسوءات وتسليطها على المسلمين لهزيمتهم ... وقد فعل ذلك أعداء أبى بكر ... وورثوه للأجيال من بعدهم حتى يومنا هذا .

والحقائق عديدة ، وكل واحدة منها تؤكد عظمة الجيل الأول الذى آمن بحق ، واتبع بصدق ، وتبرأ من أى زيف أو نفاق ... وحق لهم أن يكونوا خير قرون الأمة الإسلامية ، ووجب أن يكون سلوكهم دليلا لغيرهم يبين معالم الإسلام،ويحدد الطريق المستقيم ويشرح حقائقه ... يقول النبي ﷺ : " **خير أمتى القرن الذى بعثت فيه** "[١] .

وأبو بكر رضي الله عنه هو الصديق الصدوق الذى سبق إلى الإسلام، وهو صاحب رسول الله ﷺ منذ لحظة البعثة الأولى ،وهو أول الخلفاء الراشدين الذين قال ﷺ عنهم : "**عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى** "[٢] .

وهو أفضل الصحابة ، وأقربهم إلى قلب رسول الله ﷺ ، وأعظمهم علما وفضلا ، يقول عنه رسول الله ﷺ : " **لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام ومودته** "[٣].

١ــ صحيح البخارى . باب فضل صحابه النبي ﷺ جـ٦ صـ٧٤

٢ــ سنن الترمذى ــ كتاب العلم . باب ما جاء في الأخذ بالسنة جـ٥ صـ٤٤

٣ــ صحيح البخارى ــ كتاب فضائل الصحابة . باب فضل أبى بكر حـ٦ صـ٧٩

ويقول له عمر بن الخطاب : **أنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ**[1] ...

ولما سأل محمد بن الحنفية رضي الله عنه على بن أبى طالب رضي الله عنه **عن خير الناس بعد رسول الله ﷺ ...؟ قال على : أبو بكر هذا** [2].

وعصر أبى بكر رضي الله عنه يمثل في تاريخ الدعوة علامة بارزة لأنـــه يبـــين مسار المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ وسلوكهم عند انتقالة إلى ربه ، ويظهر كيفية تعاملهم مع الوحى الذى ورثوه عن رسولهم ، وكيف تحركوا به إلى كل ميادين الحياة ، وأكدوا لكل من يريد أن يعلم أن الإسلام دين ودولة ... يـــنظم كل جوانب الحياة على المستوى الفردى والجماعى ، بحيث لا يند عن تعاليمه جانب ما من نشاط الناس ، ولا يغيب فيه بيان لكافة عناصر الدين والدنيا .

لقد حددوا رضوان الله عليهم أحكاما عملية لسائر الأفعال التي جدت فـــي الحياة بعد وفاة رسول الله ﷺ استنباطا من الوحى الذى ورثوه من رســـول الله ﷺ وبذلك تلاقى العلم والعمل ، وتطابق الفكر والسلوك ، وصار الإسلام منهج العمل ، وأساس البذل ، ومصدر الحركة للمسلمين أجمعين ،وتأكد الجميـــع أن صلاح الدنيا يكون بالدين ، والفوز في الآخرة يكون بالدين وصلاحهما معـــا يكون بالدين كذلك .

لقد حاول أعداء الإسلام الكيد للإسلام بتزييف الحقائق ، وترويج الأكاذيب عن صحابة رسول الله ﷺ وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون ،وفى مقدمه الخلفاء الخليفة الأول أبو بكر رضي الله عنه .

وجاء المستشرقون والمستغربون وضخموا الأكاذيب الموضوعة ، والزيف المختلق ، وحاولوا بذلك النيل من الإسلام وأهله ، وادعوا أن الإسلام ديـــن لا دولة فيه ، وأن دافع أبى بكر رضي الله عنه لما قام به كان من عند نفسه خدمة لقومـــه وقبيلته .

إن دراسة عصر الصديق رضي الله عنه ، والوقوف على حركة الدعـــوة خلالـــه ،

١- صحيح البخارى - كتاب فضائل الصحابة . باب فضل أبى بكر حـ٦ صـ٨٦ .
٢- صحيح البخارى - كتاب فضائل الصحابة . باب فضل أبى بكر حـ٦ صـ٨٧ .

والتأمل في التطبيق العملى للصحابة يرد هذا الزيف ، ويؤكد أن صحابة رسول الله ﷺ وعلى رأسهم أبو بكر رضي الله عنه كانوا متبعين لا مبتدعين ، وأن الإسلام منهج شامل لأركان العقيدة، و جوانب الشريعة، ومكارم الأخلاق .

لهذا وغيره أرى أهمية الكتابة في تاريخ عصر الصديق رضي الله عنه ، على أساس أنه عصر متميز في تاريخ الدعوة ، وأنه يمثل وصلة حيوية لما سبقه ولما يأتي بعده .

وأرى من الضرورى البدء ببيان ما كان عليه الناس عند تولية أبي بكر الخلافة ليتضح الجهد الذى بذله الصديق ، ومعه صحابة رسول الله ﷺ في حماية الإسلام ، والوقوف ضد أعدائه ، وتبليغه إلى الناس بالحكمة والموعظة الحسنة .

ولعل أبلغ ما آمله أن تظهر صورة الإسلام وعظمته في السلم والحرب ، ومحافظته على الجوانب الإنسانية خلال حركة الفتوح ، وأعمال الجهاد ، وإبراز حسن المعاملة مع جميع الناس على تنوعهم جنسا ، وعمرا ، وعقيدة ، وعلما . وأن تظهر كذلك عظمه المسلمين وهم يعيشون الإسلام ظاهرا وباطنا اعتقادا وعملا ،فكرا وسلوكا . وأسأل الله أن يوفقنى لما أمله وأرجوه .

كما أتمنى أن أتمكن خلال الدراسة من تجلية حركة المجتمع الإسلامى في الحياة بمنهج الله بصورة متوازنة تصون حق الفرد والمجتمع ، وتكرم الرجال والنساء ، وترحم الكبير والصغير ، وتحفظ لكل مقامه ومكانته بين الناس ، من خلال الإتباع الدقيق للتعاليم المقدسة وترك الابتداع والتأليف .

كما أتمنى إبراز حركة الدعوة ومسار الدعاة في عصر الصديق رضي الله عنه ليتعلم المسلمون المعاصرون منهم ، وهم يبلغون دين الله للناس ، ويتخذوهم أسوة وقدوة عسى أن نحقق بعض ما حققوه ، ونعيد للإسلام عزته وكرامته .

وقد لاحظت أن المراجع القديمة كالطبرى وابن كثير وابن الأثير وغيرهم بعيدة عن التحليل ، لأنها تكتفى بالسرد والرواية غير المسندة مع ما في ذلك من بعد عن المنهج العلمى الحديث في دراسة التاريخ ، ولذلك رجعت إلى

أقوال المفسرين ، والمحدثين ، والفقهـــاء في الأحداث التي أرويهـــا ، ففـــي رواياتهم سند أحيانا ، وفي أقوالهم تحليل واستنباط ... الإضافه إلى المراجـــع الحديثـــة التي أرخت لعصر الصديق ، وبخاصة منهـــا ما يتضمن التحليـــل ، ويرد زيف المفترين .

وسوف أحاول بقدر الإمكان رد شبهات المستشرقين التي حاولوا إلصاقها بعصر الصديق زورا ، مع مناقشتها بهدوء و أناة .

وهناك مسألة لها أهميتها، وهي دعوى البعض أن الإسلام ديـــن لا دولـــة فيه، وأنه خال من نظام سياسي كامل وأن ما قام به الخلفاء هو جهـــد عقلـــي نقلوه من النظم الأخرى ...

ويتطاول البعض ويتصور أن نظام الإسلام السياسي كان صالحا للعصور الأولي وللبشرية في زمن ظهور الإسلام فقط أما الآن فلا ... وبذلك ينقضون باليسار ما أثبتوه باليمين ...!!

وينادى أصحاب هذا الاتجاه بعلمانية في الحكم، تعتمد علي الفكر الوضعي وحده ، وتنفصل عن الدين بالكلية ...

وهذا كلام له خبيئ ... معناه ليس لنا عقول .

إن الإسلام له نظامه السياسي ، وهو الذي ضبط مـــسار النـــاس ، وبـــه انتظمت الخلافة ، وسادت الأمة ، وقادت العالم كلـــه إلـــى الخيـــر والـــسلام والسعادة ولا يصح مطلقا أن يحكم وضع المسلمين المعاصر على الإسلام لبعد المسلمين المعاصرين عن التطبيق الصحيح للإســـلام ، ولـــذلك بعـــدوا عـــن الصواب بمقدار بعدهم عن تعاليم الله تعالي .

إن دراسة عصر الصديق أبى بكر رضي الله عنه توضح بجلاء لا يقبل المنازعـــة أو الشك أن الإسلام له نظامه السياسى الخاص به ،وقد استنبطه أبو بكر رضي الله عنه ووضح حقيقته من النصوص الإسلامية الثابتة ، وطبقه عمليا في كافة الجوانب إذ نراه رضي الله عنه يعين الولاة ،ويسير الجيوش،ويضبط شئون الدنيا،ويصون حقوق

الناس ، ويدعو إلى دين الله تعالى ، ويوقع المعاهدات ، ويقيم الصلح ... ألخ ، وتلك هي نظام الحكم في الإسلام .

ولهذا أري من الواجب إبراز أهم الأسس التي اعتمد عليها المسلمون في إقامة الخلافة ، وأخرجوا بها خير أمة للناس ، تصون الحقوق ، وتحمي القيم ، وتحفظ الكرامة ، وتحترم الإنسان ، وتملأ الحياة بالعمل الجاد ، والخلق الكريم والخير الذي يعم الحياة والأحياء ... وسيري القارئ أنها أسس صالحة لكل زمان ومكان ... ولا ينقصها إلا المؤمنون الصادقون الذين يعلمون بيقين أن صلاح الحاضر لن يكون إلا بما صلح به الماضي ، فإن الماضي تجربة عملية أثبتت نجاحها ، وهي قابلة للتطبيق .

وحتى يظهر صواب الحق حين تطبيقه أرى أهمية بيان واقع الناس قبيل ظهور الإسلام وبخاصة ما كان في دول الحضارة يومذاك ، وبذلك يظهر التميز الإسلامي من خلال رؤية شاملة للتاريخ .

وعلى ضوء هذه الرؤى ستأتى الدراسة مكونة من الموضوعات التالية :

الموضوع الأول : بيان حال المجتمع العالمى عند وفاة رسول الله ﷺ وبخاصة ما كان عند الفرس والروم أكبر الدول يومذاك ، وما كان عند المسلمين من ظهور للردة بين العرب واستنهاض الأمة لتقوم بواجبها في حركة الجهاد .

ودراسة هذا الموضوع تؤكد أن الإسلام دين نزل الوحي به، وسما بتعاليم الله تعالى، ولا صلة له بما كان في العالم من نظم جائرة ، وأحوال فاسدة .

الموضوع الثاني : بيان الأسس والمبادىء العامة التي رجع إليها المسلمون لاستنباط نظام سياسى يتحركون من خلاله ، ويتمكنون بواسطته من سياسة الدنيا، وحماية الدين، وحفظ الحقوق ، وصيانة الحرمات .

ولولا هذه المبادىء لانهارت الأمة، ولتوقف المسلمون عند الحال الذي تركهم عليه رسول الله ﷺ ... ولأكلهم الذئاب وهم لا يشعرون .

لقد حاول بعض المفكرين العقلانيين إثبات أن الإسلام دين يهتم بالجوانب الروحية فقط ولا صلة له بتنظيم الدولة ، وشئون السياسة ... وبرغم فساد هذه

المحاولة بما ثبت من نصوص وعمل في حياة رسول الله ﷺ . فإن التطبيـــق العلمى والعملى للمبادىء السياسية مع بدء الخلافة بعد وفـــاة رســـول الله ﷺ يؤكد زيف هذا الفكر ، ويؤكد أن نظام الإسلام شامل لكل جوانب الحياة .

الموضوع الثالث : توضيح سيرة أبى بكر رضي الله عنه من الناحية الشخصية ، وبيان دوره قبل الإسلام وبعده إلى أن لقى الرسول ﷺ ربه بعيدا عن دراسة تـــاريخ الأمة وحركة الدعوة في هذه الفترة لسبق دراسة تاريخ الدعوة في عصر النبوة خلال المرحلة المكية والمدنية .

وسوف تتضمن دراسة سيرة أبى بكر رضي الله عنه بيان أنه كان رائدا في قومـــه قبل الإسلام وبعده ، وكان له دوره رضي الله عنه مع رســـول الله ﷺ وفـــى مـــسار الدعوة إلى الله تعالى .

الموضوع الرابع : توضيح قضية الخلافة، وما دار حولها من نقاش إلـــى أن انتهت ببيعة أبى بكر رضي الله عنه .وفى هذا الموضوع سوف ندرس بإذن الله تعـــالى قيام بيعة أبى بكر على الشورى والاختيار الحر لصحابة رسول الله ﷺ بعيـــدا عن ادعاءات الشيعة وغلاة الاستشراق وهم يحاولون تشويه بيعة أبى بكـــر ، ويصورونها عدوانا على حق الأمة في الاختيار،وإهمالا لوصايا رسول الله ﷺ وقد تحتاج قضية الخلافة إلى مناقشة المذاهب فيما ذهبوا إليه ، ورد أدلـــتهم ، واثبات الحق ببراهينه وأدلته .

الموضوع الخامس : بيان أسس الحكم التي سار عليها أبو بكـــر رضي الله عنه فـــي خلافته ومعرفة مدى تحقيقه للكرامة الإنسانية وصيانة عزة الإسلام والمسلمين.

الموضوع السادس : بيان ما حدث من خـــلاف حـــول جـــيش أســـامة رضي الله عنه وتوضيح مدى النجاح الذي حققه هذا البعث للإسلام والمسلمين.

الموضوع الـــسابع : الحديث عن حركة الردة ، وأهم أحداثها ، والطريقة التى واجه بها أبو بكر رضي الله عنه هذه الحركة ، وحافظ بذلك على الإسلام والمسلمين .

الموضوع الثامن : بيان مواصلة أبى بكر لحركة الجهاد المسلح ضد الفـــرس

والروم لصيانة الحقوق ، والمحافظة على السلام والأمن ، وإقامة الخلافة على أسس راسخة من القوة العادلة ، والحرية المسئولة، والنظام المشروع .

وبهذا تنتهى دراسة عصر أبى بكر لتنتقل إلى عصر الفاروق عمر رضي الله عنه بعد ما تحققت بيعته في آخر عهد أبى بكر رضي الله عنه .

ومن خلال دراسة هذه الموضوعات تظهر حقيقة دور الخليفة ، ووظيفته في الأمة ، كما تتضح حقيقة الأمة وكيفية تجاوبها مع الخليفة ، وعملها الدءوب في خدمة الإسلام والمسلمين ، بعيدا عن الانحراف والهوى الذي يضر الناس أجمعين .

وسوف أحاول بإذن الله تعالى إبراز ركائز الدعوة في كل هذه الموضوعات ليستفيد بها الدعاة في العصر الحديث، وتلك غاية الدراسة الكبرى .

وهناك بعض الملاحظات الموجودة في الدراسة أحب توضيحها :

أولا :

كررت بعض النصوص ، وبعض الأحداث أكثر من مرة حيث يحتاجها كل موضع جاءت فيه ، ولم اكتف بالإحالة إلى ما سبق لما في النص من سمو وعبرة ، ولما فيه من دلالة على خلق الإسلام ، وعظمة أبى بكر رضي الله عنه ... وقد أحببت هذا التكرار مع اختلاف موضع الاستشهاد تشبها بالفقهاء وهم يستدلون بالدليل الواحد في عدد من المواطن .

ثانيا :

حاولت جهدى ربط أعمال أبى بكر رضي الله عنه بوقائعها أملا بأن يستفيد المسلمون بالإسلام في إطار الواقع الذي يعيشون فيه ، وفى الإسلام سعة وصلاحية لكل زمان ومكان .

ثالثا :

اجتهدت خلال الدراسة بوضع نظام الخلافة في إطارها السياسى . ليعلم الجميع أن الإسلام دين ودولة ، وقد دفعنى ذلك إلى الحديث عن الأسس

السياسية في الإسلام ، ونظام الشورى ، ونظام البيعة ووجود المذاهب السياسية كل في موطنه خلال الدراسة بلا إطالة أو نقصان . وبغير خلل أو تكرار .

رابعا :

جاء حديثي عن السيرة الشخصية لأبي بكر مستقلا عن سيرته العامة لأن السيرة الشخصية تصور الإنسان في حد ذاته ، أما السيرة العامة فهي تـصور عمله ، وعصره ، وأثره في الآخرين ، وتبين كافة المواريث التي تركها للأمة من بعده ... وقد أدى ذلك إلى الحديث عن وفاة أبي بكر رضي الله عنه مرتين لارتباط الوفاة بشخصيتية الخاصة والعامة .

إن المسلمين عموما ، والدعاة على الخصوص في حاجة لمعرفة أحـداث العصور الأولى لبيان ما كان عليه السلف من حضارة راقية ، ونهضة تامـة وسلوك نبيل في كل مجالات الحياة ... وكانت ثقتهم في الله كاملـة، ولـذلك عاشوا دنياهم عبادا ربانيين صادقين عاملين فنـصرهم الله تعـالى، ونـصر الإسلام بهم .

إن المسلمين المعاصرين في مؤخرة الناس ، ولا وزن لهم فـي صـراع الأمم ... وحاجتهم إلى معرفة السلف، وأمجاد الماضي ماسة لإحياء الهمـم ، وتقوية العزائم عساهم يعودون إلى ما كانوا عليه .

وماذا يقول مسلمو العصر الحديث لأبنائهم وأحفادهم وهم يسألون :

- لماذا سبقنا وتحكم فينا الآخرون ؟
- ولماذا صرنا عالة على غير المسلمين ؟
- ولم لم يستيقظ آباؤنا وقد بان لهم هذا الوضع الأليم ؟
- ألم يشعروا بأنهم مسئولون عن كل ذلك أمام الله تعالى ؟
- ألم يملكوا أسباب النهضة والتقدم ؟
- ألم يسيطروا على شعوبهم لتعمل ما يرون ؟
- أم ماذا إذاً .... ؟

ومسئولية الدعاة في أمة اليوم استنهاض الناس ، وعرض الماضى العظيم على المعاصرين فإنه فوق ما فيه من فخار وعزة ، وشهادة بأثر الإسلام في الناس ، فإن فيه إيقاظا للنائمين، وتنبيها للغافلين ، وبيانا بأنه لا يصح إلا الصحيح ، وبأنه لا حياة إلا بالعمل ، ولا تقدم إلا بالنشاط والكفاح في صدق وإخلاص مع الله ومع الناس .

وإنى اسأل الله تعالى أن يلهمنى السداد والتوفيق ، ويرزقنى البيان الواضح والتعبير الحسن ، ويفتح لى العقول والقلوب ، وأن ينزل كلامى منزلة حسنة عند الناس ، وأن ينفعنى به ذكرا في الدنيا ، وحسنة في الآخرة عند الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. والحمد لله رب العالمين .

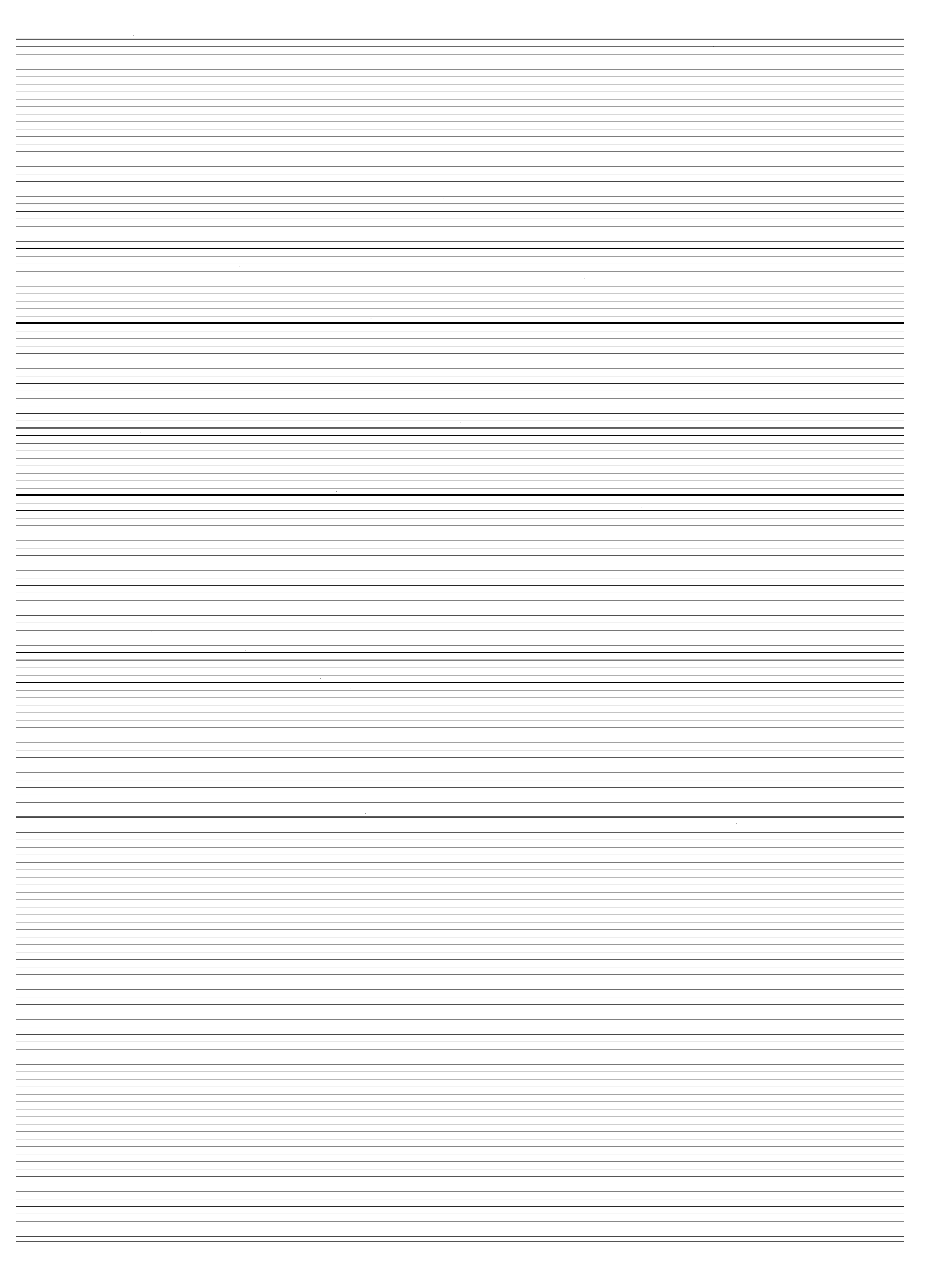
أ.د / أحمد أحمد غلوش

مدينة نصر
أول المحرم ١٤٢٧ هـ
٣٠ يناير ٢٠٠٦ م

الفصل الأول

المجتمع العالمــــى

عند وفـــاة الرســـول (ﷺ)



تمهيـــد

وصلت دعوة الإسلام إلى الناس كافة ، وأدت الرسائل والرسل الأهــداف التي نيطت بهم ، وصار الإسلام دينــا معلوما للعالم كله .

وقــد أحدث وصول دعوة الإسلام للعالم كله دويا كبيرا أدى إلى ظهــور حركات متعددة في صور شتى ، بعضها يعمل لله والدعوة ، وبعضها يعمــل لذاتة وسلطانه ، وثالثه تعمل للهوى والشيطان ، ورابعــة نافقــت فــأظهرت الإسلام وأبطنت الكفر... وهكذا .

في هذا الجو ، ومع هذه الأحوال فوجئ الناس بوفاة رسول الله ﷺ فتعامل كل فريق مع هذا الحدث الجلل بما يتفق وأمانيهم ، وبما يريدون .

ومن هنا لم يستمر حال العالم على الصورة التي كانت في أخر أيام رسول الله ﷺ .

وحين ندرس عصر الصديق رضي الله عنه من زاوية البحث في تــاريخ الــدعوة يصير من الضروري الوقوف على أحوال العالم لنعرف البيئة التــي عايــشها ابوبكر رضي الله عنه ، ونتمكن من تقييم الجهود والأعمال التي قام بهــا فــي خدمــة الإسلام والمسلمين .

ومن هنا كان لزاما أن يتناول هذا الفصل المباحث التالية :

المبحث الأول : أحــوال المسلمين .

المبحث الثانى : أحــوال الروم .

المبحث الثالث : أحــوال الفرس .

على أن يقتصر البحث في هذه المباحث على المستجدات عند وفاة رسول الله ﷺ حيث سبق تفصيلها في **بداية دراسة تاريخ العصر المكى** فــي الكتــاب الثاني كما أن الدراسة ستكتفى بهذه الأمم الثلاث لأن ما عداها كان بعيدا عــن نشاط الدعوة في عصر الصديق رضي الله عنه .

والله ولى التوفيق ...

المبحث الأول

أحــوال المسلمــين

أسلمت الجزيرة العربية كلها ، ودخلت في دين الله تعالى بفضل ما بذلــه رسول الله ﷺ وصحابته .

وبإسلام العرب صارت كلمة الله هى العليا بين العرب أجمعين ، والتقــت القلوب حول الرسالة والرسول حبــا وإخلاصا ، وصدق القرآن الكريم وهو يصور المسلمين وحالهم مع رسول الله ﷺ وذلك في قوله تعالى :

- ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾[١].

- وفى قوله سبحانه وتعالى ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا

١ـ سورة الفتح آية ٢٩ .

وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ

ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[١] .

والآيات في هذا المجال كثيرة وهى تثبت ما كان عليه المسلمون في حياة رسول الله ﷺ من حب ، وتماسك وإيثار ، والتزام تام بكل ما أمر الله به ، فهم الصادقون المفلحون المؤمنون .

إلا أن الأمر لم يخل من وجود بعض المنافقين الذين دخلوا في الإسلام لغايات يبغونها ، وأخذوا يعملون ضده ، وينتهزون الفرص للهجوم عليه .

وبجانب المنافقين وجدت جماعة عرفت **بالطلقاء** الذين دخلوا في الإسلام يوم فتح مكة ، ولم يعلموا عنه شيئا ، ولذلك سهل عليهم الابتعاد عنه عصبية ، وحقدا لأن من جهل شيئا عاداه ، وكيف يؤمن بالمعلوم من لا يعلمه ؟!!

وهناك من دخل في الإسلام ، وأحلام القبيلة والعنصر لم تغادر فؤاده ، ولذلك وجدها فرصة أن يرتد عن الإسلام لتحقيق آماله ، وغاياته .

إن الإسلام دين قائم على العلم والعمل في إخلاص صادق ، وأداء أمين ، وهذا ما تميز به غالبية أبناء الجزيرة العربية .

أما القلة الباقية فقد أضلها الجهل ، وأعماها النفاق، ولعب بها الهوى فبعدت عن دين الله تعالى بعد وفاة رسول الله ﷺ ، ولذلك ظهر الخلاف ، وتشعبت الآراء ، وتعددت الغايات ، وتنوعت الأنشطة والتوجهات .

ولعل أهم ما ظهر من أحداث بين المسلمين دار حول القضايا التالية :

أولا : الاختلاف حول وفاة الرسول ﷺ .

ثانيا : ظهور النفاق والردة بين المسلمين .

ثالثا : الخلاف حول الخلافة والإمامة .

وسوف أتناول هذه القضايا في هذا المبحث بإيجاز ، وبنفس الترتيب ، بتوفيق الله تعالى .

١- سورة الحشر من آية ٨ : ١٠ .

ــ أولا ــ

الاختلاف حول وفاة الرسول الله (ﷺ)

الموت حق على الناس أجمعين، لقول الله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[١] إلا أن حب الصحابة رضوان الله عليهم لرسول اللهﷺ أنساهم هذه الحقيقة بالنسبة له ﷺ وأبعدهم عن الأمارات الدالة على قرب وفاة رسول الله ﷺ .

لقد أدرك فقهاء الصحابة قرب وفاة رسول الله ﷺ من قوله تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[٢] .

ومن قوله تعالى ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾[٣] وذلك لأن كمال الدين ، وتمام النصر دليل على انتهاء مهمة الرسول ﷺ التي عاش من أجل تحقيقها بين الناس .

ولاحظ الصحابة أن رسول الله ﷺ اعتكف عشرين يوما في رمضان من العام العاشر . وأن جبريل عليه السلام دارس الرسول القرآن خلاله مرتين بعدما كان الرسول ﷺ يعتكف عشرا ، ويدارس القرآن مع جبريل عليه السلام مرة واحدة ، وفهموا من ذلك قرب نهاية رسول الله ﷺ .

مع كل هذه الدلائل والإشارات لم يتصور كثير من الصحابة رضوان الله عليهم فراق رسول الله ﷺ فلما حان موعده ، وتحقق القدر ، وانقضى الأجل

١ـ سورة الزمر آية ٣٠ .
٢ـ سورة المائدة آية ٣ .
٣ـ سورة النصر .

أصابهم الفزع والذهول ، وتصور كثير منهم عدم وفاة رسول الله ﷺ .

تقول عائشة رضي الله عنها : " **إن من نعم الله علىَّ أن رسول الله ﷺ توفى في بيتى ، وفي يومى ، وبين سحرى ونحرى ، وأن الله جمع بين ريقى وريقه عند موته** " .

دخل علىَّ عبد الرحمن وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله إلى صدرى فرأيته ينظر إليه .

وعرفت أنه يحب السواك .

فقلت : آخذه لك ؟

فأشار برأسه أن نعم .

فتناولته فأشتد عليه ، و قلت : ألينه لك ؟

فأشار برأسه أن نعم . فلينته فأمره ، وبين يديه ركوة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول : لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات .

ثم نصب يده فجعل يقول : في الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده[1] !

وكان رسول الله ﷺ يقول : **إنه لن يقبض نبى قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيا أو يخير. فلما اشتكى ﷺ و حضره القبض ، ورأسه على فخذ عائشة غشى عليه ، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال : اللهم فى الرفيق الأعلى .**

فكان آخر كلمة تكلم بها : اللهم في الرفيق الأعلى[2] .

فلما رأت عائشة رضي الله عنها شدة الموت التي لحقت برسول الله ﷺ قالت : **فلا أكره شدة الموت لأحد أبدا بعد رسول الله ﷺ** [3].

١- صحيح البخارى ــ كتاب المغازى . باب مرض النبي ﷺ ووفاته جـ ٧ صـ١٠١ .

٢- صحيح البخارى ــ كتاب المغازى . باب مرض النبي ﷺ جـ ٧ صـ٩٩ .

٣- صحيح البخارى ــ كتاب المغازى . باب مرض النبي ﷺ جـ ٧ صـ٩٩ .

ولم يترك النبي ﷺ مالا ، وخرج من الدنيا وهو مدين لكتابى يقول عمرو ابن الحارث رضي الله عنه : **ما ترك النبي ﷺ دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها ، وسلاحه وأرضا جعلها لابن السبيل صدقة**[1].

وعن عائشة : **توفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عنـد يهـودى بثلاثـين صاعا من الشعير**[2] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه .**

فقالت فاطمة : وا كرب أباه .

فقال لها ﷺ : ليس على أبيك كرب بعد اليوم .

فلما مات قالت : يا أبتاه أجاب ربا دعاه ، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه ، ياأبتاه إلى جبريل ننعاه .

فلما دفن قالت فاطمة : **يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسـول الله ﷺ التراب** [3] ؟

وعن عائشة قالت : **دعا النبي ﷺ فاطمة في شكواه التي قبض فيها فسارها فبكت ، ثم دعاها فسارها فضحكت ، فسألناها عن ذلك فقالت : سارنى أنـه يقبض في وجعه الذي توفى فيه فبكيت ، ثم سارنى فأخبرنى أنى أول أهـل بيته يتبعه فضحكت**[4] .

وتوفى رسول الله ﷺ صباح يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة مثل الوقت الذي دخل فيه المدينة ، ومثل اليوم الذي ولد فيه[5] .

يقول القرطبى مبينا عظم هذه المصيبة وما ترتب عليها من أمور : **مـن أعظم المصائب المصيبة في الدين ... فإنه بموت رسول الله ﷺ ينقطع الوحي**

١- صحيح البخارى ـ كتاب المغازى . باب مرض النبي ﷺ جـ٧ صـ١٠٥ .
٢- صحيح البخارى ـ كتاب المغازى . باب وفاة النبي ﷺ جـ ٧ صـ١٠٧ .
٣- صحيح البخارى ـ كتاب المغازى . باب مرض النبي ﷺ جـ ٧ صـ١٠٦ .
٤- صحيح البخارى ـ كتاب المغازى . باب وفاة النبي ﷺ جـ ٧ صـ ٩٥ .
٥- سيرة النبي ﷺ جـ٢ صـ٦٥٥ .

ويغيب التلقى المباشر من الله وتلك مصيبة .

يقول رسول الله ﷺ : " **إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه بي فإنها أعظم المصائب** "[١] .

وصدق رسول الله ﷺ ، لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم بعده إلى يوم القيامة حيث انقطع نزول جبريل عليه السلام ، وختمت النبوة ، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب وغير ذلك من حب الدنيا ، ونشاط إبليس ، وكان أول المصائب بعد موت رسول الله ﷺ أول انقطاع الخير وأول نقصانه[٢] .

ويقول ابن إسحاق : لما توفى رسول الله ﷺ عظمت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة فيما بلغني تقول : **لما توفى النبي ﷺ ارتدت العرب ، واشرأبت اليهودية والنصرانية ، ونجم النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم** [٣] .

وقد تصور فريق من المسلمين أن رسول الله ﷺ ذهب لملاقاة ربه ، وسوف يعود بعد أربعين يوما كما فعل موسى بن عمران عليه السلام .

يقول ابن رجب : ولما توفى رسول الله ﷺ اضطرب المسلمون ، فمنهم من دهش فخولط ، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام ، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام ، ومنهم من أنكر موته بالكلية [٤] .

وعن عائشة أن رسول الله ﷺ **مات وأبو بكر** رضي الله عنه **بالسنح ، حيث كان مسكنه بالعالية ، فقام عمر** رضي الله عنه **يقول : والله ما مات رسول الله ﷺ ، ولكنه ذهب لملاقاة ربه ، كما ذهب موسى عليه السلام لملاقاة ربه أربعين يوما وسيرجع ، والله ما كان في نفسى إلا ذلك و ليبعثنه الله ، و ليقطعن أيدى**

١- السلسة الصحيحة للألبانى رقم ١١٠٦ .
٢- تفسير القرطبى جـ٢ صـ١٧٩ .
٣- سيرة ابن هشام جـ٤ صـ٢٣٢ .
٤- لطائف المعارف صـ١١٤ .

رجال وأرجلهم يقولون بموته ....

فجاء أبو بكر على فرس من منزله بالسنح ونزل عنه ، فدخل المسجد ، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة ، فتيمم رسول الله ﷺ ، وهو مغشى بثوب حبرة ، فكشف عن وجهه ، ثم أكب عليه ، وقبله وبكى ثم قال: **بأبى أنت وأمى والله لا يجمع الله عليك موتتين ، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها .**

ثم خرج وعمر يكلم الناس فقال أبو بكر : **اجلس يا عمر .**

فأبى عمر أن يجلس .

فأقبل الناس إلى أبى بكر و تركوا عمر ، فحمد أبو بكر رضي الله عنه ربه وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال :

أما بعد ...

فمن كان منكم يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حى لا يموت ، يقول الله تعالى ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [١].

فأخذ الناس يبكون وقد تيقنوا موت الرسول الله ﷺ .

يقول ابن عباس : **والله لكأنى بالناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ، فتلقاها منه الناس كلهم ، فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها .**

وقال عمر : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلنى رجلاى ، وحتى هويت إلى الأرض حين سمعته تلاها ، وعلمت أن رسول الله قد مات[٢] ولما تيقن الصحابة أنه ﷺ مات دهشوا وطاشت عقولهم ، فمنهم من

١ــ سورة آل عمران آية ١٤٤ .

٢ــ صحيح البخارى ــ كتاب المغازى . باب مرض النبي ﷺ ووفاته جــ٧ صــ١٠٣ ، ١٠٤ .

خبل ، ومنهم من أصمت ، ولم يكن أثبت وأحزم من أبى بكر والعباس رضي الله عنهما .

وبعد أن أستسلم الصحابة لوفاة رسول الله ﷺ تساءلوا عن مكان دفنه ﷺ ، فقطع أبو بكر رضي الله عنه خلافهم حول المكان بما سمعه من رسول الله ﷺ وهو يقول : " **ما قبض نبى إلا دفن حيث يقبض** "[1] فرفعوا رضوان الله عليهم فراش رسول الله ﷺ الذى كان يرقد عليه عند موته، و حفروا له تحته ، ودفنوه في مكانه الذي مات فيه وهو في بيت عائشة رضي الله عنها الذي مات فيه ، وهو نفس مكانه الموجود فيه حتى اليوم ﷺ.

وبدأ المسلمون يستعدون لعصر جديد ، حيث يقودهم صحابى جليل بما تركه لهم رسول الله ﷺ بتمامه ، وكماله ، وشموله . مع ما فيهم من نور الصحبة ، وحسن الطاعة والإتباع لمنهج الله تعالى .

وكان هذا هو الاختلاف الأول بين الصحابة ، ولولا ثبات أبى بكر رضي الله عنه ، وحكمته ، وإلهام الله له لوقع المسلمون في نزاع واضطراب .

ولكن الله سلم ، وحسم أبو بكر رضي الله عنه هذا الاختلاف بما حفظه عن رسول الله ﷺ .

ونلاحظ أن هذا الاختلاف يرجع إلى فرط الحب لرسول الله ﷺ ، وغياب الحقائق الثابتة عن الصحابة بسبب ما هم فيه من هول وفزع ... فلما علموا الحقيقة ، ووضح أبو بكر رضي الله عنه أمامهم النصوص الثابتة عادوا لرشدهم ، وفاءوا إلى الحق مسرعين .

إلا أنه على كل حال كان خلافا احتاج لموقف جاد ، وكان صاحب هذا الموقف هو أبو بكر رضي الله عنه .

١- سنن ابن ماجه ــ كتاب ما جاء في الجنائز . باب ذكر وفاة النبي ﷺ جـ١ صـ٥٢٠ .

ــ ثانيا ــ

ظهور النفاق والـــردة

بين المسلمين

دخل عرب الجزيرة جميعا في الإسلام ، وبايعوا رســـول الله ﷺ ، إلا أن فريقا منهم أبت نفوسهم الانصياع لحكم الله تعالى فعملوا على ترك الإســـلام ، والرجوع إلى ما كانوا فيه .

ولذلك ظهرت حركة الردة في أخريات حياة النبي ﷺ ففى العام التاسع من الهجرة أى قبل وفاة النبى ﷺ بعام واحد أقبلت الوفود من كل أرجاء الجزيـــرة تبايع رسول الله ﷺ ، وتدخل في دين الله تعالى . وتعلن النصر والظفر ...

في هذه الأثناء أضمر الحـــاقدون كيدهم ، وعملوا في الخفاء للقضاء على دين الله تعالى .

وقد أعلم الله سبحانه وتعالى نبيه بنبإ هؤلاء الأعداء ففاجـــأ ﷺ أصـــحابه بخبرها وهو يخطب فيهم ذات يوم،وأخذ ﷺ يذكر لهم رؤية رآها،حيث قال ﷺ :

" بينما أنا نائم رأيت أنه وضع في يدى سوران من ذهــب فقطعتهمـــا ، وكرهتهما ، فأذن لى ، فنفختهما ، فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان .

يقول عبيد الله : هما صاحب اليمن ، وصاحب اليمامة "[1].

وصاحب اليمامة هو مسيلمة الكذاب من بنى حنيفة قدم قومه على رســـول الله ﷺ لإعلان إسلامهم ، وتركوا مسيلمة وراءهم في أمتعتهم ، وعندما رجعوا إلى ديارهم مسلمين ارتد مسيلمة ، وارتد كثير من قومة معه وأرسل مـــسيلمة الكذاب إلى رسول الله ﷺ كتـــابا يقـــول فيه :

١- صحيح البخارى - كتاب التعبير . باب النفخ في المنام جـ١٠ صـ٣٨١ وقد فسر أهل التعبير هذه الرؤيا بأن السوارين هما ملكان يسودان في قومهما ، وإحاطتهما بذراع النبي ﷺ لبيان أنهما معه ويتصلان به ، ويشتد أمرهما عليه وعلى أمته ، ويدل طيرانهما على هزيمتهما في النهاية . ويدل النفخ على أن الذي سيحاربهم ليس هو النبي ﷺ وإنما جند تأتمر بشرعه ودينه وهو بعيد عنهم ، وقد تحققت هذه الرؤية بهزيمة الكذابين .

من مسيلمـــة رسـول الله إلى محمد رسـول الله .

أما بعـد ...

فإنى قد اشتركت في الامـر معك ، وإن لنا نصف الأرض ، ولقـريش نصف الأرض ولكن قريشا قوم يعتدون [١] .

وكان قد أرسل هذا الكتاب مع رجلين من قومه ، فلما قرئ هـذا الكتـاب على النبي ﷺ قال لهما : **فما تقولان أنتم ؟**

قالا : **نقول كما قال .**

فقال ﷺ : **أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما .**

ثم كتب إلى مسيلمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد ﷺ رسول الله إلي مسيلمة الكذاب

السلام على من اتبع الهدى

أما بعـد ...

فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

وقد استمر هذا الكذاب على كذبه إلى أن أهلكه الله في خلافة أبى بكر [٢] .

وصاحب اليمن هو الأسود العنسى الذي ادعى النبوة ، وخرج على الإسلام وطرد أصحاب النبي ﷺ من اليمن ، واشتدت حركته ومن معـه بعـد وفـاة رسول الله ﷺ .

وسار على نهج هذين الكاذبين آخرون منهم سجاح بنت الحـارث التـي ادعت النبوة ، وجمعت رجالها لغزو اليمامة فلما وصلت إلى مسيلمة صانعها ، وأهدى لها ، وتزوجها .

ومنهم طليحة بن خويلد الذي ادعى النبوة فلما خاف مـن رسـول الله ﷺ هرب إلى بلاد الروم ، وعندما ولى الخلافة أبو بكـر عاد إلى قبيلته ، واستمر

١- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ١٤٦ .
٢- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ١٤٦ .

على كفره وردته .

ولم تكن الردة كلها إدعاء النبوة ولكنها شملت كل رجوع عن الحق ، وأى مخالفة للثابت في دين الله تعالى كمنع الزكاة ، ونقض البيعة لرسول الله ﷺ .

والمفهوم اللغوى للردة يجعلها تشمل كل رجوع عن أمر ما ، والنكوص عنه ، يقول الله تعالى ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾[1] ومعنى لا ترتدوا أى لا ترجعوا إلى الوراء .

وقد أورد العلماء عدة تعريفات اصطلاحية للردة ، وكلها تعنى : " **إنكار أمر معلوم من الدين بالضرورة كالصلاة ... أو الإتيان بقول أو فعل لا حكم له في دين الله إلا الكفر** " .

يقول الإمام النووى : **الردة هي قطع الإسلام بنية ، أو قول ، أو فعل سواء قاله المرتد استهزاء ، أو عنادا ، أو اعتقادا ، فمن نفى الصانع ، أو الرسل ، أو كذب رسولا ، أو حلل محرما مجمعا عليه كالزنا وعكسه، أو نفى وجوب مجمع عليه أو عكسه ، أو عزم على الكفر أو تردد فيه فهو كافر**[2].

وعرفها الشيخ عليش المالكى : **بأنها كفر المسلم بقول صريح، أو لفظ يقتضيه ، أو بفعل يتضمنه**[3] .

وعرفه ابن حزم الظاهرى بأنه : **كل من صح عنه أنه كان مسلما متبرئا من كل دين حاشا دين الإسلام ثم ثبت عنه أنه ارتد عن الإسلام ، وخرج إلى دين كتابى أو غير كتابى أو إلى غير دين**[4] .

إن ارتداد العرب بعد وفاة رسول الله ﷺ له أسباب كثيرة منها :

- ضعف الإيمان والجهل بحقيقة الإسلام ...

١- سورة المائدة آية ٢١ .

٢- أحكام المرتد صـ ٤٤ .

٣- شرح متن المنهاج ، لشرف الدين النووى ، صـ ٥١٩ .

٤- المحلى جـ١١ صـ١٨٨ .

- ومنها الحنين لعادات وتقاليد الجاهلية ...
- ومنها العصبية القبلية وحب التسلط والطمع في الملك والجاه ...
- ومنها الحقد والكراهية التي ملأت قلوب أعداء الإسلام والمسلمين .
- ومنها الهمجية البدوية التي تدفع صاحبها إلى التفلت من النظام ، وعدم الخضوع للسلطة الشرعية .

وقد اتخذت الردة صورا متعددة أوصلها الباحثون إلى أربع صور هي :

الأولى : ترك الإسلام جملة وتفصيلا والعودة إلى عبادة الأصنام والأوثان .

الثانية : ادعاء النبوة والزعم بنزول الوحي، واستمراره بعد محمد ﷺ وتصور أن ذلك جزء من الإسلام دين الله تعالى .

الثالثة : التمسك بالإسلام مع ترك بعض أركانه كالصلاة ، والزكاة ، والجهاد ... لمجرد الرأي والهوى .

الرابعة : التمسك بالإسلام مع عدم دفع الزكاة لأبى بكر رضي الله عنه بزعم أنها كانت تدفع لرسول الله ﷺ في حياته فقط أما وقد مات فإنها لا تدفع لأحد غيره .

يقول الخطابى : إن أهل الردة كانوا صنفين :

الصنف الأول :

أناس ارتدوا عن الدين ، ونابذوا الملة ، وعادوا إلى الكفر ، وهذه الفرقة طائفتان :

الطائفة الأولى هم أصحاب مسيلمة من بنى حنيفة وغيرهم الذين صدقوه على دعواه في النبوة ، وأصحاب الأسود العنسي ومن كان من مستجيبيه من أهل اليمن وغيرهم ومن سلك سبيلهم في ادعاء النبوة كسجاح وغيرها ، وهذه الفرقة بأسرها منكرة قصر النبوة على سيدنا محمد ﷺ مدعية النبوة لغيره معه على وجه الشراكة ، والتكامل .

والطائفة الأخرى ارتدوا عن الدين ، وأنكروا الشرائع ، وتركوا الصلاة والزكاة ، وغيرها من أمور الدين، وعادوا إلى ما كانوا عليه في الجاهلية .

والصنف الثانى :

هم الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة فأقروا بالـصلاة ، وأنكـروا فـرض الزكاة ، ورفضوا وجوب أدائها إلى الإمام[١] ... وهؤلاء تصوروا أن تمـسكهم بالعقيدة ظاهريا ، ومنعهم للشريعة أو لبعضها عمدا لا يخرجهم من الإسلام .

وكان في ضمن الصنف الثاني من كان يقر بالزكاة ولا يمنعهـا ، إلا أن رؤساءهم صدوهم عن ذلك ، وقبضوا أيديهم عن أدائها ، وإنما عد هؤلاء من المرتدين لأنهم أطاعوا رؤساءهم ، وآزروهم في ردتهم ، وكانوا معهـم فـي مواجهة المسلمين .

ومن المعلوم أن الراضى بفعل قوم كالداخل معهم فيه . وبـذلك ارتكـب المرتدون إثمين ، إثم الرضا ، وإثم المتابعة[٢].

وقريب من التقسيم لأصناف المرتدين تقسيم القاضى عياض غير أنهـم عنده ثلاثة :

- صنف عادوا إلى عبادة الأوثان وكفروا بالله تعالى .
- وصنف اتبعوا مسيلمة والأسود العنسى ، وكل منهما ادعى النبوة مـع رسول الله ﷺ .
- وصنف ثالث استمروا على الإسلام ولكنهم جحدوا الزكـاة ، وتـأولوا بأنها خاصة بزمن النبي ﷺ[٣] .

وقسم الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود المرتدين إلى أربعة أصناف :

- صنف عادوا إلى عبادة الأوثان والأصنام .
- وصنف ثان اتبعـوا المتنبئين الكـذبة وهم الأسـود العنسي ، ومسيلمة وسجاح وأطاعوهم فيما أمروهم به .
- وصنف ثالث أنكروا وجوب الزكاة وجحدوها مع إيمانهم بنبوة محمد ﷺ

١- شرح النوى على صحيح مسلم للنووي جـ١ صـ٢٠٢ .

٢- نفس المصدر جـ١ صـ٢٠٣ .

٣- فتح البارى جـ١٢ صـ٢٧٦ .

بدعوى انقضاء مشروعيتها .

- وصنف رابع لم ينكر وجوب الزكاة ولكنهم أبوا أن يدفعوها إلى أبـــي بكر رضي الله عنه تصورا منهم أنها كانت تدفع لرسول الله ﷺ فى حياته ولذلك أبوا دفعها لغيره بعد مماته ظنا منهم أن دفعها صار اختيار جوازيـــا ، وهـــذا اجتهاد بلا دليل ، فلما تمسكـــوا به ، وتصـــوروه حقـــا ثابتـــا وتعصبوا له حاربهم الصديق في إطار حملاته على المرتدين .

ــ ثالثا ــ

الاختـــــــلاف

حول الخلافة والإمامة

لقى رسول الله ﷺ ربه ، ولم يعين خليفة له يعقبه في حكم المسلمين وإدارة شئون البلاد والعباد ، وحراسة الدين ، وسياسة الدنيا .

يؤكد ابن كثير في البداية والنهاية أن الرسول ﷺ لم ينص علي الخلافة لأحـــد من الناس .

لا لأبي بكر كما تدعي البكرية .

ولا لعلي كما تدعي الشيعة .

إلا أنه ﷺ أشار إشارة قوية إلي الصديق بانتدابـــه للـــصلاة ، وبتزكيتـــه بالأحاديث وباستشارته في المواطن كلها .

" ولو واجهنا ما روى في صالح قريش عامة ، بما روي في صالح بنـــي هاشم خاصة ، ثم واجهنا ذلك كله بما روى في صالح كل مـــن . العلـــويين ، والأمويين ، والعباسيين ، لوجدنا أن هذه المرويات متناقـــضة لا يـــصح بهـــا الاستدلال ، **لأن الأراء إذا تعارضت تساقطت**[١] .

ومن الممكن تأويلها بغير ما ذهب إليه رواتها ، وحينئذ لا يصح الاستدلال بها ، **لأن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال .**

والحق إن القرآن الكريم والسنة النبوية . لم يعينا أحدا بعينـــه للخلافـــة ، وشاء الله ورسوله ﷺ ترك النص على تعيين حاكم للأمة الإسلامية علي كيفيـــة خاصة في الحكم ، أو تعيين البيت الذى يكون منه الحاكم اكتفـــاء بمـــا فـــي القرآن والسنة من قواعد إقامة النظام العام ، ومبادئ تحقيق العدالـــة، ووكـــل الأمر إلي الأمة تختار حاكمها كما تشاء بالطريقة التي تراها، ومن البيت الذي

١- البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٤٠ ، وسيأتي مزيد عن هذا الاختلاف في مبحث بيعة أبي بكر رضي الله عنه .

تريده في كل زمان ومكان ، ضـــرورة أن الظـــروف والأحـــوال تتغيـــر ، والمجتمعات تتطور، وما يصلح اليوم قد لا يصلح غدا، وما كان بالأمس غير صالح قد يكون غدا صالحا . فالأمة أعرف بدنياها ، تشكلها كما تشاء .

ولا ضرر في ترك الأمر لاختيار الناس مادام الإسلام قائما مرعيا، موجها للحاكمين والمحكومين، ولذلك كان التشريع الإسلامي في هذه الناحية في أسمي مراتب الكمال ، بملاحظته سنة التطور العام في المجتمعات ، ولم يشأ التشريع ربط المجتمع الإسلامي بتوجيه ثابت في أمر شأنه التطور والتغيير.

وما أعظم جـــواب الصديق أبي بكر ﷺ لمن قال له من المسلمين: ألم يتـــرك رسول الله ﷺ نصا ؟ ... أو لم يسم الخلافة لأحد ؟

قال أبو بكر ﷺ : " إن النبي خلي إلي النـــاس أمرهم، ليختـــاروا لأنفسهم متفقين غير مختلفين "[١] .

وقد أدى عدم تعيين الخليفة في واقع النـــاس بعـــد رســـول الله ﷺ إلـــى الاختلاف حول من يلي الأمر فذهب الأنصار نحو اختيار واحد منهم ، وذهب المهاجرون إلى غير وجهة الأنصار ، وظهرت توجيهات عديـــدة لعـــدد مـــن الصحابة تختلف عن التوجيهات الأخرى[٢] .

وعلى الجملة فإن هذا الاختلاف حول موضوع الخلافة كان علامة بارزة في المجتمع المسلم قبيل خلافة أبى بكر ﷺ .

إن اكتفاء الإسلام بوضع المبادئ العامة ، والأسس الكلية للأحداث المتغيرة والمتجددة يؤدي إلي كمال التشريع وشموله ، ويؤكد دائما عالمية الإســـلام ، وصلاحيته لكل زمان و مكان .

ويجب ألا يغيب عنا أمر ذو بال ، وهو أن الصحابة رضوان الله عليهم قد اختلفوا اختلافا كبيرا بعد موت الرسول ﷺ حول اختيار الحاكم ، وهم علمـــاء

١- التاريخ الإسلامي صـــ٧٥ .

٢- ستأتي مزيد من الدراسة في هذه المسألة بعد .

الأمة الأول ، الذين تلقوا عن الرسول بهجة الدين ، وتفهموا عنه كل شئ ، فلو كانوا يعرفون نصا من القرآن أو صحيح السنة من النصوص الملزمة الواجبة الطاعة لطبقوه والتزموا به ، حيث لا يتصور منهم غير ذلك .

أكانوا يخرجون علي نص ثابت ولا يلتزمون به وهم أصحاب محمد ﷺ ؟! ... وهل كان يقع بينهم هذا الاختلاف الخطير وعند بعضهم نصوص تؤيده ، ولا يظهرونها ؟

ثم ألا يدل اختلافهم حول الخلافة علي أنها منصب مدني دنيوى ، من شأن الناس أن يقرروا مصيرهم بأنفسهم و اجتهادهم ، حيث لا يجدون نصوصا ملزمة ؟!!

وقد أدى عدم وجود نصوص مفصلة في أمر الحكم بالمسلمين إلى أن يختلفوا فيمن يلي الأمر بعد رسول الله ﷺ ، وفى كيفية اختياره ، فرجعوا في ذلك إلى ما ورثوه عن رسول الله ﷺ فوجدوها تعاليم ومبادئ تحرس الدنيا بالعدل ، وتصون الدين بالحق ،وترعى البلاد والعباد باستقامة وخير ، وتحافظ على كافة الحقوق والواجبات ، وتقيم ما يحتاج إليه الناس من نظم وإجراءات .

وبهذه الأسس تمكنوا من إقامة الدولة الإسلامية بعد وفاة رسول الله ﷺ واستنبطوا منها سائر النظم ، وطرق التعامل مع الناس .

المبحث الثاني

أحـــــوال الـــــروم

عاشت دولة الروم مع بداية القرن السادس الميلادى حالة مـــن الــضعف والهوان في كافة مناحيها وأنشطتها . ودب الخلاف والصراع فـــي أقاليمهـــا المختلفة ، حيث تنوع الشعوب ، وكثرة القوميات ، في وسط سلطان ظـــالم لا يحافظ على حق لإنسان ، ولا يصون كرامة لمخلوق ، وكل همـــه أن يملـــك البلاد والعباد بالبطش والجبروت .

لقد عمل القيصر على نشر الفساد في مختلـــف ولايـــات الدولـــة بإلهـــاء الجماهير عن حقوقها ، وإخضاعهم لسلطانه وسيادته ، وبواســـطة ولاة علـــى شاكلته لا يهمهم أمر الناس ، وكل غايتهم العبث ، والإفساد ، والاستيلاء على الضياع والأموال ، ويكفى رضى القيصر عنهم .

وقد اشترك رجال الكنيسة في الإفساد الدينى فألفوا للناس دينـــا سياســـيا ، أقرب إلى الإلحاد منه إلى التوحيد ، وبذلك عاشت الولايات والجماهير صراعا بين من يرى أن المسيح طبيعة واحدة ومن يراه مكونا من طبيعتين ... وشغلوا النصارى بألوهية المسيح ، وبالبحث في مفـــاهيم الأب ، والإبـــن ، والـــروح القدس ، ومنزلة أم المسيح " مريم " في كونها أم إله أو أم نبـــى ... واســـتمر رجال الكنيسة في مؤتمراتهم ومجامعهم يتجـــادلون ، ويتناقـــشون ، ويكفـــر بعضهم بعضا ويتهم كل غيره فأوقعوا الناس في الشرك والحيرة ، ودفعـــوهم إلى الفساد والفوضى .

وقد اتجه القيصر إلى خلق المنازعات بين الفرق المختلفـــة ليلهـــيهم بهـــا ويحمى عرشه .

كما استمر العداء بين الفرس والروم ، وتناوبوا الغلب والهزيمـــة فتـــارة ينتصر الروم فيحتلون العراق وأرض الجزيرة ، ويقفون على أبواب عاصمة

الفرس " المدائن " ... وتارة ينتصر الفرس فيستولون على آسيا الصغرى وشواطئ البحر الأبيض المتوسط .

ولم يكن عرش القيصر آمنا ، فلقد تمكن"هرقل" من هزيمة الإمبراطور "فوكاس" سنة ٦١٠م وأعلن نفسه قيصرا للروم ، وهو الذى كتب له النبي ﷺ كتابا وأرسله مع الصحابى دحية بن خليفة الكلبى رضي الله عنه .

وآخر الحروب بين الروم والفرس هى ما تحدث عنها القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۞ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۞ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۞ ﴾[١] وصدق الله تعالى فلقد انهزم الروم أمام كسرى أبرويز الذى احتل القدس ، وسيطر على الشام وآسيا الصغرى ومصر عام ٦١٦م ... إلا أن الروم هزموهم بعد ذلك بست سنوات وأعادوا ولاياتهم لإمرتهم ، ووقعوا معهم معاهدة أنهت الحرب بينهم .

وقد تحول الغساسنة أنصار الروم في بلاد الشام إلى قوة محطمة بسبب المظالم التي لحقتهم من سادتهم الرومان .

وقد اتصل المسلمون بالروم في عصر النبي دعاة لله يحملون الكلمة الحرة والدعوة الأمينة ، ويبلغونهم دين الله كما جاء به الوحى .

ومع أن هرقل استقبل كتاب النبي ﷺ بفهم وأدب إلا أن عامله صاحب بصرى شرحبيل بن عميل الغسانى مزق الكتاب الذى جاءه من رسول الله ﷺ وقتل حامله إليه ، الصحابى الحارث بن عمير الأزدى رضي الله عنه ، وقد أدى ذلك إلى تحرك المسلمين إليه لحمل هؤلاء الناس على احترام الآخرين ، والتفكير السليم بدل العدوان والقتل وذلك من خلال غزوتى تبوك ومؤتة ، وبعث جيش أسامة .

١ــ سورة الروم من آية ١: ٥ .

وتعددت السرايا إلى نواح كثيرة في ولايات العرب الشمالية التابعة للروم حتى لا يتمكن هؤلاء الأعراب من مهاجمة المسلمين في ديـــارهم بعـــد مـــا حاولوها ، ظنا منهم أن المسلمين لا يقدرون على مواجهتهم .

وكانت غزوة " تبوك " هى ختام المواجهة بين المسلمين والرومان التـــى انتهت بانتصار المسلمين رغم العدد الضخم الذى أعـــده الـــروم والغـــساسنة والأعراب لحرب المسلمين .

وقبيل وفاة رسول الله ﷺ حاول الأعراب أن يتجمعوا في شمال الجزيـــرة لينقضوا عهودهم مع المسلمين ، وينقضوا عليهم فأعد رسول الله ﷺ لهم جيشا أمر عليه أسامة بن زيد رضي الله عنه ، وهو في ريعان شبابه ليعلم الشباب منزلتهم في الإسلام ،ويعرف الجميع التواصل والتوحد في الأهداف بين السرايا والغزوات التي اتجهت إلى شمـــال الجزيرة وبلاد الشام .

وأراد الله تعالى أن يلقى النبي محمد ﷺ ربه بعد ما تجهز جيش أســـامة ، وقبل أن يغادر المدينة المنورة ليكون الأمر فيه لمن يلي الأمر بعد رسول الله ﷺ ومعه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

وهنا يجب أن نشير إلى إن الحالة العامة للرومان ومن شايعهم من قبائـــل العرب ، كانت في حاجة ماسة إلى من يخلصها من سوءاتها التي تردت إليها حيث كانت تعيش في سوء مطلق نوجزه في نقاط سريعة أهمها :

أ ــ حكم يقوم على الطغيان ، والظلم والكبت ، ويتعامل مع رعاياه كأنهم حيوانات لا آدمية لهم ، وليس لهم إلا الاستعباد والسخرة . لقد وضع الملوك والسلاطين أنفسهم في مقام الألوهية ونظروا إلي الناس علي أنهم عبيد وخدم .

ب ــ سعى مطلق لجمع الأموال وتكديسها في يد الولاة والقيصر بلا حـــق ولا قانون ، تحت مسميات عديدة تبرر الاســـتيلاء علـــي الأمـــوال وتضيع الحقوق .

ج ــ فساد يملأ كل الحياة في الأخلاق والسلوك والمعاملات وتشمل سائر طوائف المجتمع في كل الأقاليم .

د ــ دين صنعه القيصر ليساعده في استبداده ، وعدوانه على الناس ، وحرمانهم من أى معارضه باسم الدين معتمدين على مقوله ألفوها وهى قولهم : **دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله .**

ه ــ ثورات متعددة تظهر كل يوم في كل ولايات الإمبراطورية تحاول التخلص من الظلم والقهر والاستعباد ، وقد راح ضحيتها المئات من الأبرياء .

و ــ الخوف من الإسلام وصد الناس عنه لأنهم رأوا أن وصوله إلى الناس كاف في اعتناقه ، والتحرر من كل الأوضاع التي يعيشها رعايا الإمبراطورية .

ز ــ كثرة الحروب بين الروم والفرس شتتت قوى الإمبراطورية، ونشرت الرعب والخوف عند الجميع .

هذه السوءات وغيرها جعلت الولايات الرومانية تعيش حالة من الاضطراب والقلق رأى المسلمون نتائجها يوم فتح هذه الولايات حيث وجدوا الجماهير ترحب بهم ، وتستسلم لهم ، وتسارع إلى اعتناق الإسلام ، وتسعد بتطبيق شريعة الله لأنها تحقق لهم الحرية والعدل والمساواة والخضوع لله رب العالمين .

وقد تعامل أبو بكر رضي الله عنه مع واقع الروم ، وقام بمسئوليته تجاهها رضي الله عنه فكان حاكما عادلا ، وقائدا عسكريا ، وداعيا إلى الله تعالى .

المبحث الثالث

حالـــة الفــــرس

بلاد الفرس تشمل ما يعرف الآن بجمهورية إيران ، والجـزء العراقـي الواقع بين دجلة والفرات والذى يمتد شمالا حتى منخفضات بحر قزوين .

وكانت مدينة " المدائن " الواقعة على نهر دجلة هي عاصمة فارس .

وقد بدأ اتصال المسلمين بفارس بالكتــاب الذى أرسـله النبـي ﷺ إلـى "أبرويز" كسرى الفرس يدعوه فيه إلى الإسلام ويحمله مسئولية رعيته ...

وقد استقبل " أبرويز " رسول النبى ﷺ استقبالا سيئا يقوم علـى العـدوان والاستهتار ، ولم يراع حق السفراء وحماية حملة الرسائل ، والتفكر فيما جاء في الكتاب ، فمزق الكتاب ورماه في التراب . وقتل حامله الصحابى " عبد الله بن حذافة السهمى رضي الله عنه " ...

وأرسل إلى واليه على اليمن " باذان " يأمره أن يجرد حملة عسكرية على الحجاز لتأديب أهلها ، وإحضار محمد مقيدا بالسلاسل إلى المدائن لتأديبه على جرأته ، ومحاولاته صرف الناس عن عبادة كسرى ، وتعريفهم بالإله الواحـد وهو الله الذي يدعو إليه .

كان الفرس يميلون إلى عبادة المظـاهر الطبيعيـة ، فالـسماء الـصافية والضوء الساطع ، والنار المشتعلة ، والمـاء الـسيال ، جـذبت أنظـارهم ، وجعلتهم يعبدونها على أنها كائنات إلهية ، حتى سـموا الـشمس عـين الله ، والضوء ابن الله ، ورأوا أن الظلمة ، والجدب ، ونحوهمـا كائنـات إلهيـة شريرة ملعونة .

عبدوا آلهة الخير ، وصلوا لها، وسـبحوا بحمـدها ، وقـدموا الـضحايا والقرابين لها ، واستمدوا العون منها ، ورأوا أن آلهة الخير في نزاع دائم مع آلهة الشر .

ورأوا أن أعمال الإنسان من الصلاة وغيرها تعين الآلهة الخيرة في منازلتها آلهة الشر ، وقد اتخذوا النار رمزا للضوء ، وبعبارة أخرى رمزاً لآلهة الخير يشعلونها في معابدهم ، وينفحونها بإمدادهم حتى تقوى علـــى آلهـــة الـــشر ، وتنتصر عليها .

وجاء " زرادشت " فدعا إلى تعاليم جديدة أسست على الديانة القديمة بعـــد إصلاحها ، ثم جاء (مانى) و كانت تعاليمه مزيجا من الديانـــة النـــصرانية والزرادشتية ، ثم جاء (مزدك) وكان يقول أيضا بالظلمـــة والنـــور، وتفـــرد بتعاليمـــه الاشتراكية في المـــال و النســـاء .

وهكذا كانت الفـــرس تعيش مـــوزعة بين (رمزية) ، زرادشت الذي مهد للمجوسية ، و(عدمية) مانى الذي حرم الزواج استعجالا للفناء ، و" وجودية " مزدك الذي جعل الناس شركاء في الأموال والنساء[١] .

ولم يكن "إبرويز" محبوبا لا من الشعب ولا من أهله ، فقام ابنه " شيرويه " سنة ٦٢٨ م بالثورة عليه ، فقتله ،وتولى عرش كسرى مكانه .

وقد كثرت المؤامرات بعد شيرويه الذي توفى بعد عامين من توليته وخلفه ملوك من النساء والأطفال .

ولم يكن النزاع قاصرا على الجانب السياسي وإنما امتد إلى الجانب الديني فتعدد الفساد ، وكثر الصراع بين أتباع مانى وأتباع زرادشت ، وأتباع مزدك واليهود ، والنصارى .

وبجانب الفساد السياسي والفساد الديني انتشر الفساد في كل جوانب الحياة حيث الطبقات الاجتماعية ، وكثرة الضرائب والمكوس ، وتعدد الحروب مـــع الرومان، وقد اشتد الاضطهاد حين عـــاشت الجماهير حالة من القلق ، والفقر والضياع ، وأصبح الجميع يتمنى الخلاص من هذا الوضع الأليم ...

يقول اللواء محمد شيت خطاب : " لقد انتشر الظلم ، وشاع الجهل ، وتفشى

١- فجر الاسلام جـــ١ صـــ١٢٢ .

المرض والفقر بين عامة أفراد الشعب الذي كان يعيش تحت وطأة نظام طبقي إقطاعي قاس ، وكانت خيرات البلاد محتكرة لفئة قليلة من الإقطاعيين ، أصحاب البيوتات والنبلاء والأساورة ، بينما يعاني باقي الشعب كل أنواع المذلة والحرمان[١] " .

أرسل سعد بن أبي وقاص المغيرة بن شعبة الثقفي إلي رستم قائد الفرس قبيل معركة القادسية، فأقبل المغيرة حتى جلس مع (رستم) علي سريره، فوثب عليه رجال رستم وأنزلوه ، وضربوه ، فقال لهم : " **قد كانت تبلغنا عنكم الأحلام ، ولا أرى قوما أسفه منكم ! إننا معشر العرب سواء ، لا يستعبد بعضنا بعضا إلا أن يكون محاربا لصاحبه ، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسي ، وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه ، ولم آتكم ، ولكن دعوتموني اليوم وعلمت أن أمركم مضمحل وأنكم مغلوبون ، وأن ملكا لا يقوم على هذه السيرة ، ولا على هذه العقول** " !!! .

فقال عامة الناس : " **صدق والله العربى** "

وقال رؤساؤهم: " **والله لقد رمي بكلام لا زال عبيدنا ينزعون إليه**"[٢] .

لقد كانت علل الفناء تجمعت علي بنية الامبرطورية الفارسية قبيل الإسلام وأيام الفتح الإسلامي .

ولكن الأسباب التي قضت علي الفرس بالهزيمة أمام العرب المسلمين ـ كائنة ما كانت ـ ليست هي الأسباب التي قضت للمسلمين بقيام حق الظهور والبقاء ، فلقد ملك المسلمون أسباب الفوز وعوامل الانتصار .

كذلك لم يكن انتصار العرب علي الفرس لأنهم عرب وكفي ... فقد كان هناك عرب كثيرون في العراق يدينون للفرس بالطاعة، وينظرون إليهم نظرة الإكبار والمهابة ، وكان القادرون منهم علي القتال أوفر من مقاتلة المسلمين

١- قادة فتح فارس صـ٧٨ .

٢- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٥٢٢ .

عددا ، وأمضي سلاحا وأقرب إلي ساحات القتـــال من أولئك النـــازحين مـــن الجزيرة العربية .

إنها نصرة عقيدة لامراء ! ولكن القول بانتصار العقيدة هنا لا يغني عن كل قول ولا بد له من إيضاح وبيان .

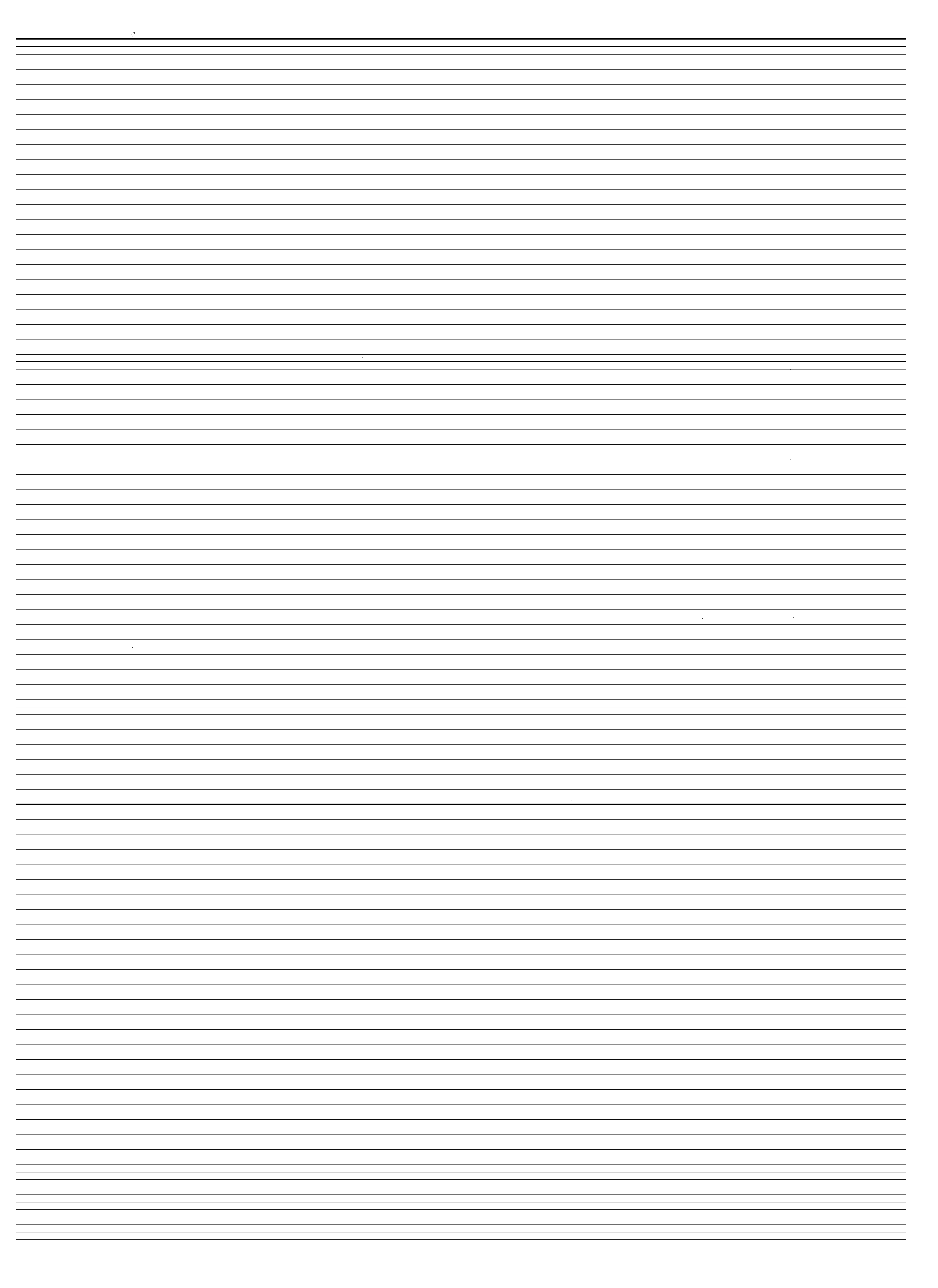
فالواقع أن الذين انتصروا بالعقيدة كانوا رجالا أولي خبرة وأصحاب قدرة دينية يؤمنون بها ويعرفون كيف يتغلبون بها علي أعدائهم. إنها عقيدة منــشئة يذود عنها حماة قادرون .

وقد أرسل النبي ﷺ كتابا إلى كسرى الفرس ، ومـــع أن كـــسرى مـــزق الرسالة ، وقتل حاملها إلا أن تأديبه تأخر إلى عصر أبى بكـــر رضي الله عنه لوقـــوع بلاد الفرس بعيدا عن العرب ، ووجود فواصل طبيعية من المياه والـــصحارى تمنع المسلمين من الوصول إليهم بسهولة ، ولعل فعل الفـــرس مـــع رســـالة الرسول ﷺ وحاملها أحد الأسباب التي جعلت المسلمين يبدأون بفتح فارس قبل فتح الروم .

وقد استمر الفرس على عنادهم وصدهم الناس عن دعوة الله تعالى ، الأمر الذي جعل أبا بكر يوجه المسلمين إليهم بعد ما تغلب المسلمون على أهل الردة في بداية خلافة أبى بكر رضي الله عنه ، والقضاء على ارتداد أهل البحرين المجاورين للفرس ، وتمكن المسلمون من تبليغ الإسلام للفرس ،وفتح الأبواب التي أغلقها الأكاسرة على الناس ، الأمر الذى ساعد أهل فارس على الدخول في الإسلام .

الفصل الثانى

الإســـلام والحكـــم



تمهيـــد

ترك رسول الله ﷺ أصحابه بلا تعيين من يخلفه فيهم ، ولم يحدد لهم نظاما يسيرون عليه ... وكل ما تركهم عليه إيمان صادق في عقولهم ، ووحى ثابت في قلوبهم وصحفهم ، وتطبيقات في الحكم والإدارة ، وعمليات في الدعوة والتوجية ، وسبل للتربية والسلوك .

رأى المسلمون ذلك فعملوا على اختيار خليفة لهم، يخلف رسول الله ﷺ ، ويسير على خطاه ، ويشاور أصحابه ويعمل بالوحى المفصل ، ويجتهد مـــع المبادىء والأسس في الإطار الذي تعلمه من رسول الله ﷺ .

ومن هنا سارع الأنصار والمهاجرون للبحث عن الرجل المناسب لقيادتهم، وخدمة الدين، والتعامل مع الآخرين .

وبعد دراسة وبحث فى سقيفة بنى ساعدة ، وفى مسجد النبى ﷺ تم اختيار أبى بكر رضي الله عنه للخلافة على مبدإ عام ، وهو تمسك الجميع بطاعة الله ورسوله بلا تحديد شكل الحكم، أو تحديد الحكومة، أو رسم الخطة ، أو بيان الأهـــداف بالتفصيل وإنما ترك المسلمون ذلك لاجتهاد أبى بكر رضي الله عنه ومعه أهل الحـــل والعقد، ورجال الشورى . وقد تحقق الخير على أيديهم وتكاملت الأمة الخيرة وصارت حديث الناس .

وفى هذا الفصل سأتحدث عن أهم الأسس الإسلامية للحكم في المباحث التالية:

المبحث الأول : ضرورة السلطة الحاكمة .

المبحث الثانى : دور الحاكم في الإسلام .

المبحث الثالث : دور الأمة في إطار الحكم الإسلامى .

المبحث الرابع : تنوع السلطات في الحكم الإسلامى .

المبحث الخامس : أولو الأمر في المجتمع الإسلامى .

المبحث السادس : مدى استفادة الصحابة بأسس الحكم في الإسلام .

والله الموفق ...

المبحث الأول

ضرورة السلطة الحاكمة

أنزل الله تعالى الإسلام ليصلح به الحياة ، ويصبغها بمنهج الله ، وأمر سبحانه وتعالى أن تسود تعاليم الإسلام كافة الجوانب لتشمل الأفراد والجماعات والأمة ، وليصير الوجود ربانيا يبدأ من الله ، ويعيش على هديه ، ويرجع إليه .

ذلك هو المقصود من أول نزول الإسلام في مكة ... إلا أن أهل مكة منعوا ظهور الجماعة المنظمة فتأخر ظهور الحكومة الإسلامية .

وقد ظهرت أهمية السلطة الحاكمة للأمة الإسلامية بعد الهجرة إلى المدينة المنورة حينما تحقق للمسلمين وجود ، وموطن يحتاج لسلطة وحكومة وهنا كان أمر الله لرسوله ﷺ تكليفا بالحكم وأهميته يقول الله تعالى : ﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴾[1] ويقول سبحانه ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾[2] ...

فلما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وجد المسلمون أنفسهم أمام فراغ في الحكم عملوا على ملئه بسرعة شديدة ، وبإلهام من الله تعالى وبتوجيهات الإسلام وتتبع إرشاداته تمكنوا من ذلك ، وذلك باجتماعهم في سقيفة بني ساعده حتى تمت البيعة الخاصة لأبى بكر ر كما سنفصله فيما بعد .

أما تسمية الحاكم بالخليفة ، وتسمية النظام بالخلافة ، فقد أخذوه من المعانى اللغوية لكلمة خلافة لأنها تعنى تتبع أمر جديد لمثيل له سبقه ، فالسابق هو السلف ، ومن تتبعه هو الخلف ، والقائم به هو الخليفة ... وكأنهم أرادوا

١- سورة المائدة الآية ٤٨ .

٢- سورة النساء الآية ٦٥ .

بالتسمية بيان أنهم يأتون بعد رسول الله ﷺ بمن يخلفه ليحكم فيهم بما كـان يحكم به رسول الله ﷺ ، والتشبه به في كل ما كان يفعله إلا عملا خصه الله به سبحانه وتعالى .

والآيات القرآنية التي تضمنت كلمة خليفة ، وخلائف ، وخلفاء ، وخلـف تؤكد هذا المعنى اللغوي ، ولا تحدد مصطلحا علميا لمسمى الحاكم في الإسلام ولذلك جاز أن نسمي الحاكم ملكا ، أو سلطانا ، أو رئيسا ، أو شيخا ، أو غير ذلك من الأسماء .

والآيات في جملتها تشير إلى سنة من سنن الله فـي النـاس توضـح أن السلطان هو الحاكم المنوط به إقامة الحق والعدل، وسياسـة أمـور الحيـاة ، وتحقيق الصلاح والتقدم لسائر الناس ... كما تشير إلى أن رسول الله ﷺ حكم أمته بحكم الله العادل ، المقسط ، البر ، الحكيم .

ومع أن الآيات[1] لم تفصل في الجزئيات والحوادث المتغيـرة إلا أنهـا تؤكـد ضرورة وجود حكم وسلطة لتحقيق الضرورات الشرعية التي لابد منها .

والضرورات العقلية التي تعمل الشريعة على حفظها هي الـدين والـنفس والمال والعقل والولده ، فحفظ الدين يحتاج إلي سلطة تحميه ، وتبلغه ، وتنشره

١- والآيات التي تناولت كلمة خليفة ومشتقاتها كثيرة منها قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ و ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾ و ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ و ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ و ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ و ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾

وهى في جملتها تدل على أن الخلافة تعنى القيام بالأمر بعد سابق له يشبهه. فالسابق هو السلف ، واللاحق هو الخلف والخليفة والخلافة تفهم دلالاتها من هذه النصوص .

وتبلغه للناس .

وحفظ النفس يحتاج إلي سلطة تفض المنازعات، وتقضي علي المظـالم ، وتؤسس المصحات ، وتوجه الناس للأعمال الفاضلة .

وحفظ المال والعقل والنسل كل ذلك لابد له من حكومة تنـشر العـدل ، وتحرس الفضائل ، وتربي النشء ، وتعرف الناس بما لهم وما عليهم .

وقد حث الإسلام بالمحافظة على الضرورات التي لابد منها ،وقام النبى ﷺ بتطبيقها في حياة الناس ، فأقام الحدود ، ونفذ القصاص ، وغـزا وراسـل ، ونظم حياة الناس ومعاشهم ، وعرَّف كلا بحقه وواجبه .

إن طريقة تكوين السلطة، ومنهج تعيين الحكومة متروك لاجتهاد العلمـاء وأولي الأمر ، ولم يحدد الإسلام طريقة معينة لاختيار الحاكم ، ولذلك وجـدنا الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ يختلفون في هذا الشأن حيث اجتمع الأنصار في سقيفة بنى ساعدة لاختيار رئيس منهم، فلما حضر المهاجرون إليهم تغير الأمر.

ولو كانت الطريقة محددة ما اختلفوا فيها ، وما تغيرت وتنوعت مع بقيـة الخلفاء الراشدين .

إن الواقع هو الذي فرض نفسه ، وهو الذي حدد كيفيـة اختيـار الحـاكم ومسماه ، وهو الذي جعل الصحابة يقومون بالبيعة الخاصة في كل مرة مـع كل واحد من الخلفاء الراشدين بما يناسب الأحوال والأحداث ليتمكنوا بها مـن التمحيص والبحث ، والتحري فيمن يرشحونه لتولى الأمـر ، وتلـك مـسألة تختلف باختلاف الزمان والمكان والناس .

وليس بجائز تصور خلو الإسلام من نظم الحكم والسياسة لمجرد أنه لـم يحدد طريقة الاختيار ، ولم يعين أشخاص الخلفاء. لأن الأمور التـي سـكت عنها الإسلام في هذا الجانب تعد من المتغيرات التي يكفى معها الاجتهاد .

أما المبادئ السياسية ، والقواعد الكلية فقد اهتم الإسلام بهـا ، وحـددها لتكون مسار الأمة ، وطريقة المسلمين في الحياة .وليتمكنوا بواسـطتها مـن

اختيار الطريق المناسب في كيفية اختيار الرؤساء، وتعيين أشخاصهم وتحديد مهامهم ، وواجباتهم ، ورسم الوسائل لمراقبتهم ، ومحاسبتهم ... الأمر الـذي يؤدي إلى استقرار الأمة وتقدمها .

ولأهمية السلطة الحاكمة كانت ضرورتها يقول النبى ﷺ : " **إذا كنتم ثلاثة فأمروا عليكم أحدكم** "[١] ...

وإذا كان هذا الأمر في الجماعة الصغيرة ، فما هو الحال فـي الجماعـة الكبيرة ، وفى الأمة كلها ... ؟؟!!!

ولذلك رأينا الصحابة من المهاجرين والأنصار يختارون للخلافـة رجـلا منهم قبل دفن رسول الله ﷺ لأنهم أبوا أن تمضى عليهم ليلة واحدة بلا أميـر يقودهم .

يقول عمرو بن حريث لسعيد بن زيد : **أشهدت وفاة رسول الله ﷺ ؟**

قال سعيد : **نعم**

قال عمرو : **فمتى بويع أبو بكر** رضي الله عنه .

قال سعيد : **يوم وفاة رسول الله ﷺ ، كرهوا أن يبقوا بعض يوم ، وليـسوا في جماعة ، وليس عليهم من يتولاهم**[٢] .

ولهـــذا

كانت ضرورة وجود السلطة الحاكمة للأمة مع جواز تعدد هـذه الـسلطة بتعدد الأوطان والولايات ، ويكفى التزامها بمبادئ الإسلام وتعاليمه .

١- بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ــ كتاب الخلافة . باب الأمير في السطر جـ٥ صـ٤٤٩.

٢- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٢٠٧ .

المبحث الثانى

اختيار الحاكم في الإســـلام

الحكم ضرورة لابد منها لتستقيم الأمور ، وتستقر الأحوال ، ولذلك كـان اهتمام الإسلام بالشورى ليتمكن الناس من اختيار حاكم لهم .

وقد حدد الإسلام للحاكم الحقوق والواجبات ، ففي يده سلطان الدين وفـي عقله العلم بالإسلام ، وهو مسئول عن تنفيذ شرع الله في الناس ، ولـه علـى الناس حق الطاعة ما دام في طاعة الله تعالى .

والإسلام لا يضفى على الحاكم قداسة ، ولا يتركه يظلم ويعتدي يقول الله تعالى لرسول الله ﷺ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[١] .

و يقول سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[٢] .

ويقول ﷺ : " **الآ كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته** "[٣] .

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "**والله ما أنا بملك فاستعبدكم بملك أو جبرية ، وما أنا إلا كأحدكم ، ومنزلتي منكم كمنزلة والى اليتيم منه ومن ماله** "[٤].

ويكتب عمر رضي الله عنه إلي واليه أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه ويقول : " **يا أبا موسى إنما أنت واحد من الناس ، غير أن الله جعلك أثقلهم حمـلا ... أيهـا الناس إني لم أبعث لكم عمالا ليضربوكم ، وإنما بعثتهم ليقيموا بكم الصلاة** ،

١- سورة الأنعام آية ٥٢.

٢- سورة الغاشية آية ٢١ ، ٢٢ .

٣-صحيح البخارى ــ كتاب الأحكام . باب قول النبى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول جــ١١ صــ٣٤ .

٤- البداية والنهاية جــ٦ صــ٢٧ .

ويعلموكم القرآن ، ويقسموا بينكم بالعدل ، ويقضوا بينكم بالحق " [١].

إن الحاكم في الإسلام مرشد ومعلم ، وحاكم ومسئول ، وقائـد وخـادم ، ومقصده الدائم تحقيق أكبر قدر من السعادة والمصلحة ، وإيجاد تـرابط ودود مع الناس أجمعين .

يقول ﷺ : " **خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتـصلون علـيهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ، ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم** " [٢] .

ولما كان الحاكم في الإسلام بشرا غير معصوم ، يجوز عليه الخطأ ، كما يقع منه الصواب ، رأينا الإسلام يضع عددا من الضوابط التي تـؤدي إلـي وجود الحاكم العادل ، والحكم الرشيد ، **ومن هذه الضوابط :**

أ- الشورى هي طريقة اختيار الحاكم ، وبيعته تتم على مرحلتين . حيث يبايعه أهل الحل والعقد البيعة الخاصة ، وفق شروط ومواصفات لابد من توفرها في الشخص الذى يبايعونه ، وبعدهم يبايعـه الجمهـور البيعة العامة ، وبها يتم الاختيار .

ب- أهمية وجود التناصح بين الحاكم والمحكومين ، ومن خلال عمليـة التناصح توجد المعارضة التي تعمل وتجتهد ليتحقق الصواب والخير.

ج- الحكم بما أنزل الله بعد فهمه ، وبيانه ، والوقوف علي المراد منه باجتهاد العقل ، وتتبع النصوص ومشاورة العلماء يقول الله تعالى :

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ [٣].

١- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٢٠٥ .

٢- صحيح مسلم ـ كتاب الإمارة . باب وجوب الإنكار على الإمام جـ٢ صـ٢٤٣ .

٣- سورة المائدة الآية ٤٩ .

د- اتخاذ الحاكم عددا يراه ويختاره من المستشارين وتعيين أمراء الولايات الخاصة من أولي العلم ، والفهم ، والإخلاص لإعانته ، ومساعدته .

ه- وضع نظام للتناصح والتعاون يتمكن به الحاكم من معرفة الواقع ، وفهم الحكم الإسلامى الصحيح ، واتخاذ القرار المتفق مع دين الله تعالى على قدر الإمكان .

و- ضرورة النظر فى نتائج الأحداث بعد وقوعها للمحافظة علي ما يحقق المصلحة ، ويحافظ علي الفطرة ، ويساعد في تصحيح الأمور التي تنفع الناس ، وترك الجوانب السلبية التي لا تحقق المقصود ، وبذلك تكون العبرة التي تجعل الماضى عبرة للحاضر والمستقبل ، ويتحقق التخطيط الذي يتضمن رسم حركة العمل ومتابعته ومعرفة نتائجه .

المبحث الثالث

دور الأمة في إطار الحكم الإسلامي

الأمة مجموعة الأفراد الذين يخضعون للحكومة المسلمة التي تحكم فيهم بشرع الله تعالى ، ويتحاكمون إليها في مختلف الشئون والأحوال ، بلا تفرقة بين فرد وآخر ، فلكل كرامته وحقه ، وعلى كل مسئولياته وعمله .

ولتنظيم العلاقة بين أفراد الأمة وحاكمهم نجد أن الإسلام قرر المبادئ التالية :

أ – تحقيق المساواة بين الناس :

دعا الإسلام إلى عقيدة التوحيد التي تلزم العباد بالخضوع الكلي لله رب العالمين، وقصر العبادة والتعظيم لخالقهم سبحانه وتعالى ...

وبهذا التوحيد الخالص يتخلص المسلم من الشرك الديني الذي يجعل العبادة لغير الله ... كما يتخلص من الشرك الإجتماعى الذى يجعل بعض الناس عبيدا للسادة، ويصير الفقراء خدما للأغنياء وذوى الحسب والنسب، ويجعل الضعيف يتسول حاجته من الأقوياء وبالبعد عن هذا الشرك يفوز الموحد بالحرية ، ويشعر بالمساواة ، ويدرك أن العبودية حينئذ رفعة ، وسمو ، وأخلاق .

إن البشر جميعا خلق الله ، ونسبتهم إليه واحدة ، ومنزلتهم عنده وفق إيمانهم وتقواهم ، يقول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾[1].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[2] ...

يروى عمرو بن الأحوص عن أبيه عن رسول الله أنه قال : **أى يوم هذا ؟**

قالوا : **يوم الحج الأكبر .**

١- سورة الحجرات الآية ١٣.
٢- سورة الحجرات الآية ١٠ .

قال: **في أى بلد هذا ؟**

قالوا: **في بلد الله الحرام .**

قال: **فإن دماءكم ، وأموالكم ، وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا .**

ألا لا يجنى جان إلا على نفسه .

ألا لا يجنى جان على ولده ولا مولود على والده .

ألا وإن الشيطان قد أيس[١] من أن يعبد في بلادكم هذه أبدا ، ولكن ستكون له طاعة فيما تحتقرون من أعمالكم فسيرضى به[٢] .

والنصوص من القرآن ومن السنة تؤكد البداية الواحدة لسائر البشر ، لأنهم جميعا من أب واحد وأم واحدة ، وتؤكد أخوة الناس ، وأهمية تعاونهم مهما تباعدوا ، وفائدة تناصحهم مهما اختلفوا ، وتشير إلى ضرورة إيمانهم بالإله الواحد الذي خلقهم ، وبرأهم ، وهو سبحانه وتعالى الذي يرزقهم ، ويحاسبهم .

إن الإسلام يصنع أخوة بين أفراد الأمة ، ويصون جميع الحقوق الإنسانية الفطرية ويصنع من أبنائه أفرادا متعاونين مترابطين كل يحب أخاه كنفسه ، وينصحه بما يؤمله لذاته ، وبذلك يحقق المساواة بين الناس .

ب – الترابط الإجتماعى بين الناس :

بعدما يقرر الإسلام مبدأ الحرية الفطرية للناس ، ويحقق لهم المساواة المسئولة ، والأخوة الواعية ... بعد ذلك نراه يضع الجميع في إطار عقد اجتماعي يجعل كل فرد مسئولا عن الآخرين ، يعاونهم بالنصح والتوجيه ، ويساعدهم بالمال والجهد والعمل ، ويأخذ بيدهم للتى هي أقوم .

هذا الترابط الذي يحول الأمة إلى كيان واحد مترابط مسئول عن تحقيق المصلحة وإيجاد السعادة والخير للجميع .

١– أيس : من باب فهم لغة في يئس .

٢– سنن الترمذى ـــ كتاب الفتن . باب ما جاء في الدماء والأموال جـ٤ صـ٤٦١ .

وتأسيسا لهذا الترابط يقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [1] .

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾ [2] .

ويقول النبيﷺ : **مثل القائم على حدود الله والمدهن فيهـا كمثـل قـوم استهموا على سفينة في البحر،فأصاب بعضهم أعلاها،وأصاب بعضهم أسفلها.**

فكان الذين في أسفلها يصعدون فيستقون الماء فيصبون على الذين فـي أعلاها .

فقال الذين في أعلاها : لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا .

فقال الذين في أسفلها : فإنا ننقبها من أسفلها فنستقى .

فإن أخذوا على أيديهم فمنعوهم نجوا جميعا ، وإن تركوهم غرقوا جميعا[3] .

وبذلك يترابط الناس بالمسئولية ، ويتعاونون على القيام بحاجـات النـاس وفق شرع الله تعالى ، ويعتبر كل مسلم نفسه مسئولا عن غيره لمصلحة نفسه وللمجتمع كله .

ج – المحافظة على المصلحة العامة :

لم يجعل الإسلام حرية الناس وتوحدهم معارضا للمصلحة العامـة بكافـة صورها، فقد حافظ عليها في المعاملات ، والعبادات ، وشئون القضاء ، وسائر

١- سورة المائدة آية ٢.
٢- سورة العصر .
٣- سنن الترمذي - كتاب الفتن . باب في الأمر بالمعروف جـ٤ صـ٤٧٠ .

أنشطة العباد .

ومن أجل المحافظة عليها في الحكم والسياسة نرى الإسلام يأمر بالعدل والأمانة والإحسان ، ويجعل هذه الصفات الثلاث هي دعائم الحكم الرشيد ، فبالعدل ينتفي الظلم ، وبالأمانة تزول الخيانة ، وبالإحسان ينتشر الخلق الكريم ويتحقق الأمن والسلام ، وتمتلئ الدنيا بالعمل البناء ، والإخلاص الصادق ، وتتخلص من الخوف والقلق والاضطراب .

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[١].

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾[٢].

ويقول سبحانه وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾[٣]

ويقول سبحانه وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾[٤] .

ومن دقة التوجيه القرآني بيان أن الله هو الآمر كما في صدر الآيات ليعلم الجميع فرضية الحكم، وضرورة الالتزام بهذه الصفات لتحقيق المصلحة العامة

١- سورة النحل آية ٩٠ .

٢- سورة النساء آية ٥٨ .

٣- سورة النساء آية ١٣٥.

٤- سورة المائدة آية ٨ .

للجميع أفرادا وجماعات ...

ومن الدقة كذلك أن النداء للمؤمنين مع أنه يعم غيرهم لبيان أن غاية الأمر الطاعة باقتناع ورضى وتوجه إلى الله تعالى .

د ـ ضمان كرامة الإنسان :

الإنسان مخلوق مكرم ، وكرامته ثابتة خالدة ، يقول الله تعالى ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[١] ، وهذه الكرامة ركيزة إنسانية لابد منها في التعامل مع الإنسان ، ولا بد من مراعاتها من قبل الراعى والرعية حتى يستقيم الأمر ، وتتحقق النهضة .

هـ ـ ظهور إيجابية الناس :

حين يشعر كل مسلم في مجتمعه بالعدل ، والمساواة ، والعزة ، والأخوة ، في إطار منهج ربانى متكامل فإنه يجد من نفسه النشاط ، والحيوية لخدمة هذا المجتمع ، انطلاقا من الولاء له ، وحب الانتماء لهذا المجتمع الذي أكرمه وحافظ على حقوقه .

إن تكون المجتمع في الإسلام من أفراد أمناء صادقين ، يخافون الله ، ويعملون للآخره يجعله مجتمعا كريما ، تسود فيه الأخلاق ، وينتشر الخير ، بعيدا عن سلبيات وعورات المجتمعات المتخلفة .

إن المجتمعات المعاصرة تنادى بالمبادئ الحديثة في إطار نظام ديموقراطى حر لينال كل مواطن حقه ، ويؤدى واجبه ... وقد نجحت في ذلك إلى حد بعيد مع بعدها عن الحقيقة الروحية المجردة ... في الوقت الذي تخلف المسلمون في كل شئ لبعدهم عن القيم الإسلامية ، وخضوعهم لنظم ظالمة تقوم على قداسة الفرد الحاكم ، وحرمان الناس من حقوقهم ، وإغراقهم في الذل والفقر والحرمان .

١- سورة الإسراء آية٧٠ .

المبحث الرابع

السلطات في الحكم الإسلامي

قد يتصور البعض أن وجود الوحي ، وثبوته يعنى إلغاء السلطات في الأمة المسلمة ... وذلك خطأ في التصور لا يجوز ، لأن الإسلام جاء للناس بنوعين من التعاليم :

أحدهمـــا يعرف بالتعاليم الثابتة المتصلة بالقضايا الثابتة .

والنوع الآخر مبادئ كلية تتعلق بالأمور المتغيرة .

وبذلك تحقق للإسلام أن يكون هو الحكم الدائم فى حياة الناس ، ذلــك أن التعاليم الثابتة ناشئة عن أدلة قطعية محددة في دلالتها ، ومفصلة لكل جزئياتها ومتصلة بأمور لا تتغير وإن تغير الناس والزمان والمكان ... ومثالها وحدانية الله تعالى فهي حقيقة ثابتة على الزمن كله ومع الناس أجمعــين ، ولا دخــل للعقل البشرى بها ، ولا يصح أن يغير شيئا فيها .

أما الأمور المتغيرة بتغير الزمان أو المكان أو الناس فقد وضع الإسلام لها القواعد الكلية والمبادئ العامة التي يمكن إدراج الجزئيات الحادثة والمتغيــرة تحت مفهومها ومثالها الأمر بالشورى ، فهي حقيقــة ثابتــة إلا أن صــورها متغيرة، ولذلك جاء الأمر حولها متصلا بالمبــدا العــام دون الغــوص فــي الجزئيات لأنها متغيرة دائما .

إن مجئ الإسلام على هذين النوعين من التعاليم يؤدى إلى تنوع السلطات داخل المجتمع المسلم ، وذلك بأن كلــف الإســلام الحــاكم بالــشورى منعــا للاستبداد، وبذلك يصون الإسلام السلطة التنفيذية من الجور ، والفساد ، ويحقق لها طاعة الناس في إطار طاعة الله تعالى .

وجعل الإسلام للأمة سلطة التوجيه والمراقبة بواسطة أهل الحل والعقد ، وأعطاها حق اختيار الحاكم ومبايعته ، وجاء الخطاب العام للمسلمين ليستقيموا وذلك مثل قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ

وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[1].

وقوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ﴾[2].

وقوله تعالى ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلاً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[3].

وقوله سبحانه ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾[4].

فهذه خطابات موجهة لمجموع الناس ولا يمكن للأمة أن تباشـــر الحكـــم بنفسها وبجميع أفرادها . ولذلك كان لابد من إيجاد سلطة توجدها الأمة تقـــوم بالتنفيذ وكيلة عنها ، وتسمي الأمة من توليه بما تشاء من أسماء مثل خليفـــة ، أو ملك أو رئيس دولة ... وذلك أمر ضروري لأن الحكم لو تـــرك لجميـــع الناس لحدثت فوضى ، وتوقفت الأحكام ، وضاعت الحقوق . ولـــذلك يقـــول الحكيم العربى :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لـه ∴ ولا سراة إذا جهالهم سادوا
والبيت لا يبتنى إلا لـــه عمـــــد ∴ ولا عماد إذا لم ترس أوتاد
وإن تجمع أوتـــاد وأعمـــدة ∴ و ساكن بلغوا الذي كـــادوا

ومع بدء البشرية ، وعلى امتداد الأزمنة ، وتعدد الأمكنة وتتابع العصـــور

١- سورة النساء آية ١ .
٢- سورة المائدة الآية ١ .
٣- سورة المائدة آية ٣٨ .
٤- سورة النور آية ٢ .

كان الحاكم يقود الجماعة بصور مختلفة وكيانات متعددة .

وعلى هذا تنشأ السلطة التنفيذية وكيلة عن الأمة التي هى مصدر السلطات كلها ، وللأمة حق مراقبتها ومحاسبتها .

وتقوم الأمة بدور السلطة التشريعية في إطار شرع الله تعـالى ، ومعنـى ذلك أن أهل الحل والعقد الممثلين للأمة عليهم المحافظة على الثوابت الدينيـة وبيانها والتعريف بها والدعوة إليها . وعليهم أن يجتهدوا مع الأمور المتغيرة لوضع الأحداث الجديدة في إطار الكليات الشرعية والقواعد الدينية الثابتة ...

وعلى مجموع الأمة أفراداً وجماعات أن يكونوا من بينهم جماعة لمراقبة السلطة التنفيذية،وهو ما يعرف في لسان العلماء بهيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر،أو الدعاة والمحتسبين،وفى لسان علماء السياسة بالسلطة التشريعية.

إن الإسلام في حقيقته دين كامل بين عقيدة ، ورسم حدوداً ، وحفظ حقوقا ولا تكون العقيدة إلا بالصدق والتيقن ، ولا يكمل حكمة التـشريع إلا بتنفيـذ أحكامه ، ولا يحسن الواقع إلا بالخلق ، وقوة التنفيذ يجب ألا تكون فوضى في كثيرين ، بل في واحد مسئول هو السلطان أو الخليفة ، وليس معصوما ، ولا هو بمهبط للوحى وليس له حق الاستئثار بتفسير الكتاب والـسنة ، بـل هـو مجتهد فيهما كغيره ، وعليه إقامة العدل الذي يطالبه به الدين ، وهذا المنصب لا يخصه بمزية في الفهم ، ولا يرتفع به إلى منزلة فوق الناس ، وهو مطـاع ما سار على نهج الكتاب والسنة ، فإذا انحرف أو أعوج قومه أهل الحل والعقد بالنصح ، وإن فارق الكتاب والسنة وجب عزله مادام عزله في مصلحة الأمة صاحبة السيطرة عليه ، وهى التي تخلعه متى رأت ذلك في مصلحتها ! لأنـه حاكم مدنى من جميع الوجوه ، يخضع للأمة التي وكلته لما رأت فيـه مـن كفاية و قدرة على تصريف أمورها .

وليس للخليفة ، أو القاضى ، أو شيخ الإسلام سلطان على العقائد ، وتقرير الأحكام ، إذ ليس في الإسلام سلطة دينية غير سلطة الموعظة الحسنة ، التـي جعلها الله لأدنى المسلمين يقرع بها أنف أعلاهم و معها سلطة النصيحة التـي

جعلها الرسول عليه السلام جماع الدين يقوم بها كل من يقدر عليها وذلك في قوله ﷺ : " **الدين النصيحة** " **قالها ﷺ ثلاثا .**

قلنا : **لمن يا رسول الله ﷺ ؟**

قال : **لله ولرسوله ولأئمة المؤمنين وعامتهم ...** "[١] .

وهناك سلطة الدعوة التي يقوم بها العلماء لبيان الدين ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وهذه السلطة ناشئة من وجوب الدعوة إلى دين الله تعالى وضرورة قيام نفر يتخصصون في الدعوة ، والأمة كلها من ورائهم ، تعينهم وتمدهم بكل ما يحتاجون إليه ، وتستجيب لنصائحهم ، وتوجيهاتهم .

وبالدعوة الصادقة ، والنصيحة الأمينة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر توجد الرقابة الشعبية التي لابد منها في المجتمع الإسلامي .

والأصل في تقرير الرقابة الشعبية قوله تعالى ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[٢] .

وقوله تعالى ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾"[٣] .

وقول الرسول الله ﷺ " **الظلم ظلمات يوم القيامة** "[٤] .

وقوله ﷺ " **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة** "[٥] .

١- صحيح البخاري ــ كتاب الإيمان . باب النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين جـ١ صـ٥٤

٢- سورة آل عمران الآية ١٠٤ .

٣- سورة هود آية ١١٣ .

٤- صحيح البخاري ــ كتاب المظالم . باب الظلم ظلمات جـ٤ صـ٢٣٣ .

٥- صحيح البخارى ــ كتاب المظالم . باب لا يظلم المسلم المسلم جـ٤ صـ٢٣٠ .

ويقول النبي ﷺ : " **إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر** "[١] .

وإذا كان الإسلام قد ألقى على الأمة تبعة تصرفات الحكام ، وجعل كل فرد مسئولاً أمام الله عن صالح الجماعة الإسلامية ، فمما لا شك فيه أن هذا التكليف ، وتلك المسئولية يقرران للأمة حق الإشراف العام على الحاكم ، الذي وكلته لإدارة شئونها. وحماية دينها، وصيانة دنياها ، و تدبير مصالحها . فلها اختياره ومراقبته ، وعزله ، ومن الأمة يستمد الحاكم سلطانه وقوته لأنه وكيل عنها ، وتقرير وكالة الحاكم عن الأمة نصبا وعزلا أمر مقرر شرعا .

يقول الإمام أبو بكر الكاسانى الحنفى : " **وكل ما يخرج به الوكيل عن الوكالة يخرج به القاضى عن القضاء ، لا يختلفان إلا في شئ واحد ، وهو أن الموكل إذا مات ، أو خلع ينعزل الوكيل ، والخليفة إذا مات أو خلع لا ينعزل قضاته وولاته .**

ووجه الفرق أن الوكيل يعمل بولاية الموكل ، وفي خالص حقه أيضا ، وقد بطلت أهلية الولاية بموت الموكل أو خلعه ، فينعزل الوكيل ، والقاضى لا يعمل بولاية الخليفة وفي خالص حقه ، بل بولاية المسلمين ، وفي حقوقهم ، وإنما الخليفة بمنزلة الرسول عنهم ، لهذا لم تلحقه العهدة ، كالرسول في سائر العقود ، والوكيل في النكاح .

وفى كلام الكاسانى إشارة إلى استقلال القاضى عن سلطة الخليفة بعد توليه ، ويتحول أمر توليه إلى الأمة وحدها[٢] ... وهذا الأمر تنادى به الدول الحديثة .

يقول الكاسانى : وإذا كان الخليفة رسولاً كان فعله مع القضاء بمنزلة فعل عامة المسلمين ، وتكون ولايتهم بعد موت الخليفة باقية ، فيبقى القاضى على ولايته ، وهذا بخلاف العزل ، فان الخليفة إذا عزل القاضى أو الوالى ينعزل

١- سنن الترمذى ـ كتاب الفتن . باب ما جاء في أفضل الجهاد جـ٤ صـ٤٧١ .

٢- بدائع الصنائع جـ٧ صـ١٦

بعزله ، ولا ينعزل بموته ، لأنه لا ينعزل بعزل الخليفة أيضا في الحقيقة ، بل بعزل العامة ، لما ذكرنا من أن توليته تتم بتولية العامة ، و العامة ولوه عليهم لتعلق مصلحتهم بذلك ، فكانت في ولايته منهم معنى في العزل منهم أيضا[١] .

ويجمع الفقهاء على أن الوكالة عن الأمة لا تميز الحاكم عن أفرادها في شئ من الحقوق والامتيازات ، بل تجعل الخليفة كأي شخص من الأمة يؤخذ بالقصاص في القتل ، ويلزم بالأموال التي يتلفها ، وتقام عليه الحدود ، ولا شك أن الأمة هي التي تؤاخذه وتحاسبه .

وقد قال الشافعية صراحة : " **إن الخليفة إذا زنى ، يقيم عليه الحد من ولى الحكم عنه ، وهو الأمة**[٢] " .

ويقول العضد في المواقف " وللأمة خلع الإمام وعزله ، بسبب يوجب ذلك وإن أدى إلى الفتنة احتمل أدنى المضرتين "[٣] .

وشرح ذلك الضرر السيد الجرجاني بقوله : " مثل أن يوجد منه ما يوجب اختلال أحوال المسلمين ، وانتكاس أمور الدين ، وهذة القاعدة مستفادة من سلطة الأمة ، فكما كان لهم تعيينه واقامته لتحقيق المصلحة كان لهم عزله عند فساده ، وتقصيره في واجبه "[٤].

ويقول إمام الحرمين : " إن الإمام إذا جار ، وظهر غشمه ، ولم يرعو لزاجر عن سوء صنيعه فلأهل الحل والعقد التواطؤ على ردعه ، ولو بشهر السلاح ونصب الحروب "[٥] .

وقد أبرز هذا المعني بوضوح مقالة الصديق أبي بكر رضي الله عنه عندما ولي

١- المرجع السابق .

٢- مغنى المحتاج على منهاج النووى للشربينى الخطيب الشافعى جـ٤ ، صـ ١٤٠ ، وتحفة المحتاج للهيثمى الشافعى جـ٩ صـ ١١٥ .

٣- شرح المقاصد جـ٢ صـ٢٧٢ .

٤- راجع المواقف جـ٨ . باب الامامة الكبرى ، وشرح المقاصد جـ٢ ، صـ٢٧٢ .

٥- البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٤٠ .

الخلافة ، إذ قال : " **إني وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فـأطيعوني وإن أسات فقوموني ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، واعلموا أنـه لا طاعـة لمخلوق في معصية الخالق** "[١].

أما بالنسبة للقضاء ونظامه فإن الحاكم المسلم يتعاون مع أولى الرأي فـي اختيار قضاة للنظر في أقضية الناس ، وتوثيق مطالبهم ، شريطة أن يكونـوا فاهمين لأحكام الله ، قادرين على استنباط الحكم الشرعي لما يرون من قضاء. ومرجع القضاء في الأحكام تعاليم الإسلام ، وتشريعاته .

وبهذا التصور الموجز يظهر لنا أن السلطات المنظمة للدولة الحديثة أقرها الإسلام منذ ظهوره ، والتزم بها المسلمون على قدر حاجتهم وواقعهم .

وبذلك يعيش المجتمع المسلم بسلطاته المقررة سعيداً بما قـرره الله لـه ، متميزاً بذلك عن سائر المجتمعات البعيدة عن شرع الله ودينه .

---

١ ـ البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٤٠ .

المبحث الخامس

أولو الأمر في المجتمع المسلم

في إطار تنظيم الإسلام للمجتمع نقرأ قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[١] .

وقوله تعالي ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[٢] حيث أبرزت الآيتان دور أولي الأمر في إطار الجماعة والمجتمع ...

فما المراد بأولى الأمر ؟ ...

وما مسئوليتهم ؟

ذهب العلماء في تحديد أولى الأمر إلى اتجاهات متعددة .

فمن قائل : **إنهم العلماء ...**

ومن قائل : **إنهم الحكام ...**

ومن قائل : **إنهم الزعماء وأصحاب الرأي في الناس .**

والأولى النظر إليهم بصورة أعم ارتباطا بهمتهم ومهامهم ، ومسئولياتهم لأن العالم بشأن ما قد لا يكون عالما في غيره ، ولذلك يكون اختيارهم وفق الواقع الموجود بشرط أن يتقنوا جميعا معرفة أركان الإسلام ، ويحيطوا بفقه المسائل إلتي يؤخذ رأيهم فيها، ولا يصح مطلقاً أن يكون ذو الرأي في الإسلام خالياً من المعارف الضرورية التي يحتاج إليها أهل الفتوى والإصلاح.

١- سورة النساء آية ٥٩ .

٢- سورة النساء آية ٨٣ .

إن طاعة أولى الرأي واجبة ماداموا مطيعين لله ، ومؤمنين بشرعه ودينه لأن الآية الأولى في عمومها أمرت بالطاعة لله والرسول ﷺ وجعلت طاعة أولى الأمر تابعة لطاعة الرسول ﷺ ، ولأن المراد بهم في هذه الآية هم الحكام لأن طاعتهم امتداد لطاعة الله ورسوله ﷺ .

أما الآية الثانية فقد بينت أن أولى الأمر ليسوا هم الحكام لوجودهم مع رسول الله ﷺ وفي عصره . ولم يكن معه حينئذ حكام سواه ... الأمر الذي يفيد أن المراد بهم هم أكابر المسلمين من أهل العلم والخبرة والمكانة ، ممن يتأثر الناس بهم عادة، وقد سماهم العلماء بـ "أهل الحل والعقد" الذين يمثلون الأمة وينوبون عنها في التوجيه والمراقبة والاجتهاد ، ويمكن أن يمثلهم في العصر الحديث كبار العلماء وبخاصة الذين يختارهم عامة المسلمين نوابا عنهم.

يقول الإمام الرازى : أولو الرأى هم أهل الحل والعقد الذين يمثلون سلطان الأمة .

ولما كان هؤلاء بهذه المكانة العظيمة والناس تتبعهم وتسمع لهم ، ولما كانوا عادة أهل الرأي والعلم والخبرة وكبار القوم ، ورواد المصلحة العامة لقومهم ، أوجب الله طاعتهم على أفراد الأمة ما داموا محلا للثقة ، وقد كان هؤلاء في عهد الرسول ﷺ يكونون " جماعة الشورى " ، وقد استشارهم الرسول ﷺ . في تدبير أمر المسلمين وفى أمور الحرب ، وكثيرا ما نزل الرسول ﷺ على رأى هؤلاء المستشارين[١].

ونستطيع أن نقول ببساطة : إن أهل الحل والعقد هم الوكلاء الدائمون للأمة ، وهم الذين يعبرون عن إرادتها ويعلنون رضاها وسخطها ، وهم أشبه بمجلس أعلى للأمة يماثل المجالس الشعبية المعاصرة ، يسهر على مصالحها ، ويراقب الحاكم في جميع تصرفاته.

وعلى هذا يمكننا أن نفهم قوله تعالى لرسوله ﷺ ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ

١- تفسير الرازى جـ ١٠ صـ ١٥٤ ـ ١٥٥ ط دار الفكر .

لَهُمْۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِى ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[1] .

وندرك أن المقصود بالاستشارين هم هؤلاء الكبار من زعماء العرب وليس كل واحد من الأمة .

ومثل هذا قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾[2] حيث نفهم من الآية أن أهل الشورى هم المعنيون هنا . إذ لا يمكن للأمة كلها بجميع أفرادها الاجتماع والتشاور فيما بينهم ، حتى لو أمكن ذلك لما وصلوا إلى نتيجة في تشاورهم كما أن الرسول ﷺ كان لا يشاورهم في الدين ، بل كان يشاورهم في أمور الدنيا .

هذا عن تعيين هوية أهل الحل والعقد . أما مسئولية أهل الحل والعقد فهم الممثلون للأمة ، وعليهم أن يجتهدوا في كل مالا نص فيه . اعتماداً علي القواعد الدينية . وعليهم أن يختاروا ولاة الأمة مراعين ما وضع في دين الله من أسس ومبادئ . ومواصفات لكل من يلي للمسلمين أمرا .

وأول ما يجب علي أهل الحل والعقد هو اختيار حاكم الأمة العام فإذا اتفقوا جميعا ، أو اتفق غالبيتهم ممن تيسر اجتماعهم علي شخص ما ، ورأوا فيه الكفاية والصلاحية لسياسة الدولة بايعوه البيعة الخاصة ، وكانت بيعتهم هذه بمثابة إعلان للأمة بأن هذا الشخص قد حاز الرضا، ولا يعرف له مطعن ، وأنهم يقدمونه لتبايعه الأمة البيعة العامة، ولا تنعقد له البيعة بمجرد بيعة الخاصة ، وتحمل البيعة العامة في ثناياها الشروط والقيود للحاكم، حيث يبايعونه علي كتاب الله وسنة الرسول ﷺ فقط كما حدث في انتخاب أبي بكر ، أو علي كتاب الله وسنة الرسول ﷺ ، وعمل السلف كما حدث بعد ذلك[3] .

١- سورة آل عمران آية ١٥٩ .

٢- سورة الشورى آية ٣٨ .

٣- عصر الخلفاء الراشدين صـ٤٤ .

المبحث السادس

مدى استفادة الصحابة بالمبادئ السابقة

بعد وفاة رسول الله ﷺ وجد الصحابة أنفسهم أمام وضع لم يألفوه ، ولم يتوقعوه ، ولم يفكروا فيه فأصابهم الهلع والفزع إلا أنهم رجعوا إلى الصواب حين قال لهم أبو بكر رضي الله عنه : " **من كان يعبد محمداً فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت** "[١] وتلا قوله تعالى ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾** ﴾[٢] .

عندها بدأوا يتدبرون أمرهم بعد رسول الله ﷺ ورأوا ضرورة تنظيم الحكم والقيادة .

وقد بادر الأنصار وعقدوا اجتماعا في سقيفة بنى ساعده لاختيار خليفة منهم فلما جاءهم أبو بكر ومعه عمر بن الخطاب وأبوعبيدة بن الجراح ودار بينهم نقاش وحوار وتشاوروا في الأمر من كافة جوانبه انتهوا إلى ترشيح أبى بكر للخلافة وبايعوه البيعة الخاصة وألزموه بحكم الله ورسوله ﷺ فالتزم بهما ، ودعاهما إلى مراقبته ونصحه وطاعته ما دامت طاعته لله رب العالمين.

وسأورد ذلك الأمر مفصلا فيما بعد عند الحديث عن بيعة أبى بكر رضي الله عنه والمهم هنا بيان أن المسلمين بعد رسول الله ﷺ استفادوا بمبادئ الإسلام في الحكم والسياسة حتى رأيناهم مهتمين بتعيين الحاكم وفق شروط صحيحة ، وبطريقة تعتمد على الشورى ، وتحفظ للناس سلطانهم ، وتحدد لكل فريق ما عليه من واجبات وماله من حقوق ، وبذلك استمرت الأمة في خيريتها تأمر

١- صحيح البخارى ــ كتاب المغازى . باب مرض النبي ﷺ جــ ٧ صــ ١٠٤ .

٢- سورة آل عمران آية ١٤٤.

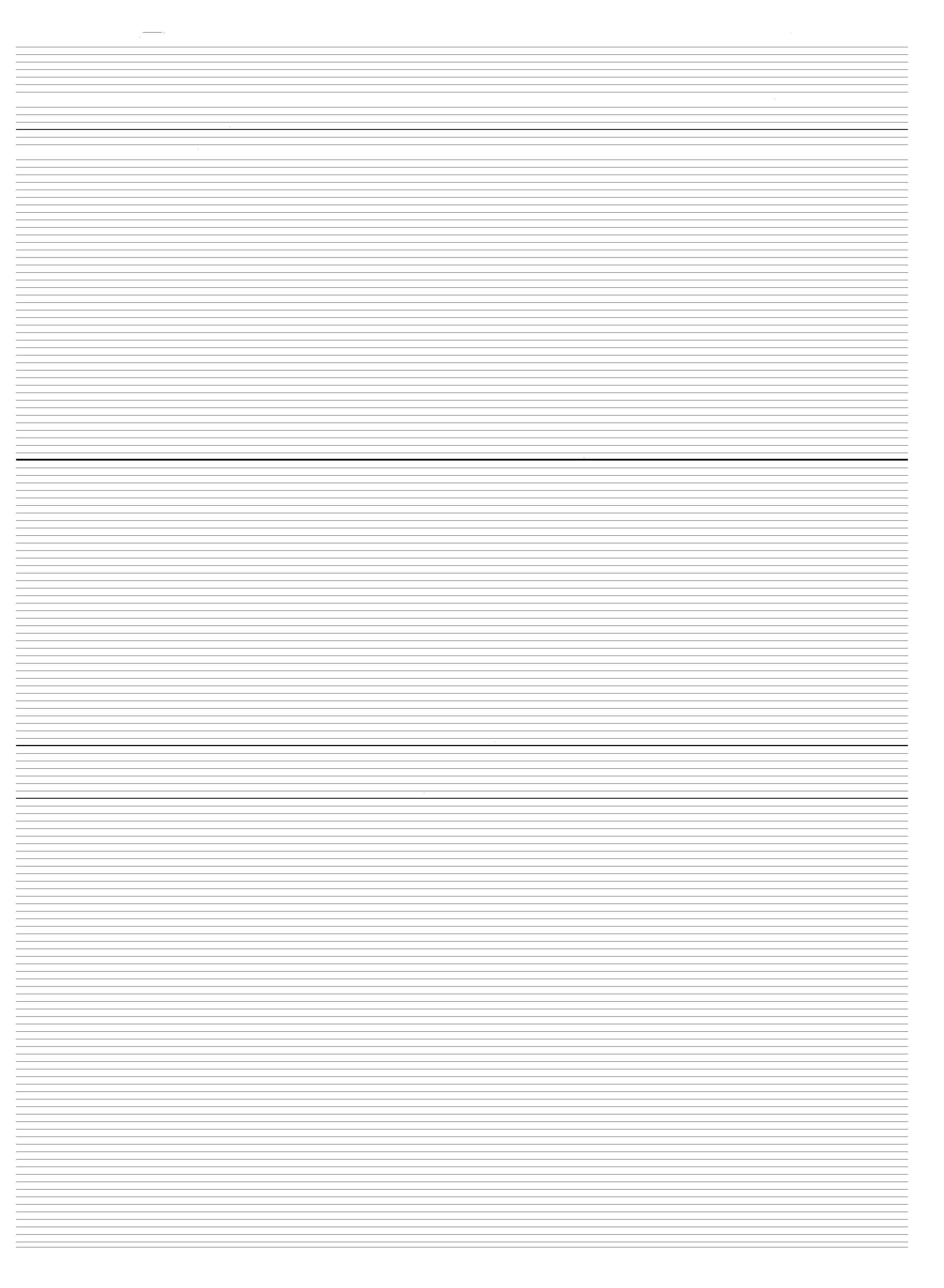
بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتعمل لله رب العالمين .

ورأيناهم كذلك يبادرون إلى طاعة الخليفة حين أمرهم بما ألزمـــوه بـــه ، فذهبوا إلى الجهاد ، وقبلوا الموت من أجل الإسلام بعيدا عن ديارهم وأموالهم وأولادهم .

ورأيناهم كذلك يقومون بواجب الدعوة وتقديم الإسلام للناس مـــن خـــلال حياتهم العملية ، وأقوالهم الإرشادية ، وحبهم الخير لسائر الناس .

ورأيناهم أيضـــاً لا يتخلون عن النصيحة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولهم في ذلك نماذج كبيرة ، ومفاخر عالية .

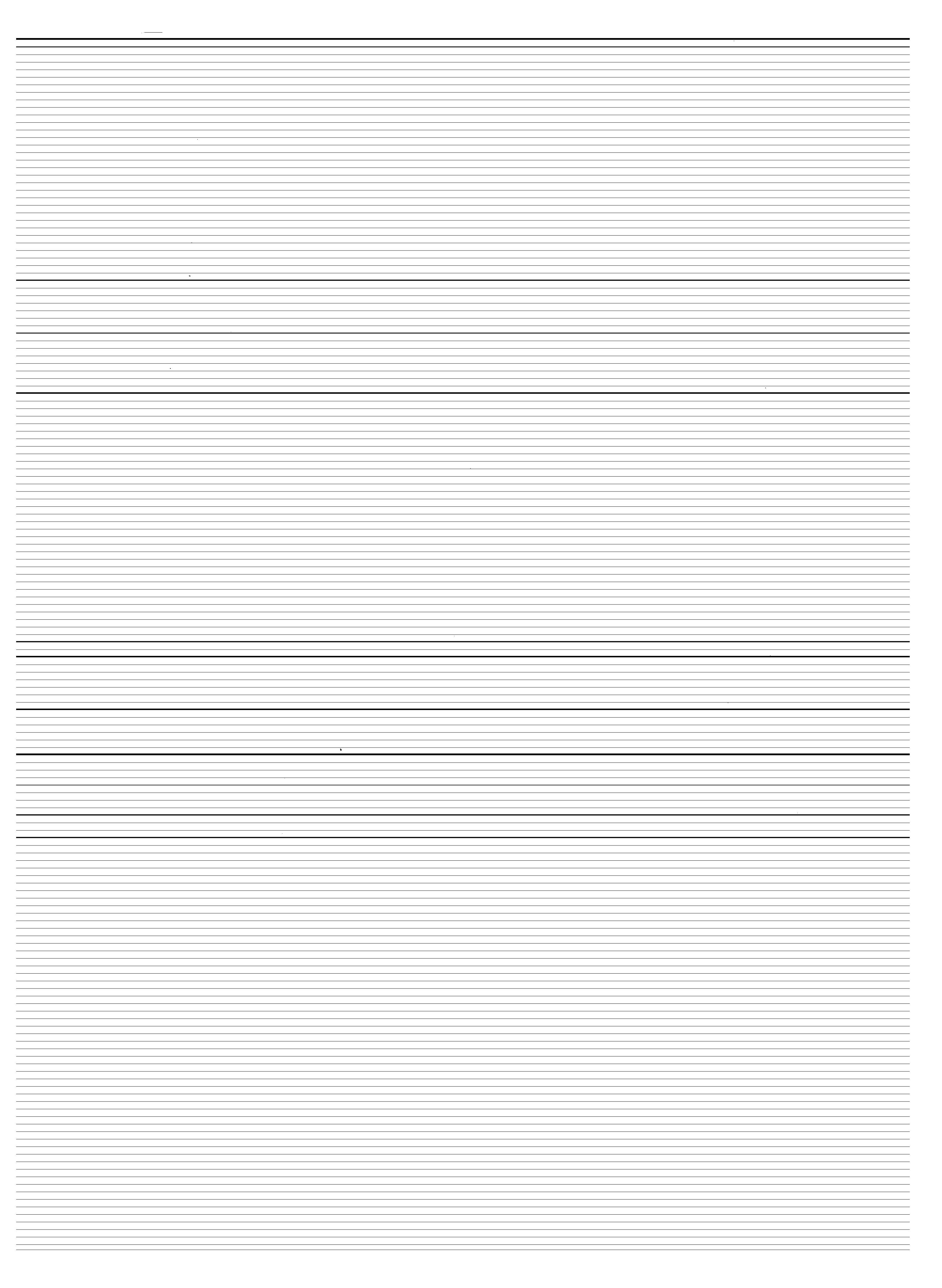
وعاش المجتمع الإسلامي في عصر الصحابة والتابعين الإسلام كما جـــاء به رسول الله ﷺ فعلم كل فرد في المجتمع ماله وما عليه ، والتزم به في آماله وأعماله ... ولذلك مثل هذا المجتمع خير أمة أخرجت وظهـــرت فـــي حيـــاة الناس.



الفصل الثالث

سيرة أبى بكر الصديق

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ



تمهيــد

ينظر العلماء دائما للشخصيات العامة من زاويتين :

أحداهمــا :

سيرتها الذاتية وما أحاط بها من مؤثرات أدت إلى تميزها بصفات خاصة ومزايا معينة جعلتها شخصية متفردة في حركتها، ومزاياها الأمر الذي يجمع الناس حولها ، ويصيرها من ذوى الرأي والقيادة وسط الناس .

ثانيهمــا :

دورها فى الحياة العامة بإظهار دورها مع الناس ، والآثار التى خلفتها في الحياة الإجتماعية مع توضيح الجوانب العملية التي برزت فيها خلال نشاطها، وعملها مع بيان صلة هذا الجانب بالجانب الأول .

وحينما يكون الحديث عن أبى بكر رضي الله عنه ، وعن تاريخ الدعوة فى عصره فإننا نرى ضرورة الحديث عن سيرته لنعرف قيمته فى قبائل العرب ، ودوره قبل الإسلام وبعده ، ومسلكه مع رسول الله ﷺ ومع الناس ، وأهـم تفاعلاتـه الشخصية مع ما كان يسمعه من رسول الله ﷺ حتى لقى الرسول ﷺ ربـه ، وهذا ما سوف نتناوله فى هذا الفصل .

وبعد ذلك يأتي الحديث عن دور أبى بكر رضي الله عنه مع الدعوة ونشر دين الله تعالى بعد ما صار خليفة ، وهو ما سنفصله بعد ذلك حـين نتنـاول أحـداث العصر . ودور أبى بكر فى الخلافة ، وحماية الدين ، والـدفاع عـن الـبلاد والعباد ، وتطبيق شرع الله فى كل نواحى الحياة .

إن تاريخ الدعوة يحتاج بالضرورة إلى فهم موضوعات النشاط ، والحركة للمسلمين قيادة وشعبا ، كما يحتاج إلى معرفة الوسائل التى اسـتخدمت أثنـاء الحركة بالإسلام ، ويحتاج أيضا إلى معرفة الأهداف التـي حققتهـا الحركـة بالإسلام خلال عصر من العصور ويحتاج كذلك إلى معرفة موقف المـسلمين من الدعوات المختلفة التى توجهت إليهم .

وفى هذا الفصل حيث سيرة أبى بكر الصديق رضي الله عنه نرى أنفسنا أمام عدد من المباحث هى :

المبحث الأول : التعريف بشخصية أبى بكر رضي الله عنه .

المبحث الثانى : أبو بكر رضي الله عنه وحياته قبل الإسلام .

المبحث الثالث : أبو بكر رضي الله عنه فى صحبة الحبيب المصطفى ﷺ في مكة .

المبحث الرابع : أبو بكر رضي الله عنه فى صحبة الحبيب المصطفى ﷺ في المدينة .

المبحث الخامس : أبو بكر رضي الله عنه وجهاده مع النبى ﷺ .

وبذلك ينتهى الفصل بتوفيق من الله تعالى ...

المبحث الأول

التعريف بشخصية أبى بكر رضي الله عنه

يحتاج التعريف بشخصية أبى بكر رضي الله عنه إلى بيان عدد من النقاط نوردها فى المسائل الآتية :

ــ أولا ــ

اسمه وكنيته وألقابه

اسمه :

هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب القرشى التيمى يلتقى نسبه مع رسول الله ﷺ فى الجد السادس مرة بن كعب[1] .

كنيته :

يكنى بأبى بكر اشتقاقا من البكر وهو الجمل الصغير ، وجمعه بكارة وأبكر ، وكنى بذلك جرياً على عادة العرب فى تكنية أولادهم بأسماء الحيوانات كأسد ، وكلب ... وفى التكنية بالبكر توافق مع شخصية أبى بكر رضي الله عنه ، لأن البكر يحمل الأثقال ، ويتحمل الجوع والعطش ، ويتصف بالصبر ويقوم بالأعباء وسط مصاعب الصحراء ، وقد خلق الله تعالى أبا بكر رضي الله عنه مهيأ لذلك ... وكانت تلك هي الملامح العامة لشخصية أبى بكر رضي الله عنه .

وفى العرب قبيلة تعرف بقبيلة بنى بكر وهى التى انحازت لقريش بعد الحديبية وآثرت التحالف معهم على حلف رسول الله ﷺ ، وبسبب عدوانها على بنى خزاعة تم فتح مكة[2] .

١- الإصابة في معرفة الصحابة جـ٤ صـ١٤٤.

٢- أنظر السيرة النبوية والدعوة في العهد المدنى صـ٥٧١ .

ألقابـــه :

لقب أبو بكر الصديق رضي الله عنه بألقاب كثيرة حيث يرتبط كل منها بسبب ما .
وعلى رأس هذه الألقاب ما يلى :

١ـــ الصديق

اشتهر أبو بكر رضي الله عنه بهذا اللقب لمبادرته إلى الإيمان بالله وتعالى ، وتصديق الرسول ﷺ فى كل ما جاء به ، وهو أول الرجال تصديقا بدعوة الرسول ﷺ ، ولم تقع منه هناة قط[1] .

وموقفه يوم الإسراء والمعراج ، وتصديقه الخبر بلا تردد يجعله جديرا بهذا الاسم .

تروى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ذلك فتقول : **لما أسرى بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى ، أصبح يتحدث الناس بذلك ، فارتد ناس كانوا أمنوا به وصدقوه ، وسعى رجال إلى أبى بكر ، فقالوا : هل لك إلى صاحبك ؟ يزعم أن أسرى به الليله إلى بيت المقدس !**

قال أبو بكر : **وقد قال ذلك !!**

قالوا : **نعم**

قال : **لئن قال ذلك فقد صدق .**

قالوا : **أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس ، وجاء قبل أن يصبح ؟!!**

قال أبو بكر : **نعم ، إنى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة**[2] .

كما يروى البخارى فى صحيحه **أن النبى ﷺ صعد أحدا ومعه أبو بكر ، وعمر وعثمان فرجف الجبل بهم ، فقال ﷺ : أثبت أحدا ، فإنما عليك نبى**

١- أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ٣ صـ٣١٠ .
٢- صحيح الحاكم جـ٣ صـ٦٢ .

وصديق وشهيدان[١] .

ومراده ﷺ بالصديق أبا بكر رضي الله عنه لأن الصدق علم له ، وبالشهيدين عمر وعثمان رضي الله عنهما ، وهو ما تحقق لهما فيما بعد ، وقد غلب هذا اللقب "**الصديق**" على أبى بكر لدرجة أن اطلاقه يصرفه إليه وحده .

يشير الاصمعى إلي ذلك ويقول :

ولكنى أحب بكل قلبـــــى وأعلم أن ذاك من الصواب

رسول الله والصديق حبا به أرجوا غدا حسن الثواب[٢]

٢ - الصاحب

وهذا اللقب مستفاد من كلام الله تعالى حيث يقول سبحانه :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[٣].

وقد أجمع المفسرون على أن الصاحب المقصود فى الآية هو أبو بكر رضي الله عنه لأنه هو وحده الذى كان مع النبى ﷺ فى الغار ، وهو صـــاحبه فـــى رحلـــة الهجرة .

روى البخارى بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أبا بكر حدثه **فقال : قلت للنبى ﷺ وهو فى الغار لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحـــت قدميـــه فقال له ﷺ : يا أبا بكر ما ظنك بأثنين الله ثالثهما**[٤] .

١- صحيح البخارى . كتاب فضائل أصحاب النبي . باب فضل أبى بكر جـ ٦ صـ٩٢ .

٢- أبو بكر الصديق للطنطاوى صـ٤٩ .

٣- سورة التوبة آية ٣٩ .

٤- الإحسان في تقريب صحح ابن حبان مناقب جـ ٥ صـ٢٨ .

٣ــ العتيق

لقبه النبى ﷺ بــ "**العتيق** " وقال له : **أنت عتيق الله من النار**[١] .

وفى رواية عائشة رضي الله عنها **أن أبا بكر** رضي الله عنه **دخل على رسول الله** ﷺ.

فقال له ﷺ : " **أبشر يا أبا بكر فأنت عتيق الله من النار**[٢] " ...

وقد تكلم العلماء عن أسباب هذا اللقب .

فقالوا : سمى عتيقا لجمال وجهه وحسن وجاهته ...

وقالوا : لقدمه وسبقه فى الخير والنصيحة ...

وقالوا :إن أمه كان لا يعيش لها ولد فلما وضعته قالت : اللهم إن هذا عتيقك من الموت فهبه لى[٣] ...

وقالوا : لعلو نسبه وعراقة محتده[٤] ...

وليس هنا ما يمنع أن تجتمع كل هذه الأسباب في شخص واحد ، فقد تميز أبو بكر رضي الله عنه بها جميعا ... فقد رضي الله عنه وأرضاه ، وبشره بالجنة ، وأعتقه من النار ، كما أنه تميز بجمال الوجه وحسن الخلق، وأيضا فإنه اتصف بسبقه للخير ، وأصالة النسب ، وعلو الهمة ، وحبه للناس .

وقد علم العرب هذا اللقب لأبى بكر ، ولو لم يسلموا له جميعا بالأسباب المذكورة كلها ، وبذلك صار هذا اللقب علما لأبى بكر .

٤ــ الأتقى

لقب أبو بكر رضي الله عنه بهذا اللقب، وذلك فى قوله تعالى ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾[٥]

وهو لقب يعلمه كل من يرى نزول الآية فى أبى بكر رضي الله عنه وهم أكثر المفسرين .

١- سنن الترمذى - كتاب المناقب . باب مناقب أبى بكر جـ٥ صـ٦١٦ .
٢- الكنى والأسماء للدولابى جـ١ صـ٦ .
٣- الكنى والأسماء جـ١صـ٦
٤- تاريخ الدعوة في عصر الراشدين صـ٣٦ ، السيرة النبوية جـ١ صـ٢٤٩ .
٥- سورة الليل اية ١٧ .

يقول الإمام ابن كثير : إن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك .

ولا شك عندى أنه داخل فيها علي أقل تقدير وإن لم تنزل بشأنه ، فهو أولى الأمة بعمومها ، فإن كان لفظ الآية يفيد العموم ، فإن أبا بكر رضي الله عنه مقدم علي الأمة ، وسابقهم في جميع هذه الأوصاف ، وسائر الأوصاف الحميدة وغيرها ، وكان إحسانه وفضله علي السادات والرؤساء من سائر القبائل .

كان أبو بكر رضي الله عنه صديقا تقيا كريما ، جوادا ، بذالا لأمواله في طاعة مولاه ، ونصرة رسوله ﷺ ، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم ، لم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها ، ولكن كان إحسانه وفضله على السادات والرؤساء من سائر القبائل ، ولهذا قال له عروة ابن مسعود ــ وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية : **أما والله لولا يد لك عندى لم أجزك بها ما اجتبيتك** ــ وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة[١] .

فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل فهو عند من عداهم أسمى وأكرم .

ولهذا قال الله تعالى ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴾[٢] أى لا فضل لأحد عليه سوى فضل ربه .

وفى البخارى بسنده عن ابى هريرة رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :" **من أنفق زوجين من شئ من الأشياء في سبيل الله دعى من أبواب الجنة ، يا عبد الله هذا خير .**

فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة .

ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد .

ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة .

١- أسباب النزول صـ ٣٣٤ .

٢- سورة الليل آية ١٩ .

ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام ، وباب الريان " .

فقال أبو بكر : يا رسول الله ما علي هذا الذى يدعي من تلك الأبواب من ضرورة ، ... فهل يدعي منها كلها أحد يا رسول الله ؟

فقال ﷺ : نعم . وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر[١] .

٥ـ الأواه

الأواه لقب يعنى الخشوع والرقة والإنابة ، وقد لقب " أبو بكر" رضي الله عنه بالأواه لرقته . ونبل عاطفته ، يظهر ذلك من قول عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ حين قال لها : **مروا أبا بكر فليصل بالناس .**

قالت رضي الله عنها : **يا رسول الله إن أبا بكر إذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء لمافيه من رقة ، وخشية ، ولين[٢] .**

ـ ثانيا ـ

آباء أبى بكر رضي الله عنه

والد أبى بكر رضي الله عنه هو : عثمان بن عامر ، يكنى بأبى قحافة .

ووالدته هي : سلمى بنت صخر التيمية ، وتكنى بأم الخير .

فأبوه وأمه من بني تيم ، وهم قوم اشتهر رجالهم بالدماثة وطيبة القلب ، واشتهر نساؤهم بالدل والحظوة لطول عهد القبيلة بحياة المدينة ، وتميزها بحسن المعاملة في التجارة ، وحرصهم علي نشر المودة واحترام حقوق الآخرين ...

لم يذكر التاريخ أسرة عربية عاش أبناؤها علي مودة ورحمة كآباء **أبي بكر** وإخوته ،ومن دلالة الطيبة في أبيه أنه رأى أبا بكر يصيح علي أبي سفيان

١- صحيح البخاري ـ كتاب فضائل أصحاب النبي . باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا غير ربي جـ٦ صـ٨٥ .

٢- الطبقات الكبري جـ٦ صـ٢٧٠.

مرة فأنكر ذلك عليه ، وهو راض ، فقال له أبو بكر : **يا أبت إن الله رفع بالإسلام قوما وأذل به أخرين**[١] .

وهذه الطيبة التي لا تخلو من دهاء هي التي ظهرت من هذا الأب الصالح يوم نعوا إليه رسول الله ﷺ فقال : **أمر جلل** .

وسأل : ومن ولي الأمر بعده ؟

قالوا : **إبنك**

فعاد يسأل : **فهل رضيت بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة ؟**

قالوا : **نعم**

قال : **لا مانع لما أعطي الله ، ولا معطي لما منع**[٢] !

بل هذه الطيبة التى لا تخلو من دهائها هي التي ظهرت منه حين هاجر ابنه مع النبي ﷺ فأقبل علي أحفاده يسألهم : **ما ترك لكم بعد هجرته من المال**[٣]**؟**

وهي هي التي ظهرت منه حين ذهب ابنه أبو بكر ينفق من ماله لإعتاق الأرقاء الذين عذبهم المشركون فأخذ يقول له : **لو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك ؟**

ويرد عليه ابنه أبو بكر : **يا أبت إني أريد ما عند الله**[٤] .

كثير مما في أبي بكر ورثها من هذا الأب الصالح : طيبة في يقظة ، وطيبة في استقامة ، ويزيد عليه ابنه في كل وصف حميد[٥] .

وقد أسلمت أمه قبل الهجرة ، أما والده فقد أسلم يوم فتح مكة ، وقد هنأ رسول الله أبا بكر بإسلام والده ، وقال له حين قدم أبو قحافة يعلن إسلامه :

١- المصدر السابق جـ٦ صـ٢٧١ .

٢- الطبقات الكبرى جـ٦ صـ٢٧٠ .

٣- المصدر السابق .

٤- المصدر السابق .

٥- عبقرية الصديق صـ١٥ .

"**غيروا هذا من شعره** "[١] لوجود بعض الشعر الأبيض فى رأسه ، وتغييره يؤدى به إلى الحسن والوقار ، وفى هذا توقير لأبى قحافة لكبر سنه ...

ومن هذا التوقير ما جاء فى قصة إسلامه رضي الله عنه من أن بعض المسلمين رموه بالنبال يوم الفتح بعدما صعد الجبل فشج رأسه ، وسال الدم علي وجهه ، فأدركه أبو بكر ومسح الدم عن وجهه ، وأتى به إلى رسول الله ﷺ .

فقال له ﷺ : **يا أبكر هلا تركته حتى نأتيه ؟...**

فقال أبو بكر : **هو أولى أن يأتيك يا رسول الله ...**

عندئذ أسلم أبو قحافة ، وبايع رسول الله ﷺ وكان ذلك فى يوم الفتح[٢] .

ـــ ثالثا ـــ

زوجـــات أبى بكر رضي الله عنه[٣]

تزوج أبو بكر الصديق رضي الله عنه أربعا من النسوة وهن :

١- قتيلة بنت عبد العزى :

تزوجها أبو بكر رضي الله عنه قبل الإسلام وأنجب منها ، وطلقها قبل الإسلام أيضا ...وأنجبت له عبد الله وأسماء رضى الله عنهما ... وقد أتت قتيلة وهى مشركة إلى ابنتها أسماء في المدينة ، فاستأذنت عليها ، فلم تأذن لها أسماء حتى أتت رسول الله ﷺ وقالت له : **يا رسول الله ﷺ : إن أمى أتت إلى ، وهى مشركة أفاصل أمى ؟**

فقال لها النبى ﷺ : **نعم صلى أمك**[٤] .

وفيها نزل قوله تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ

١- عبقرية الصديق صـــ١٦ .

٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة جـــ ٣ صـــ ١٢٣.

٣- انظر السيرة النبوية ، والطبقات ، سير أعلام النبلاء .

٤- صحيح البخارى ـــ كتاب الأدب . باب صلة الوالد المشرك جـــ٩ صـــ٢١٢ .

يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ [١]

٢- أم رومان :

هى أم رومان بنت عامر بن عويمر ، من بنى كنانة، مات عنها زوجها الحارث بن سخبرة بمكة ، فتزوجها أبو بكر فولدت عائشة وعبد الرحمن ، أسلمت بمكة قبل الهجرة ، وهاجرت إلى المدينة فى صحبة أهل النبي ﷺ وتوفيت بها سنه ست من الهجرة ودفنت بالبقيع .

٣- أسماء بنت عميس :

هى أسماء بنت عميس بن معبد بن الحارث ، تكنى بأم عبد الله ، من أوائل المسلمات ، أسلمت قبل دخول المسلمين دار الأرقم ، تزوجها جعفر بن أبى طالب ، وهاجرت معه إلى الحبشة ، وصحبته كذلك فى هجرته الثانية إلى المدينة المنورة ، فلما استشهد جعفر رضي الله عنه فى غزوة مؤتة تزوجها الصديق أبو بكر رضي الله عنه فولدت له محمدا .

كانت رضي الله عنها من رواة حديث رسول الله ﷺ ، روى عنها من الصحابة عمر وأبو موسى الأشعرى ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن جعفر ، ومن التابعين عروة ، وعبد الله ابنا شداد ، وهى أخت أم المؤمنين ميمونة ، وأم الفضل زوجة العباس عم النبى ﷺ .

أوصى أبو بكر رضي الله عنه أن تغسله بعد وفاته فلما مات غسلته رضي الله عنها .

٤- حبيبة بنت خارجة :

هي حبيبة بنت خارجة الخزرجية ، تزوجها أبو بكر رضي الله عنه بعد الهجرة ، وأنجب منها أم كلثوم التى كانت حاملا بها حين وفاة أبى بكر... وكان منزلها بـ" السنح " التى أقام فيها أبو بكر حتى لقى ربه . ولما مات عنها أبو بكر ورثتة مع زوجته أسماء .

١- سورة الممتحنة آية ٨ .

ــ رابعا ــ

أولاد أبي بكـــر رضي الله عنه[1]

رزق الله تعالى أبا بكر رضي الله عنه من زوجاته الأربع ستا من البنين والبنات وهم :

١- عبد الرحمن :

أكبر أبناء أبى بكر من زوجتة " **أم رومان** " أسلم يوم الحديبية ، وحـــسن إسلامه ، واشترك مع المسلمين في حرب " اليمامة " .

٢- عبد الله :

أمه قتيلة بنت عبد العزى،ودوره في الهجرة معروف فلقد كان يقوم بجمع أخبار القرشيين نهاراً ، وينقلها لرسول الله ليلا متخفيا في رعى الغنم ، هاجر إلى المدينة مع أهل النبي ﷺ واشترك في عدد من الغزوات ، وأصيبت بـــسهم يوم حنين ظل يشكو منه حتى مات به شهيداً في خلافة والده .

٣- محمد :

أصغر أبناء أبى بكر الذكور، ولد عام حجة الوداع، وتولى تربيته على بن أبى طالب رضي الله عنه ، **وقد تولى أمر مصرفى عهد على . وقتل بها .**

٤- أسماء :

هى أكبر بنات أبى بكر، سماها رسول الله ﷺ " **ذات النطـــاقين** " ، حـــين أعدت لأبيها ولرسول الله طعاما يوم الهجرة ، فلما لم تجد ما تشده به شـــقت نطاقها نصفين وربطت الطعام به، فسماها رسول الله بذلك .

تزوجت الزبير بن العوام وهاجرت معه إلى المدينة وهي حامل ، فولـــدت أول مولود بعد الهجرة وهو " **عبد الله** " .

روت أسماء رضى الله عنها ستة وخمسين حديثا ، وروى عنها كثير مـــن الصحابة والتابعين .

١- أنظر الإصابة وأسد الغابة .

توفيت عام ٧٣ هـ في زمن الدولة الأموية .

٥- عائشة :

هى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تزوجها رسول الله ﷺ وهى بنت ست سنوات، ودخل بها وهى بنت تسع ... تميزت بالعلم والحفظ، وهى أكثر النساء رواية للحديث ... عاشت ثلاثا وستين سنة ، وتوفيت عام ٥٧ هـ ودفنت بالبقيع .

٦- أم كلثوم :

أمها أم حبيبة ، مات أبو بكر وأمها بها حامل ، فأوصى أبو بكر أم المؤمنين عائشة بهما ، تزوجت طلحة بن عبد الله رضي الله عنه .

هذه هى أسرة أبى بكر رضي الله عنه وهى أسرة ظللها الإيمان ، وعلاها نور الوحي ، وعرفت بالطاعة والاستقامة على طريق الله القويم .

ـ خامسا ـ

وفاة أبى بكر رضي الله عنه

عاش أبو بكر رضي الله عنه قبل الإسلام ثمان وثلاثين سنة ، صاحب فيها محمدا ﷺ والأخيار من أهل مكة ، وسبق إلى الإسلام فكان أول رجل دخل فيه وعاش مع الرسول ﷺ في مكة ، مؤمنا به ، وأخذ يدعو إلى الله تعالى مع رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة ، وصحب الرسول في الهجرة ، وعاش مع المهاجرين في المدينة عشر سنوات ، وولى الخلافة بعد رسول الله ﷺ مدة عامين و ثلاثة أشهر فبلغ بذلك عمره ثلاثا وستين سنة وبضعة أشهر .

بعد هذه الرحلة الطويلة من الجهاد ، والعمل ، والعناء لقى ربه راضيا مرضياً .

وقد استمر مرض أبي بكر رضي الله عنه مدة خمسة عشر يوما ، حتى كان يوم

الأثنين ليلة الثلاثاء في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة ، قالت عائشة رضي الله عنها : **إن أبا بكر قال لها : في أي يوم مات رسول الله ﷺ ؟**

قالت: **في يوم الاثنين .**

قال : **إني لأرجو فيما بيني وبين الليل .**

قال : **ففيم كفنتموه ؟**

قالت: في **ثلاثة أثواب بيض سحولية يمانية ليس فيها قميص ولا عمامة .**

فقال أبو بكر : **انظري ثوبي هذا فاغسليه واجعلي معه ثوبين آخرين** [1] **.**

فقيل له : **قد رزق الله وأحسن نكفنك في جديد.**

قال : **إن الحي هو أحوج إلى الجديد ليصون به نفسه عن الميت، إنما يصير الميت إلى الصديد وإلى البلى** [2] **.**

وقد أوصى رضي الله عنه أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس ، وأن يدفن بجانب رسول الله ﷺ[3] ، وكان آخر ما تكلم به الصديق في هذه الدنيا قول الله تعالى ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾[4] .

وارتجت المدينة لوفاة أبى بكر الصديق رضي الله عنه ، ولم تر المدينة منذ وفاة الرسول يوما أكثر باكيا وباكية من ذلك المساء الحزين .

وأقبل علي بن أبي طالب رضي الله عنه مسرعا باكيا ، مسترجعا ، ووقف على البيت الذي فيه أبو بكر، فقال : **رحمك الله يا أبا بكر ... كنت إلف رسول الله وأنيسه ، ومستراحه ، وثقته ، وموضع سره ، ومشاورته ، وكنت أول القوم إسلاما، وأخلصهم يقينا، وأخوفهم لله، وأعظمهم غناء في دين الله عز وجل ،**

١- أصحاب الرسول جـ١ صـ١٠٦.
٢- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٤٢١ .
٣- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٤٢١ .
٤- سورة يوسف آية ١٠١ .

وأحوطهم على رسول الله ﷺ ، وأحدبهم على الإسلام ، وأحسنهم صحبة ، وأكثرهم مناقب ، وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة ، وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله هديا وسمتا ، وأشرفهم منزلة ، وأرفعهم عنده ، وأكرمهم عليه ، فجزاك الله عن رسول الله والإسلام أفضل الجزاء، صدقت رسول الله ﷺ حين كذبه الناس، وكنت عنده بمنزلة السمع والبصر ، سماك الله في تنزيله صديقا ، فقال ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [1] واسيته حين بخلوا ، وقمت معه على المكاره حين قعدوا وصحبته في الشدة أكرم الصحبة ثاني اثنين صاحبه في الغار ، والمنزل عليه السكينة ، ورفيقه في الهجرة ، وخليفته في دين الله وأمته ، أحسنت الخلافة حين ارتدوا ، فقمت بالأمر ما لم يقم به خليفة نبي، ونهضت حين وهن أصحابه ، وبرزت حين استكانوا ، وقويت حين ضعفوا ، ولزمت منهاج رسول الله إذ وهنوا ، وكنت كما قال رسول الله ﷺ ضعيفا في بدنك قويا في أمر الله تعالى ، متواضعا في نفسك عظيما عند الله تعالى ، جليلا في أعين الناس كبيرا في أنفسهم لم يكن لأحدهم فيك مغمز ، ولا لقائل فيك مهمز، ولا لمخلوق عندك هوادة ، الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ بحقه، القريب والبعيد عنك في ذاك سواء ، وأقرب الناس عنك أطوعهم لله عز وجل وأتقاهم ... شأنك الحق والصدق والرفق، قولك حكم وحتم، وأمرك حلم وحزم ، ورأيك علم وعزم ، اعتدل بك الدين، وقوي بك الإيمان ، وظهر أمر الله فسبقت ــ والله ــ سبقا بعيدا ، واتعبت من بعدك إتعابا شديدا، وفزت بالخير فوزا مبينا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، رضينا عن الله عز وجل قضاءه، وسلمنا له أمره ، والله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله بمثلك أبدا ، كنت للدين عزا وحرزا وكهفا ، فألحقك الله عز وجل بنبيك محمد ﷺ ، ولا حرمنا أجرك، ولا أضلنا بعدك . فسكت الناس حتى قضى كلامه ثم بكــوا

١- سورة الزمر آية ٣٣ .

حتى علت أصواتهم، وقالوا : صدقت[١] .

هذا وقد توفي الصديق ـــ رحمه الله ـــ وهو ابن ثلاث وستين سنة... واستوفى سن رسول الله ﷺ وغسلته زوجته أسماء بنت عميس ، وكان قد أوصى بذلك[٢] ، ودفن بجانب رسول الله ﷺ ، وقد جعل رأسه عند كتفي رسول الله ﷺ[٣] ، وصلى عليه خليفته عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ونزل قبره عمر ، وعثمان ، وطلحة ، وابنه عبد الرحمن رضوان الله عليهم ، وألصق لحده بقبر رسول الله ﷺ[٤].

١- التبصرة لابن الجوزي جـ١ صـ٤٧٧- ٤٧٩ نقلا عن أصحاب الرسول جـ١ صـ١٠٨.

٢- الطبقات لابن سعد جـ٣ صـ٢٠٣ ، ٢٠٤

٣- عهد الخلفاء الراشدين ، صـ١٢٠.

٤- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٤٢٢ .

المبحث الثانى

أبو بكر في مكة قبل الإسلام

ولد أبو بكر في العام الثالث بعد عام الفيل ، وذلك بعد ميلاد النبى ﷺ بعامين وأشهر .

نشأ في ظل والديه نشأة كريمة ، فتربي في البادية، وتعلم القراءة والكتابة وعاشر الأشراف والوجهاء ، وعد واحدا منهم ، وصار من رجال مكة المشهورين .

تميز بذكاء العقل ، وقوة الحفظ ، ودقة الضبط ، وحسن الخلق ، ومن قوة حفظه صار أعلم قريش بأنسابها ، وأعرفهم بأخبارها ، وأعلمهم بأشعارها وأيامها . عمل بالتجارة ، ورحل بأمواله صيفا وشتاء ، وجاب كل أرجاء الجزيرة العربية ، واختلط بالناس ، وأطلع على أديانهم ، وعاداتهم ، وأحوالهم ولم يكتف في أسفارة بالربح وجمع المال ، وإنما أعمل قريحته وعقله وهو يتأمل في كل ما رأى وسمع ...

وكان رضي الله عنه يسمع ويفكر أكثر مما يتكلم ويقول ...

ومن أهم الصفات التى تميز بها أبو بكر في الجاهلية قبل الإسلام ما يلى :

١ــ الصدق والأمانة :

اشتهر أبو بكر رضي الله عنه في قريش بالصدق والأمانة ، ولذلك وثق إخوانه في كل كلام يقوله لهم ، وجعلوا إليه أمر الأشناق ، وهى الديات والمغارم التى تتحملها القبائل عن بنيها إذا اعتدوا على القبائل الأخرى .

وكان أبو بكر رضي الله عنه يقوم بمقابلة أصحاب الحق، ويقدر الدية والغرم ، ويعود لقريش لأخذها منهم، وإيصالها لأصحابها. فكان أبو بكر إذا حمل شيئا وسأل قريشا صدقوه ودفعوا له ، وأمضوا حمالة من نهض معه، وإذا احتملها غيره خذلوه، وأمسكوا أيديهم عنه .

يقول الاستاذ رفيق العظم : **كان أبو بكر الصديق في الجاهلية من وجهاء قريش وأشرافهم وأحد رؤسائهم ، وذلك أن الشرف في قريش قد انتهى قبل ظهور الإسلام إلى عشرة رهط من عشرة أبطن ، فالعباس بن عبد المطلب من بني هاشم ، وكان يسقي الحجيج في الجاهلية ، وبقي له ذلك في الإسلام.**

وأبو سفيان بن حرب من بني أمية ، وكان عنده العقاب راية قريش ، فإذا لم تجتمع قريش على واحد رأسوه هو وقدموه .

والحارث بن عامر من بني نوفل، وكانت إليه الرفادة، وهي ما تخرجه قريش من أموالها، وترفد به منقطع السبيل .

وعثمان بن طلحة بن زمعة بن الأسود من بني أسد ، وكانت إليه المشورة فلا يجمعون على أمر حتى يعرضوه عليه ، فإذا وافق رأيهم ولاهم عليه ، وإلا تخيروا رأيه وكانوا له أعوانا .

وأبو بكر الصديق من بني تيم وكانت إليه الأشناق وهي الديات والمغارم فكان إذا حمل شيئا فسأل فيه قريشا صدقوه ، وأمضوا حمالة من نهض معه وإن احتملها غيره خذلوه .

وخالد بن الوليد من بني مخزوم ، وكانت إليه القبة والأعنة ، أما القبة فإنهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش ، وأما الأعنة فإنه كان على خيل قريش في الحرب .

وعمر بن الخطاب من بني عدي ، وكانت إليه السفارة في الجاهلية .

وصفوان بن أمية من بني جمح ، وكانت إليه الأزلام .

والحارث بن قيس من بني سهم ، وكانت إليه الحكومة وأموال آلهتهم[١] **.**

وعلى هذا فأبو بكر أحد أعمدة العرب في الجاهلية ويلاحظ أن المهمة التي وليها تحتاج إلى صفتي الصدق والأمانة ، وقد اشتهر بها أبو بكر رضي الله عنه ...

١- نهاية الارب جـ١٩ صـ١٠.

فلما دخل في الإسلام برزت هاتان الصفتان فيه فأصبح معروفا بـ " الصديق " واشتهر بالأمانة .

٢ـ المودة والمحبة :

قامت علاقة أبي بكر رضي الله عنه بأهل مكة على المودة والمحبة ، وكانت القبائل كلها تحبه ، وتألفه ، وتعترف له بالفضل ، وحسن الخلق ، وكانوا يرون فيه دقة العلم ، وأمانة التاجر ، والجليس الحسن ، والناصح الأمين ، ولذلك رده ابن الدغنة يوم أن خرج مهاجرا إلى الحبشة وقال له : **مثلك لا يهاجر، إنك لتزين العشيرة ، وتعين على النوائب ، وتكسب المعدوم، وتفعل المعروف**"[1] فشهد له بمثل ما شهدت به خديجة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ يوم أن جاءها خائفا من غار حراء .

٣ـ الكرم والعطاء :

عمل أبو بكر بالتجارة ، وكان كثير الكسب ، كثير العمل ، جمع مالا وفيرا أنفقه على الناس في سبيل الله ، وكان له بمكة ضيافات للحجاج والمعتمرين وغيرهم، قصده أصحاب الحاجات فأعطاهم ، وعايشه الأغنياء فأكرمهم ، وكان له فى مجال العطاء والمساواة ذكر فى مكة وغيرها .

٤ـ المهارة والدقة :

اشتهر أبو بكر رضي الله عنه فى مكة بالفطنة ، ودقة الفهم ، والمهارة فى العمل والسلوك ، وذلك واضح من سعة أفقه ، وتميزه بالصدق والأمانة وعلو الهمة .
وقد انعكست صفاته ومزاياه تلك على تجارته ، فقد ربح كثيرا من أسفاره التى جاب خلالها الشمال والجنوب ، والشرق والغرب ، وأنفق كسبه على الناس فأعان المحتاج ، وأغنى الفقير ، وقوى المعدوم ، ووصل الرحم ، وساعد فى نوائب الدهر .

يروى البلاذرى بسنده عن أبيه قال: **كان أبو بكر عند أهل مكة من خيارهم**

١- سيرة النبي جـ١ صـ٢٥٦ .

يستعينون به فيما أنابهم ، ونزل بهم[1] .

٥ــ العلم بالإنساب والأخبار :

العرب أمة أمية ، تحب الفخر ، وتعمل له ولذلك أوجدوا من بينهم من يحفظ أخبارهم ، ويقف على تفاصيل أيامهم وحروبهم ... كما اهتموا بالمحافظة على أنسابهم ، وعملوا على ثبات الأصالة ، وتأكيد الارتباط بين الأفراد وقبائلهم، ولذلك اهتموا بالأنساب تحفظها قلوب الرجال ، وتتوارثها الأجيال ، وتعيش حية مع الناس على اختلاف المكان وامتداد الزمان .

وكان لطبقة " **النسابين** " فى كل قبيلة منزلة رفيعة يحتاجها الأفراد فى سائر القبائل ، وقد تميز أبو بكر رضي الله عنه فى هذا المجال عن غيره فصار أستاذا لهم ، وذلك لسعة أفقه ، ودقة ضبطه ، وسمو خلقه . فلم يؤثر عنه أنه عاب نسبا ، أو أهمل شيئا فيه ، أو بدل بعض حقائقه.

لقد كان أبو بكر أعلم قريش بقريش ، وبما فيها من خير وشر .

يروى مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : **إن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها** [2] .

٦ــ سلامة الفطرة :

عاش أبو بكر حياته الأولى بين أهل مكة نقيا ، طاهرا ، لم يتأثر بمساوئ الجاهلية ، ولم يفعل ما يفعله أقرانه وأنداده ، وكان دائم الميل إلى الخير تدفعه إلى ذلك فطرته النقية التى حافظ على نقائها . وصفائها ، وسلامتها

ولقد ساعدته فطرته النظيفة على القيام بأعمال ميزته عن كثير من غيره ، ومن ذلك .

أ- هجر آلهة قومه

نظر أبو بكر رضي الله عنه قبل الإسلام فى أصنام قومه فعلم بطلانها ، ولذلك هجرها وتركها ، ولم يسجد لصنم قط ، رغم أن والده " **أبا قحافة** " حاول أن

١- أسد الغابة جـ٣ صـ٢٠٦ .

٢- الإصابة جـ٤ صـ١٤٦ .

يأخذه إليها ، ويقنعه بها ، إلا أن فطرته الأبية أبعدته عنها ...

يقول رضي الله عنه : **ما سجدت لصنم قط ، وذلك أني لما ناهزت الحلم أخذني أبو قحافة بيدي فانطلق بي إلى مخدع فيه الأصنام ، فقال لي: هذه آلهتك الشم العوالي ، وخلاني وذهب ، فدنوت من الصنم وقلت: إني جائع فأطعمني فلم يجبني .**

فقلت: **إني عار فاكسني ، فلم يجبني ، فألقيت عليه صخرة فخر لوجهه .**

وهكذا حمله خلقه الحميد وعقله النير ، وفطرته السليمة على الترفع عن كل شيء يخدش المروءة ، وينقص الكرامة ، من أفعال الجاهليين ، وأخلاقهم التي تجانب الفطرة السليمة، وتتنافى مع العقل الراجح ، والرجولة الصادقة[١] .

ب- البحث عن الإله الحق

رأى أبو بكر رضي الله عنه الفساد فى آلهة قومه ، فأخذ يتأمل الكون حوله ، ويسمع أراء العقلاء من الحنفاء والحكماء وبخاصة فيما شاهد عند اليهود والنصارى وغيرهم .... وقد تابع رضي الله عنه ما دار من حوار حول الدين الحق ...

يقول رضي الله عنه : **كنت جالسا بفناء الكعبة ومعى زيد بن عمرو بن نفيل . فمر بهما أبو الصلت فقال : كيف أصبحت يا باغى الخير ؟**

قال زيد : **بخير**

فقال ابن أبى الصلت : **وهل وجدت شيئا؟**

قال زيد : **لا**

فقال ابن أبى الصلت :

كل دين يوم القيامة إلا ما مضى فى الحنيفية بور

ثم قال : **أما إن النبى الذى ينتظر منا أو منكم ؟**

قال زيد : **منا أو منكم**[٢]

تابع أبو بكر هذا الحديث ولم يكن سمع قبل ذلك عن النبى المنتظر ،

١- أصحاب الرسول ، محمود المصري جـ١ صـ٥٨ ، الخلفاء ، محمود شاكر ، صـ٣١ .
٢- تاريخ الخلفاء للسيوطى صـ٥٢ .

فذهب لتوه إلى ورقة بن نوفل فاستوقفه، وقص عليه ما سمع ، وسأله الخبر .

فقال ورقة : **نعم يا ابن أخى . إنا أهل الكتب والعلوم ، إلا أن هذا النبى ينتظر من أوسط العرب نسبا ، وقومك من أوسط العرب نسبا .**

قال أبو بكر : **يا عم . وما يقول النبي ﷺ ؟**

قال ورقة : **يقول ما قيل له . إلا أنه لا يظلم . ولا يظلم ولا يظالم ...**

فترقب أبو بكر رضي الله عنه ظهور النبى فلما بعث كان أول من آمن به[١] .

٧- الاهتمام بتراث قومه الحكيم :

عاش أبو بكر رضي الله عنه فى قومه قبل الإسلام وله عقلة اليقظ ، وذاكرته القوية وفطرته التى تميل للمعنى الجميل ، والكلام المفيد . يدل على ذلك حفظه لما كان يقوله قس بن ساعدة فى سوق عكاظ ، وبخاصة ماله صلة بالبحث والنظر فلقد ثبت أن رسول الله ﷺ سأل أصحابه يوما ـــ وفيهم أبوبكر الصديق قائلا:

"من منكم يحفظ كلام ـــ قس بن ساعدة ـــ في سوق عكاظ؟ " .

فسكت الصحابة ، ونطق الصديق قائلا : إني أحفظها يا رسول الله ، كنت حاضرا يومها في سوق عكاظ ، ومن فوق الأوراق وقف قس ـــ يقول : أيها الناس : اسمعوا وعوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا ، إن من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ماهو آت آت ، إن في السماء لخبرا ، وإن في الأرض لعبرا ، مهاد موضوع ، وسقف مرفوع ، ونجوم تمور ، وبحار لن تغور ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج !! ... ، يقسم قس ، إن لله دينا هو أحب من دينكم الذي أنتم عليه . ما لي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا بالمقام فأقاموا ، أم تركوا فناموا ، ثم أنشد قائلا :

في الذاهبين الأولين	**من القرون لنا بصائـــــر**
لما رأيت مـــــواردا	**للموت ليس لها مصــــادر**
ورأيت قومي نحوها	**يسعى الأكابر والأصاغــر**

١- السيرة النبوية جـــ١ صـــ٢٤٩ .

أيقنت أني لامحـــــا لة حيث صار القوم صائر[1]

وهذا الحفظ من أبى بكر ﷺ يدل على اهتمامه بموضوعها ، إذ نراه إثباتا ، وتأكيدا لصفاته ، وبيانا لحقيقة الموت والحياة .

٨ــ ملازمة العفة والطهر :

عاش أبو بكر بعيدا عن مفاسد قومه فلم يعمل عملهم ، ولم يسلك مسلكهم ، فلم يرم بريبة قط ، ولم يقع فى نكاح جاهلى حرمه الإسلام ، ولم يشرب الخمر أبدا ، فقد حرمها على نفسه ، بعد ما مر برجل سكران يضع يده فى العذرة ، ويدنيها من فيه ، فإذا وجد ريحها صرفها،فقال أبو بكر: **إن هذا لا يدرى مـــا يصنع**[2] .

ولما سئل : **هل شربت الخمر فى الجاهلية ؟**

قال : **أعوذ بالله .**

قيل له : **ولم ؟**

قال : **كنت أصون عرضى ، وأحفظ مروءتى ، فإن من شـــرب خمـــراً كـــان مضيعا لعرضه ومروءته**[3] .

٩ــ مصاحبة الأخيار :

عاش أبو بكر ﷺ فى مكة قبل الإسلام بهمة عالية ، ونفس أبيـــة فلقـــد صاحب الأخيار ، ولازم الأطهار . وحين ننظر فى أصحابه ومعاشريه نعرف معدنه وطبيعته ، لأن الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف .

وعلى رأس من صاحبهم أبو بكر قبل الإسلام محمد بن عبد الله ﷺ الـــذى اختاره الله فيما بعد ليكون رسولا للناس أجمعين ، وكان أبو بكر أول من آمن به لسابق معرفته به .

١- مواقف الصديق في مكة صـ٨ .
٢- تاريخ الخلفاء صـ٤٩ .
٣- كنز العمال جـ٢ صـ٤٨٨ .

١٠ــ التحلى بالفضائل والمكارم :

اتفقت أقوال كل من تحدث عن أبى بكر ﷺ على تميزة الواضح في الخير، وتحليه بالمكارم النبيلة، والفضائل العالية، والأوصاف الإنسانية الراقية.

ومن أوصافه التواضع ولين الجانب. فلم يتعال على أحد قط في جاهليته ولا في إسلامه ، وكان في خلافته أظهر تواضعا منه قبل ولايته الخلافة .

فإذا مدحه مادح قال: **اللهم أنت أعلم منى بنفسى.**

وإذا سقط منه خطام ناقته وهو راكب نزل منها ليأخذه ولم يأمر أحدا بمناولته إياه .

وبلغ من بغضه الخيلاء أنه كان يبغضها حتى بالقدر الذى يغتفره الناس من ربات الحجال .

دخل يوما على السيدة عائشة رضي الله عنها وهى تمشى وتنظر إلى ذيل ثيابها فقال : يا عائشة ! أما تعلمين أن الله لا ينظر إليك الآن ؟

قالت : **مم ذاك ؟**

قال: **أما علمت أن العبد إذا دخله العجب بزينة الدنيا مقته ربه عز وجل حتى يفارق تلك الزينة ؟**

فلما نزعت تلك الزينة التي أعجبتها وتصدقت بها قال : عسى ذلك يكفر عنك[1] .

ولم يكن تألفه الناس محض مجاملة باللسان كما يفعله معظم المشهورين بالتودد والمجاملة ، ولكنها كانت ألفة النجدة والكرم والسخاء ، ومع هذه المودة وهذه الألفة كانت فيه حدة يغالبها ولا يستعصى عليه أن يكبح جماحها ، وصف بها نفسه، ووصفه بها أقرب الناس إليه ،قال في خطبة من أوائل خطبه بعد مبايعته : " **اعلموا أن لى شيطانا يعترينى فإذا رأيتمونى غضبت فاجتنبونى ...** "

١- عبقرية الصديق صــ٧٩ .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : "**كان خيرا كله على حدة كانت فيه** " .

ومن مروءته أنه كان يتقى كل ما يورده موارد الشبهات. **دعاه رجل في الجاهلية أن يستصحبه لحاجة يعينه عليها، فرآه يمر في طريق غير التي يمر منها فسأله: أين تذهب ؟ وتترك هذه الطريق !؟**

قال الرجل : **إن فيها أناسا نستحى منهم أن نمر عليهم .**

قال رضي الله عنه : **تدعونى إلى طريق نستحى منها ؟ ما أنا بالذى أصاحبك .**

وما امتحن صدقه في شيء إلا كان صدقه أثبت وأقوى . **خطب رسول الله ابنته عائشة حين ذكرتها له خولة بنت حكيم. وكان المطعم بن عدى قد خطبها قبل ذلك لابنه، فقال أبو بكر لزوجه أم رومان: "إن المطعم بن عدى قد كان ذكرها على ابنه، والله ما أخلف أبو بكر وعدا قط ..."**

ثم أتى مطعما وعنده امرأته، فسأله : ما تقول في أمر هذه الجارية ؟

فأقبل الرجل على امرأته ليسألها : ما تقولين ؟

فأقبلت هي على أبى بكر تقول: لعلنا إن أنكحنا هذا الصبى إليك تصبئه وتدخله في دينك الذي أنت عليه .

فلم يجبها أبو بكر وسأل المطعم ابن عدى : ما تقول أنت ؟

فكان جوابه : إنها تقول ما تسمع[1] **.**

فتحلل أبو بكر رضي الله عنه عند ذلك من وعده ، ولم يتحلل منه قبل ذلك على ما في نسب الرسول من شرف ، وما في قلب أبى بكر من إعزاز لرسول الله يفوق كل إعزاز .

وكانت شجاعته كفاء صدقه ووفائه بوعده ، سواء منها شجاعة الرأى ، أو شجاعة القتال ، أو شجاعة العمل والسلوك . فلما أسلم لم يبال أن يعلن إسلامه وأن يجهر بصلاته ودعائه ، يصيبه في ذلك ما يصيب ، ولما وجب القتال كان هو أقرب المقاتلين إلى رسول الله في كل غزوة وكل مأزق من مآزق الجلاد .

١- عبقرية الصديق صـ٨٠ .

المبحث الثالث

أبـــو بكـــر رضي الله عنه

فى صحبة الحبيب المصطفى ﷺ فى مكة

عاش أبو بكر رضي الله عنه فى مكة معروفا بخلقه الكـريم ، ومتميـزا بـصفاته العالية ، يحبه من يعاشره ، ويألفه كل من يلتقى به ... وكان يصاحب الأخيار وعلى رأسهم محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ ولذلك كلفته خديجة رضـى الله عنها بالذهاب إلى ورقة بن نوفل ليستفسر عن سر ما حدث لمحمد ﷺ فى غار حراء يوم أن فاجأه جبريل عليه السلام بالوحى، فذهب إليه وطمأنها ، وكان رضي الله عنه أول الرجال إيمانا برسول الله ﷺ ، وتصديقا بدعوته .

عاش أبو بكر رضي الله عنه مسلما من أول الإسلام ، مـصاحبا لرسـول الله ﷺ ، ملازما له فى غدوه ورواحه ، معينا له فى نشر الإسلام ، وتبليغه بكـل مـا أمكنه ، ولكل من تمكن منه .

وقد سبق فى الكتب السابقة التى كتبتها عن تاريخ الدعوة فى عصر النبى ﷺ فى مكة وفى المدينة أن تحدثت عن دور أبى بكر رضي الله عنه فـى إطـار حركـة المسلمين بالدعوة ، والتضحية لها حتى استقرت ، وانتـشرت فـى الجزيـرة العربية ، ووصل نبؤها إلى العالم كله .

وكان أبو بكر رضي الله عنه خير صاحب لرسول الله ﷺ فى عصره فلمـا انتقـل رسول الله ﷺ إلى ربه سبحانه وتعالى . تحمل أبو بكر مـسئوليته ، ونهـض بالأمة بعد رسول الله ﷺ خليفة له بالحق ، وعلى منهج الله تعالى .

وفى هذا المبحث سأتناول بالتوضيح إسلام أبى بكر رضي الله عنه ودوره الإسلامى فى صحبة رسول الله ﷺ فى مكة قبل الهجرة مع التركيز على ما قدمه أبو بكر رضي الله عنه للإسلام لأن المجال هنا خاص بالحديث عن أبى بكر رضي الله عنه ...

وسيأتى المبحث مكونا من عدد من المسائل حيث تتناول كل مسألـة موضوعا

معينا . وهى :

ــ أولا ــ

إسلام أبى بكر رضي الله عنه

عاش أبو بكر رضي الله عنه قبل الإسلام متأملا فى كل ما يرى ويسمع ، فاستفاد بذلك من أسفاره ، وتجاراته ، وأصحابه ، وكاد أن يكون حنيفيا متفرغا للبحث عن الحقيقة إلا أنه اكتفى بالنظر والتأمل خلال عمله وتجارته .

وكثيرا ما التقى بـ " **بحيرا** " الراهب خلال أسفاره إلى الشام ، وفى واحدة من هذه اللقاءات **رأى رؤية قصها على بحيرا .**

فقال له بحيرا : **من أين أنت ؟**

قال أبو بكر : **من مكة**

قال بحيرا: **من أيها ؟**

قال أبو بكر : **من قريش**

قال " بحيرا : **فأى شئ تعمل ؟**

قال أبو بكر : **تاجرا**

قال بحيرا : **إن صدق الله رؤياك فإن الله يبعث نبيا من قومك تكون وزيره فى حياته ، وخليفته بعد مماته** [١] .

فأسر أبو بكر ذلك فى نفسه وعاد إلى مكة كما خرج منها ، ينظر ويتأمل ، ويحلل وينتظر ، و يفكر في أديان الناس و مذاهبهم ، ويتفحص القيم التي تغرسها الأصنام والأوثان في عقول المؤمنين بها .

عاش أبو بكر رضي الله عنه هذا الواقع فأبى أن يسجد لصنم أبدا ، وأمل في الوصول للحق يوما .

يقول أبو بكر رضي الله عنه : كنت جالسا بفناء الكعبة ، وكان زيد بن عمرو بن نفيل

١- الخلفاء الراشدون للأستاذ محمود شاكر صـ٣٤.

قاعدا ، فمر به أمية بن أبى الصلت فقال : **كيف أصبحت يا باغى الخير ؟**

قال: **بخير ...**

قال: **هل وجدت ... ؟**

قال: **لا . ولم آل من طلب ...**

فقال عمرو : **كل دين يوم القيامة إلا ما قضى الله والحنيفية بور .**

فقال زيد : **أما هذا النبي الذي ينتظر منا أو منكم أو من فلسطين .**

يقول أبو بكر : **ولم أكن سمعت قبل ذلك بنبى ينتظر أو يبعث ، فخرجت أريد ورقة بن نوفل ، فاستوقفته . وقصصت عليه الحديث .**

فقال : **نعم يا ابن أخى .أتى أهل الكتاب والعلماء بهذا إلا أن هذا النبي الذي ينتظر من أواسط العرب نسبا ، وقومك من أوسط العرب نسبا .**

فقال أبو بكر : **نعم يا عم وما يقول النبي ... ؟**

قال ورقة : **يقول ما قيل له إلا أنه لا يظلم ولا يظلم ولا يظالم ...**

يقول أبو بكر : **فلما بعث النبي آمنت به وصدقته**[١] .

وقد عاش أبو بكر البدايات الأولى فى الإسلام فالتقى بمحمد ﷺ لما بينهما من قرابة وصداقة ، و لما فى حياتهما من صدق وإخلاص ، و لما في قلوبهما من حب الخير للناس أجمعين ... ولذلك بادر أبو بكر إلى تصديق رسول الله ﷺ والدخول فى الإسلام ، فعندما فاتحه الرسول ﷺ بدعوة الله ، وقال له :

" **إنى رسول الله ونبيه ، بعثنى لأبلغ رسالته ، وأدعوك إلى الله بالحق ، فوالله إنه للحق ، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ، ولا تعبد غيره ، والموالاة على طاعته** "[٢] .

عندها أسلم أبو بكر رضي الله عنه بمجرد عرض الدعوة عليه ولم يتردد ، ولهذا قال ﷺ : **إن الله بعثنى إليكم فقلتم : كذبت . وقال أبو بكر : صدق**[٣] .

١- أسد الغابة جـ٣ صـ٢٠٧ .

٢- البداية والنهاية جـ٣ صـ٩ .

٣- صحيح البخارى – كتاب المناقب . باب مناقب أبى بكر جـ٦ صـ٨٢ .

وقيل : **إن أبا بكر حين سمع بخبر النبى ﷺ جاء إليه ، وآمن به** ، فلقد روى أنه ﷺ **قصد بعض الناس ودعاهم إلى الدخول فى الإسلام ، ولما وصل خبر ذلك إلى أبى بكر جاء إلى رسول الله ﷺ وسأله : يا أبا القاسم ما الذى بلغنى عنك ؟**

قال ﷺ : وما بلغك عنى .

قال أبو بكر : **بلغنى أنك تدعو الى توحيد الله ، وزعمت أنك رسول الله .**

قال ﷺ : **نعم يا أبا بكر ، إن ربى جعلنى بشيرا ونـذيرا ، وجعلنـى دعـوة إبراهيم ، وأرسلنى الى الناس جميعا .**

فقال أبو بكر : **والله . ماجربت عليك كذبا قط ، وإنك لخليق بالرسالة ، لعظم أمانتك ، وصلتك لرحمك ، وحسن فعالك مد يدك أبايعك.**

يقول رسول الله ﷺ : **ما كلمت أحدا في الإسلام الا راجعنى إلا ابن قحافة فإنى لم أكلمه فى شىء إلا قبله، واستقام**[١] **.**

وقد تحدث غير واحد من الصحابة عن سبق إسلام أبى بكر رضي الله عنه .

فعن على بن أبى طالب رضي الله عنه: **أول من أسلم من الرجال أبو بكر**[٢] **.**

ولما سئل ابن عباس رضي الله عنه : **من أول الناس إسلاما ؟ قال : أبو بكر**[٣] **.**

وقال زيد بن أرقم رضي الله عنه : **أول من صلى مع النبى ﷺ أبو بكر**[٤] **.**

ويقول حسان بن ثابت : **أبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الأحرار**[٥]**.**

وقد عارضت بعض الروايات ما جاء فى أن أبا بكر هو أول من أسلم مع رسول الله ﷺ فقال بعضهم : **أول من أسلم خديجة ...**

وقال بعضهم : **أول من أسلم على بن أبى طالب ...**

١- سيرة النبي جـ١ صـ٢٥٢ بتصرف .

٢- صفة الصفوة جـ١ صـ٢٣٧.

٣- ديوان حسان جـ١ صـ١٧.

٤- أسد الغابة جـ٣ صـ٢٠٦.

٥- البدء والتاريخ صـ٦٥.

وقال بعضهم : **أول من أسلم زيد بن حارثة .**

ناقش العلماء هذه القضية وجمعوا بينها جمعا حسنا ، يقول ابن كثير رحمه الله : والجمع بين الأقوال كلها أن خديجة أول من أسلم من النساء ـ وقيل من الرجال أيضا ـ وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة، وأول من أسلم من الغلمان علي بن أبي طالب ـ فإنه كان صغيرا دون البلوغ على المشهور ـ وهؤلاء كانوا آنذاك أهل بيته ﷺ ، وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق، وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدم ذكرهم إذ كان صدرا معظما، ورئيسا في قريش مكرما، وصاحب مال وداعية إلى الإسلام ، وكان محببا متآلفا يبذل المال في طاعة الله ورسوله[١] .

وفى سبق أبى بكر للإسلام دلالة واضحة على خيريته . وأصالته ، ونبل فطرته ... وصدق معه قوله ﷺ " **تجدون الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا** "[٢] .

فلقد فقه أبو بكر ودخل فى الإسلام فصان خيريته، وارتقى بها فى الإسلام إلى مصاف الصالحين الأتقياء.

إن الإنسان عقل وروح ، وعاطفة ووجدان تتبلور فى وسط مادى عملى ... والسعيد من تطهرت ماديته ، وسما عمله ، وحافظ بذلك على عقله المفكر وروحه الصافية، وحينئذ يرى العاطفة فى إنسانيتها ، ويشاهد الوجدان يسمو به إلى العلا ، ويعيش الحياة الهنية في أجمل حالاتها .

وأبو بكر رضي الله عنه من هذا الطراز الفريد ، الذى كتب الله له السعادة فعاش فى الدنيا مسلما . ولقى ربه على الصراط المستقيم سخر عقله لله ، ووجه روحه وعاطفته لحب الله ورسوله ﷺ ، وأخضع كل الماديات من حوله لخدمة غاياته العالية ، وأهدافه النبيلة الراقية ...

١- البداية والنهاية جـ٣ صـ٢٧ .

٢- صحيح البخارى – كتاب المناقب. باب فضل أبو بكر جـ٦ صـ٤ .

ـ ثانيا ـ

تضحيات أبى بكر رضي الله عنه

في مكة

كان أبو بكر رضي الله عنه أول الرجال الذين أسلموا ، وقد سر بذلك رسول الله ﷺ سرورا بالغا تقول السيدة عائشة رضى الله عنها : " **لما أسلم أبو بكر انطلق رسول الله ﷺ وما بين الأخشبين أحد أكثر سرورا من رسول الله ﷺ بإسلام أبى بكر** "[١] .

أخذ أبو بكر على نفسه أن يقوم بالدعوة مع رسول الله ﷺ ، وعلم بحق أن الإسلام علم وعمل ، وسعى وجهاد ، واتخاذ الدنيا طريقا للآخرة ، وأن الإنسان بإسلامه يتحول بكيانه، وحركته ، ونومه ،وصمته ، وسلوكه عبدا لله رب العالمين ، يعبده وحده ، ويعيش له ، ويموت من أجله ...

هذه الحقائق تعلمها أبو بكر رضي الله عنه والمسلمون معه من رسول الله ﷺ وهو يقرأ عليهم قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[٢] .

اهتم أبو بكر رضي الله عنه بأمر أهل بيته فكان أن دعاهم للإسلام فأسلموا ، وهم زوجته أم رومان ، وخادمه عامر بن فهيرة ، وأبناؤه أسماء ، وعبد الله ، وعائشة رضى الله عنهم.

ولم يكتف أبو بكر رضي الله عنه بإسلام أهل بيته ، وإنما نشط فى دعوة الآخرين بعد إسلامه مباشرة ، واستمر يناقش أصحابه حتى أسلم منهم الزبير بن العوام وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وعثمان بن أبى وقاص ، وعثمان ابن مظعون ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة

١ـ البداية والنهاية جـ٣صـ٢٩ (والاخشبان : جبلان حول مكة) .
٢ـ سورة الأنعام الآيات ١٦٢،١٦٣ .

ابن عبد الأسد، والأرقم بن أبى الأرقم رضي الله عنهم وقد دعاهم أبو بكر رضي الله عنه بمنهج المرحلة السرية ، الذى يقوم على تخير الأشخاص الذين يوجه إليهم الــدين ، ومناقشتهم بلين وهدوء ، وتعريفهم بما فى الإسلام من عقيدة صافية ، وإقنــاع سليم ....وبذلك يتحول كل مسلم إلى داعية لله تعالى بما يمكنه ، وفى المجــال الذى يقدر عليه.

رأى أبو بكر من كفار قريش عنتا وعدوانا وظلما يلحقونه بكل من أسلم ، فبذل جهده كله مخلصا لله تعالى ، وأخذ ينفق ماله في شراء الأرقاء المسلمين ويحررهم ، وينقذهم من مهانة الرق ، وذل السادة الطغاة ...

وقد اتخذ جهد أبى بكر رضي الله عنه محاور ثلاثة هى :

المحور الأول : تحرير المعذبين .

المحور الثانى : الدفاع عن النبى ﷺ .

المحور الثالث : تحمل الأذى في سبيل الله تعالى .

المحور الأول

تحـــرير المعـــذبين

دخل الضعفاء فى دين الله تعالى لما رأوا فيه من حرية ، وأخوة ، ومساواة وعدل . فلا فضل لعربى على أعجمى ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى .
وأخذ إيمان الضعفاء ظاهرة واسعة أقلقت سادة قريش ، وكبراءهـــا فقــرروا اضطهاد الضعفاء ، وإلحاق الأذى الشديد بهم لصرفهم عن الإسلام ، ولمنـــع أقرانهم من أن يفعلوا فعلهم ، ويدخلوا معهم فى دينهم .

رأى أبو بكر رضي الله عنه ما يلحق بإخوانه من العذاب والأسى ،و تدبر الأمر مع نفسه فوجد أكثر الضعفاء فى خدمة كفار مكة عبيدا عندهم ،وعلم أن تخليصهم يحتاج إلى بذل المال ، والتضحية بالممتلكات . فرضى بذلك وعمـــل لـــه ... وكان الله قد رزقه مالا وفيرا فى تجارته فخلص به هؤلاء العبيـــد المعـــذبين بسبب إسلامهم ، وحررهم لله رب العالمين .

من هؤلاء المعذبين **بلال الحبشى** رضي الله عنه ، وبلال هو ابن رباح مـــن أهـــل الحبشة جاء به التجار من موطنه ، وباعوه عبدا لـــ" أمية بن خلف" يرعى له غنمه نهارا ، ويعمل فى بيته ونشاطه ليلا ، وللعبيد فى مجتمع مكة عالمهم ، حيث يلتقون معا فى الصحراء وهم يرعون ويلعبون ، ويتسامرون فى وقـــت فراغهم ، ويتحدثون عن الأيام الخوالى والذكريات الماضية ، ويتدبرون أحيانا فى أمور حياتهم ، ويتأملون الكون من حولهم ولهم عقولهم وأرواحهم .

تأمل هؤلاء المعذبون فى أحداث مكة ، ونظروا فى دعوة محمد ﷺ فوقفوا على ما فيها من صدق ، وعلموا أنها طريقهم الصحيح إلى النجاة فى الـــدنيا ، والفوز فى الآخرة فآمنوا بالإسلام ، ودخلوا مع محمد ﷺ فى دينه . لم يرتض السادة ما آل إليه أمر الضعفاء فأخذوا فى اضطهادهم ، والعمل على إعـــادتهم إلى جاهليتهم ، ودفعهم إلى ترك الإسلام . وفى مقدمة هؤلاء الكفار " **أمية بن**

خلف " فإنه لما رأى عبده بلالا قد اتبع محمدا ، وأسلم راح يهدده ، ويغريه ليعود إلى الكفر مرة أخرى ... إلا أن بلالا أصر على " دينه وإسلامه ، وأخبر أمية بأن له عمله وبدنه ، أما قلبه وروحه فهى لله رب العالمين ...

اشتد حنق أمية على بلال ، وأخرجه إلى حر الظهيرة فى الصحراء ، ومنع عنه الطعام والشراب ثم ألقاه على ظهره على حصباء الجبل ، وأمر غلمانه بأن يقيدوه بالحبال ، ويضعوا على بطنه حجارة كبيرة تمنعه من الحركة ليحترق ظهره بالحصباء .

ثم أتاه وقال له: **لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ... فيأبى ذلك بلال ويقول : أحد أحد ...**

وظل هكذا حتى عجز عن النطق وأخذ يرفع سبابته لتأكيد إيمانه ، وتصديقه بالله الواحد الأحد .

علم أبو بكر بذلك فذهب إلى أمية بن خلف . وكان موجودا عند بلال وهو يعذب ، وناقشه فى الأمر .

قال أبو بكر : **ألا تتقى الله فى هذا المسكين ؟! حتى متى ؟!**

قال أمية: **أنت أفسدته فأنقذه مما ترى .**

قال أبو بكر : **أفعل ... عندى غلام أسود ، أجلد منه ، وأقوى ، وهو على دينك . أعطيكه به .**

قال أمية : **قد قبلت**

قال أبو بكر: **هو لك ...**

فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك وأخذ بلالا . وأعتقه [١].

وفى رواية أن أبا بكر رضي الله عنه اشتراه بسبع أواق أو بأربعين أوقية واعتقه بعد شرائه [٢] .

ذهب بلال رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ ولازمه فى دار الأرقم ، واستمر فى

١- السيرة النبوية جـ١ صـ٣١٨ .
٢- التربية القيادية جـ١صـ١٤٠ .

صحبة رسول الله حتى لقى الرسول ربه .

وبلال رضي الله عنه من رواد الإسلام والسابقين إليه ، يقول النبى ﷺ : **بلال سابق الحبشة .**

وقد استمر أبو بكر فى تخليص المعذبين فى مكة من الأرقاء والعبيد وشعر بالسعادة لهذا الدور العظيم فأخذ فى الإكثار منه ، حتى سمى "بعتيق العتقاء"[١] .

وممن أعتقهم أبو بكر رضي الله عنه **عامر بن فهيرة** أسلم فى مكة ، وأعتقه أبـــو بكر بعد شرائه من سيده ، وهاجر مع رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وشهد بدرا وأحدا واستشهد يوم بئر معونة [٢] .

ومن المعذبات فى الله **أم عبيس** ، كانت فتاة لبنى تيم بن مرة ، فأســلمت أول الإسلام ، فاستضعفها المشركون ،وعذبوها ، فاشتراها أبو بكر فاعتقها ، وكنيت بابنها عبيس بن كريز[٣] .

ومن المعذبات **زنيرة الرومية رضى الله عنها** ، أسلمت في أول الإسلام ، وكانت مولاة في بني مخزوم ، وعذبها المشركون لإسلامها ، وكان قد أصيب بصر زنيرة بعد إسلامها وعميت .

فقالت قريش : **ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى ؟**

فردت عليهم وقالت : **كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى ، وما تنفعــان وما تدرى من يعبدها ، و ربى قادر على رد بصرى ... فرد الله بصرها .**

فقالت قريش : **هذا من سحر محمد فاشتراها أبو بكر وأعتقها** [٣] .

وأعتق أبو بكر **النهدية وبنتها** ، وكانتا لإمرأة من بنى عبد الدار ، مر أبو بكر بهما، وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها ، وهى تقول: **والله لا أعتقكما أبدا .**

فقال أبو بكر رضي الله عنه : **حل يا أم فلان ... " أى تحللى من اليمين "**

فقالت : **حل أنت ، أفسدتهما فاعتقهما .**

١- عتيق العتقاء أبو بكرصـــ٣٩ بتصرف .

٢- السيرة النبوية جـــ١ صـــ٣١٨.

٣- أسد الغابة جـــ٦ صـــ١٢٧ ، السيرة النبوية جـــ١ صـــ٣١٨ .

فقال أبو بكر : **فبكم هما ؟**

فقالت : **بكذا ... وكذا**

فقال لها : خذى **ثمنهما ، وقد أخذتهما ، وهما حرتان ...**

ثم قال أبو بكر للنهدية وبنتها : **ارجعا إليها طحينها**

قالتا : **أو نفرغ منه يا أبابكر ثم نرده اليها !!**

قال : **وذلك ان شئتما ؟**[١]

فتحررتا فى رضى وسماحة ، ولم يفسدا للمرأة طحينها ، بل استمرتا معها حتى أسلمتاها طحينها .

وممن أعتقهم الصديق **جارية بنى مؤمل** ، حى من بنى كعب من مـرة ، حين مر عليها أبو بكر ، وعمر ابن الخطاب يضربها قبل إسلامه...

وكان عمر لا يترك ضربها إلا إذا مل وتعب ويقول لها : **إنى لم أتركك إلا ملالة .**

فتقول له : **كذلك فعل الله بك .**

وقد ابتاعها أبو بكر وأعتقها[٢] **.**

وقد تعجب القرشيون من صنيع أبى بكر ، ورأوه مضيعا للمال ، مفسدا للعبيد ، ولكنه ﷺ كان يفعل ذلك حقا لإخوانه ، وإنقاذا لهم من العنف والعذاب ، وإعلاء لكلمة الله ، والانتصار للإسلام دين الله للناس .

جاءه أبوه مرة وقال له : **يابنى إنى أراك تعتق رقابا ضعافا ، فلو أنك إذا فعلت اعتقت رجالا جلدا يمنعونك ، ويقومون دونك ؟**

فقال أبو بكر : **يا أبت إنى إنما أريد الله عز وجل**[٣] **.**

وعن الصديق ومواقفه ، وفى أمثاله نزل قول الله تعالى ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ**

١- أسد الغابة حـ٦صـ٤٥٨ ، السيرة النبوية جـ١ صـ٣١٩ .
٢- سيرة النبي حـ١صـ٣١٩ .
٣- سيرة النبي جـ١ صـ٣١٩ .

وَكَذَّبَ ﴿٨﴾ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ
عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ
إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ
﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾
وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾[١] .

١- سورة الليل الآية من ٥ : ٢١ .

المحور الثانى

الدفـــاع عن النبـــى ﷺ

آمن أبو بكر رضي الله عنه ، ودخل فى الإسلام ، وعاش مصاحبا لرســول الله ﷺ وباذلا فى صحبته كل ما أمكنه دفاعا عن رسول الله ﷺ ، وحرصا عليه مـــن أى سوء يلحق به من الكفار و المنافقين.

أخرج البخارى فى صحيحه أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال : **إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ذلك العبد ما عند الله .**

قال : فبكى أبو بكر . فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيــر ، فكان رسول الله ﷺ هو المخير ، وكان أبو بكر أعلمنا .

وبكى أبو بكر و قال : **فديناك يا رسول بآبائنا وأمهاتنا**[1] .

وفى هذا الحديث دلالة على حب أبـــى بكـــر لرســـول الله ﷺ واســـتعداده الصادق فى فدائه بنفسه وأبيه وأمه . وبكل ما يملكه . ولذلك قال ﷺ : **ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه عليها ماخلا أبا بكر ، فإن له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة**[2] .

وقد بذل أبو بكر رضي الله عنه كل ما أمكنه دفاعا عن رسول الله ﷺ .

يروى أنس بن مالك أنه قال : **لقد ضربوا رسول الله ﷺ مرة حتى غشي عليه، فقام أبو بكر** رضي الله عنه **فجعل ينادي ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم**[3] .

وفي حديث أسماء : فأتى الصريخ إلى أبي بكر وهو ينادى : **أدرك صاحبك** تقول أسماء : فخرج من عندنا وله غدائر أربع وهو يقول : **ويلكم أتقتلـــون رجلا أن يقول ربي الله .**

١- صحيح البخارى - كتاب الفضائل . باب فضل أبى بكر جـ٦ صـ٧٩ .
٢- سنن الترمذى - كتاب المناقب . باب مناقب أبى بكر جـ٥ صـ٦٠٩ .
٣- صحيح البخارى - كتاب الفضائل . باب فضل أبى بكر جـ٦ صـ٩٣ .

فلهوا عنه وأقبلوا على أبي بكر، فرجع إلينا أبو بكر فجعل لا يمس شيئا من غدائره إلا رجع معه [1] .

وفي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قام خطيبا وقال : **يا أيها الناس من أشجع الناس؟**

فقالوا : **أنت يا أمير المؤمنين**

فقال : **أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر، إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشا** فقلنا: **من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي عليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ، لا يهوى إليه أحد إلا أهوى إليه فهذا أشجع الناس .**

قال على : **ولقد رأيت رسول الله وأخذته قريش فهذا يحاده ، وهذا يتلتله ويقولون : أنت جعلت الآلهة إلها واحدا ، فوالله مادنا منه أحد إلا أبو بكر يضرب ، ويجاهد ، هذا يتلتل هذا، وهو يقول : ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ...**

ثم رفع عليٌّ بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟

فسكت القوم ، فقال علي: فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون ، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه [2] .

ولم يكن دفاع أبى بكر رضي الله عنه عن رسول الله قاصرا على رد العدوان عنه بل كان رضي الله عنه يؤازره فى دعوته ، ويصاحبه فى تنقله ، وحركته ، ويساعده بعلمه ، وفكره ، ويشاركه في صمته وخلوته .

لقد كان أبو بكر رضي الله عنه أعلم قريش بأنسابها ، وأعرفهم بأنسابها ، وبأصولها وبطونها ، وبكل ما يتصل بها ، وذلك أمر يؤدى إلى فهم النـــاس ، وتخيـــر

١- مناهج السنة جـ٣ صـ٤ ؛ فتح البارى جـ٧ صـ١٦٩ .

٢- البداية والنهاية جـ٣ صـ٢٧١، ٢٧٢.

طرق التعامل معهم ، وتحديد كيفية الوصول للغايات المرجوة منهم ، وكانت هذه المزايا بعض صفات أبي بكر رضي الله عنه .

ولذا رأيناه رضي الله عنه لا يبخل على الدعوة بشيء يعلمه ، فكان يسير مع رسول الله ﷺ يعرفه بالناس ، وأنسابهم ، وطبائعهم ، وذلك عمل له أهميته في الدعوة إلى الله تعالى ...

يقول على بن أبي طالب رضي الله عنه : لما أمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يعرض نفسه على القبائل خرجت وأبو بكر معه ... ثم قال : **ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليه السكينة والوقار .**

فتقدم أبو بكر فسلم فقال : **من القوم ؟**

قالوا : **شيبان بن ثعلبة ، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله ﷺ .**

وقال: **بأبي وأمي هؤلاء غرر الناس ، وفيهم مفروق ، قد غلبهم لسانا وجمالا ، وكانت له غديرتان تسقطان على تريبته ، وكان مفروق أدنى القوم مجلسا من أبي بكر .**

فسأله : **كيف العدد فيكم ؟**

فقال مفروق : **إنا لا نزيد على الألف ولن تغلب الألف من قلة .**

فقال أبو بكر: **وكيف المنعة فيكم .**

فقال مفروق : **إنا لأشد ما نكون غضبا حين نلقى ، وأشد ما نكون لقاء حين نغضب ، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد ، والسلاح على اللقاح ، والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا أخرى ، لعلك أخو قريش ؟**

فقال أبو بكر : **إن كان بلغكم أنه رسول الله ﷺ فها هو ذا ...!!**

فقال مفروق: **إلام تدعونا يا أخا قريش ؟**

فقال رسول الله ﷺ : " **أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأني عبد الله ورسوله ، وإلى أن تؤووني وتنصروني ، فإن قريشا قد تظاهرت على الله ، وكذبت رسوله ، واستغنت بالباطل عن الحق ، والله هو الغني الحميد** " .

فقال مفروق : وإلام تدعو أيضا يا أخا قريش ، فوالله ما سمعت كلاما أحسن من هذا ؟

فتلا رسول الله ﷺ قوله تعالى ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) ﴾[1] .

فقال مفروق : **دعوت والله إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك .**

ثم رد الأمر إلى هانىء بن قبيصة فقال: **وهذا هانىء شيخنا وصاحب ديننا .**

فقال هانىء : **قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، وإني أرى تركنا ديننا، واتباعنا دينك لمجلس جلست إلينا ، لا أول قبله ولا آخر بعده لذل في الرأي ، وقلة نظر في العاقبة، إن الزلة مع العجلة، وإنا نكره أن نعقد على من وراءنا عقدا ، ولكن نرجع وترجع وننظر .**

ثم كأنه أحب أن يشركه المثنى بن حارثة فقال : **وهذا المثنى شيخنا ، وصاحب حربنا .**

فقال المثنى ــ أسلم بعد ذلك ــ : **قد سمعت مقالتك يا أخا قريش ، والجواب فيه جواب هانىء بن قبيصة في تركنا ديننا ومتابعتنا دينك، وإنا إنما نزلنا بين صيرين أحدهما اليمامة والأخرى السمامة .**

فقال رسول ﷺ : **"وما هذان الصيران " ؟ .**

فقال له : **أما أحداهما فطوق التزيد أي ما أشرف من الأرض . وأرض العرب وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى ، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثا ، ولا نؤوي محدثا، ولعل هذا الأمر الذي تدعو إليه تكرهه الملوك، فأما ما كان مما يلي على بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور ،**

١ـ سورة الأنعام آية ١٥١.

وعذره غير مقبول ، فإن أردت أن ننصرك مما يلي العرب فعلنا .

فقال رسول الله ﷺ : **"ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله عز وجل لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله تعالى أرضهم وديارهم ويفرشكم نساءهم،أتسبحون الله وتقدسونه " ؟**

فقال النعمان : **اللهم فلك ذاك**[1] .

وهكذا أفاد أبو بكر رضي الله عنه الدعوة بما علمه من علوم إذ كان يذكره لرسول الله ﷺ قبل مواجهة المدعوين ، ولحرص أبى بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ نجده يعين الرسول ﷺ ويمهد له حيث يبدأ الناس بالحديث .

كان أبو بكر خطيبا مفوها له القدرة على توصيل المعانى إلى الناس فكان يخطب بين يدى رسول الله ﷺ ليعرف المستمعين أهمية ما سيذكره لهم رسول الله ﷺ .

وكان لجهود أبى بكر رضي الله عنه وإخلاصه أن قال عنه رسول الله ﷺ حينما سأله عمرو بن العاص قائلا : **يا رسول الله ﷺ ، أى الرجال أحب إليك ؟**

قال ﷺ : **أبو بكر**[2]

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " **أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ** "[3] .

١- البداية والنهاية جـ٣ صـ١٤٢ ، ١٤٥ بتصرف .

٢- صحيح البخارى – كتاب الفضائل . باب فضل أبى بكر جـ٦ صـ٨٣ .

٣- سنن الترمذى – كتاب المناقب . باب مناقب أبى بكر جـ٥ صـ٦٠٦.

المحور الثالث

تحمل الأذى في سبيل الله تعالى

انتظر القرشيون أن يكون أبو بكر معهم في حرب محمد ، والوقوف ضد دعوته ، لكنه ﷺ خيب ظنهم ، وأسرع إلى الإيمان والإسلام ، وتحمل في ذلك الأذى والعنت ... فقد ضربه الكفار بانفعال ، وحثوا وجهه بالتراب ، وجرحوا رأسه حتى غطى الدم وجهه ، وظن القوم أنه مات ... تروي السيدة عائشة رضي الله عنها : " **أنه لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ألح أبو بكر** رضي الله عنه **على رسول الله ﷺ في الظهور** " .

فقال ﷺ : **يا أبا بكر إنا قليل.. فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ ، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد، كل رجل في عشيرته .**

وقام أبو بكر في الناس خطيبا ورسول الله ﷺ جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله تعالى،وإلى رسول ﷺ ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضربوه في نواحي المسجد ضربا شديدا ، ووطيء أبو بكر ، وضرب ضربا شديدا، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه، ونزا على بطن أبي بكر رضي الله عنه ، حتى ما يعرف وجهه من أنفه .

وجاءت بنو تيم يتعادون ، فأجلت المشركين عن أبي بكر، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ، ولا يشكون في موته، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: **والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة (والده) وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب .**

فتكلم آخر النهار فقال : **ما فعل رسول الله ﷺ ؟** فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه، وقالوا لأمه أم الخير: **أنظري أن تطعميه شيئا أو تسقيه إياه .**

فلما خلت به ألحت عليه ، وجعل يقول: **ما فعل رسول الله ﷺ ؟**

فقالت: **والله مالي علم بصاحبك .**

فقال: **اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل .**

فقالت لها : **إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله ؟**

فقالت أم جميل : **ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك ؟!**

قالت: **نعم**

فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا دنفا ، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح ، وقالت : والله إن قوما نالوا منك لأهل فسق وكفر، إني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم .

قال أبو بكر: **فما فعل رسول الله ﷺ ؟**

قالت أم جميل: **هذه أمك تسمع .**

قال: **فلا شيء عليك منها .**

قالت: **سالم صالح .**

قال: **أين هو؟**

قالت: **في دار الأرقم .**

قال: **فإن لله علي أن لا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا أو آتي رسول الله ﷺ ، فأمهلتاه حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس، خرجتا به يتكىء عليهما، حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ ، فأكب عليه رسول الله فقبله، وأكب عليه المسلمون ، ورق له رسول الله ﷺ رقة شديدة.**

فقال أبو بكر: **" بأبي وأمي يا رسول الله، ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي ، وهذه أمي برة بولدها وأنت مبارك فادعها إلى الله ، وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار . فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت "[١] .**

١ـ البداية والنهاية جـ٣ صـ٣٠ ، السيرة النبوية لابن كثير جـ١ صـ٤٣٩ .

ومن شدة إيذاء القوم له هم بالهجرة إلى الحبشة مع من هاجر إليها إلا أن ابن الدغنة لقيه عند "برك الغماد " فقال له : **أين تريد يا أبا بكر ؟**

فقال أبو بكر : **أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي .**

قال ابن الدغنة : **فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج ، إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم ، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق . فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك .**

فرجع ، وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش، فقال لهم: **إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج – أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ، ويصل الرحم ، ويحمل الكل ، ويقري الضيف ، ويعين على نوائب الحق ؟**

فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة ، وقالوا لابن الدغنة : **مر أبا بكر فليعبد ربه في داره، فليصل فيها ، وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ، ولا يستعلن به ، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا .**

فقال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر ، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ، ولايستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره. ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجدا بفناء داره، وكان يصلي فيه ، ويقرأ القرآن ، فيتقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، وهم يعجبون منه، وينظرون إليه[١] .

وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم فقالوا: **إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه ، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمته ، فإنا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا بمقرين لأبي بكر الاستعلان .**

١- سيرة النبي لابن هشام جـ١ صـ٣٧٣ .

قالت عائشة : فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال : **قد علمت الذي عاقـدت لك عليه ، فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إلي ذمتي ، فإني لا أحـب أن تسمع العرب أنى أخفرت في رجل عقدت له .**

فقال أبو بكر : **فإني أرد إليك جوارك، وأرضى بجوار الله عز وجل .**

وحين خرج أبو بكر من جوار ابن الدغنة ، لقيه سفيهٌ من سفهاء قريش وهو عامد الى الكعبة فحثا على رأسه ترابا، فمر بأبي بكر الوليد بن المغيرة ، أو العاص بن وائل .

فقال له أبو بكر رضي الله عنه : **ألا ترى ما يصنع هذا السفيه ؟**

فقال: **أنت فعلت ذلك بنفسك .**

فقال أبو بكر : **أى ربي ما أحلمك ، أى ربى ما أحلمك ، أى ربى ما أحلمك**[1].

وفى هذه القصة دلالة واضحة على ما بذله أبو بكر رضي الله عنه في سبيل الله ، ومن أجل إعلاء دينه في الأرض .

ومن فقه هذه الحادثة ضرورة التعامل مع الواقع، وقبول التعامل مع الآخر، ومهادنة العدو إذا كانت هي الطريق الوحيد والأمثل للمحافظة على دين الله تعالى، والانتصار له بين الناس .

إن إعلان الحقيقة في رفق وهدوء ، بعيداً عن الإفراط أو التفريط يحتاج إلى من يؤمن بها ، ويجتهد في التحرك بها في إطار الواقع الذي يحتاج إليها بلا تصادم معه .

١- البداية والنهاية جـ٣ صـ٩٥ .

ـ ثالثا ـ

القيـــام بواجــب الدعــوة

في مكة قبل الهجرة

دخل أبو بكر رضي الله عنه فى الإسلام،والتزم من اللحظة الأولى بواجبه تجاه الدعوة إليه، وأدرك أهمية هذا الواجب من قوله تعالى ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[١] .

فقام به خير قيام رغم المشاق والمصاعب التى عاشها المسلمون فى مكة قبل الهجرة .

وكان أبو بكر خير داعية للإسلام بعد رسول الله ﷺ لأنه أحاط بمتطلباتها ، ووقف على فنية الحركة بها من رسول الله ﷺ .

علم أبو بكر رضي الله عنه إلى أن الدعوة إلى الإسلام تحتاج إلى فهم دقيق لــدين الله تعالى كما جاء الوحى به ...

كما تحتاج لمؤمن صادق يتصف بالــصدق والــشجاعة والإخــلاص ... ويتفانى فى العمل له ، ويتحمل كل التضحيات من أجله ...

ويحتاج كذلك إلى معرفة الواقع البشرى الذى يتحرك خلاله الداعية بدعوته.

إن الداعية إذا أتقن هذه الجوانب علما وتطبيقا فإنه يصل بالإسلام للنــاس نقيا واضحا كما أنزله الله تعالى ...

وحينئذ يقتنع به الناس ، ويؤمنون به ، ويعلمــون أن الخــلاص والنجــاة والفوز في إتباعه .

ولقد أحاط أبو بكر رضي الله عنه بكل هذه الجوانب فهو الفهامة الدقيق ، والعاقــل الأريب . يسمع القول ، و يفهم معناه ، ويدرك له دلالاته الظاهرة والخفيــة ، ويلتزم بأصول الإسلام وفروعه كما سمعه وفهمه من رسول الله ﷺ .

١- سورة آل عمران آية ١٠٤ .

ولقد تميز أبو بكر بشخصية فريدة فهو الشجاع الذي لا يخاف فى الحــق لومة لائم .

وهو الحليم الذى يحافظ على غيره من المسلمين ...

وهو الصادق الذي يبذل كل ما يمكنه من أجل ما يؤمن به .

وهو المحب الذي أفنى عمره في طاعة الله و رسوله .

وهو المخلص الذى يقصد فى كل عمله وجه الله تعالى ...

وهو القنوع الذى يدرك أن الآخرة خير من الأولى .

ولقد عاشر أبو بكر الناس ، وخالطهم ، ووقف على عاداتهم ، وتقاليدهم ، وعلم طبائعهم وتوجهاتهم، وشاركهم في أفراحهم و قضاياهم ، وزاملهم فــي حلهم وترحالهم .

فلا عجب أن كان أبو بكر هو خير الدعاة . وهو أول الدعاة بعد رســول الله ﷺ. وما أشرت إليه من صفات ومزايا فى أبى بكر رضي الله عنه لم يكــن حــديثا نظريا ، وإنما هو منطق الواقع ، وشواهد التطبيق و لسان الحال و الأفعال .

يروى الترمذى بسنده عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : " **لا ينبغى بقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره** "[1] فهو أحفظهم لكتــاب الله تعــالى يقول ابن كثير رضي الله عنه : **الصديق أعلم الصحابة بكتاب الله تعالى لأنه ﷺ قدمه إماما للصلاة** "[2] ...

ويقول الإمام النووى : "**الصديق أحد الصحابة الذين حفظوا القرآن كله**" [3] .

ويقول السيوطى : كان الصديق أعلم الصحابة بالسنة، فطالمــا رجــع إليــه الصحابة من غير موضع ليعرفهم بنقل سنة عن النبــي ﷺ يحفظهــا هــو ، ويستحضرها عند الحاجة إليها وليست عندهم،وكيف لا يكون كذلك وقد واظب

١- سنن الترمذى – كتاب المناقب . باب مناقب أبى بكر جـ٥ صـ٦١٤.

٢- البداية والنهاية جـ٥ صـ٢٠٧.

٣- التهذيب جـ٢ صـ١٩١.

على صحبة الرسول ﷺ من أول البعثة إلى الوفاة [١] ؟!!

ومن أمثلة ذلك حديث " **الأئمة من قريش** "[٢] .

وحديث " **ما دفن نبى إلا في مكانه الذي توفى فيه** "[٣] .

ينقل الحافظ ابن حجر الهيثمى عن ابن زنجويه قوله في الحديث السابق :

هذه سنة تفرد بها الصديق من بين المهاجرين والأنصار، ورجعوا فيها إليه.[٤]

ولكن لماذا لم يرو الصديق رضي الله عنه أحاديث كثيرة ... ؟؟

أجاب السيوطى عن ذلك فقال: وإنما لم يرو عنه من الأحاديث المسندة إلا القليل:

١- لقصر مدته التي عاشها .

٢- وسرعة وفاته بعد النبى ﷺ .

٣- ولانشغاله بعد رسول الله ﷺ بشئون الخلافة ، وحرب المرتدين ، وفتح فارس والروم .

٤- وعدم حاجة الصحابة لمن يروى لهم أحاديث تفرد بها لمعاصرتهم رسول الله ﷺ وسماعهم منه ﷺ .

وإلا فلو طالت مدته ، وتفرغ للرواية لكثر ذلك عنه جداً، ولم يترك الناقلون عنه حديثاً إلا نقلوه. ولكن كان الذين في زمانه من الصحابة لا يحتاج أحد منهم أن ينقل عنه ما قد شاركه هو في روايته، فكانوا ينقلون عنه ما ليس عندهم، ثم أخرج السيوطى ما وصله من أحاديث الصديق رضي الله عنه حديثاً حديثاً[٥] .

وكان أبو بكر رضي الله عنه يفتى فى حضرة النبى ﷺ ويصدقه الرسول فى فتواه ...

من ذلك ما رواه البخارى بسنده عن أبى قتادة . قال: **خرجنا مع رسول الله ﷺ**

١- تاريخ الخلفاء صـ٣٩.

٢- مسند الإمام أحمد جـ٣ صـ١٢٩ .

٣- موطأ مالك . كتاب الجنائز باب ما جاء في دفن الميت جـ١ صـ٢٢٩ .

٤- الصواعق المحرقه صـ٨٣ وما بعدها .

٥- تاريخ الخلفاء صـ٤٢، ٨٦ .

عام حنين ، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة ، فرأيت رجلا من المـــشركيين قد علا رجلا من المسلمين، فضربت من ورائه على حبــل عاتقـــه بالـــسيف فقطعت الدرع ، وأقبل عليَّ فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت، ثم أدركه الموت فأرسلنى، فلحقت عمر فقلت: ما بال الناس؟

فقال عمر: **أمر الله عز وجل .**

ثم رجعوا لمجلس رسول الله ﷺ فقال ﷺ :**"من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه"**

فقلت : **من يشهد لى ؟ ثم جلست**

فقال النبى ﷺ : **مثله**

فقلت : **من يشهد لى؟ ثم جلست**

فقال النبى ﷺ : **مثل قوله**

فقمت فقال ﷺ : **"مالك يا أبا قتادة "؟**

فأخبرته

فقال رجل : **صدق وسلبه عندى فأرضه منى**

فقال أبو بكر : **لاها و الله إذا لا يعمد إلى أسد من أسد الله يقاتـــل عـــن الله ورسوله فيعطيك سلبه .**

فقال النبى ﷺ : **صدق فأعطه سلبه فأعطانيه "** [١].

يقول ابن عمر رضي الله عنه: **" لو لم يكن لأبى بكر من فضيلة إلا هذا لكفاه "** [٢]

فقد أفتى فى حضرة المصطفى ﷺ واستند في فتواه بما حفظه عن رسول الله ﷺ ، وأقره النبى ﷺعلى ما أفتى به " .

ونلحظ أن أبا بكر رضي الله عنه كان خبيرا بواقع الناس ، مطلعا علـــى طبائعهـــم محيطا بما يتأثرون به ، ولذلك رأيناه فى دعوته أصحابه يتبع وسائل وأساليب لها تأثيرها فيمن يدعوهم .

١- صحيح البخارى - كتاب المغازى. باب قول الله تعالى"ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم"جـ٧ صـ٢٥، ٢٦.

٢- الصواعق المحرقة صـ٨٣ .

اختار أولا من يدعوهم خلال المرحلة السرية للدعوة ، وقد قـام اختيـاره على طبيعة الأفراد حيث تميز كل منهم بلين الجانب ، والميل إلى الـصمت ، واعتزال الآخرين ... وهذا مفيد في هذه المرحلة لأنهـم إن أسلمـوا أفـادوا واستفادوا ، وان لم يسلموا سكتوا وصمتوا .

كما أقام دعوته الأولى على المواجهة الفردية المباشرة القائمة على الحوار والمناقشة واستخراج الدليل من قناعة المستمع وحسن عرض المتحدث .

وفى هذا الإطار الفردى تمكن أبو بكر ﷺ من نقد ما عليه الناس مـن أباطيل ، وبيان أهمية الترقى فى الاعتقاد وضرورة الوصـول إلـى الـدين الصحيح .

وكان أبو بكر ﷺ يعرف لنفسه حدود ما يقدر عليه ، ولـذلك كـان إذا اقتنع أحد أصحابه بدعوته أتى به إلى رسول الله ﷺ حيث كان يتخفى فى دار الأرقم لينال شرف الصحبة ، وينهل من أنوار الوحى ، وإلهامات النبوة .

وكان أبو بكر فى دعوته شجاعا لإيهاب ، مقداما لا يتردد ، متوكلا علـى الله تعالى وموقفه فى الدفاع عن رسول الله ﷺ شاهد على صلابته ، وشجاعته. وكما دعا الأفراد نراه ﷺ قد دعا الجماعة ، واتجه إليهم بخطبه وكلماته .

ولم يكتف بالدعوة القولية بل كان سلوكه وعمله ﷺ دعوة عملية تبعهـا من يراه أو يعاشره . فلقد كان أبو بكر ﷺ رجلا مألفا لقومه ، محببا فيهم ، سهلا ، أنسب قريش ، وأعلمهم بالأنساب ، وكان رجال قومه يأتونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجارته . وحسن أخلاقه و مجالسه[1] ...

وكان كريما سخيا ، يبذل المال ، وكانت له بمكة ضيافات لا يفعلها أحـد سواه وكان خطيبا بليغا[2] ...

وقد ساعدته كل هذه الصفات ليقوم بدعوة غيره ، ويؤدى واجب الإسلام على الوجه المطلوب .

١- السيرة النبوية لابن هشام جـ١ صـ١٤٦.
٢- السيرة الحلبية جـ١ صـ٤٤٢.

ـ رابعا ـ

أبــو بكــر رضي الله عنه

ومعجزة الإسراء و المعراج

استمر أهل مكة على ضلالهم وتعنتهم وظلمهم ، وحاولوا بكل إمكانـــاتهم صرف المسلمين عن الإسلام .

وقد هيأ الله سبحانه وتعالى بفضله أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها **وأبا طالب** عم رسول الله في المرحلة الأولى في مكة لحمايته ﷺ ، ومعاونته .

واستمر الوضع هكذا إلى أن حان أجل خديجة و أبى طالب فلقيا ربهما في عام واحد ، سماه رسول الله ﷺ عام الحزن لفقدهما معا خلال مدة وجيزة .

اشتد حزن النبي ﷺ ، وحاول أن يستعيض عنهما بغير أهل مكة فعــرض نفسه على مختلف القبائل ، وذهب إلى ثقيف بالطائف طالبا منهم الدخول في الإسلام ، والهجرة إليهم لنشر ديــن الله فلم يوافقوه ، ورده كثيــر مــنهم ردا قبيحا.

تألم النبي ﷺ لموقف القبائل وثقيف ، واشتد حزنه ، فكان أن حدثت معجزة الإسراء والمعراج أنسا له ، وإعلاما له بمنزلته عند الله ، وبيانــا لقــدرة الله العجيبة التي لا يحدها مكان ، ولا يؤثر فيها زمان ...

والإسراء هو الانتقال ليلا من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقــصى ببيت المقدس ...

والمعراج هو الصعود من بيت المقدس إلى السموات العلا حيــث ســدرة المنتهى وجنة المأوى [1].

وقد وقعت الإسراء والمعراج في ليله واحدة ، فبات النبي ﷺ ليلته و أخــذ يحدث أهل مكة في الصباح عن رحلته إلى بيت المقدس وعروجه إلى ســدرة

١- أنظر الكتاب الثاني السيرة النبوية والدعوة في العهد المكى صـــ٣٨٥-٤٠٩

المنتهى فدهش الناس ، وتردد بعض المسلمين ، وارتد آخرون كانوا قد أعلنوا إسلامهم ..

ورأى الكفار في الأمر فرصتهم لتكذيب محمد ﷺ ، ظنا منهم أن أخبار الإسراء والمعراج غير صادقة ، وأنها من اختراع محمد ﷺ .

حاول كفار مكة أن يحدثوا انقلابا بين المسلمين ، ويظهروا تأثيرا في الناس لمعارضة محمد ﷺ بإظهار كذبه كما تصوروا .

قالوا لمحمد ﷺ ، وأشاعوا هذه المقالة بين الناس قالوا : **كل أمرك كان قبل اليوم أمما ، غير قولك اليوم ، إنا نشهد أنك كاذب و نحن نضرب أكباد الابل إلى بيت المقدس شهرا و تأتيه أنت في ليلة ... !!!**

روى البيهقي بسنده عن عباس أنه قال رسول الله ﷺ : "**لما كانت ليله أسري بي، ثم أصبحت بمكة، فظعت بأمري، وعلمت بأن الناس يكذبوني**".

فقعدت معتزلا حزينا، فمر بى أبو جهل، فجاء فجلس فقال كالمستهزىء : هل كان من شيء ؟

فقال له رسول الله ﷺ : **نعم**

قال أبو جهل : **ما هو؟**

قال ﷺ : **إني أسري بي الليلة .**

قال أبو جهل : **إلى أين؟**

قال ﷺ : **إلى بيت المقدس .**

قال أبو جهل : **ثم أصبحت بيت أظهرنا !**

قال ﷺ : **نعم**

فلم ير أبو جهل أن يكذبه مخافة أن يجحده الحديث، فقال: **أرأيت إن دعوت إليك قومك أتحدثهم بما حدثتني ؟**

قال : **نعم**

فدعا قومه فقال : **يا معشر بني كعب يا بنى لؤي هلم ، فانتفضت المجالس ، فجاؤوا حتى جلسوا إليهما .**

فقال أبو جهل : **حدثهم**

فقال رسول الله ﷺ : **إني أسري بي الليلة**

قالوا : **إلى أين ؟**

قال: **إلى بيت المقدس**

قالوا: **ثم أصبحت بين ظهرانينا !**

قال: **نعم**

فدهش الناس ما بين مصفق ، وواضع يده على رأسه ، و مستعجب للكذب .

ويلاحظ أن أبا جهل و الكفار من بعده ركزوا تكذيبهم على رحلة الإسراء ولم يتحدثوا عن رحلة المعراج مع أنها أكثر غرابة ، و أشد دهشة ، وذلك لسابق معرفة قريش بالطريق ، و معرفة المدة التي يستغرقها السفر إلى بيت المقدس ، الأمر الذي يساعد على تكذيب ما يسمعون.

لم يتأثر الرسول ﷺ بمعارضة القوم ، و استمر في حديثة الصادق ، فقالوا له : **هل تستطيع أن تنعت المسجد ...**

يقول ﷺ : **فذهبت أنعت ، فما زلت حتى التبس عليَّ بعض النعت ، ... فجيئ بالمسجد حتى وضع أمامى ... فنعته و أنا أنظر إليه .**

فقالوا : **أما النعت فقد و الله أصاب**[1] .

يروى البخارى بسنده عن أبى سلمة جابر بن عبد الله : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : **لما كذبتنى قريش قمت في الحجر فجلىَّ الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن أياته ، و أنا أنظر إليه** [2] .

ثم قدم النبي ﷺ دليلا أخر على صدقه فقال لهم : **إني مررت بعير لكم بمكان كذا .**

١- سير أعلام النبلاء جـ١ صـ٢٠٣ قسم السيرة النبوية .
٢- صحيح البخارى - كتاب التفسير . باب قوله تعالى اسرى بعبده ليلا جـ٧ صـ١٨٥ .

وقد أضلوا بعيرا لهم ، فجمعه فلان ، وإن مسيرتهم ينزلون بكذا، ثم كذا ، ويأتونكم يوم كذا، يقدمهم جمل أدم ، عليه مسح أسود، وغرارتان سوداوان.

فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حتى كان قريب من نصف النهار حين أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل، فسألوا الركب عن الأحداث المذكورة فصدقوا بها ، و أكدوا وقوعها .

وأراد المشركون صرف الصديق عن رسول الله ﷺ ، فسعوا إليه قائلين له: **هل لك في صاحبك ، يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس .**

قال أبو بكر : **أو قال ذلك .**

قالوا : **نعم**

قال أبو بكر رضي الله عنه: **لئن قال ذلك فقد صدق**

قالوا : **وتصدقه**

قال أبو بكر : **نعم إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء في غدوه أو رواحه** [1] .

ويشير موقف أبى بكر رضي الله عنه هذا إلى عدة جوانب في شخصية أبى بكر رضي الله عنه

أهمها :

أـ قوة الإيمان :

تردد كثير من المسلمين في التصديق بمعجزة الإسراء و المعراج ، وارتد آخرون لغرابتها ، وعدم خضوعها لمنطق عقولهم ، بينما صدق أبو بكر بلا تردد ، مستدلا بأمر بدهى وهو أنه يصدقه في نزول الوحي ، و تلقى كلام الله تعالى في أية لحظة ،وفى أى موقف، وهذا من قوة إيمانه رضي الله عنه .

ب ـ قوة الشخصية :

واجه أبو بكر رضي الله عنه معارضة المشركين والمرتدين من المسلمين بقوة إيمانه ، و لم يتأثر برأى الجمهور ، ولم يتبع كلام المرتدين ، وإنما أعلن

---

١ – السيرة النبوية جـ١ صـ٣٩٩ .

رأيه القوى على الملا ، وهذا من قوة شخصيته رضي الله عنه .

ج ــ دقتة وحكمته :

اتصف أبو بكر بالدقة والفطانة ، والحكمة في اتخاذ القرار، وذلك أن إيمانه وشخصيته ، اعتمدتا على فكر سديد ، وعقل حكيم ، مع البعد التام عن التعصب والعشوائية ... يدل على ذلك ما حدث منه في يوم الإسراء ، **فلقد أتى أبو بكر رسول الله ﷺ قبل حديث الناس وسأل : أين كنت الليلة يا رسول الله ﷺ ، فقد التمستك في مظانك ...**

قال ﷺ : أتيت بيت المقدس الليلة .

قال أبو بكر : إنه مسيرة شهر فصفه لى .

يقول النبي ﷺ : ففتح لى صراط كأنى أنظر إليه ، لا يسألنى عن شئ إلا أنبأته عنه ...

فقال أبو بكر رضي الله عنه : أشهد أنك رسول الله . و أنك صادق[1] .

فدل ذلك على دقة أبى بكر وحكمته ... فهو لم يسأل لشك أو تردد ، وإنما سأل ليزداد يقينه . فهو يعلم أن رسول ترك مكانه في تلك الليلة حيث التمسه ولم يجده .

ويسأل بمواطن الصدق والأمانة مناديا : **يا رسول الله .**

إن الرجل العظيم يتعامل مع كل المواقف بما يناسبها ، لا يتأثر بغيره ، ولا يميل لسواه ، وإنما ينبع قوله من قناعته وإيمانه .

وعلى رأس العظماء أبو بكر . وموقفه في يوم الإسراء والمعراج دليل على مزاياه التي متعه الله عز وجل بها .

١- دلائل النبوه جـ٢ صـ٣٥٧.

المبحث الرابع

أبـــو بكـــر رضي الله عنه

فى صحبه الحبيب المصطفى ﷺ

فى المدينة المنورة

استمر أبو بكر رضي الله عنه فى مكة مع رسول الله ﷺ ولم يهاجر إلى الحبـــشة ، وعاش مع المسلمين فى مكة يدافع عنهم ، ويعمل لحماية رسول الله ﷺ متحملا المصاعب والمشاق ، باذلا من نفسه وماله كل ما أمكنه رضي الله عنه من أجل الإسلام والمسلمين .

وقضى الله لرسوله وأصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة فأمر الرسول ﷺ أصحابه بالهجرة إلى " يثرب " المدينة التى نورها الله تعالى بهجرة المصطفى إليها ... وقد أبقى الرسول أبا بكر معه في مكة ليصاحبه فى الهجرة . وكـــان للصديق فى الهجرة دور هام سجله القرآن الكريم له ، ووعته العقول المؤمنة عبرة ودرسا على الزمن كله .

وإنى أعتبر الهجرة إلى المدينة المنورة بداية المرحلة المدنية ، ولذلك حين نتحدث عن أبى بكر رضي الله عنه فى صحبة المصطفى فى المدينة المنورة فإننا نبـــدأ من أحداث الهجرة ونستمر في سيرة أبى بكر رضي الله عنه حتى انتقال رسول الله ﷺ إلى ربه سبحانه وتعالى .

لقد تضمن الكلام فى تاريخ الدعوة خلال عصر النبى ﷺ دور أبى بكـــر فى حركة الدعوة ... ومع هذا فإنى هنا وأنا أتحدث عن عصر أبى بكر أتناول سيرة أبى بكر وأعماله مع رسول الله ﷺ توطئة أساسية لنعرف تاريخ الدعوة وأحوال المسلمين خلال خلافة أبى بكر رضي الله عنه ... وحتى تكون سيرة الـــصديق

عبرا ودروسا للمسلمين عموما ، ولأولى الرأى فى الأمة الإسلامية على وجه الخصوص .

إن مدة خلافة الصديق ، وفترة قيادته للأمة بعد رسول الله ﷺ ليست منفصلة عن عصر رسول الله ﷺ ، لقرب العهد برسول الله ﷺ وتعلق الصحابة بحبيبهم المصطفى ﷺ ، ودقتهم في ترسم خطوط حبيبهم ، وكان يكفى الواحد منهم أن يدرك أن هذا الأمر شرعه رسول الله ﷺ ليقوم به ، لقد ربى محمد ﷺ أصحابه ، وجلى لهم الطريق ، وأوصاهم بمواصلة السير على درب الإسلام ومنهجه ، ولذلك تمكنوا من إخراج خير أمة للناس عمليا ، ومكنوا لها من جنبات الأرض ، وصدق في أصحاب النبى ﷺ قوله تعالى ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾

وسيأتى هذا المبحث مكونا من القضايا التالية :

الأولى : هجرة أبى بكر مع المصطفى ﷺ .

الثانية : ملامح شخصيته فى المدينة المنورة .

الثالثة : قيامة بالدعوة مع النبي ﷺ.

الرابعة : اشتراكه رضي الله عنه فى السرايا والغزوات .

الخامسة : دور أبى بكر في ختام عصر النبوة .

وذلك فيما يلى :

ــ أولا ــ

هجرة أبى بكر رضي الله عنه

يتضمن الحديث عن هجرة أبى بكر رضي الله عنه إلى المدينة المنورة مع رسـول الله ﷺ عدة مسائل هى :

ــ ١ ــ

الهجـــــرة

أخذ المسلمون يهاجرون بعد أن أمرهم رسول الله ﷺ بها فرادى . وسراً ...

وجاء أبو بكر لرسول الله ﷺ يستـأذنه فى الهجرة فقال له ﷺ : " **لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا** "[١].

فتوقف أبو بكر رضي الله عنه عن الهجرة مؤملا أن يصحب رسـول الله ﷺ فـى هجرته ... وأخذ يعد العدة لذلك فاشترى راحلتين ، وبـدأ يعـدهما لهجرتـه وصاحبه رسول الله ﷺ كما قـدر الله له .

وكان رسول الله ﷺ يأتى لأبى بكر كل يوم صـباحا أو مـساء لمدارسـة أحوال المسلمين ، ومناقشة أخبار أهل مكة ... وذات يوم جاء رسـول الله ﷺ **لأبى بكر** عند الظهر على غير عادته فتوقع أبو بكر أمرا هاما ، وقد كـان ، فلقد حان موعد الهجرة ، وجاء الرسول ﷺ لأبى بكر فى هذا الوقت للإعداد ، والتجهيـز ، ووضع خطة الحركة والتمويه ، والتموين أثناء الهجرة .

يروى ابن كثير بسنده عن عائشة رضى الله عنها أنهـا قالـت : **كـان لا يخطئ رسول الله ﷺ أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار ، إمـا بكـرة ، وإما عشية ، حتى إذا كان اليوم الذى أذن فيه لرسول الله ﷺ في الهجـرة ، والخروج من مكة من بين ظهرى قومه ، أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة [٢]، في**

١- السيرة النبوية لابن هشام جـ١ صـ٤٨٠ .

٢- الهاجرة : نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر أو العصر .

ساعة كان لا يأتى فيها .

فلما رآه أبو بكر ، قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمر حدث .

قالت عائشة : **فلما دخل ، تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله ﷺ ، وليس عند أبى بكر إلا أنا وأختى أسماء بنت أبى بكر .**

فقال رسول الله ﷺ : **" أخرج عنى من عندك ".**

فقال أبو بكر : **يا رسول الله ، إنما هما ابنتاى ، و ما ذاك فداك أبى و أمى !**

فقال ﷺ : **" إنه قد أذن لى في الخروج و الهجرة " .**

قال أبو بكر : **الصحبة يا رسول الله ؟**

قال ﷺ : **" الصحبة " .**

قالت عائشة : **فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أحدا يبكى من الفرح ، حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ، ثم قال : يا نبى الله ، إن هاتين راحلتان قد كنـت أعددتهما لهذا، فاستأجرا عبد الله بن أريقط رجلا من بنى الديل بـن بكـر ، يدلهما على الطريق ، فدفعا إليه راحلتيهما فكانتا عنده [١] .**

وجاء في رواية البخارى عن عائشة قالت : **فبينما نحن يوما جلوسا في بيت أبى بكر في نحو الظهيرة ، قال قائل لأبى بكر : هذا رسول الله ﷺ متقنعـا ، في ساعة لم يكن يأتينا فيها .**

فقال رسول الله ﷺ لأبى بكر : **" أخرج من عندك " .**

فقال أبو بكر : **إنما هم أهلك .**

فقال ﷺ : **" فإنى قد أذن لى في الخروج " .**

فقال أبو بكر : **الصحبة بأبى أنت وأمى يا رسول الله !**

قال رسول الله ﷺ : **نعم**

قال أبو بكر : **فخذ بأبى أنت يا رسول الله إحدى راحلتى هاتين .**

قال رسول الله ﷺ : **" بالثمن "**

١- السيرة النبوية لابن كثير جـ٢ صـ٢٣٣ .

قالت عائشة : **فجهزناهما أحسن الجهاز ، ووضعنا لهم سفرة في جراب ، ثم لحق رسول الله ﷺ و أبو بكر بغار في جبل ثور ، فكمنا فيه ثلاث ليال[1] .**

وقد اقتفى المشركون أثر الرسول الله ﷺ وأبى بكر ، ووصلوا إلى بـــاب غار ثور ، ووجدوا على بابه نسيج العنكبوت ، وبيض الحمام . فتركوا الغار وقالوا : لو دخل محمد هاهنا ما وجدنا بيت العنكبوت والبيض هكذا .

وقد خاف أبو بكر على رسول الله ﷺ حينما رأى المشركين عند البـــاب ، فطمأنه النبي ﷺ .

يقول أبو بكر رضي الله عنه**: قلت للنبى ﷺ وأنا فى الغار : لو أن أحدهم نظر تحـــت قدميه لأبصرنا .**

فقال ﷺ : **ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما [2].**

ونزل قول الله تعالى فى القرآن الكريم يبين مدى النصر الإلهى لرسول الله وأبى بكر ويسجل هذا الموقف العظيم ليبقى على طول الزمان ثابتا ، ويستفيد المسلمون منه الدروس والعبر ويعلموا أن قدرة الله غالبة وإرادته نافذة ، وعلمه محيط ، يقول الله تعالى : ﴿ **إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾** ﴾[3] لقد نزلت السكينة والهدوء على الرفيقين ، وأحاطتها جنود الله تؤيدهما ، وتنصرهما .

واستمر أبو بكر فى معية رسول الله خلال الهجرة . وأحب هنا أن **أسجل لأبى بكر** رضي الله عنه **المواقف التالية التى بانت منه خلال رحلة الهجرة وتلك التي لها صلة بها من أبناء أبى بكر وغيرهم .**

١- صحيح البخارى ـ كتاب المناقب . باب مناقب أبى بكر جـ٦ صـ٢٠٨ ، ٢٠٩

٢- صحيح البخارى - كتاب المناقب . باب مناقب المهاجرين جـ٦ صـ٧٨

٣- سورة التوبة الآية ٤٠

أ ـ ثبوت الصحبة لأبى بكر رضي الله عنه

تجلت مزايا الإخلاص فى أبى بكر رضي الله عنه ، فاستحق أن يكون صاحب الرسول ﷺ فى المنشط والمكره ، وفى السراء والضراء.

لما جاءه الرسول ﷺ وأخبره بالهجرة سأله الصحبة ... فوافقه رسول الله ﷺ وقال له : الصحبة يا أبا بكر .

ولماكمنا فى الغار أنزل الله قرآنا يسجل هذه الصحبة ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ ﴾ ... وهو بذلك الصاحب الوحيد حيث عده الله بها فقال تعالى ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ ﴾ يريد أبا بكر ورسول الله . اللذين كانا فى الغار معا ، وحين إطلاق صفة الصاحب على واحد من الصحابة، فإن الإطلاق يصرف الصفة إلى أبى بكر وحده فهو علم عليها ومعها.

ب ـ قوة الحرص على رسول الله ﷺ

أثبتت أحداث الهجرة مدى حرص أبى بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ ، فلقد تألم وهو فى الغار، وأشفق على رسول الله ﷺ حينما رأى رجال قريش أمام الغار فطمأنه النبى ﷺ وقال له : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ .. ولم يكن حزنه على نفسه، وإنما كان لخوفه على رسول الله ﷺ .

لأنه لو كان حزنه على نفسه لهاجر وحده متخفيا كما هاجر الكثيرون قبله ولأنه رضي الله عنه كان يخاف على رسول الله ﷺ بقى متيقظا للدفاع عنه ...

جاءه سائل فى الطريق .

وقال له : **من هذا الرجل الذى بين يديك ...**

فقال له أبو بكر : **هذا هاد يهدينى السبيل**[١] .

فظن السائل ان أبا بكر يقصد بالسبيل الطريق المادى . بينما أراد أبو بكر بالسبيل طريق الهدى ، وبذلك حافظ على سرية الهجرة ، وأسكت الرجل .

ومن خوفه على رسول الله ﷺ أنه كان كثير الحركة وهما يسيران فى

١- صحيح البخارى ـ كتاب المناقب . باب مناقب أبى بكر جـ٦ صـ٢١٥

الطريق لاحظ رسول الله ﷺ أن أبا بكر تارة يمشى أمامه، وتارة يمشى وراءه.

فقال له النبى ﷺ : مالك ؟

فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله أخاف أن تؤتى من أمامك فأتقدم ، وأخاف ان تؤتى من خلفك فأ تأخر [١].

وهو رضي الله عنه الذى وضع رجله فى جحر وجده فى الغار حتى إذا كانت لسعة أو لدغة كانت بعيدة عن رسول الله ﷺ [٢].

ومن شدة حبه و حرصه على رسول الله ﷺ أنه رضي الله عنه كان يعد نفسه خادما وحارسا لرسول الله ﷺ خلال رحلة الهجرة .

ويروى الإمام أحمد بسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه جاء إلى أبى بكر رضي الله عنه وقال له: حدثنا كيف صنعت حيث خرج رسول الله ﷺ ،وأنت معه.

فقال أبو بكر: خرجنا فأدلجنا فأحيينا يومنا وليلتنا، حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة، فضربت ببصري، هل أرى ظلا نأوي إليه ؟ فإذا أنا بصخرة ، فأهويت إليها فإذا بقية ظلها ، فسويته لرسول الله ﷺ وفرشت له فروة .

وقلت : اضطجع يارسول الله فاضطجع ، ثم خرجت أنظر هل أرى أحدا من الطلب ؟ فإذا أنا براعى غنم ، فقلت : لمن أنت ؟

فقال الراعى: لرجل من قريش. فسماه فعرفته .

فقلت : هل في غنمك من لبن ؟

قال : نعم

قلت: هل أنت حالب لي؟

قال : نعم .

فأمرته فاعتقل شاة منها ، ثم أمرته فنفض ضرعها،ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار ، ومعى إداوة على فمها خرقة ، فحلب لي كثبة من اللبن، فصببت

١- الهجرة النبوية صـــ٢٠٤

٢- أبو بكر الصديق صـــ٢٦٣

على القدح ، حتى برد أسفله، ثم أتيت رسول الله ﷺ فوافيته وقد استيقظ ، فقلت : اشرب يا رسول الله . فشرب حتى رضيت ،ثم قلت : هل آن الرحيل ؟

قال ﷺ : نعم

فارتحلنا ، والقوم يطلبوننا ، فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له ، فقلت : يا رسول الله ، هذا الطلب قد لحقنا ؟

قال ﷺ : " لا تحزن إن الله معنا " حتى إذا دنا منا فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة . قلت : يا رسول الله ، هذا الطلب قد لحقنا وبكيت .

قال ﷺ : لم تبكى؟

قلت : والله ، ما على نفسى أبكي ، ولكني أبكي خوفا عليك .

قال ﷺ : فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال : " اللهم اكفناه بما شئت" . فساخت فرسه إلى بطنها في أرض صلد، ووثب عنها فقال : يا محمد ، قد علمت أن هذا عملك، فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه، فو الله لأعمين على من ورائي من الطلب، وهذه كنانتي فخذ منها سهما، فإنك ستمر على إبلي وغنمي في موضع كذا وكذا، فخذ منها حاجتك .

فقال رسول الله ﷺ : لا حاجة لي فيها .

ودعا له رسول الله ﷺ . فأطلق ورجع إلى أصحابه،ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه ، حتى قدمنا المدينة[1] .

ويلاحظ خوف أبى بكر على رسول الله ﷺ رغم ما نزل عليهما من قرآن في الغار وذلك من شدة حبه لرسول الله ﷺ .

وهكذا ... كانت هجرة أبى بكر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ حيث لازمه وقام معه بوظيفة الخادم الأمين ، والحارس المخلص ، والصاحب الصديق ، والرفيق الفطن ، والراوى لأحداث الهجرة ووقائعها ...

١- صحيح البخارى- كتاب مناقب الأنصار . باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة جـ٢صـ٤٦٩-٤٩٧

جـ ـ مشاركة الرسول ﷺ في التخطيط

حينما طلب الرسول من أبى بكر رضي الله عنه أن يؤجل هجرته ليصاحبه أخذ يستعد لها بطريقة واقعية تضمنت الخطوات التالية :

أ ـ اشترى راحلتين . وأعطاهما عبد الله بن أريقط "يرعاهما ، ويعدهما لرحلة السفر والهجرة ، وحافظ أبو بكر رضي الله عنه على سرية الحركة " ودرب أبناءه جميعا على المحافظة على سرية لقاءاته، وأحاديثه مع رسول الله ﷺ .

ب ـ اتفق مع رسول الله ﷺ على الهجرة أمام بناته لثقته في محافظتهن على أسرار أبيهما ورسول الله ﷺ ... **ولما جاء أبو جهل ولطم أسماء على وجهها لتدله على أبى بكر رضي الله عنه ورسول الله ﷺ لم تدله على أى شيء. وبقى أمر الهجرة سرا على مشركى مكة**[١] .

ج ـ ومن التخطيط الحسن للهجرة أن رسول الله ﷺ خرج مع صاحبه أبى بكر رضي الله عنه من الدار قبل أن تشرق الشمس حتى لا يراه احد ، وكان خروجهما من خوخة بظهر الدار ، وهي فتحة تتسع لخروج شخص واحد ، مرتفعة عن سطح الأرض ، لم تعد لخروج إنسان منها[٢] .

د ـ ومن التخطيط الحسن كذلك اتخاذ الرسول ﷺ وأبى بكر طريقا يمتد إلى الجنوب بينما المتجه إلى المدينة يأخذ طريق الشمال[٣] .

ه ـ ومن التخطيط الحسن أيضا اللجوء إلى غار ثور ، لأنه أعلى جبال مكة ، وأبعدها عنها ، واللجوء إلى غيره أيسر وأقرب[٤] .

و ـ ومن التخطيط الحسن تكليف عبد الله بن أريقط برعاية الراحلتين ، والاهتمام بهما ، وإحضارهما إلى غار ثور بعد ثلاثة أيام من مغادرة

١- السيرة النبوية جـ١ صـ٤٨٧ .

٢- المصدر السابق جـ١ صـ٤٨٥ .

٣- المصدر السابق جـ١ صـ٤٨٦ .

٤- المصدر السابق جـ١ صـ٤٨٦ .

مكة ، وقيامه بقيادة الطريق أمامهما علي بعير له. وسبب هذا الحسن الاستفادة بعلم ابن أريقط ، مع أنه نصراني حيث لم يتيسر سواه للقيام بهذه المهمة .

وقد اشترك أبو بكر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ في إعداد خطوات الهجـرة ، وحركتها من بدايتها إلى نهايتها ، واستمر جهد أبي بكر مع رسول الله حتـى وصل الركب إلي المدينة المنورة . واستقروا في موطنهم الجديد .

وقد يسأل سائل ويقول : **ما قيمة التخطيط بجانب نصر الله تعالي ؟**

وهو سؤال له أهميته لأن الله أخبر رسوله بنصره ، ومعيته ، وذلك كاف في تمام النصر وكماله ، كما نطق بذلك القرآن الكريم .

وليس معنى ذلك أن يترك رسول ﷺ الأخذ بالأسباب ، ويهمل الإعداد لكل أمر ،فقد أمر الله تعالي رسوله بإعداد العدة ، والتخطيط لكل قصد ، مـع أن كل شئ يقع بأمر الله تعالى ، ووفق قضائه وقدره فإذا ما قام العبد بما أمـر الله به يأتي النصر ويتحقق .

والاعتماد على الله ، والتوكل عليه مطلوب شرعا بعد القيـام بالواجـب ، والالتزام بشرع الله تعالى ، وبذل الجهد في الأخذ بالأسباب .

د ـــ أبناء أبي بكر والهجرة

ينشأ الوليد علي صنو أبيه ، وينحو نحوه ، ويأخذ كثيرا منـه بالوراثـة ، والمعاشرة ، والتوجيه ولذلك اهتم الإسلام بتهيئة المحضن الحسن الذي ينبـت الولد، وينشئة ، ويربيه .. وفي هذا يقول النبي ﷺ : **تخيروا لنطفكم فـأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم**[١] .

وقد توصل العلماء المعاصرون إلى أن الوليد يأخذ من أبويه الخلق ،والفكر والسلوك ،والطبع ،والعادة ،والتوجيه العام نحو قضايا المجتمع والناس .

وقد أشار الله تعالي إلى هذا المعني وهو يقص دعاء نوح عليه السلام علي

١- فيض القدير جـ٣ صـ٢٣٧ .

قومه بعد أن عاشرهم أكثر من عشرة قرون ، وعلم عاداتهم ، واتجاهاتهم ، ومدى تأثير الأباء فى أبنائهمم ، وذلك في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾[١] .

فقد وضح الله هذه الحقيقة ، وبين أن الآباء يورثون الكفر ، والفساد ، والفجور، لأبنائهم ، وبمنطق المخالفة فإن الأتقياء المؤمنين يعطون لأبنائهم دينهم ، و خلقهم ، وتقاليدهم ...

وأكد أبناء أبي بكر رضي الله عنه الأمر فأخذوا عن أبيهم أهم صفاته ومزاياه ، وبذلوا من جهدهم ، و طاقاتهم أقصى ما تمكنوا منه ، وقاموا بدور رئيسى فى هجرة رسول الله ﷺ ومعه صاحبه الصديق أبو بكر رضي الله عنه .

لقد ربي أبو بكر أبناءه علي الحق ، وعلي المحافظة علي ما بينه وبين رسول الله ﷺ من أقوال وأفعال.فحافظوا على ما أتمنوا عليه.

ولا ننس أن رسول الله ﷺ قد خطب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأمر الله تعالي قبل الهجرة ، وهي بنت ست سنوات ، ودخل بها ﷺ بعد الهجرة بعام بعدما بني لها بيتا بجوار مسجده الشريف في المدينة المنورة .

ومن الأحداث التي تدل علي قدر أبناء أبي بكر رضي الله عنه ، وعلي عظم دورهم يوم الهجرة ما ذكرته كتب السيرة النبوية من أن رسول الله ﷺ جاء إلي أبي بكر في بيته ، فلما دخل عند سرير أبى بكر ، جلس عليه رسول الله ﷺ ، وعند أبي بكر بنتاه، أسماء وعائشة رضي الله عنهما ، فقال رسول الله ﷺ : **أخرج عنا من عندك .**

فقال أبو بكر : **إنما هما أهلك ، إنهما ابنتاى**[٢].

فأطمأن رسول الله ﷺ إليهما وأخذ يتفق مع أبي بكر علي ما جاء له ثقة في

١- سورة نوح آية ٢٦ ،٢٧.

٢- أنظر سيرة ابن هشام جـ١ صـ٤٨٤ ؛ صحيح البخارى – كتاب الهجرة جـ٦ صـ٢١٤ .

بنات أبي بكر لأنهما كأبيهما في الصدق والوفاء ، وحب الله ورسوله .

وحين نعيش مع الهجرة يظهر دور أبناء أبي بكر ومواليه في مسيرتها ... وهم :

١ـ دور عبد الله

قام عبد الله بن أبى بكر رضي الله عنهما بدور بارز في الهجرة حيث كان يقوم بجمع أخبار أهل مكة عن طريق التنقل بين المجالس ، ومخالطة الرعاة ، علي أن يأتي لرسول الله وأبي بكر في المساء ليخبرهما بما سمع ورأي .

وكان يتخفى في النهار مع عامر بن فهيرة في رعي غنم أبي بكر، فإذا جاء المساء ذهب إلي الغار ليقوم بدوره المحدد.

ولم يشك أحد من أهل مكة في حركة عبد الله لصغر سنه، وبعد الغار عن مكة ، وانهماك عبد الله في رعي الغنم أغلب الوقت .

وما دروا أن الله تعالي يسر عدة النصر في الهجرة،حيث كان عبد الله رضي الله عنه رغم صغر سنه فطنا ، عاقلا ، شجاعا كأبيه فقام بدوره خير قيام .

٢ـ دور أسماء

أسماء بنت أبي بكر من السابقات إلى الإسلام ، تزوجها الزبير بن العوام في مكة قبل الهجرة ، وكانت نعم النساء لرسول الله ولأبيها وزوجها ... علمت تفاصيل الهجرة . وحافظت عليها رغم ما تعرضت له من أذي . أتاها أبو جهل الملعون مع نفر من الكفار ووقف علي الباب فخرجت إليهم أسماء .

فقالوا لها : **أين أبوك يا بنت أبي بكر ؟**

قالت : **والله لا أدرى أين أبي .**

فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشا خبيثا،فلطم خدها لطمة شديدة ، طرح منها قرطها[1] .

وجاء أبو قحافة والد أبي بكر ، وقد ذهب بصره ، وقال لها : **والله إني**

١- السيرة النبوية جـ١ صـ٤٨٧ .

لأراه " يقصد أبا بكر" قد فجعكم بماله مع نفسه !!

قالت له أسماء : **كلا يا أبت ، إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا ، وأخذت أحجـــارا ، ووضعتها في كوة في المكان الذي كان أبو بكر يضع مــاله فيه ، وغطتـــه بثوب ، ثم أخذت بيد جدها ، وقالت له : يا أبت ضع يدك علي هذا المـــال ، فوضع يده عليه فقال : لا بأس ، إذا ترك لكم هذا المال فقد أحسن ، وهـــذا بلاغ لكم .**

تقول أسماء: **ولا والله ما ترك لنا شيئا، ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك**[1].

قامت أسماء بدورها المحدد في الهجرة، حيث كانت تعد الطعام ، وتذهب به إلي غار ثور حيث أبيها ورسول الله ، وقد شقت نطاقها لتربط بنصفه سفرة الطعام فسماها الرسول " **ذات النطاقين** " .

و لم يشك أحد فى حركة أسماء رضي الله عنها لأنها كانت حاملا ، ولـــم يشترك زوجها في أحداث الهجرة النبوية، فظن المشركون أنها في خدمة بيتها وزوجها، وأنها لا تقدر علي ذلك لبعد الغار فانصرفوا عن متابعتها.

وقد بقيت أسماء في مكة إلي أن أرسل رسول الله ﷺ فـــي طلـــب أهلـــه فهاجرت معهم رضي الله عنها .

٣ــ دور عائشة

اشتركت عائشة رضي الله عنها مع أسماء في مساعدة أبيها ورســول الله خلال الهجرة . فهي من أول من علموا بنبإ الهجرة ، واشتركت مـــع أختهـــا أسماء فى إعداد الطعام ولوازم السفر لأبيها ورسول الله ﷺ .

٤ــ دور عامر بن فهيرة

عامر بن فهيرة مولي أبى بكر رضي الله عنه اشتراه من سيده طلحة بن عبد الله بن سخبرة إنقاذا له من العذاب الذي كان يعاقب به بسبب إسلامه ، وعاش عـــامر مع أبي بكر يخدمه ويعاونه .... وكان لحسن معاملة أبي بكر أن صار عامـــر

١- المرجع السابق جــ١ صــ٤٨٨ .

داعيا إلى الله ، ساعيا للحق ، باذلا ما أمكنه في سبيل الله .

وفي يوم الهجرة كان يأتي بالغنم التي يرعاها لأبي بكر ناحية غار ثـور صباحا ومساء ليحلبها عبد الله بن أبي بكر ويسلمها لأبي بكر ورسول الله ﷺ . فإذا ما عاد عبد الله إلى مكة سار وراءه عامر بغنمه ليمحو أثر أقدام عبد الله.

واستمر عامر هكذا مدة مكث رسول الله وأبي بكر في الغار ، فلما خرجا وسارا في الطريق صحبهما عامر رضي الله عنه،وركب خلف أبي بكر علي راحلته... وهكذا نرى أن بيت أبي بكر كله اشترك في الهجرة ، وساهم كل بدور فيها[١] . كما ساهم معهم مواليه رضي الله عنهم .

ويدل توزيع الأدوار على النحو السابق على ضرورة التخطـيط لأمـور الحياة ، وبخاصة في المسائل الهامة . فإن رسول الله ﷺ مع ثقته في نصر الله تعالى أعد للأمر ، وخطط للهجرة في إطار توكله على ربه ، وتسليمه بقضائه وقدره .

١– السيرة النبوية جـ١ صـ٤٨٦ بتصرف .

هـ ـ استقرار أبي بكر رضي الله عنه في المدينة المنورة

واصل ركب الهجرة النبوية سيره إلى المدينة ، ووصل لقباء ، وفيها نزل أبو بكر رضي الله عنه علي خبيب بن أساف أحد بني الحارث من بنى الخزرج ... ، واستمر بها خمسة أيام في صحبة رسول الله ﷺ . ثم غادرها إلى المدينة المنورة ، وفيها آخى الرسول ﷺ بين أبي بكر وبين خارجة بن زهير ، وأقام أبو بكر بالسنح و ظل بها إلى أن ولي الخلافة وكان يأتى منها للصلاة مع رسول الله ﷺ وملازمته ، والاستماع له .

وبعد الاستقرار في المدينة جاءت أسرة أبي بكر رضي الله عنه من مكة مهاجرة إلي المدينة المنورة مع أبناء النبي ﷺ وزوجته "سودة بنت زمعة" رضي الله عنها والمهاجرون من آل أبي بكر هم :

١ــ زوجته أم رومان رضي الله عنها

٢ــ عبد الله رضي الله عنه

٣ــ أسماء رضي الله عنها

٤ــ عائشة رضي الله عنها

وقد أقاموا مع أبى بكر بالسنح إلي أن ولي الخلافة رضي الله عنه، ما عدا عائشة فإنها انتقلت إلى بيتها الذي أقامه لها رسول الله بجوار مسجده ﷺ حين بني بها بعد الهجرة بعام تقريبا .

وقد اشتد شوق أبي بكر إلى مكة بعد الهجرة ، وأصيب بالحمي التي كانت بالمدينة ، واشتد بلاؤه ومرضه .

وأصاب المهاجرين ما أصاب أبا بكر ، وصرف الله البلاء عن نبيه محمد ﷺ ... وعاش المسلمون فترة عصيبة . تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : **لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى ،**

وكان واديها يجري نجلا ـ يعني ماء آجنا ـ فأصاب أصحابه منهـا بـلاء وسقم ، وصرف الله ذلك عن نبيه .

فكان أبو بكر ، وعامر بن فهيرة ، وبلال في بيت واحد، فأصابتهم الحمى.

فاستأذنت رسول الله ﷺ في عيادتهم فأذن لي .

فدخلت إليهم أعودهم، وذلك قبل أن يضرب الله علينا الحجاب ، وبهم مـا لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك، فدنوت من أبي بكر فقلت: يا أبت كيف تجدك ؟

فقال:

كل امرئ مصبح في أهله   والموت أدنى من شراك نعله

فقلت : والله ما يدري أبي ما يقول .

ثم دنوت من عامر بن فهيرة فقلت : كيف تجدك ياعامر ؟

فقال:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه   إن الجبان حتفه من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقـــه   كالثور يحمى جلده بروقه

قلت : والله ما يدري عامر ما يقول .

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى ، اضطجع بفناء البيت ثـم يرفـع عقيرتـه ، ويقول :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة   بواد وحولي إذخر وجليـــل

وهل أردن يوما مياه مجـنة   وهل يبدون لي شامة وطفيل

فأخبرت رسول الله ﷺ بذلك فقال: " اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكـة أو أشد ، اللهم وصححها وبارك لنا في مـدها وصـاعها ، وانقـل حماهـا واجعلها بالجحفة "[١] .

وقد استجاب الله دعاء نبيه ﷺ لأصحابه ، وللمدينه فشفوا وتخلصت المدينة من وبائها ، و بدأ المهاجرون يتأقلمون على الحياة في مدينتهم الجديدة .

١- صحيح البخاري ـ كتاب المناقب . باب مقدم النبي وأصحابه المدينة جـ٦ صـ٢٢٣ .

ثانيــــا

ملامح شخصية أبـــي بكــر
في المدينـــة المنـــورة
بعد الهجـــرة

عاش المسلمون مع رسول الله ﷺ بعد الهجرة في المدينة المنورة ، يقيمون صرح خير أمة أخرجت للناس ، في عناصرها البشرية، وفي حركتها اليومية وفي معاملاتها الإنسانية، وفي غاياتها السامية .

أما خيرية العناصر البشرية فلقد عاش الرسول ﷺ بين أصـــحابه واحـــدا منهم ، لم يأمرهم بأمر إلا كان أول من يفعله ، و لا ينهاهم عن شئ إلا كـــان أول من يتركه ، كل ذلك في جو تام من المساواة ، والحرية ، والأخوة ... مع التجرد من الظلم ، والمحسوبية ، والتعالي، وسوء الخلق ... ولم يحدث أبدا أن اشتكي أحد من الصحابة ظلما ألم به من آخر ، ولم يحدث مطلقـــا أن فقيـــرا اشتكي حاجة أو إهمالا ولم يتحقق له ما يريد ...!!

إنهم جماعة رباهم رسول الله ﷺ علي المودة ، والمحبة، وحسن التعامل . ونشر فيهم كل خير فصدقوا وأطاعوا واستجابوا لقوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾[١] .

ولقوله سبحانه وتعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ

١- سورة النساء آية ١٣٥.

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[١] .

ولقوله سبحانه وتعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾[٢].

ووجههم ﷺ وهو يقول " **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده** "[٣] .

ومن أقواله ﷺ لهم في هذا المجال

ـــ " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله "[٤] .

ـــ " إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا ، في شهركم هذا "[٥] .

والنصوص كثيرة في حرص أفراد الأمة علي القيام بما وجب عليهم ، بلا تفريط ولا إفراط . مراعين رقابة الله العليم الخبير .

وكان المسلم يحافظ بظاهره وباطنه علي هذه الخيرية إرضاء لله ، وأمــلا بالفوز في الدنيا وفي الآخرة ... وبذلك كانت خيرية عناصر الأمة .

أما خيرية الحركة فقد بدت من التزامهم الدقيق بالوحي المنزل عليهم ، إذ كانوا يحفظون ما يوحى الله به ، ويفهمونه ، و يطبقونه ، و يعتبرون أنفـــسهم مسئولين عن نشره ، و العمل به **ولذلك لما سئلت عائشة رضي الله عنها ـــ عن خلق رسول الله ﷺ .**

قالت : **كان خلقه القرآن**[٦] .

وكان الصحابه في اتباعهم لرسول الله ﷺ مثالا عاليا ، فلقد أحاطوه بحبهم وأطاعوه بعملهم ، وكانوا يأخذون رأيه في كل صغيرة وكبيرة في حيـــاتهم ، ولذلك تحركوا بالإسلام ، ونشروه بين الآخرين كما تلقوه من رسول الله ﷺ .

١- سورة المائدة آية ٨ .
٢- سورة الحجرات آية ١٣.
٣- صحيح البخارى ـ كتاب الإيمان . باب أى الإسلام أفضل جـ١ صـ٢٠ .
٤- فيض القدير جـ٦ صـ٢٧٠ .
٥- السيرة النبوية جـ٢ صـ٣٥٠ .
٦- موطأ مالك جـ٢ صـ٤٨ .

إن الإسلام نظم للمسلمين العقيدة والخلق ، وجدد التشريع والحكم ، و فصل الأمر للناس ، وبذلك بدت الإنسانية في تساميها وهم يطبقون الإسلام في معاملاتهم مع المسلمين،ومع غير المسلمين،وعاش المسلمون الحياة الدنيا وهم يعملون للآخرة،ولذا كانت غاياتهم لأنفسهم أن يعيشوا عبيدا لله في الأرض وجنودا للإسلام في الدعوة، واتباعا لرسول الله وهم يسارعون إلى الخيرات .

وإذا نظرنا إلي البيئة التي عاش فيها الصحابة مع رسول الله ﷺ في المدينة ، وتأملنا في أحداثها لرأينا عظمة ما قاموا به ، ولعلمنا مدي عون الله وتوفيقه لهؤلاء الصادقين المفلحين .

لم تكن المدينة المنورة واسعة الأطراف ، كبيرة المساحة ، **وإنما كانت بحجم المسجد النبوي في توسعة الملك فهد الأخيرة** ، وذلك ساعد على تجمع المسلمين حول رسول الله ﷺ ، يصلون معه ، ويسمعون له ، وينهلون من نوره وبهائه . وإذا أضفنا إلى ذلك أن مدة بقاء النبي ﷺ في المدينة كانت عشر سنوات قضي منها ﷺ عامين في سلم بعد صلح الحديبية ... حينئذ نعرف المعدن الأصيل لهؤلاء الصحابة الذين صنعهم الإسلام بقيادة رسول الله ﷺ خلال هذه المدة .

ومع قصر المدة فقد واجه المسلمون أعداءهم في أكثر من سبعين غزوة وسرية ... ومعني ذلك أن المسلمين كانوا يخرجون للجهاد عشر مرات في العام الواحد ، ولم يكن هناك وقت يضيعونه بعيدا عن رسول الله ﷺ لقد استهوتهم قيادة النبي ﷺ فأحبوه ، وأنزلوه منزلة الروح والعقل ... لقد أحبوه أكثر من أنفسهم.ومن كل ما عدا أنفسهم . وهذا يدل علي عنصر الصحابة ، وكيفية حياتهم، ومنهج تكوينهم وطريقة تربيتهم ، لقد تعملوا فقه السلم والحرب وعاشوا الجهاد بالكلمة والسيف ، وتعاملوا بالحسنى ، وقابلوا أهل السوء والعدوان بما يستحقون وعاشوا إخوة متحابين .

لقد كان أبو بكر صديق رسول الله ﷺ وصاحبه ، وصهره ، وأحب الناس إليه . وهذا يشير إلى ملازمة أبي بكر لرسول الله في المدينة .

لقد اتخذ الرسول ﷺ أبا بكر مستشاره ، ووزيره ، وكان يكتب الوحـــي ، ويقوم بالمهام الكبري نيابة عن الرسول ﷺ كإمارة الحج ، وإقامة الصلاة .

ولذلك برزت شخصية أبي بكر الإسلامية في المدينة المنورة .

ومن أهم ملامح شخصية أبى بكر رضي الله عنه ما يلي :

ـــ١ـــ

صفـــاء الإيمان

أخلص أبو بكر رضي الله عنه في إيمانه بالله تعالي ، وعبـــأ جوانحـــه وشـــعوره بالإخلاص ، ووصل به حب الله إلي درجة اليقين ، ولذلك يقول النبي ﷺ : **لو وضع إيمان الأمة في كفة ، ووضع إيمان أبى بكرفي كفة لرجح إيمان أبـــي بكر...**[١]

وعن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبى على بن أبى طالب : **أى الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟**

قال: **أبو بكر .**

قلت : **ثم من ؟**

قال: **ثم عمر .**

وخشيت أن يقول : **عثمان فقلت له : ثم أنت .**

قال: **ما أنا إلا رجل من المسلمين**[٢] .

ولقد كان إيمان أبي بكر رضي الله عنه علي حقيقته التي أرادها الله لكل مـــؤمن ، ومع إيمانه وإخلاصه كان شديد الخوف من الله تعالي ، وهو في ذلك علي نمط صاحبه ﷺ . فلقد كان شديد الخوف من الله تعالي ، مـــع أنـــه أول المـــؤمنين وأقواهم تقوى . يقول ﷺ " **إن أخشاكم وأتقاكم لله أنا** " [٣] .

١- كشف الخفاء جـ٢ صـ٢٣٤ .
٢- صحيح البخارى - كتاب المناقب . باب مناقب أبى بكر جـ٦ صـ٨٧ ، ٨٨ .
٣- صحيح مسلم - كتاب الصيام . باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته جـ٣ صـ٧٧٩ .

وقد كان الصديق رضي الله عنه علي جانب من الخوف والرجاء عظيم، جعله قدوة عملية لكل مسلم سواء كان حاكما أو محكوما ، قائدا أو جنديا ، أبا أو زوجا ، يريد النجاح والفلاح في الآخرة ، فعن محمد بن سيرين قال : **لم يكن أحد أهيب فيما يعلم بعد النبي ﷺ من أبي بكر** [١] .

وعن قيس قال : **رأيت أبا بكر آخذا بطرف لسانه ويقول : هذا الذي أوردني الموارد** [٢] .

وقد قال أبو بكر رضي الله عنه : **ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا** [٣] .

وعن ميمون بن مهران قال : **أتي أبو بكر بغراب وافر الجناحين فقلبه ثم قال: ما صيد صيد ولا عضدت شجرة إلا بما ضيعت من التسبيح** [٤] .

وعن الحسن قال: قال أبو بكر : **والله لوددت أني كنت هذه الشجرة تؤكل وتعضد** [٥] .

وقال أبو بكر : **لوددت أني كنت شعرة في جنب عبد مؤمن** [٦] .

وكان رضي الله عنه يتمثل بهذا البيت من الشعر:

لا تزال تنعي حبيبا حتى تكونه   وقد يرجوا الرجا يموت دونه [٧]

وكان شديد التضرع واللجوء إلى الله ، جاء في الصحيحين : **أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال : يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي.** قال ﷺ : " **قل : اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**" [٨] .

١- صفة الصفوة جـ٢ صـ٢٥٣ .

٢- المرجع السابق جـ٢ صـ٢٥٣ .

٣- الزهد للإمام أحمد صـ١٠٨ .

٤- المرجع السابق صـ١١٠ .

٥- المصدر السابق صـ١١٢ .

٦- المصدر السابق صـ١١٢ .

٧-المصدر السابق صـ١٠٨ .

٨- صحيح مسلم ـ كتاب الذكر والدعاء . باب استحباب خفض الصوت بالذكر جـ٤ صـ٢٠٧٨.

ففي هذا الدعاء وصف العبد لنفسه المقتضي حاجته إلي المغفرة ، وفيه وصف ربه الذي له كل الطاعة ، و بيده المغفرة وهو وحده سبحانه وتعالى إذا أراد شيئا قال له كن فيكون ، فإنه لا يقدر علي المطلوب غيره .

وفي هذا الدعاء التصريح بسؤال العبد لمطلوبه ، وفيه بيان المقتضى للإجابة،وهو وصف الرب بالمغفرة ، والرحمة .

فهذا ونحوه أكمل أنواع الطلب .

وجاء في السنن عن أبي بكر رضي الله عنه قال : **يا رسول الله ، علمني دعاء أدعو به إذا أصبحت وإذا أمسيت .**

فقال ﷺ : " **يا أبا بكر قل : اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة لا إله إلا أنت ، رب كل شيء ومليكه ، أعوذ بك من شر نفسي ، ومن شر الشيطان وشركه ، وأن اقترف علي نفسي سوءا أو أجره إلي مسلم قله يا أبا بكر إذا أصبحت، وإذا أمسيت ، وإذا أخذت مضجعك** "[١] .

فقد تعلم الصديق من رسول الله ﷺ أنه ليس لأحد أن يظن استغناءه عن التوبة إلي الله والاستغفار من الذنوب ، بل كل أحد محتاج إلي ذلك دائما قال الله تعالي ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾** ﴾[٢] .

وقد أخبر الله تعالي في كتابه بتوبة عباده الصالحين ومغفرته لهم . وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: " **لن ينجى أحدا منكم عمله** " .

قالوا : **ولا أنت يا رسول الله ؟**

قال : " **ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته** "[٣]

١- سنن الترمذى - باب الدعوات . باب ٩٥ جـ٥ صـ٥٤٢ .
٢- سورة الأحزاب آية ٧٢، ٧٣.
٣- صحيح البخارى - كتاب الرقاق . باب القصد والمداومة جـ١٠ صـ١٤٧ .

لقد كان أبو بكر دائم الذكر لله تعالي كثير التوجه له ، لا ينفك عن الدعاء في كل أحيانه ، ومن أدعيته وتضرعاته :

أ ــ اللهم إني أسالك تمام النعمة في الأشياء كلها، والشكر لك عليها حتى ترضي، وبعد الرضي، والخيرة في جميع ما تكــون إليــه الخيرة، بجميع ميسور الأمور كلها ، لا بمعسورها يا كريم[١] .

ب ــ اللهم إني أسالك الذي هو خير لي في عاقبة الخير ، اللهم اجعل آخر ما تعطيني من الخير رضوانك والدرجات العلي من جنــات النعيم[٢] .

ج ــ اللهم اجعل خير عمرى آخره ، وخير عملي خواتمــه ، وخيــر أيامي يوم ألقاك[٣] .

د ــ وكان إذا سمع أحدا يمدحه من الناس يقول : اللهم أنت أعلم بي من نفسي ، وأنا أعلم بنفسي منهم ، اللهم اجعلنى خيــرا ممــا يظنون ، واغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون[٤] .

ولقوة إيمان أبي بكر رضي الله عنه وتصديقه برسول الله ﷺ كان دائــم التــصديق برسول الله ﷺ في كل الأوقات والأحوال حتى في الحالات الغريبة التي تــردد فيها كثير من المؤمنين . ومن ذلك موقفه يوم الإسراء، فهو كاف في التــدليل على ذلك فقد رد على من جاءه متعجبا من خبر الإسراء ، آملا أن يكذب أبو بكر رسول الله ﷺ ، رد عليه و قال له: **إنى لأصدقه في أكثر من ذلــك إنـــي أصدقه من خبر السماء يأتيه في غدوة أو روحة .**

وقد عبر النبي ﷺ عن هذا التصديق في أبي بكر رضي الله عنه في الحديث الــذي رواه أبو هريره رضي الله عنه قال صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح ثم أقبــل علـــي الناس فقال : " **بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها** " .

١- خطب أبي بكر صـ٣٩ .
٢-المصدر السابق صـ١٣٩ .
٣- المصدر السابق صـ٣٩ .
٤- أسد الغابة جـ٣ صـ٣٢٤ .

فقالت: **إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا للحرث .**

فقال الناس : **سبحان الله بقرة تتكلم ؟**

فقال ﷺ : **إني أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر ، رضي الله عنهما**[١] .

وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب على الغنم فذهب منها بشاة، فطلب بها الراعي حتى كأنه استنقذها منه، فقال له الذئب : **هذه استنقذتها مني، فمن لها يوم السبع، يوم لا راعي لها غيرى ؟**

فقال الناس: **سبحان الله ذئب يتكلم ؟**

قال ﷺ : **فإني أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما** "[٢] .

وقد أجمع أهل السنة أن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر ثم عثمان ، ثم علي، ثم باقى العشرة المبشرين بالجنة، ثم باقي أهل بدر ، ثـم باقي أهل أحد، ثم باقي أهل البيعة ، ثم باقي الصحابة .

وروى البخاري عن ابن عمر قال: **كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله ، فنخير أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان**[٣] .

ويضيف الطبري في الكبير قول النبي ﷺ : " **ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء، ووزيران من أهل الأرض، فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل، وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر** "[٤] .

وأخرج أبو يعلى عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ : " **أتاني جبريل آنفا** " فقلت: **يا جبريل، حدثني بفضائل عمر بن الخطاب .**

فقال: **لو حدثتك بفضائل عمر مدة ما لبث نوح في قومه ما نفدت فضائل عمر وإن عمر حسنة من حسنات أبي بكر** " .

١- صحيح البخارى ــ كتاب المناقب ــ باب مناقب أبى بكر جــ٦ صــ٨٣ .

٢- المرجع السابق جــ٦ صــ٨٣ .

٣- صحيح البخارى ــ كتاب المناقب . باب مناقب أبى بكر جــ٦ صــ٨٧ .

٤- سنن الترمذى ــ كتاب المناقب . باب مناقب أبى بكر جــ٥ صــ٦١٦ .

ـ٢ـ

حب أبى بكـــر للنبـــي ﷺ

كان أبو بكر رضي الله عنه شديد الحب لرسول ﷺ ، وقد تجلي ذلك الحب في رحلة الهجرة حيث كان يعمل علي أن لا يلحق برسول الله آذي ما ، وكـــان يقـــدم نفسه في المواقف الخطيرة فداء لرسول الله ﷺ .

خطب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذات يوم وقال: **انا جعلنا لرسول الله عريشا يوم بدر ثم اختلفنا فيمن يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوى عليه أحد من المشركين ؟ ...**

فوالله مادنا منه أحد إلا أبو بكر شاهرا بالسيف علي رأس رسول الله ﷺ ولا يهوى إليه أحد إلا أهوى إليه، فأبو بكر هو أشجع الناس[١] .

وكان أبو بكر رضي الله عنه شديد الحرص علي المحافظة علي سر رسول الله ﷺ ولذلك كان ﷺ يستشيره ويستوزره .

يروى عبد الله بن عمر أن أباه عمر حدثه فقال : **تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة، وكان ممن شهد بدرا .**

فلقيت عثمان بن عفان فقلت : **إن شئت أنكحتك حفصة .**

فقال : **سأنظر في أمرى .**

ثم لقيني عثمان بعد ليالى فقال: **قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا .**

فلقيت أبا بكر فقلت له : إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر .

فصمت أبو بكر ، فلم يرجع إلى بشئ .

فكنت عليه أوجد مني علي عثمان ، فلبثت ليالي ثم خطبهـــا رســـول الله ﷺ فأنكحتها إياه .

ثم لقيني أبو بكر فقال : **لعلك وجدت علي حين عرضت على حفصة فلم أرجع إليك .**

١- سيرة النبي جـــ١ صـــ٦٢٠ .

فقلت : **نعم**

فقال: **إنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت إلا أني علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها ، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ولو تركها لقبلتها**[1] .

دخل أبو بكر رضي الله عنه مرة علي ابنته عائشة رضي الله عنها فوجدها ترفع صوتها علي رسول الله ﷺ ، فقال لها: **أراك ترفعين صوتك علي رسول الله ﷺ وهم بلطمها في وجهها ... فحجزه رسول الله، فانصرف مغضبا ... ثم جاء بعد مدة فوجد النبي ﷺ وعائشة قد اصطلحا ، فقال لهما : أدخلاني في سلمكما كما أدخلتماني في حربكما ...**

فقال ﷺ : **قد فعلنا**[2]

وقد بادل رسول الله ﷺ ، صاحبه أبا بكر حبا بحب .

وفي ذلك يقول ﷺ : **لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا**[3] .

ويقول ﷺ : **سدوا الأبواب إلا باب أبى بكر**[4].

وأتت امرأة إلى النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه مرة أخرى .

فقالت له : **أرأيت إن جئتك و لم أجدك ــ تعنى الموت ــ**

قال ﷺ: **إن لم تجدينى فأتى أبا بكر**[5] .

إن حب أبى بكر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ قائم على تقدير مقام رسول الله ، فهو طريق المؤمنين إلى الله، وهو الذي أنقذهم من جاهليتهم التي كانوا عليها ، وهم بسببه يأملون الفوز بالجنة ... وفوق ذلك ومعه فهم يؤمنون " بحق " أن حب الرسول ﷺ عبادة واجبة .

١- صحيح البخارى ــ كتاب المغازى . باب تزوج النبي من حفصة جـ٦ صـ٢٦٢ .

٢- سنن أبى داود ــ كتاب الأدب . باب ما جاء في المزاح جـ٤ صـ٣٠٢ .

٣- صحيح البخارى ــ كتاب المناقب . باب مناقب أبى بكر جـ٦ صـ٨٠ .

٤- المرجع السابق جـ٦ صـ٧٩ .

٥- صحيح البخارى ــ كتاب المناقب. باب مناقب أبى بكر جـ٦ صـ٨١ .

ـ ثالثا ـ

قيامه بالدعوة

في صحبــة النبــي ﷺ

في المدينة المنورة بعد الهجــرة

يحتاج نجاح الدعوة إلى إنسان مخلص، يعلم قضيته ، ويحبهــا ، ويقــدر الناس ، ويعمل في خدمتهم ، ويتصل بهم بوسيلة مــؤثرة ، وبطــرق مقنعــة مرضية، لتحقيق غايات مقصودة .

وأبو بكر رضي الله عنه من هذا الطراز من الرجال الــذين أســلموا أمــرهم لله ورسوله ، وخدموا الإسلام كما وجب عليهم ، وقاموا بتبليغ دينهم والدعوة إليه بصورة رائدة، تحتذي ، وتتبع ، فأبو بكر رضي الله عنه صدق رسول الله ﷺ فــصدق إيمانه ، وتيقن وجدانه، وجعل عبوديته لله وحده فعبده ، وخافه ، وأطاعــه ، فأفاض الله عليه بالعديد من الفضائل التي أهلته ليكون خير الدعاة إليه سبحانه وتعالى .

رزقه الله العلم بالإسلام، وأمده بأنوار الوحي فصار علمــا مــن علمــاء المعرفة، ذا بصر وبصيرة، إذا قرأ قرآنا فهم دلالته الظاهرة والباطنة ... وإذا سمع حديثا ، أورأى أفعالا ، أخذ منها ما لم يأخذه غيره ، وكان إذا سئل عــن أمر لا يريد إجابته رد بالمعاريض من القول التي أتقنها ليرضــي الــسائل ، ويحفظ سر ما يريد .

عند ما أنزل الله تعالي سورة النصر بكي أبو بكر رضي الله عنه ، فتعجب النــاس من رجل يبكي وقد أخبر الله بالنصر... فبين لهم أبو بكــر رضي الله عنه بــأن تمــام النصر يعني انتقال رسول الله ﷺ إلى ربه، بعدما أتم مهمته، وأدى أمانته [١] .

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : **خطــب**

١- تفسير ابن كثير جــ٤ صــ٦٠٧ ــ ٦٠٩ ط دار اليقين .

رسول الله ﷺ الناس وقال : "إن الله تبارك وتعالى خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ذلك العبد ما عند الله،فبكى أبو بكر وقال:بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا " .

فعجبنا لبكائه أن يخير رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله فكان رسول الله هو المخيرَّ ، وكان أبو بكر أعلمنا [١] .

ويقول النبي ﷺ : **إن من أمن الناس على فى صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لأتخذت أبا بكر خليلا، ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين فى المسجد باب إلا سد إلا باب أبى بكر [٢] .**

إن أبا بكر رضي الله عنه **من أكابر المجتهدين ، بل هو أعلم الصحابة على الإطلاق . أخرج البخارى وغيره أن عمر فى صلح الحديبية سأل النبى ﷺ عن ذلك الصلح** وقال : **علام نعطى الدنية فى ديننا؟ فأجابه النبي ﷺ " .**

ثم ذهب إلى أبى بكر رضي الله عنه فسأله عما سأل عنه رسول الله ﷺ من غير أن يعلم أبو بكر بجواب النبى فأجاب بمثل الإجابة سواء بسواء "[٣] .

ولما توفى رسول الله ﷺ : **ارتدت العرب، واشرأب النفاق فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبى بكر لهاضها ، ولكنه** رضي الله عنه **شاور أصحابه ، ودرس أوضاع أمته ، واتخذ قراره ، وقوى عزيمته ، واعتمد على الله فنصره .**

واختلف الصحابة فى دفن النبي ﷺ وقالوا : أين يدفن ؟

فمن قائل : **يدفن بالبقيع ، مع أهله وأصحابه .**

ومن قائل : **يدفن بمكة مولده ، وموطن قومه .**

ومن قائل : **يدفن ببيت المقدس مدفن الأنبياء .**

حتى جاء أبو بكر بالأمر الفصل وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول " **ما**

١- صحيح البخارى – كتاب المناقب . باب مناقب أبى بكر جـ٦ صـ٧٩ .

٢- صحيح البخارى – كتاب المناقب . باب مناقب أبى بكر جـ٦ صـ٧٩ .

٣- مسند الإمام أحمد جـ٤ صـ٣٢٥ .

من نبى يقبض إلا دفن تحت مضجعه الذى مات فيه "[١] .

واختلفوا كذلك فى توزيع ما تركه ﷺ فما وجدوا عند أحد علما فى ذلك ، فقال أبو بكر: **سمعت رسول الله ﷺ يقول : "نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة "**[٢] .

فكانت هذه سننا تفرد بها الصديق دون الصحابة كلهم، ولما أخبرهم بهـا رجعوا إليه فيها جميعا المهاجرون والأنصار .

وقد ساعد الصديق علي دقة الفهم، وسداد الرأي حفظه لكتاب الله تعالي ، وعلمه بأحكامه،ومداومة ترتيله وقراءته فلقد أقام بفناء داره بمكة مسجدا يصلي فيه ، ويقرأ فيه القرآن[٣] ، وكان أهل مكة يلتفون حول داره ليتمتعـوا بـسماع قراءة أبى بكر .

أخرج الترمذي في سننه بسنده عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: **" لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره "**[٤] .

ومما يدل علي دقة فهمه لكتاب الله تعالي ما أخرجه الإمام أحمد عن قيس بن أبي حازم قال : **لما ولي أبو بكر الخلافة صعد المنبر فحمد الله ثم قـال : أيها الناس إنكم تقرأون قوله تعالي :**

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[٥] **. وإنكم تضعونها في غير موضعها ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: أن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشك الله أن يعمهم بعقاب**[٦] **" فأشار بذلك إلي أن الآية تعني أن**

١- سنن الترمذى ــ كتاب الجنائز . باب أين تدفن الأنبياء جـ٢ صـ٣٣ .

٢- صحيح البخارى ــ كتاب الفرائض . باب نحن معاشر الأنبياء لا نورث جـ٨ صـ٨٥ .

٣- السيرة النبوية لابن هشام جـ١ صـ٣٧٤ .

٤- سنن الترمذى ــ كتاب الفضائل . باب فضائل أبى بكر جـ٥ صـ٦١١ .

٥- سورة المائدة آية ١٠٥ .

٦- سند الإمام أحمد جـ١صـ١ .

الاهتداء الحق هو القيام بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، ليتضح الحق ويظهر الرشد من الغي، وبعدها من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ...

و كان الصديق ينظر دائما في كتاب الله تعالي فإذا غاب عنه معنـــي مـــن معانيه سأل رسول الله ﷺ عنه فهو مصدره ، وهو مرجعه .

يروى الإمام احمد أن أبا بكر رضي الله عنه جاء للنبي ﷺ وقال له : **يا رسول الله كيف الصلاح بعد قوله تعالي ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾[١] . فكل سوء عملناه نجزى به ، فكيف الصلاح بعده .**

قال ﷺ : **غفر الله لك يا أبا بكر. ألست تمرض ؟**

ألست تنصب... ؟

ألست تحزن... ؟

ألست تصيبك اللأواء ؟

قال أبو بكر : **بلي يا رسول الله**

قال ﷺ : **فذلك مما تجزون به**[٢]

وكان الصديق يحول علمه إلى حركة هادفة ، فيباشر دعوة الناس بما علم وعمل ، وكان دائما يأمر بالمعروف ، وينهي عن المنكر .

وكان أبو بكر رضي الله عنه مقصد الجميع في الفتوى ، وكل من احتاج لأمر غاب عنه أتاه، وأخذ بفتواه .

أخرج البهيقى عن ميمون بن مروان قال: **كان أبـــو بكـــر إذا ورد عليـــه الخصم نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضى بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب وعلم عن رسول الله ﷺ في ذلك الأمر سنة قضى بها ، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين ، وقال أتانى كذا وكذا ، فربما اجتمع إليه النفر كلهـــم**

١- سورة النساء آية ١٢٣.

٢- مسند الإمام أحمد صـــ١ صـــ١١.

يذكر عن رسول الله ﷺ فيه قضاء .

فيقول أبو بكر : **الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا ، فإن أعياه أن يجد سنة عن رسول الله " جمع رؤوس الناس و خيارهم و استشارهم ، فإن أجمع رأيهم على أمر قضى به "[١] .**

هذا وقد وردت عن الصديق فتاوى كثيرة نكتفي بذكر بعضها :

- أخرج الشافعي في الأم عن أبي بكر رضي الله عنه **أنه كره بيع اللحم بالحيوان**[٢].
- وأخرج البخاري عن الصديق **أنه جعل الجد بمنزلة الأب في الميراث** [٣] .
- وأخرج البهيقي عن قيس بن أبي حازم قال: **جاء رجل إلى أبي بكر**

فقال : **إن أبي يريد أن يأخذ مالي كله يحتاجه .**

فقال أبو بكر لأبيه : **إنما لك من ماله ما يكفيك .**

فقال : **يا خليفة رسول الله ﷺ أليس قد قال الرسول ﷺ : أنت ومالك لأبيك ؟**

فقال أبو بكر: **إرض بما رضي الله به .**

وفي رواية عن المنذر بن زياد قال : **أبو بكر يعني بذلك النفقة** [٤] .

- وكان أبو بكر رضي الله عنه بفقهه يرد الأمور إلى نصابها .

أخرج بن سعد عن نافع بن عمر عن أبيه عن ابن أبي مليكة قال : **قال رجل لأبي بكر: يا خليفة الله .**

فقال أبو بكر: **لست بخليفة الله،ولكني خليفة رسول الله ﷺ أنا راض بذلك**[٥].

وقد كان الصحابة يفتون بما أفتى به الصديق رضي الله عنه.

فلقد أخرج البغوي بسنده إلى مالك عن ابن شهاب عن عثمان بن اسحق بن

١- السنن الكبرى للبيهقي – كتاب آداب القاضي جـ١٠ صـ١١٤.

٢- الأم كتاب البيوع . باب بيع الآمل جـ٣ صـ٧١.

٣- صحيح البخاري – كتاب الفرائض. باب ميراث الجد مع الأب جـ٨ صـ١٨٨.

٤- السنن الكبرى – كتاب النفقات. باب نفقة الوالد جـ٧ صـ٤٨١.

٥- الطبقات الكبرى جـ٣ صـ١٨٣ .

حرشه عن قبيصة بن ذؤيد أنه قال: **جاءت الجدة إلى أبى بكر تسأله ميراثها فقال : مالك في كتاب الله من شيء وما علمت لك في سنة رسول الله شيئا ، فارجعى حتى أسأل الناس، فسأل الناس .**

فقال المغيرة بن شعبة : **حضرت رسول الله وقد أعطاها السدس .**

فقال أبو بكر : **هل معك غيرك ؟**

فقام محمد بن مسلمة الأنصارى فقال : **مثلها**

قال المغيرة : **فأنفذلها أبو بكر السدس .**

ثم جاءت الجدة الأخرى "**أى أم الأب**" إلى عمربن الخطاب تسأله ميراثها .

فقال: **مالك في كتاب الله من شيء، وما كان القضاء الذى قضى به أبو بكر إلا لغيرك وما أنا بزائد في الفرائض شيئا، ولكن هو ذلك السدس، فإن اجتمعتما فهو بينكما ، وأيتكما خلت به فهو لها .**

وكان أبو بكر رضي الله عنه يتميز بحبه للناس ، يعين المحتاج ، ويقري الضيف ، ويساعد في نوائب الناس، يروي عبد الرحمن أبي بكر رضي الله عنهما أن **أصحاب الصفة كانوا أناسا فقراء، وأن رسول الله ﷺ قال مرة: من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس ... فجاء أبو بكر بثلاث واستضافهم في بيته إلا أنه غاب عند رسول الله ﷺ ورجع إلى ضيوفه بعدما مضي من الليل ما شاء الله تعالي .**

فقالت له امرأته: **ما حبسك عن أضيافك ؟**

قال لها : **وما عشيتيهم ؟**

قالت : **أبوا حتى تجئ .**

فغضب أبو بكر ... وذهب لأضيافه، وقدم لهم العشاء .

وقال لهم : **كلوا هنيئا، والله لا أطعم أبدا حتى تأكلوا، وحلف الأضياف أن لا يطعموا حتى يأكل أبو بكر . فأكل أبو بكر ثم أكلوا**[١] **.**

١– سند الإمام أحمد جـ١ صـ١٠.

وقد أحب الصحابة أبا بكر لحبهم لرسول الله ﷺ ورأوا منزلته مع نبيهم فأحاطوه بالتقدير والإعزاز .

يقول ربيعة الأسلمي رضي الله عنه : **كنت أخدم رسول الله ﷺ ... وقد أعطاني رسول الله أرضا، وأعطى أبا بكر أرضا، وجاءت الدنيا فاختلفنا في عذق نخلة ، فقلت أنا : هي في حدي .**

وقال أبو بكر: **هي في حدي ، فكان بيني وبين أبي بكر كلام .**

فقال أبو بكر كلمة كرهها وندم، فقال لي : **يا ربيعة رد عليها مثلها حتى تكون قصاصا .**

قلت: **لا أفعل**

فقال أبو بكر: **لتقولن أو لأستعدين عليك رسول الله ﷺ .**

فقلت: **ما أنا بفاعل ، ورفض الأرض .**

وانطلق أبو بكر رضي الله عنه إلى النبى ﷺ ، وانطلقت أتلوه ، فجاء ناس من أسلم فقالوا لي: **رحم الله أبا بكر ، في أي شيء يستعدي عليك رسول الله ﷺ وهو قد قال لك ما قال .**

قلت: **أتدرون من هذا ؟**

هذا أبو بكر الصديق، هذا ثاني اثنين، وهذا ذو شيبة المسلمين ، إياكم لا يلتفت فيراكم تنصروني عليه فيغضب ، فيأتى رسول الله ﷺ فيغضب لغضبه فيغضب الله عز وجل لغضبهما فيهلك ربيعة .

قالوا : **ما تأمرنا ؟**

قال : **ارجعوا**

فانطلق أبو بكر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فتبعته وحدي حتى أتى النبي ﷺ فحدثه الحديث كما كان، فرفع إلي رأسه فقال: **يا ربيعة مالك وللصديق ؟**

قلت: **يا رسول الله كان كذا كان كذا، قال لي كلمة كرهها فقال : قل لي كما قلت حتى يكون قصاصا فأبيت .**

فقال رسول الله ﷺ: **أجل فلا ترد عليه ، ولكن قل: غفر الله لك يا أبا بكر .**

فقلت : **غفر الله يا أبا بكر.**

يقول الحسن البصري : **فولى أبو بكر رضي الله عنه وهو يبكي**[1].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : **كنت جالسا مع النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته** ، فقال النبي ﷺ : **أما صاحبكم فقد غـامر ... فسلم** وقال: **يا رسول الله إنه كان بينى وبين الخطاب شىء فاسرعت إليه ثم ندمت ، فسألته إن يغفر فأبى على ، فأقبلت إليك .**

فقال ﷺ : **يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثا .**

ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل : **أثم أبو بكر؟**

قالوا: **لا**

فأتى النبى ﷺ فسلم عليه، فجعل وجه رسول الله ﷺ يتمعر ، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه ، فقال : يا رسول الله والله أنا كنت لـه أظلـم ... مرتين .

فقال النبي ﷺ : **" إن الله بعثني إليكم فقلتم : كذبت، وقال أبو بكر : صدق ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي (مرتين) . فما أوذي بعدها**[2].

وفى هذين الحديثين بيان واضح لمنزلة أبي بكـر مـن رسـول الله ﷺ ، وتقدير الناس لهذه المنزلة ، وكيف أن حب الرسول ﷺ لأبي بكر جعلـه فـي منزلة راقية، لدرجة أن دعا رسول الله ﷺ أصحابه لمسامحته والعفو عنـه إذا أخطأ ليخرج من الدنيا خاليا من الذنوب ، مبرءا من كل عيب ونقيصه .

إنه الحب الصادق الذي يجعل المؤمن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه ... ولذلك غضب رسول الله ﷺ من عمر ومن أبي الدر داء لأنهما لم يسارعا إلى العفـو

١- مسند الإمام احمد جـ٤ صـ٥٨.

٢- صحيح البخارى ـ كتاب المناقب . باب مناقب أبي بكر جـ٦ صـ٨٢

والدعاء لأبي بكر رضي الله عنه ،فهو غضب يدفعهم إلي مزيد من الحب لأبي بكر رضي الله عنه والى العفو عنه ، والى مسامحته حتى لا يعاقبه الله بخطإه فيهم .

إن هذا الغضب من رسول الله ﷺ يتجه إلى المواقف لا إلى الأشخاص ، فهو لا يتهم عمر ولا أبا الدرداء بخطإما ، وإنما يريد ﷺ منهما أن يعفوا عن أبى بكر لئلا يتحمل وزر موقفه ...

إن الله دعا المسلمين جميعا إلى العفو والصفح فقال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [١] .

ـ وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [٢] .

ـ ومدح الله سبحانه وتعالى الصحابة جميعا فقال عنهم ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [٣] .

ـ ويقول سبحانه ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [٤] .

١- سورة النور آية ٢٢ .

٢- سورة المائدة آية ١٣.

٣- سورة الفتح آية ٢٩ .

٤- سورة الأعراف آية ١٩٩ .

– ويقول سبحانه ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [١] .

وذلك لما للعفو من قوة في جمع القلوب ، وتوحد الأعمال وتحقيق الخير ، وإبراز أخلاق الإسلام .

و كان غضب رسول الله ﷺ حقا لأبى بكر لأنه أولى الناس بالعفو عنه لما له من أعمال وأفضال ، وهو أحب الرجال إلى رسول الله ﷺ ، ولذلك كان حرص رسول الله على تبرئة أبى بكر من أى إثم أو خطأ .

وقد استفاد أبو بكر في دعوته الناس بكل وسيلة ممكنة .

فكان يقرأ القرآن ويعلمه .

وكان يصاحب التجار يسافر معهم .

وكان يحدث رعاة الغنم مستفيدا بواقعهم الذي عاشه معهم .

وكان يروى الحديث عن رسول الله ﷺ ومروياته عديدة ، رواها عنه كبار الصحابة والتابعين .

وكان يخطب في الناس وهو البليغ الفصيح .

وكان يجالس الأفراد والجماعات وهو يعلم حاجاتهم. وما يحتاجون إليه .

وكان يهتم أثناء تجارته بدعوة التجار وغيرهم بأعماله وأقواله .

وقد اشترك في الغزوات مع رسول الله ﷺ فعلم فقة القتال ،ونصح وأرشد.

وكان نعم القائد لأمته فيما بعد .

وكان أبو بكر رضي الله عنه يسير علي خطي حبيبه المصطفي ﷺ يرجو الخير للناس ، ويعمل لنشر دين الله في العالمين، ويسعى لتكون كلمة الله هي العليا فعاش دنياه لآخرته ، وبذل كل جهده في خدمة دين الله تعالي ونشره في العالمين .

١- سورة آل عمران آية ١٣٤.

ـــ رابعا ـــ

اشتـــراك أبي بكـــر رضي الله عنه

في الغزوات والسرايا

استقر المهاجرون في المدينة، ووجدوا من الأوس والخرزج إيمانا حقيقيـا دفعهم إلي الحب ، والتضحية، والإخاء .. فتكون من المهــاجرين والأنــصار مجتمع مؤمن ، يسير بهدى الله، ويطيع رسول ﷺ ، ويعمل للإسلام وبالإسلام وينشر العدل والحق والسلام .

وكان المأمول أن تستقر الأوضاع في الجزيرة العربية، ويتحاكم الجميــع إلى العقل ، ويحفظ كل لغيره حقه ، ويقوم بواجبه ... بعيدا عن العنــصرية ، والتعالي ، والغرور.

كان المأمول ذلك إلا أن أعداء الحق أبوا هذا المنطق ، ورفضوا أن يكون للمسلمين دار يستقرون فيها، ودولة يحكمها دينهم، وأمة يقودها محمد ﷺ ... رفض الأعداء حق المسلمين في الحياة فعملوا علي التضييق عليهم ، ومحاربتهم بكل وسيلة ممكنة ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾[١] .

لم يقف الأعداء عند حد التفكير العدائي، وإنما تخطــوه إلــى التخطــيط العدواني ، والعمل الهجومي ، فاستولوا علي أموال المسلمين ودورهم في مكة وقسموها علي أشرافهم، ومنعوا الضعاف من الهجرة إلى المدينة حتى لا يزداد عدد المسلمين في دار الإسلام ، وأخذوا يشيعون بين قبائل العرب أن محمـــدا وصحبه خرجوا من مكة فارين ، مذعورين ، وأنه لا شأن لهم ولا قــوة وأن دينهم إلى ضعف وهوان .

١- سورة الصف الآية ٨ .

أخذ كفار مكة يشيعون هذه الافتراءات، ولم يسألوا أنفسهم عن سبب خروج المكيين من ديارهم ، ووطنهم مع قلتهم ، وضعفهم .

ولم يبحث المكيون عن السر في لجوئهم إلى الظلم والاضطهاد مع أنهم أهل الغنى والقوة، وأصحاب الجاه والسلطة، والبلد بلدهم ،ولو كان الحق معهم لما خافوا علي مذاهبهم وعقائدهم، ولتركوا الأمور تسير علي طبيعتها لأن النصر في النهاية سيكون للحق والصواب ، وتلك عادة الطغاة دائما ، يعملون لغاياتهم ، ويتهمون الأبرياء ويلحقون بخصومهم كل نقيصة ، ويبرءون أنفسهم من كل عيب ، بلا مبالاة لغيرهم ، وبلا تقدير لأفهام العقلاء .

ولقد نجح المكيون في إثارة الشبهات الكاذبة حول هجرة المسلمين ، وحرضوا القبائل الموجودة حول المدينة علي المسلمين وصنعوا منهم سياجا معاديا يسهل لهم العدوان ، ويحقق لهم الغلبة .

وكان الله مع المسلمين فأذن لهم بالقتال بعد الهجرة، ونزل قوله تعالى ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ﴾[١] . وفى الآيات إذن للمهاجرين بالجهاد ليصونوا حقوقهم، ويردعوا أعداءهم.

فلما وقعت غزوة بدر ، وظهر عدوان قريش ، نزل الأمر بقتال المعتدى ، وفي ذلك يقول الله تعالي ﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ ﴾[٢] .

فلما كانت غزوة (الأحزاب) التي جمعت كفار مكة ، ومن شايعهم من القبائل والأعراب كان الأمر بقتال الأعداء كافة لأنهم باشروا القتال كافة يقول

١- سورة الحج الآيات (٣٩ ـ ٤٠) .
٢- سورة البقرة آية ١٩٠.

الله تعالي ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[١] .

وبذلك تحدد طريق التعامل مع هؤلاء الصادين عن الله ، العاملين علي هدم الإسلام ، والقضاء عليه في الأرض ، ومحاربة المسلمين لمجرد أنهم مسلمون إنه طريق يقوم علي الجهاد بصوره وتنوعه، وقد باشره المسلمون بـــإخلاص وصدق ، وبينوا للعالم كله أحقية ما قاموا به، وضرورة الأسلوب الذي اتبعوه لأنه الوحيد الذي يمنع الإرهاب والعبث ، ويفتح طريق الحرية أمام الإســـلام والمسلمين ، وأمام الناس أجمعين.

إن العالم المعاصر وصل إلى فلسفة الجهاد الإسلامى وفكرته وأخذ يعمـــل بمنهجيته إلا أنه يسلكه بانحراف ، وفق مقصد المعاصرين ، وخطأ أسلوبهم ، وتوجههم العنصرى البغيض .

نرى أقوياء العالم اليوم يشكلون القوة الدولية ، ويعدون العـــدة العـــسكرية للتصدي للظلم والعنف ، والعمل لنشر الحرية والديموقراطية لأنفسهم ولغيرهم وتحقيق العدل والسلام في العالم كله كما يزعمون .

إن العالم المعاصر بني فلسفته علي منهج مشروعية الجهاد فـــي الإســـلام الذي يعمل بالعدل ، ويتحرك بكرامة ، ويحترم إنسانية الإنسان .

ولكن هذا العالم بعيد عن وسائل وغايات الجهاد لأنه لا يقصد الحق ، وإنما يريد السيطره ، والتحكم ، والاستعباد .

إن وسائل الجهاد تبدأ بالنصح والدعوة، والبيان الصادق، والحوار النبيل ، كما يتعامل المجاهد مع الواقع كما هو بلا تزييف أو ادعـــاء ، ويقـــف عنـــد الغايات المعلنة الخيرة ، ويحاول خلق إنسانية فاضلة تحقق العـــدل ، وتكـــرم الإنسان ، وتصون الحقوق وتوجه الجميع للخالق العظيم .

بينما العالم المعاصر يخفي نواياه وراء ستار من الدعاية ، والانتهازيـــة ،

١- سورة التوبة آية ٣٦.

ويستغل حاجة المجتمع المعاصر إلى الحرية فينادي بها ، و هو يقصد وضـع الناس في قيد من الذل والصغار ...

إن العالم المعاصر لا يعلن أهدافه الأخيرة النهائية ليضم إليها ما يجد مـن أمور جديدة تتناسب مع عدوانيته ورغبته في السيطرة .

أما الجهاد الإسلامي فإنه يهدف إلي رفع كلمة الله لتكون هي العليا ، ويمنع الإرهاب الفكرى ، والعلمي ، ويحرم سيطرة وظلم القوى للضعيف ، ويعمـل لتحقيق الحرية الحقيقية لكل الناس ... في كل زمان و مكان .

إن الجهاد الإسلامي واضح في مشروعيته ، واضح في أساليبه ، واضـح في غاياته ، ولذلك بقي خالدا في القلوب والعقول ببهائه وسموه رغم ضعف المسلمين وفقرهم وهوانهم .

لو كان في الجهاد ما يسئ لساءت فلسفته، ولرأينا التهم توجه إليه من كل جانب ... وكل ذلك لم يحدث .

إن التهم الزائفه توجه للصور العامة للجهاد بعد فـصلها عـن أسـبابها ، ونتائجها و ذلك تحريف لا يجوز .

جاهد المسلمون في المدينة بعد الهجرة ، وعاشوا مع رسول الله ﷺ وهـو يقودهم للحق والنصر ، وسجلوا للدنيا كلها،وللتاريخ كله حقيقة الجهاد بصوره الصحيحة التي تدل على ارتباطه بالدعوة ، وقيامه على الحوار الحق،وتمسكه بالوسائل التي كرمت الإنسان ، وحافظت علي حقوقه وحريته ومنعت الطغـاة من الظلم والعدوان .

وعاش أبو بكر رضي الله عنه مع الرسولﷺ، وصاحبه في كل مواقفه، ولذلك برز دوره الجهادى . بالفكر والمشورة ،والعمل ،والقتال ،وتحمل الجهد والمشاق .

شهد أبو بكر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها، ولم يتخلف عن واحد منها ، يقول الزمحشرى : **إن أبا بكر** رضي الله عنه **كان مصاحبا لرسول الله ﷺ إلـى الأبد**[١] .

١- أنظر كتب السيرة .

فلقد عاشره صغيرا، وآمن به رسولا، وصاحبه مهاجرا، وسار معه جنديا تابعا ، وأنفق ماله في سبيل الله مجاهدا ، وزوجه ابنته مصاهرا ، ولم يـزل ملازما له سفرا وحضرا فلما توفيﷺ دفنه صاحبه أبو بكر في حجـرة ابنتـه عائشة رضي الله عنها [١] .

وقد تولي أبو بكر رضي الله عنه قيادة الجهاد في عدد من السرايا... وفـى هـذا المبحث سأحاول بإذن الله تعالى رصد اشتراك أبي بكر في الجهاد مع رسـول الله في المدينة بعد الهجرة وذلك فيما يلي :

ـ ١ ـ

اشتراكــه فــي السرايا

قبــل بــدر

لم تتحدث كتب السيرة صراحة عن اشتراكه في السرايا والغزوات التـي وقعت قبل بدر، وإني أرى اشتراك أبي بكر رضي الله عنه في بعضها ، لعدة أمور :

ـ فهو ـ أولا :

في رأس المهاجرين الذين أذن الله لهم بالقتال لأنهم هم الذين ظلموا، وهم الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ، ومن المعقول والمأمول أن يكون أبو بكر بين هؤلاء المهاجرين .

ـ وهو ـ ثانيا :

قال شعرا في سريتي عبيدة بن الحارث ، وعبد الله بن جحش ،يصف فيه ما حدث ، ويدافع فيه عن المسلمين ، ويرد مزاعم أعدائهم ، وهـذا يـرجح اشتراكه في هذه السرايا . لأن وصفه كان وصف مشاهد حاضر .

١- أنظر كتب السيرة .

ـــ وهو ـــ ثالثا :

لم يشترك في السرايا قبل بدر أحد من غير المهاجرين رغم قلة عددهـــم ، ولم تورد كتب السير الأسماء التفصيلية للذين اشتركوا فيها، واكتفى المؤرخون بقولهم مع كل سرية : **وليس في هذه السرايا من الأنصار أحد**[1] .

وعلي الجملة . فإن ما حدث قبل بدر كان تمهيدا لها ، و إيقافـــا لمـــزاعم مشركي مكة عن ضعف المسلمين ، وردعا لمن تسول له نفسه العدوان علـــي المسلمين ، وأبو بكر رضي الله عنه لم يكن بعيدا عن أحداث المدينة كلها إن لـــم يكـــن بالعمل والتنفيذ فبالفكر والتخطيط .

ـــ ٢ ـــ

اشتـــراك أبـــى بكـــر رضي الله عنه

في أحداث غزوة " بدر"

غزوة " **بدر**" هي الغزوة الأولي التي وقع فيها قتال بين المسلمين وأعدائهم وتعرف بغزوة " **بدر الكبري** " تميزا لها عن غزوة بدر الأولى المـــسماة بـــ " **غزوة صفوان**" ولما جاءت به من نتائج و آثار .

وقد دعا الرسول ﷺ المهاجرين إلي التصدى لقافلة قريش أثناء رجوعهـــا من الشام ليأخذوا منها عوض بعض مـــا أخـــذه المكيـــون مـــنهم ، وأذن الله للمهاجرين بالقتال إن احتاجوا إليه. فخرج المسلمون علي وجه التطوع وهـــم لا يريدون القتال، ولم يستعدوا له، وخرج الأنصار مع إخـــوانهم المهـــاجرين لإعانتهم ومساعدتهم .

وقد تمنى المسلمون أن يأخذوا عوض بعض أموالهم بلا قتال أو مواجهة يقول الله تعالى ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ

١- سيرة النبي ﷺ جـ١ صـ٥٩١ .

ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧﴾ ﴾[1] .

شاعت إرادة الله أن تفلت العير ، وتخرج مكة بعدتها وعتادهـا وعـددها لتأديب المسلمين علي محاولاتهم التصدي لقوافلهم التجارية، وعسكر المسلمون في بدر ، ووجدوا أن الحرب قد فرضت عليهم فرحبوا بها . وباشروها حتـى انتهت بانتصار المسلمين بعد استشهاد أربعة عشر رجلا، وقد قتل من كفـار مكة سبعون رجلا، وأسر منهم سبعون آخرون. ووارى المسلمون شهداءهم ، وعادوا بالأسرى الي المدينة المنورة ، واحتفظوا بهـم حتـى افتـداهم أهـل مكة[2]وكان لأبي بكر دور كبير في أحداث غزوة بدر في كافة مراحلها، حيـث شارك بالفكر والتخطيط، والعمل والتنفيذ ... **ومن هنا وجدنا أبا بكر** رضي الله عنه **من خلال غزوة بدر يقوم بالمهام التالية :**

ـ أ ـ

الخروج مع رسول الله ﷺ

خرج أبو بكر رضي الله عنه مع الرسول ﷺ والمسلمين متجهين إلى بدر ، وكـان عدد إبل المسلمين قليلا، فاعتقبوها ، فكان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب ، ومرشد الغنوى يعتقبون بعيرا، وكان أبو بكر ، وعمر ، وعبد الـرحمن بـن عوف يعتقبون بعيرا... وهكذا ... وأخذ ركب المجاهدين طريقه نحو " بـدر" وعند واد يسمي " **ذفران** " نزل الركب ليستريح، وجاءهم خبر خروج قريش ، فأخذ النبي يستشير أصحابه، ويعرفهم باتجاه الأحداث نحو الحرب والقتال " .

قال لهم ﷺ : **أشيروا علي أيها الناس .**

فقال أبو بكر وأحسن وحدد للنبي ﷺ مكان القوم ... وتبعه عمر بن الخطاب والمقداد بن الأسود من المهاجرين ... واتجه الرسول ﷺ إلي الأنصار ليعرف رأيهم .

١- سورة الأنفال الآية ٧ .

٢- انظر كتابنا (السيرة النبوية والدعوة في العهد المدنى جـ ٣ صـ ٢٥٢ ـ ٢٩٠) .

فقالوا : **خيرا ... وأحسنوا**[١]

وبعد ذلك واصل الركب سيره ، حتى وصل " بدرا " وعندها أبقي رسول الله ﷺ أبا بكر بجواره حيث اتخذه مستشارا ورفيقا ، وبقي أبو بكر مع رسول الله إلي انتهاء المعركة مقيما في عريشه ﷺ الذي بناه له الصحابة رضوان الله عليهم .

ـ ب ـ

مشاركة أبى بكر النبي ﷺ في الاستطلاع

بعد أن استقر المسلمون في بدر ركب الرسول ﷺ مع أبي بكـــر وســـارا لمعرفة أخبار قريش، فوقفوا علي شيخ من العرب لا يعرفهما ، **فسأله رسول الله ﷺ** عن محمد وأصحابه، وعن قريش وما بلغه عنهم .

قال الشيخ : **لا أخبركما حتى تخبرانى ممن أنتما ؟**

فقال رسول الله ﷺ : **إذا أخبرتنا أخبرناك .**

قال : **أذاك بذاك ؟**

قال : نعم

قال الشيخ : **فإنه بلغنى أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا و كذا ، فإن كان صدق الذى أخبرنى ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى بـــه رســـول الله ﷺ .**

وبلغنى أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرنى صـــدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي فيه قريش.

فلما فرغ من خبره، قال: ممن أنتما ؟

فقال رسول الله ﷺ : **نحن من ماء، ثم انصرفا عنه .**

فقال الشيخ : **ما من ماء، أمن ماء العراق ؟**

يقول ابن هشام : **ذلك الشيخ هو سفيان الضمرى**[٢] .

١- سيرة النبي جـ١ صـ٦١٥ .
٢- سيرة النبي لابن هشام جـ١ صـ٦١٧ .

وترك الرسول ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه الرجل بعدما علما مكان القوم .

ـ جـ ـ

الدفـــاع عن الرســـول ﷺ
خلال المعركة

أشار سعد بن معاذ رضي الله عنه علي رسول الله ﷺ أن يبني له المسلمون عريشا خلف الجيش .

وقال: يا نبي الله ، ألا نبني لك عريشا ، تكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقي عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا علي عدونا ، كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست علي ركائبك فلحقت من وراءنا، فقد تخلف عنك أقوام ، يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم، ولو ظنوا أنك تلقي حربا ما تخلفــوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك .

فأثني رسول الله ﷺ علي كلام سعد، ودعا له، ووافق علي بناء العريش فوق تبة مرتفعة في العدوة الدنيا الموجودة جهة المدينة [1] .

فلما بني العريش وضع المجاهدون له نظاما للحراسة ، والمحافظة علـــى رسول الله ﷺ بأن يقيم رسول الله ﷺ وأبـــو بكـــر فيـــه لمراقبـــة وتوجيـــه المعركة،وتقوم جماعة من شباب الأنصار بقيادة سعد بن معاذ بحراسة العريش من خارجه، علي أن يقوم أبو بكر بالحراسة الشخصية لرســـول الله ﷺ حتـــى لا يصل إليه مشرك[2] .

واختار المسلمون للعريش تبة مرتفعة خلف المجاهدين تساعد علي رؤيـــة الميدان كله ، ومنه يسهل التوجيه ، وتحسن القيادة .

١- سيرة النبي جـ١ صـ٦٢٠ والعريش عبارة عن بناء من الحطب ، والجريد ، والقش يقام فوق أعمدة من الخشب ، يساعد من فيه على رؤية متسعة للموجود أمامه وحوله .

٢- سيرة النبي جـ١ صـ٦١٩ ، ٦٢٠ .

وقد قام أبو بكر بدوره مع رسول الله ﷺ خير قيام فقد قام بالقضاء علي كافة محاولات المشركين الوصول إلي رسول الله ﷺ ...

تحدث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال : **يا أيها الناس من أشجع الناس ؟**

فقالوا له : **أنت أشجع الناس .**

فقال: **أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه ، ولكن هو أبو بكر ، إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشا يوم بدر ، وقلنا : من يكون مع رسول الله ﷺ لـئلا يهوى عليه أحد من المشركين ؟**

فكان هو أبو بكر فو الله مادنا منه أحد إلا وأبو بكر شاهر بالسيف علي رأس رسول الله ﷺ ، لا يهوى إليه أحد من المشركين إلا أهوى إليه ... فهذا أشجع الناس[1] .

ولما اشتد وطيس المعركة نزل الرسول الله ﷺ إلى الصفوف يحرض المسلمين علي القتال ، ويحثهم علي الثبات، ويشترك معهم في الرمي، ونزل أبو بكر رضي الله عنه مع رسول الله يحرسه ، ويشترك معه في القتال[2].

ورجع النبي إلى العريش وأبو بكر معه. وأخذ يدعو الله ، ويستغيث به .

ويقول ﷺ : **اللهم انجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلن تعبد بعد اليوم في الأرض "**[3] .

واشتد توجه النبي لله ﷺ ، وأخذ يرفع يده حتى سقط رداؤه علي منكبيه ، وهنا أخذ أبو بكر يخفف عن رسول الله ﷺ ، ويهدئه ، ويقول له : **يا رسول الله ﷺ ، بعض مناشدتك ربك فإنه منجز لك ما وعدك .**

ولما بدت ملامح النصر ، ونزلت الملائكة لنصر المؤمنين كان أبو بكر أول من بشره النبي ﷺ بالنصر وقال له: "**أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده علي ثنايا من النقع"**[4] **وبعدها خرج النبي ﷺ**

١- المرجع السابق .
٢- سيرة النبي جـ١ صـ٦٢٧ .
٣- المرجع السابق جـ١ صـ٦٢٧ .
٤- سيرة النبي جـ١ صـ٦٢٧ .

إلى الناس وأخذ يقرأ قوله تعالي ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [١] .

وهكذا عاش أبو بكر مع رسول الله في بدر . يحرسه، ويحارب معه ، ويهدئ خاطره ، ويطمئنه ، فنعم الصاحب الأمين .

ـ د ـ

الأخذ برأي الصديق رضي الله عنه في أسري بدر

رجع المسلمون بالأسري إلى المدينة المنورة ، وعددهم سبعون أسيرا ، وبدأ النبي ﷺ يستشير أصحابه فيهم، وكان دائما يبدأ بمشورة أبي بكر، وغالبا ما يأخذ برأيه لما رأي فيه من فطنة وأناة .

جمع النبي ﷺ أصحابه من المهاجرين والأنصار وقال لهم ﷺ : **"ما ترون في هؤلاء الأسارى " ؟**

فقال أبو بكر : **يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة : أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم إلى الإسلام .**

فقال رسول الله ﷺ : **"ما ترى يا ابن الخطاب " ؟**

قال عمر: **لا والله يا رسول ، ما أرى الذي يراه أبو بكر ، ولكني أرى أن تمكننا منهم ، فنضرب أعناقهم ، فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكنني من فلان فأضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها** [٢] **.**

فهوى رسول الله ﷺ إلى ما قال أبو بكر ، فلما كان الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما .

١- سورة الأنفال آية ٦٧ ، ٦٧ .

٢- صحيح مسلم ـ كتاب الجهاد . باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم جـ٣ صـ١٣٨٣ـ ١٣٨٥

فقال رسول الله ﷺ : " **أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة " . (شجرة قريبة من النبي ﷺ) حيث أنزل الله عز وجل :** ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ ﴾[1]. **فأحل الله لهم الغنيمة ، وعفا عنهم[2] بعدما عاتبهم على ما فعلوا .**

وعاش المسلمون درسا بانيا يفيدهم علي الزمن كله، ويأخذون منه العبر التالية:

- ضرورة الشورى واحترام كافة الآراء ، فبرغم أن الوحي ينزل ، والرسول متصل بربه فقد شاور النبي ﷺ أصحابه في الأسري ، كما شاورهم في غير ذلك ، وأخذ برأى أبي بكر رضي الله عنه الذي رجح عنده .
- نزل الوحي معارضا لرأى أبي بكر الذي عمل به الرسول إلا أن الله أقر المسلمون علي ما فعلوا وشرع لهم الغنيمة والفداء، وغفر لهم ما وقع منهم. ليعلموا أن أسري بدر هؤلاء الذين اطلقوهم بالفداء سيكونون قوة لأهل مكة الذين يتربصون بهم كما رأوا بعد ذلك في أحد، وكان عليهم أن يتدبروا الأمر، ناظرين للمستقبل بلا تأثر بروابط قبلية، أو مصلحة قصيرة عاجلة.
- أهمية تقدير الموقف من كافة جوانبه، ووضع القضية في إطار محدد واقعى وحقيقى، حتى تعرف كافة الاتجاهات وبذلك يكون القرار شاملا ودقيقا وقريبا من الصواب .

١- سورة الأنفال آية ٦٧، ٦٨ .

٢- صحيح مسلم ـ كتاب الجهاد والسير . باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر جـ٣صـ١٣٨٣ ـ ١٣٨٥ .

- ترك الإسلام مساحة واسعة من الاختيارات أمام اجتهاد المسلمين في مستقبل الحياة .
- ضرورة أخذ الحذر المستمر من أعداء الإسلام لأنهم يعملون بلا هوادة لهزيمة المسلمين ، ومحاولة القضاء عليهم وعلى الإسلام .

ـ ٣ ـ

أبو بكر رضي الله عنه

وأحداث غزوة أحد

انهزم المسلمون في غزوة " أحد " لمخالفتهم أمر رسول الله ﷺ بعد ما لاح لهم النصر في البداية، وتفرقوا بددا ، وبقي رسول الله ﷺ فكسرت رباعيته ، وشج وجهه ، ووقع في حفرة نصبها المشركون له .

نادي النبي ﷺ علي أصحابه بعد تفرقهم فاجتمع حوله بعضهم ، وكان أبو بكر رضي الله عنه أحدهم، ومعه أبو عبيدة ، وعلي، وطلحة، والزبير، وعمر بن الخطاب وغيرهم ، وكان أبو بكر كلما تذكر يوم " أحد" بكي للمواقف التي عاشها المسلمون يومها[1] .

تحدث أبو بكر رضي الله عنه عن يوم أحد فقال: **ذلك يوم كله لطلحة، فلقد كنت أول من فاء يوم أحد، فرأيت رجلا يقاتل في سبيل الله دونه، فقلت: كن طلحة، حيث فاتني، وكان بيني وبين المشركين رجل لا أعرفه، وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه، وهو يخطف المشي خطفا لا أخطفه فإذا هو أبو عبيدة ، فانتهينا إلى رسول الله ﷺ وقد كسرت رباعيته وشج وجهه، وقد دخل في وجنتيه حلقتان من حلق المغفر .**

قال رسول الله ﷺ : "**عليكما صاحبكما ـ يريد طلحة ـ فقد نزف". فلم نلتفت إلى قوله .**

١- انظر السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني " غزوة أحد " .

وذهبت لأنزع من وجهه ما فيه ، فقال أبوعبيدة : **أقسم عليك لحقي لما تركتني ، فتركته** ، فكره تناولها ، فيؤذي رسول الله ﷺ فأرزم عليه بفيه فاستخرج إحدى الحلقتين ، ووقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة فكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتما ...

فأصلحنا من شأن رسول الله ﷺ ، ثم أتينا طلحة في بعض تلك الحفار ، فإذا به بضع وسبعون ضربة بين طعنة برمح ورمية بسهم ، وضربة بسيف ، وقد قطعت إصبعه فأصلحنا من شأنه[١] .

وتتضح منزله أبي بكر في الإسلام ، ومع رسول من سؤال أبي سفيان بن حرب " وكان في صف المشركين يوم أحد " ، عن مصير أعمدة الإسلام الرئيسية وهم رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمر .

فلما أخبره أبن قميئة بقتل الثلاثة صاح أبو سفيان: **أعل هبل ...**

وأخذ يسأل فرحا : **أين ابن أبي كبشة يقصد رسول الله .**

أين ابن أبي قحافة ؟ ...

أين أبن الخطاب ؟ ...

يوم بيوم بدر ، إلا أن الأيام دول ، وإن الحرب سجال ، وحنظله بحنظلة ...[٢]

ولما شاع خبر مقتل هؤلاء العظماء الثلاثة أخذ أبو سفيان يكثر في شماتته وسروره وينادى بلا رد من أحد ، وكان رسول الله ﷺ قد أمر أصحابه بعدم الرد عليه من باب " إخفاء الجراح ، ومحافظة على روح الجهاد في قلوب المسلمين ، إلى أن يتماسك الجيش، ويترابط المسلمون في الميدان " .

فلما تغير الأمر ... قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : **ألا أجيبه يا رسول الله ﷺ ؟**

فقال ﷺ : **بلي أجبه**

فقال أبو سفيان: **أعل هبل**

فقال عمر : **الله أعلي وأعلم**

١- منحة المعبود جـ٢ صـ ١٩

٢- صحيح البخارى- كتاب الجهاد .باب قول الله تعالى "هل تربصون بنا إلا أحدى الحسنيين" جـ٢صـ٢١٣

قال أبو سفيان: **إنها قد أنعمت فعلا. أين ابن أبي كبشه؟**

أين ابن أبي قحافة ؟ ...

أين أبن الخطاب ؟

قال عمر رضي الله عنه : **هذا رسول الله ، وهذا أبو بكر ، وهذا عمر .**

فقال أبو سفيان : **يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ، والأيام دول .**

فقال عمر: **لا سواء ، قتلانا في الجنة ، وقتلاكم في النار .**

فقال أبو سفيان: **إنكم لتقولون ذلك . لقد خبنا إذا وخسرنا ، لنـــا العــزي ولا عزي لكم .**

فقال عمر: **الله مولانا . ولا مولي لكم .**

فقال أبو سفيان: **أنشدتك بدينك . هل قتلنا محمدا ؟**

فقال عمر : **اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن .**

فقال أبو سفيان : **أنت أصدق عندى من ابن قميئة[1] .**

ـــ ٤ ـــ

أبـــو بكـــر رضي الله عنه

وغـــزوة حمراء الأسد

اشترك أبو بكر رضي الله عنه في غزوة " **حمراء الأسد** " وهي التي أمر فيها رسول الله ﷺ كل من اشترك في غزوة أحد بالخروج ، فخرجوا جميعا، ولم يتخلف منهم أحد . وخرج أبو بكر مع الخارجين في هذه الغزوة . فعن عائشة رضي الله عنها أنها لما نزل قوله تعالي ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [2] سألت عن الذين تعنيهم الآية . فأجابها عروة بن الزبير وقال : **لما أصاب رســـول الله ﷺ مـــا**

١- سيرة النبي جـ٢ صـ١٦٥ .

٢- سورة آل عمران الآية ١٧٢ .

أصاب يوم أحد ، وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا .

وقال: **من يذهب في إثرهم ؟**

فانتدب من أصحابه سبعين رجلا ، كان فيهم أبو بكر والزبير رضي الله عنهما[1] فلما شعر بهم القرشيون خافوا ، وشدوا في الرحيل هروبا من لحاق المسلمين بهم .

ـ ٥ ـ

أبو بكر رضي الله عنه والحديبية[2]

في العام السادس الهجرى خرج رسول الله ﷺ في شهر ذي القعدة يريد أداء العمرة، وصاحبه في هذا التوجه ألف وأربعمائة من المهاجرين والأنصار وعلي رأسهم أبو بكر رضي الله عنه .

وقد تحدث المؤرخون عن دور أبي بكر في أحداث الحديبية ومنها :

أ ـ بذل المشورة لرسول الله ﷺ :

علم أهل مكة بخروج المسلمين وتحركهم من المدينة، كما علموا أن المسلمين يسوقون أمامهم الهدى المعلمة ، وقد لبسوا ملابس الإحرام ، ومع ذلك كبر عليهم أن يسمحوا للمسلمين بأداء العمرة ، فأعدوا العدة لصد المسلمين عن أداء العمرة ...

حينئذ جمع النبي ﷺ أصحابه وقال لهم : **أشيروا علي أيها الناس ؟**

فقال أبو بكر رضي الله عنه: **خرجت عامدا لهذا البيت، لا تريد حرب أحد، أو قتل أحد فتوجه له ، فمن صدنا عنه قاتلناه .**

١- صحيح البخارى – كتاب المغازى . باب " الذين استجابوا لله ورسوله " جـ٣ صـ٣٦ .

٢- الحديبية بضم الحاء ، وتشديد الياء أو تخفيفها قريه صغيرة على بعد اثنين وعشرين كيلو مترا من مكة من جهة الشمال الغربى ، بها مسجد الشجرة ، كانت زمن النبي ﷺ سهلا واسعا نزل فيه المسلمون .

فقال ﷺ : **امضوا علي اسم الله**[١] .

وقد استمر المسلمون في مسيرتهم حتى وصلوا الحديبية فحطوا رحالهم فيها .

ب ــ أبو بكر يشترك في المفاوضات :

أقام المسلمون في الحديبية ، وأبوا أن يفجأوا أهل مكة بالدخول عليهم حرصا علي حرمة البيت ، وتقديرا للأشهر الحرم ... وهنا بدأ أهل مكة في إرسال رسل من قبلهم لمفاوضة المسلمين ، و منعهم من دخول مكة ، ومعرفة مقصدهم من المجئ لمكة .

علم رسل المكيين أن محمدا وصحبه لا يريد حربا ، فلقد أحرم، وعلم الهدى ، وساقه أمامه . وقد إلتقي بهم رسول الله، وشاهدهم صحابته ، وجاء الرسل واحدا تلو الآخر .

في المرة الثانية جاء عروة بن مسعود الثقفى الذي اشترك أبو بكر في مواجهته و مناقشته ، والرد عليه بعدما رآه يهدد ويتوعد .

قال عروة لرسول الله: **يا محمد أجمعت أو باش الناس ، ثم جئت بهم إلي بيضتك لتفضها بهم؟ ... إنها قريش قد خرجت. معها العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمور،يعاهدون الله ان لا تدخلها عليهم عنوة أبدا ...!! وأيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك ...!!**

لم يرتض أبو بكر من عروة وصفه الصحابة بأنهم " **أوباش الناس** " ، ولم يتحمل تهديده بخروج مكة ومعها العوذ المطافيل أي **(الرجال والنساء ، والكبار الصغار)** ، ولم يصبر علي قوله للنبي ﷺ : **لعل هؤلاء يقصد الصحابة يتركونك وينصرفون عنك .**

لم يرتض أبو بكر رضي الله عنه كل هذا فرد عليه قائلا : **أمصص بظر اللات، "إلهكم" أنحن ننكشف عن رسول الله ﷺ !!!** [٢]

١ـ دلائل النبوة للبيهقى . باب ذكر سبب خروج النبي ﷺ ورؤيا عاتكة بنت عبد المطلب جـ٣ صـ٣٤

٢– صحيح البخارى ــ كتاب الشروط في الجهاد حــ٤ صــ٤٢٢ .

ج ــ رأي أبي بكر في الصلح وقوة إيمانه :

جرت المفاوضات،وانتهت إلي تحديد بنود الصلح، وظن كثير من الصحابة أن في شروط الصلح إجحافا بالمسلمين، ووصل بهم الأمــر إلــي أن أخــذوا يتساءلون: **علام نعطى الدنية في ديننا ؟**

روي المؤرخون أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان من هؤلاء الصحابة الذين عارضوا الصلح . ولذلك جاء لرسول الله ﷺ وقال له : **ألست برسول الله ؟!**

قال ﷺ : **بلى**

قال عمر : **أولسنا بالمسلمين ؟!**

قال ﷺ : **بلى**

قال عمر : **فعلام نعطى الدنية في ديننا ؟!**

فقال رسول الله ﷺ : **أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعني .**

في هذا الموقف يظهر يقين أبي بكر ، وقوة إيمانه ، ودقة معرفته بمقــام رسول الله ﷺ ...

يأتيه عمر بعد ذلك ويسأله : **أليس برسول الله ؟**

يرد أبو بكر : **بلي**

فيقول عمر : **أولسنا بالمسلمين ؟**

فيقول أبو بكر: **بلي**

فيقول عمر: **أو ليسوا بالمشركين ؟**

فيقول أبو بكر: **بلي**

فيقول عمر : **علام نعطي الدنية في ديننا ؟**

فيقول أبو بكر: **إلزم غرزه، فإني أشهد أنه رسول الله ﷺ ، إن الحق ما أمــر به، ولن يخالف أمر الله، ولن يضيعه الله**[1] **.**

وهكذا تطابق موقف أبي بكر مع موقف رسول الله ﷺ،وفي ذلك بيان لإيمان

١- أخرجه أحمد في مسنده جــ٤ صــ٣٢٥ .

أبي بكر القوى،لأن الرسول معه الوحي . وأبو بكر معه الإيمان المتين،وكمال العقل والفهم السديد ، وتطابق هذا الموقف يدل على قوة إيمان أبى بكر رضي الله عنه .

وأثناء رجوع المسلمين إلى المدينة . نزل وهم بـ " **كراع الغميم** " قوله تعالي : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ ﴾[١] وعندئذ قال النبي ﷺ عنها : **لقد نزلت علي سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**[٢] .

وهنا علم المسلمون حقيقة الصلح ، وسر أبو بكر رضي الله عنه بموقفه وقال بعد ذلك :

ما كان فتح أعظم في الإسلام من فتح الحديبية ، ولكن الناس يومئذ قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه ، والعباد يعجلون ، والله لا يعجل كعجلة العباد حتى يبلغ الأمور ما أراد ، لقد نظرت إلى سهيل بن عمرو في حجة الوداع قائما عند المنحر يقرب إلى رسول الله ﷺ بدنة ، ورسول الله ﷺ ينحرها بيده ، ودعا الحلاق فحلق رأسه ، وأنظر إلى سهيل يلتقط من شعره وأراه يضعه على عينه ، وأذكر إباءه أن يقر يوم الحديبية بأن يكتب : "بسم الله الرحمن الرحيم" ويأبى أن يكتب : محمد رسول الله ﷺ، فحمدت الله الذي هداه للإسلام[٣] .

ـ ٦ ـ

أبـــو بكـــــر رضي الله عنه

وفتح مكة

نقض بنو بكر الذين دخلوا في حلف قريش عهد الحديبية ، وقتلوا من خصومهم بني خزاعة الذين دخلوا في دين محمد ﷺ .

وقد ظنت قريش أن محمدا لن يعلم بعدوانها ، فأعانت حليفتها ، وخططوا

١- سورة الفتح آية ١ .

٢- أسباب النزول للواحدى صـ٢٧٥ .

٣- خطب أبى بكر صـ١١٧ .

العدوان ليلا.. إلا أن عمرو بن سالم قدم المدينة، وأخبر رسول الله ﷺ بخبر القوم ، وطلب النجدة والعون. فقال له ﷺ : **نصرت يا عمرو بن سالم** [١]...

وتجهز المسلمون لنصرة حلفائهم، وذهبوا إليهم وبذلك تم فتح مكة ...

وقام أبو بكر رضي الله عنه بدوره في أحداث الفتح فشارك بالرأي، وساهم في الجهاد والنصح. وأهم أعماله في الفتح :

ـ أ ـ

مواجهة أبي سفيان بالحق

خاف القرشيون أن يعلم الرسول ﷺ بغدرهم وظنوا اختفاء مؤامرتهم فأرسلوا أبا سفيان بحيلة ماكرة إلى المدينة المنورة . **فقابل رسول الله ﷺ وطلب منه أن يشدد العقد ، ويزيد المدة .**

فسأله النبي ﷺ : **هل حدث أمر قبلكم ، ولذلك قدمت؟!**

فرد أبو سفيان: **معاذ الله ، نحن علي عهدنا ، وصلحنا ، لا نغير ، ولا نبدل .**

فخرج أبو سفيان من عند رسول الله قاصدا أبا بكر ، **وطلب منه أن يساعده في تجديد العقد وزيادة المدة** ... فرد عليه أبو بكر وقال : **جواري في جوار رسول الله ﷺ ، والله لو وجدت الذر تقاتلكم لأعنتها عليكم** [٢] .

وبهذه الإجابة يظهر أبو بكر ثقته في الله ورسوله ، ويبين شجاعته واستعداده لقتال المشركين. ويوضح في نفس الوقت أنه تابع لرسول الله ﷺ ، ومطيع لكل ما يقضي به .

ـ ب ـ

المحافظة علي سر رسول الله

بين أبي بكر وعائشة

عندما عزم النبي ﷺ علي التوجه إلى مكة أخبر أم المؤمنين عائشة وطلب منها أن تخفى ذلك الأمر ليبقى سرا ... فجاء أبو بكر رضي الله عنه إلى ابنته عائشة

١- السنن الكبرى للبيهقي - كتاب الجزية - باب نقض أهل العهد أو بغضهم العهد جـ٩ صـ ٣٩٠-٣٩١

٢- تاريخ الطبري جـ٣ صـ٤٦ .

وسألها : **لم تصنعين هذا الطعام ؟**

فسكتت ولم ترد .

فأخذ يسألها: **أيريد رسول الله أن يغزو ؟**

أيريد رسول الله الروم ؟

أيريد رسول الله أهل نجد ؟

أيريد رسول الله قريشا؟

صمتت عائشة في كل هذا ولم ترد ، محافظة علي سر رسول الله ﷺ

فدخل رسول الله ﷺ عليهما فسأله أبو بكر: **أتريد يا رسول أن تخرج مخرجا ؟**

فقال رسول الله : **نعم**

فقال أبو بكر : **هل تريد الروم ؟**

قال ﷺ : **لا**

فقال أبو بكر : **هل تريد نجدا ؟**

فقال ﷺ : **لا**

قال أبو بكر : **هل تريد قريشا**

قال ﷺ : **نعم**

فقال أبو بكر : **يا رسول الله أليس بينك وبينهم مدة ؟**

قال ﷺ : **ألم يبلغك ما صنعوا ببني كعب ؟!!**[1]

وهنا أخذ أبو بكر رضي الله عنه يستعد للقتال، وخرج مع رسول الله ﷺ نحو الجهة التي يقصدها ﷺ .

ـ جـ ـ

دخـــول مكـــة

عندما وصل جيش المسلمين إلى مكة حدد رسول الله ﷺ لأصحابه مواطن دخولها ، وحثهم علي عدم القتال فيها .

١- مغازى الواقدى جـ٢ صـ٧٩٦ .

وقد أخذ نساء قريش يلطمن الخدود . ويكثرن الويل والثبور ، وسط صياح الضعفاء من الشيوخ والأطفال ، فسأل أبو بكر رسول الله ﷺ عن جهة دخول مكة .

فابتسم رسول الله ﷺ وقال : ماذا قال حسان ؟

قال أبو بكر : قال حسان :

عدمنا خيلنا إن لم تروها — كثير النقع موعدها كداء

يبارين الأسنة مصغيات — علي أكتافها الأسل الظماء

تظل جيادنــا متمطرات — تلطمهن بالخمر النســاء

فقال ﷺ : **ادخلوها من حيث قال حسان**[1]

وفي هذا بيان لثقة الرسول في صاحبه فقد أطلعه علي ما كــان يخفيــه ، وأنطقه المكان الذي يدخلون مكة من خلاله وهو " **كداء** " .

ـ ٧ ـ

اشتراكه في الغزوات والسرايا

اشترك أبو بكر رضي الله عنه في كافة الغزوات مع رسول الله ﷺ وخرج في أغلب السرايا جنديا أوقائدا. وله في جميعها مواقفه .

فلقد شارك في الغزوات والسرايا التالية :

١ــ غزوة بني النضير :

خرج أبو بكر رضي الله عنه مع النبي ﷺ في نفر من الــصحابة لبنـــي النــضير يستعين بهم في دية القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية مــن بنـــي عــامر خطأ... فلما أتي النبي ﷺ ليهود بني النضير أبدوا استعدادهم للمعاونة ، وكان الرسول ﷺ يجلس بجوار جدار لهم ، فوجدوها فرصة أن يصعد أحدهم علــي

١- تاريخ الطبرى جــ٣ صــ٤٢ بتصرف .

سطح البيت ، ويلقي من فوقة صخرة علي رأس رسول الله ﷺ للقضاء عليه ، ويدعون بعد ذلك عدم قيامهم أوعلمهم بسقوطها، إلا أن الله تعالي أخبر رسوله بمؤامرة القوم ، فرجع ﷺ إلي المدينة ، وجهز أصحابه فخرجوا لبني النـضير وحاصروهم خمسة عشر يوما حتى أجلوهم من ديارهم بما حملت إبلهم ، واشترك أبو بكر في غزوتهم[1] .

٢ـ غزوة بني المصطلق :

أراد بنو المصطلق غزو المدينة فخرج رسول الله ﷺ إليهم في جمع مـن أصحابه فيهم أبو بكر رضي الله عنه .

ويقال: **إن أبا بكر هو الذي حمل الراية يومئذ ...**

وقد دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأبوا ، وبادروا المسلمين بالرمي والسهام فحمل المسلمون عليهم حملة واحدة فقتلوا عشرة منهـم ، وأسروا الباقين[2] .

٣ـ غزوة الخندق وبني قريظة :

اشترك أبو بكر رضي الله عنه في حفر الخندق ، ورافق النبي ﷺ في ذهابه إلى بني قريظة ، وشارك في حصارهم حتى نفذ فيهم حكم الله وقضاؤه .

٤ـ غزوة خيبر :

خرج المسلمون بقيادة رسول الله ﷺ إلي خيبـر ، وحاصـروها ، وكـان أبو بكر رضي الله عنه أول من اختاره النبي ﷺ لقيادة الهجوم علي بعض الحـصون ، فقاتل ثم رجع إلى رسول الله ﷺ وتولي الأمر غيره .

وأشار بعض المسلمين علي رسول الله ﷺ بقطع النخيل فوافقهم، وأخـذوا في تقطيع النخيل.. وحينئذ جاء أبو بكر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ وأشار عليه بعدم قطع النخيل لما في ذلك من نفع وفائدة للمسلمين ، فقبل النبي ﷺ مشورة أبـي

١- البداية والنهاية لابن كثير . باب غزوة بنى النضير ، وهـي التـي أنـزل الله فيهـا سـورة الحشر جـ٤ صـ٧٥ ط دار الفكر .

٢- البداية والنهاية جـ٤ صـ٥٧ .

بكر ، وأمر بعدم قطع النخيل فكف المسلمون أيديهم عن ذلك[١] .

٥ــ سريتا نجد وبني فزارة :

" أمر النبي ﷺ أبا بكر علي بعث أرسله إلي نجد، كما أمره علي بعث آخر إلي بني فزارة ... يروى الإمام أحمد بسنده عن سلمة بن الأكوع قال: **خرجنا مع أبي بكر بن أبي قحافة وأمره النبي ﷺ علينا ، فغزونا بني فزارة ، فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر فعرسنا ، فلما صلينا الصبح أمرنا أبو بكر فشننا الغارة** ، فقتلنا على الماء من مر قبلنا ، ثم نظرت إلى عنق من الناس فيه الذرية والنساء نحو الجبل، فرميت بسهم فوقع بينهم وبين الجبل . فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر حتى أتيته على الماء ، وفيهم امرأة عليها قشع من أدم ، ومعها ابنة لها من أحسن العرب ، فنفلني أبو بكر إياها ، فما كشفت لها ثوبا حتى قدمت المدينة، ثم بت فلم أكشف لها ثوبا، فلقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال لي: "**يا سلمة هب لي المرأة** " .

فقلت : **والله يا رسول الله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوبا .**

فسكت رسول الله ، وتركني حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله في السوق فقال لي: "**يا سلمة هب لي المرأة** ".

فقلت : **والله يا رسول الله والله ما كشفت لها ثوبا وهي لك يا رسول الله .**

فبعث بها رسول الله إلى أهل مكة وفي أيديهم أسارى من المسلمين ففداهم رسول الله بتلك المرأة[٢] .

٦ــ سرية ذات السلاسل :

اشترك أبو بكر رضي الله عنه في سرية ذات السلاسل التي تولي إمارتها الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه ... وأتمت السريه مهمتها ، وعند رجوعها حدث حوار طريف يدل علي مقام أبي بكر وعلو شأنه ، وصدقه مع الله ومع الناس ...

١- الطبقات الكبرى جـ٤ صـ ١٦٤ .

٢- مسند الإمام أحمد جـ٤ صـ٤٣٠ .

يقول رافع بن عمر: جئت لأبي بكر وقلت له: **يا صاحب الخلال إني توسمتك من بين أصحابك، فائتني بشيء إذا حفظته كنت مثلكم ولا تطول علي فأنسى.**

فقال أبو بكر: **أتحفظ أصابعك الخمس ؟**

قلت : **نعم**

قال: **تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله، وتقيم الصلوات الخمس ، وتؤتي زكاة مالك إن كان لك مال، وتحج البيت، وتصوم رمضان : هل حفظت ؟**

قلت : **نعم**

قال: **وأخرى لا تكن أميرا على اثنين .**

قلت : **وهل تكون الإمرة إلا فيكم يا أهل المدر.**

فقال: **يوشك أن تفشو حتى تبلغك ومن هو دونك .**

إن الرجل إذا كان أميرا، فتظالم الناس بينهم ، فلم يأخذ لبعضهم من بعض انتقم الله منه ، إن الرجل منكم لتؤخذ شاة جاره فيظل ناتئ عضلته غضبا لجاره والله من وراء جاره[١] .

وهذا الحوار يبين حكمة أبي بكر ، وبعد نظره، وفنيته العالية في الدعوة إلى الله ، فهو يحدث الرجل عن أركان الإسلام ، ويربطها بأصابع يده ليعلم أنها خمسة ، وبذلك وضح المعنوى بالمحسوس ... ويحذره كذلك من الولاية حتى لا يتحمل المسئولية الثقيلة أمام الله تعالي . ويوجهه إلي البعد عن الإمارة والسلطة حينما تشيع بين عامة الناس، وتصل إلي من لا يستحقها .

وقدم أبو بكر رضي الله عنه في غزوة السلاسل صورة الجندى الملتزم المطيع لقائده ، فقد أمر عمرو بن العاص رضي الله عنه أصحابه بعدم إشعال نار حتى لا يعرف العدو مكانهم ، فغضب عمر.. إلا أن أبا بكر نهاه، وأمره بوجوب طاعة الأمير، وأخبره أن اختيار الرسول ﷺ له برهان علي خبرته وعلمه

١- مجمع الزوائد جـ٢ صـ٢٠٢ .

بفنون القتال[١] .

٧- غزوة حنين والطائف :

سار أبو بكر رضي الله عنه مع المسلمين إلى حنين والطائف . وأبلي في الغزوتين بلاء حسنا . وكان أحد الذين ظلوا حول رسول الله ﷺ حين فر الجيش عنه[٢] .

٨- غزوة تبوك :

خرج رسول الله ﷺ قائدا لجيش المسلمين إلى تبوك ، وأعطى اللواء الأعظم لأبي بكر ...

وكان الجو شديد الحرارة ، وأصاب المسلمين عطش شديد فقال أبو بكر:

يا رسول الله ، إن الله قد عودك في الدعاء خيرا فادع الله.

فقال رسول الله ﷺ : **أتحب ذلك ؟**

قال أبو بكر: **نعم**

فرفع رسول الله يده ، ودعا ربه فنزل المطر مدرارا ، فشرب المسلمون وسقوا دوابهم ، وملأوا ما معهم من أوعية .

وقد تبرع أبو بكر بكل ماله في تبوك فسبق بذلك الفاروق عمر .

يقول عمر بن الخطاب : **أمرنا رسول الله ﷺ يوما أن نتصدق ، فوافق ذلك مالا عندي ، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر ، فجئت بنصف مالي .**

فقال رسول الله ﷺ : **ما أبقيت لأهلك ؟**

قلت: **مثله**

وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال رسول الله ﷺ: **"ما أبقيت لأهلك" ؟**

قال: **أبقيت لهم الله ورسوله**

فقال عمر : **لا أسابقك إلى شيء أبدا يا أبا بكر**[٣] .

١- صحيح البخاري ــ كتاب المغازي . باب غزوة ذات السلاسل جــ٣ صــ١٠٤ .

٢- السيرة النبوية جــ٢ صــ١٩٣ .

٣- سنن أبي داود ــ كتاب الزكاة . باب في الرخصة في ذلك جــ٢ صــ ١٣٢ ــ ١٣٣ .

ـ خامسا ـ

دور أبى بكر رضي الله عنه

في ختـــام عصـــر النبـــوه

وبدء عصر الخلافة

في المباحث السابقة تناولنا أهم أعمال أبي بكر في صحبة النبـــي ﷺ فـــي المدينة المنورة بعد الهجرة، ورأينا دوره مع رسول الله ﷺ ومع المـــسلمين ، وجهاده أعداء الله تعالي من خلال الغزوات و السرايا .

ورأينا كيف أنه رضي الله عنه اهتم بأمر الدعوة إلى الله تعالى ، واهتمامه بتقويـــة صلته بسائر أصحابه . حتى أقر له الجميع بالعلم ، والسبق ، والمروءة .

ولما اقترب عصر النبي ﷺ في المدينة من نهايته برز دور أبي بكر رضي الله عنه أكثر مما مضي . ولذلك سنتناول في هذا المبحـــث بـــإذن الله تعـــالي ثلاثـــة موضوعات قام بها الصديق رضي الله عنه في أخريات عصر النبي ﷺ وهي :

١ – إمارة الحج والبراءة من الشرك

٢ – ثبات أبي بكر عند موت النبي ﷺ

٣ – أبو بكر وملء الفراغ بعد المصطفي ﷺ

وسوف نتناول هذه القضايا فيما يلي :

ـ ١ ـ

أبــو بكـــــر رضي الله عنه

وإمارة الحج والبراءة من الشرك

استمر الناس بعد فتح مكة، في الذهاب للحج ، وفيهم المشركون ، وعبدة الأصنام وغيرهم .

وأراد الله لرسوله ﷺ أن يذهب إلى مكة حاجا بعد أن يتطهر البيـت مـن المشركين ، ويتخلص من عادات الجاهلية التي كانوا يمارسونها أثناء حجهـم لبيت الله الحرام.

ففي العام الثامن الهجرى كلف النبي ﷺ عتاب بن أسيد رضي الله عنه ليكون أميـر الحج في وسط يلتقي فيه المسلمون مع المشركين وغيـرهم مـن أصـحاب المذاهب والديانات .

فلما كان العام التاسع رغب النبي ﷺ في الحج بشرط أن لا يحـج البيـت مشرك ، ولا يطوف به عريان. ورأي ﷺ أن ذلك الأمر يحتاج إلـي إعـداد وعمل ... فكلف أبا بكر الصديق رضي الله عنه بإمارة الحج عام تـسع ، وأمـره أن يعرف الناس مناسكهم وما عليهم ليتموا حجهم في البيت، وفي مني ، وعرفـه والمزدلفة ليكون الحج علما وعملا ، وعبادة وتعبدا.

وحقق الله سبحانه وتعالي لنبيه ما رغب فيه فأنزل صدر سورة " **براءة** " بعد تحرك الحجيج نحو مكة .

وفي صدر سورة " **براءة** " كما هو معلوم البراءة من الشرك ، وضرورة إخلاء مكة من المشركين ، والقضاء علي كافة الصور الدخيلة علـي مناسـك الحج .

لما نزل صدر سورة " **براءة** " دعا رسول الله ﷺ عليا، وأمره أن يلحـق بأبي بكر رضي الله عنه ، فركب ناقة رسول الله ﷺ المسماة بـ " **العضبـاء** " وسـار حتى أدرك أبا بكر رضي الله عنه عند " **ذي الحليفة** " .

فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه قال له : **أمير أم مأمور ؟**

فأجابه علي : **بل مأمور**[١]

وإنما كلفه النبي ﷺ بقراءة سورة" براءة" علي المشركين ، مراعاة لعادات العرب في أن عقد المواثيق أو نقضها يقوم به شيخ القبيلـــة ، أو رجـــل مـــن عصبته. ولذلك كانت إجابة علي أنه يتصرف تحت إمرة أبي بكر رضي الله عنه.

وقد كلف أبو بكر رضي الله عنه أبا هريرة مع رهط من الصحابة بمساعدة علي في مهمته التي حضر لها.

وقد أدى أبو بكر رضي الله عنه الحجة علي وجهها ، فخطب الناس قبل يوم التروية وفي يوم عرفة،وفي يوم النحر، وفي أيام التشريق، وقام علي بن أبي طالـــب بمهمته فأعلن الناس بما جاء له وأكد لهم ما يلي :

- **أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن**
- **ولا يطوف بالبيت عريان**
- **ولا يحج بعد العام مشرك**
- **ومن كان بينه وبين الرسول عهد فعهدته الي مدته**[٢]

وتعد حجة أبي بكر رضي الله عنه ، وما حدث خلالها من البراءة تمهيـــدا لحجة النبي ﷺ التي قام بها في العام العاشر الهجري ، وهي الحجة التي تسمي بـــ " **حجة الوداع** " وقد خرج كثير من الصحابة وعلي رأسهم أبو بكـــر مـــع رسول الله ﷺ إلي مكة، وأتموا حجهم، وأدوا عمرتهم .

تقول أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه : **خرجنا مع رسول الله ﷺ " حجاجا حتى أدركنا "الفرج "** ونزل رسول الله فجلست عائشة رضي الله عنها إلـــى جنـــب النبي ﷺ ،وكانت ناقة أبى بكر رضي الله عنه مع غلام أبى بكر ، فجلس أبو بكر ينتظر أن يطلع عليه غلامه ببعيره ، فطلع وليس معه بعيره **!!**

١- السيرة النبوية جـ٢ صـ٣٠١ .

٢- صحيح البخاري ـ كتاب المغازي . باب جـ٧ صـ٥٤ .

فقال له أبو بكر : **أين بعيرك ؟**

فقال الغلام : **أضللت البارحة .**

فقال أبو بكر : **بعير واحد تضله، فطفق يــضربه ورســول الله ﷺ يبتــسم ويقول: " أنظروا إلى هذا المحرم وما يصنع" ... يريد ﷺ أن يعلم أبـا بكـر وغيره ما على المحرم من آداب وخلق**[1] **.**

ولنتعلم كيف ننصح ونحن نبتسم ، من غير ضجيج أو إساءة .

١- سنن أبي داود ــ كتاب المناسك . باب المحرم يؤدب غلامه جــ٤ صــ١٦٩ .

ـ ٢ ـ

أبـــو بكــــــر رضي الله عنه

وثباته يوم وفاة رسول الله ﷺ

عاش المسلمون مرض رسول الله ﷺ الأخير مشفقين عليه، غير متصورين موت رسول الله ﷺ ، ونسوا أنه لكل أجل كتاب ، وأن البقــاء لله وحــده ... ومن هنا كان فزعهم حين وفاة رسول الله ﷺ . فلقد أصيبوا بدهــشة بالغـــة، فمنهم من خولط عقله وعجز عن التفكير، ومنهم من أقعد ولم يــتمكن مـــن الوقوف ، ومنهم من اعتقل لسانه ولم يتمكن من الحديث، ومنهم من أنكر وفاة رسول الله ﷺ وتصور أنه ﷺ ذهب لملاقاة ربه ، وسيعود بعد أربعين يومــا كما فعل موسي عليه السلام .

وكان علي رأس الذين أنكروا وفاة النبي ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال في قوة ودهشة : **ما مات رســول الله، وإنمـــا واعـــده ربـــه. كمـــا واعـــد موسي،وليرجعن رسول الله فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم**[١] .

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: **لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ المدينـــة حيث أضاء منها كل شئ، فلما كان اليوم الذي مات فيه ﷺ أظلم منها كل شئ ولما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدى ، وإنا لفى دفنه حتى أنكرنا قلوبنا**[٢] .

إشتد الأمر بالمسلمين، وسيطر الهول عليهم ، وبعد عنهم الرشد والصواب وعاشوا جميعا حالة من الحزن والفزع والاضطراب .

سمع أبو بكر بذلك. وكان في بيته بالسنح عند زوجته حبيبة بنت خارجة في يومها ، فأقبل مسرعا علي فرس له، فدخل المسجد النبوى المجاور لبيت عائشة حيث يرقد رسول الله ﷺ ولم يكلم أحدا ، حتى دخل علي عائشة رضي الله عنها

١- صحيح البخارى – كتاب المناقب . باب فضل أبى بكر جـ٦ صـ٨٦ .

٢- سنن الترمذى ـ كتاب المناقب . باب في فضل النبي ﷺ جـ٥ صـ٥٨٨ ، ٥٧٩ .

وتوجه نحو رسول الله ﷺ وهو مغطي بثوب حبرة ، فكشف ﷺ عن وجهه الشريف ، ثم أكب عليه فقبله وبكي،ثم قال: " **بابي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين ، أما الموتة التي كتبت عليك فقد ذقتها** "[١] **... وخرج بعدها علي الناس وهم على فزعهم وعمر يكلمهم بما يرى ... فحاول أبو بكر أن يسكته فلم يسكت ، فنادى أبو بكر الناس فأقبلوا عليه.. فحمد الله وأثني عليه ثم قال: أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلا قوله تعالي** ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[٢] .

فأمن الناس، واستمروا في البكاء ، وعلموا الحقيقة التي غيبتها المفاجأة والتزموا بما تركهم عليه رسول الله ﷺ [٣] **.**

وهنا قال عمر بن الخطاب: فو الله ما إن سمعت أبا بكر يتلو هذه الآية إلا وهويت على الأرض ما تحملني قدماى ، وعلمت أن رسول الله قد مات[٤] **.**

وأخذت أم أيمن في بكائها وهي تقول: " إني قد علمت أن رسول الله ﷺ سيموت ، ولكن إنما أبكي علي الوحي الذي رفع عنا "[٥] **.**

لقد ظهرت شجاعة الصديق، وبدا ثباته أمام سائر الناس فدل بذلك علي سعة علمه ، ورباطة جأشه ، وقوة شخصيته في مواجهة الصعاب .

١- صحيح البخارى – كتاب المغازى . باب مرض النبي ﷺ جـ٧ صـ١٠٣ .

٢- سورة أل عمران الآية ١٤٤

٣- صحيح البخارى – كتاب المغازى . باب مرض النبي ﷺ جـ٧ صـ١٠٤ .

٤- صحيح البخلرى – كتاب المغازى . باب مرض النبي ﷺ جـ٧ صـ١٠٤ .

٥- صحيح البخارى – كتاب المغازى . باب مرض النبي ﷺ ووفاته وقوله تعالى " إنك ميت وأنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون " جـ٣ صـ١٣٠ .

ـ ٣ ـ

أبــو بكـــــر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وملء الفراغ بعد المصطفي ﷺ

بعد انتقال رسول الله ﷺ إلى ربه الأعلى انقطع الوحي و توقـف نـزول القرآن الكريم ، وشعر المسلمون بالمصيبة التي حلت بهم، وشـعروا بمـدى حاجتهم إلي قيادة حكيمة تجمع بين العلم والعمل، وتعيش بالصدق والإخلاص وتستمر مع الشجاعة والأمانة التي تعلموها من رسول الله ﷺ .

وتلك كلها صفات لابد منها لكل من يلي أمر الناس حيث الحاجة ماسة لكل منها .

فالعلــم يعين الحاكم على فهم الإسلام ، ومعرفة أحكامه، ويجعله يحـيط بالواقع، ويدرك الخواطر الفردية ، والتوجهات العامة للرعية، ويختـار لكـل حدث ما يناسبه من تعاليم الله تعالي ، ويظهر الأحكام الشرعية متوازنة مـع طبائع الحياة .

والعمــل طريق القيادة المؤثرة لأن إلف الإنسان العمل أكثر وضوحا من إلف الكلام، كما أن العمل دليل علي صدق المتحدث مع نفسه ومـع النـاس ، وحين يكتفى الحاكم بالكلام دون العمل فإنه يفقد حب الناس ، و تتصرف عنه رعيته .

والحاكم المسلم لابد له من الشجاعة التي تجعله يخوض المواقف بثبـات وجرأة، ويعالجها بتعاليم الإسلام من غير تردد أو ضعف .

ولابد للحكم من صدق يؤدي إلى الثقة ، ويحدد مسار القـضايا، ويظهـر طرق التعامل مع المواقف كأنها قاعدة ثابته ، ومبدأ مستمر .

والإخلاص مع ذلك وقبله وبعده يجعل العمل كله خالصا لله تعالي ، ويبعده عن الغايات الشخصية، والمنافع الآنية التي تتعارض مع مصالح البلاد والعباد.

إن الحاكم المسلم يتحمل مسئولية كبرى . فهو مسئول عن حماية كافة جوانب الدنيا لكل مخلوق فيها ، ومسئول عن حماية الدين ، يبلغه ، ويطبقه ، ويعمل على أن يلزم به جميع الناس .

شعر المسلمون بحاجتهم بعد رسول الله إلى حاكم يجمع كل هذه المزايا ، ويقوم بتلك المهام لتستمر حياتهم علي ما تركهم عليه رسول الله ﷺ .

ومن هنا تحرك الأنصار، وتحرك المهاجرون لاختيار من يلي الأمر بعد رسول الله ﷺ .

فلقد اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة في نفس اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ وهو يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من العام الحادى عشر للهجرة،وتداولوا فيمن يلي الأمر بعد رسول الله ﷺ والتفوا حول زعيم الخزرج سعد بن عبادة رضي الله عنه[1] ...

ولعل سبب مسارعة الأنصار لاختيار من يلي الأمر بعد رسول الله ﷺ هو خوفهم من وقوع أحداث ضارة بالأمة، وبخاصة أن بوادر الردة أخذت في الظهور ، وأعداء الإسلام يتربصون به الدوائر، كما أن التزام من يلي الأمر بعد رسول الله علي منهج رسول الله ﷺ يساعد في انتشار الإسلام ، ويحافظ علي العزة الإسلامية في العالم كله .

وكما اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة اجتمع المهاجرون في المسجد النبوى لنفس الغاية التي اجتمع لها الأنصار وأن كان اجتماعهم عرضا في المسجد .

وكادت الفتنة أن تطل برأسها لولا عناية الله تعالي، فلقد علم المهاجرون باجتماع الأنصار فقال بعضهم لبعض : **انطلقوا بنا إلى إخواننا من الأنصار ، فإن لهم في هذا الحق نصيبا**[2] **.**

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : **فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقينا منهم**

١- البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٤٢ .
٢- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٢٠٥ .

رجلان صالحان ، هما عويم بن ساعدة ومعن بن عدى فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟

قلنا: **نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار .**

فقالا: **لا عليكم أن لا تقربوهم، أقضوا أمركم .**

فقلت: **والله لنأتينهم**

فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة ، فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم .

فقلت: **من هذا ؟**

فقالوا: **هذا سعد بن عبادة**

فقلت: **ماله ؟**

قالوا: **يوعك .**

فلما جلسنا قليلا تشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال:

أما بعـد

فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم ــ معشر المهاجرين ــ رهط ، وقد دفت دافة من قومكم ، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يخرجونا من الأمر.

فلما سكت أردت أن أتكلم ــ وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين أبي بكر – وكنت أداري منه بعض الحدة .

فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: **على رسلك .** فكرهت أن أغضبه ، فتكلم أبو بكر، فكان هو أحلم مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت. قال أبو بكر : **ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسبا ودارا. وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم – فأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا – فلم أكره مما قال غيرها، والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من**

إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تسول إلي نفسي عند الموت شيئا لا أجده الآن .

فقال قائل من الأنصار: **أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش .**

فكثر اللغط ، وارتفعت الأصوات ، حتى فرقت من الاختلاف فقلت: **أبسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده، فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار** [١] .

وبدت حكمة أبي بكر رضي الله عنه في مواجهة الموقف بعد وفاة رسول الله ﷺ فلقد أسكت القوم، وهدأ روعهم ، وأبدل فزعهم سكينة وهدوءا، وبعدها ترك آل النبي ﷺ يباشرون دفنه، وتغسيله واشتغل بأمر المسلمين، ولم يرتض للأمة أن تتفرق ، وتختلف ، فلما علم باجتماع الأنصار ذهب إليهم ليتحاور معهم ، ويشاورهم واصطحب معه عمر وأبا عبيدة رضي الله عنهما ، واستمع لرأى الأنصار، ثم أثنى عليهم ، وبين لهم منزلتهم، وشرح لهم البراهين الدالة علي أن الخلافة لا تكون إلا في قريش حيث درج العرب علي الولاء لهم، والتسليم بسيادتهم، وبين لهم أن الله سمي المهاجرين بالصادقين، وسمي الأنصار بالمفلحين وذلك في قولة تعالي : ﴿ **لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝** ﴾ [٢] .

١- صحيح البخارى ــ كتاب الحدود . باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت جــ١٠ صـــ٢٨٧
ومعنى دافة قلة منكم والمراد بالأمر الخلافة ، والتنوير والإعداد ، وجذيلها عوديحك الإبل فيها جلده ، وعذيقها النخلة التي يعتد بها ، والفرق الخوف .

٢- سورة الحشر الآية ٨،٩ .

وأمر المسلمين آن يكونوا مع الصادقين وذلك في قوله تعالي ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[١] .

إن أبا بكر لم يكن راغبا في الخلافة لنفسه ، ولذلك قدم عمر و أبا عبيدة للخلافة إلا أن عمر أبي وأصر علي خلافة أبي بكر رضي الله عنه .

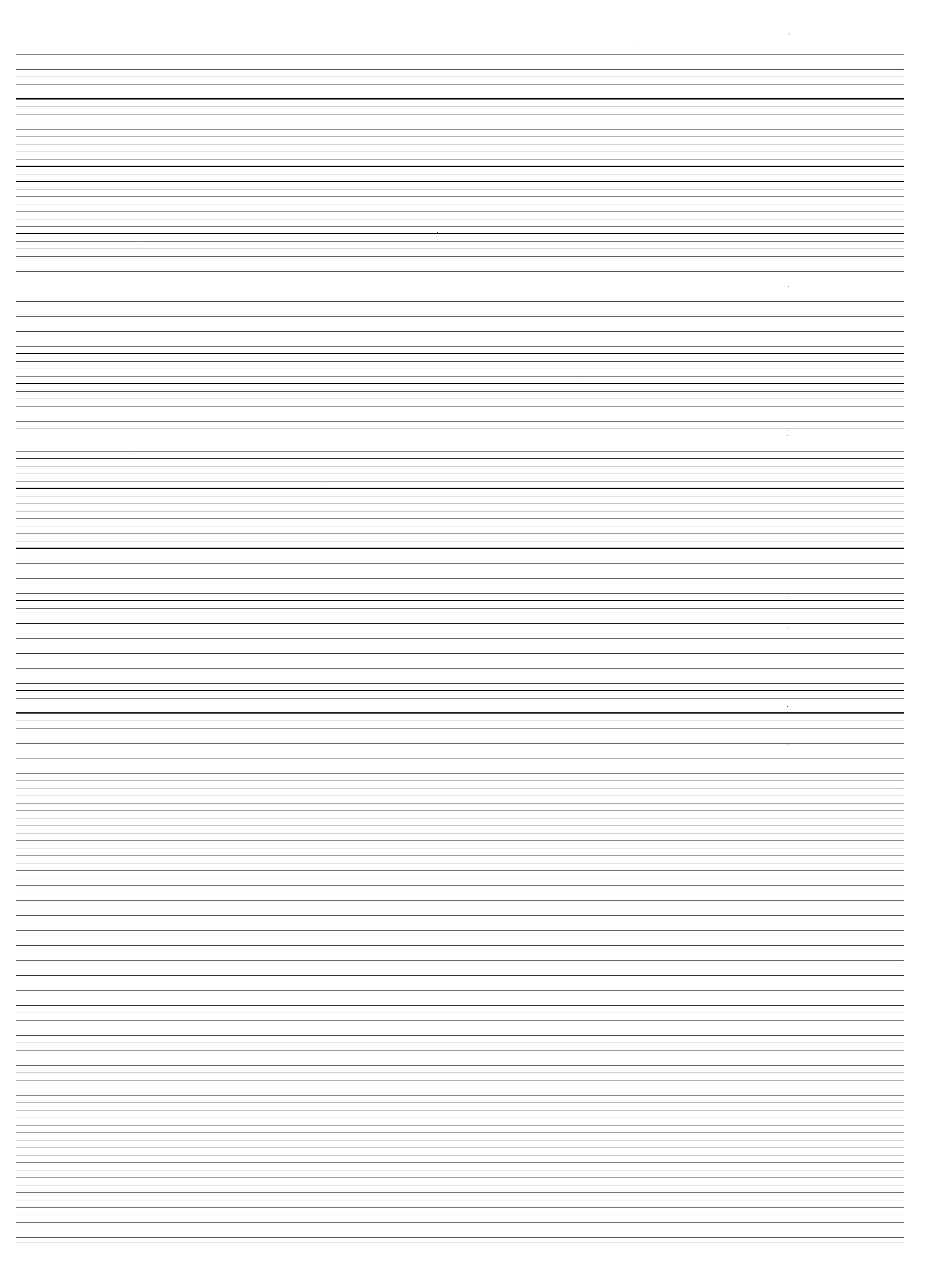
يقول أبو بكر رضي الله عنه : **والله ما كنت حريصا على الإمارة يوما ولا ليلة قط ، ولا كنت فيها راغبا، ولا سألتها الله عز وجل في سر وعلانية، ولكني أشفقت من الفتنة، وما لي في الإمارة من راحة، ولكن قلدت أمرا عظيما ما لي به من طاقة ، ولا يد إلا بتقوية الله عز وجل ، ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني**[٢] .

وسرعة استجابة الأنصار لرأى أبي بكر دليل علي إخلاصهم وحبهم لدينهم ويشير إلى أن مبادرتهم كانت خوفا علي الأمة وعلي دين الله تعالي .

وهكذا انتهي عصر النبوة ، وبدأ عصر الخلفاء الراشدين ...

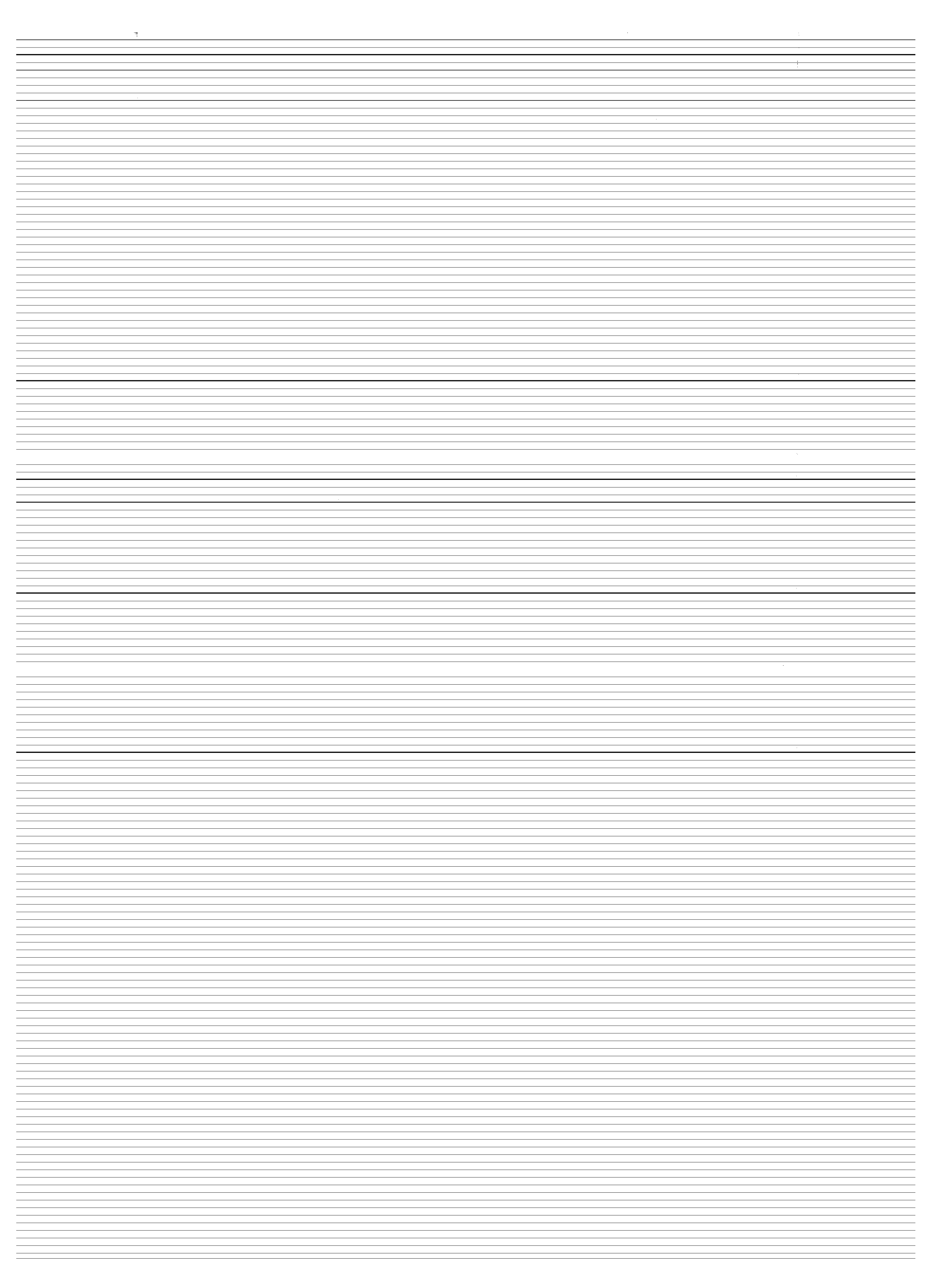
١- سورة التوبة الآية ١١٩ .

٢- مستدرك الحاكم جـ٣ صـ٦٦ .



الفصل الرابع

خلافة أبى بكــر رضي الله عنه



تمهيـــد

تولي أبو بكر ﷺ الأمر بعد رسول الله ﷺ ، وسماه المـسلمون خليفـة رسول الله ﷺ بعد أن اختاروه وولوه عليهم بإرادتهم الحرة ، وفـق الـشورى التي شرعها الله للأمة ، وأمر بها الناس .

وقد قام أبو بكر ﷺ بالأمر خير قيام ، وبذل معه جهده وجهاده ، فكـان نعم الخلف لرسول الله ﷺ فلقد انقلبت الجزيـرة بعـد وفـاة رسـول الله ﷺ ، وظهرت الردة في كل مكان ، وبقيت المدينة ومكة والطائف فقط علـي مـا بايعوا عليه رسول الله ﷺ .

ووجد المسلمون أنفسهم أمام عدد من الأمور تحتاج إلي الحسم والنفاذ.

وأول هذه الأمور اختيار خلف لرسول الله ﷺ يسوس دنيـاهم ، ويحمـي دينهم ، ويطبق شرع الله فيهم ، ويواصل حمل الأمانة التي تحملها المـسلمون بعد رسولهم ﷺ .

وثاني هذه الأمور ضرورة مواجهة الردة التي ظهرت في الجزيرة العربية كلها بصور عديدة،وأسباب متنوعة .

وثالث هذه الأمور مواصلة المواجهة التي بدأها رسول الله ﷺ مع الفـرس والروم بعدما حاولوا هدم الإسلام ، وإطفاء نوره من حياة الناس ، وبخاصـة أن رسول الله ﷺ كلف بعثا يذهب للروم بقيادة أسامة بن زيد ﷺ ومعه كبار الصحابة ووجهاء الناس .

والأمور عديدة وهامة ، ولذلك بادر المسلمون باختيار أبـي بكـر ﷺ للخلافة فقام بالأمر خير قيام ، وكان مثلا عاليا في الـسياسة وإدارة شـئون الناس، وحماية الدين ، والقيام بالدعوة الإسلامية علي وجهها الصحيح.

وفي هذا الفصل سنتناول بالتفصيل كيفيه تولية أبى بكر ﷺ للخلافـة ، واعتمادها المطلق على حرية الاختيار ، والالتزام بالـشورى ... وسنفـصل

صورة الإجماع في مبايعته بالخلافة ... كما سنناقش آراء الشيعة وأدلتهم حول أن الخلافة خاصة بآل البيت ، تبعا لنصوص يوردنها ، ويؤلونها تبعا لمذهبهم واعتقادهم وسوف نرد أهم المزاعم التي يحاول أعداء الإسلام الاعتماد عليها لهدم دين الله تعالى ، ومحاولة الانتقاص من عزة المسلمين ومجدهم العظيم .

وسنتناول هذه الأمور في عدد من المباحث حيث يتضمن كل مبحث قضية من هذه القضايا.

وهذه المباحث هي :

المبحث الأول : بيعة أبى بكر رضي الله عنه في إطار الشورى والحرية .

المبحث الثاني : أسباب اختيار أبى بكر رضي الله عنه .

المبحث الثالث : الإجماع في بيعة أبى بكر رضي الله عنه .

المبحث الرابع : رأى الشيعة في الخلافة والرد عليهم.

المبحث الخامس: المستشرقون وخلافة أبى بكر رضي الله عنه .

والله الموفق ...

المبحث الأول

بيعة أبي بكر رضي الله عنه

في إطار الشورى والحرية

اهتم المسلمون بعد وفاة رسول الله ﷺ مباشرة باختيار من يحكمهم خلفا لرسول الله ﷺ حتى لا يتغلب عليهم أعداؤهم ، ويتمكنوا من إلحاق الأذي بهم وبدينهم .

وقد اتخذ كل من المهاجرين والأنصار موقفا معينا.

فقد رأى الأنصار آن المهاجرين مشغولون بتجهيز النبي ﷺ ودفنه، وهم موجودون في مسجده المجاور لبيت عائشة رضي الله عنها ، حيث يوجد رسول الله ﷺ ، كما رأوا أنهم أهل المدينة ، وأصحاب المصالح الكبري فيها،وكانوا يرون أنهم أهل الرماية،وذوو العدد و الكثرة ، وأصحاب القتال والحرب ، وهم الذين غزوا مع رسول الله ﷺ وساروا في سراياه وبعوثه ، وهم الذين فتحوا مكة وحولوها وأهلها إلى الإسلام .

رأوا ذلك وعملوا له وبخاصة أنهم شاهدوا الإسلام موجودا بينهم في القرآن الكريم ، وسنة النبي ﷺ القولية والعملية.

ولم يروا في كل ذلك نصا علي تعيين فرد معين ، أو تحديد قبيلة معينة ، أو تخصيص بيت معين لاختيار الحاكم ... وكل ما في القرآن والسنة يشكل مبادئ عامة للحكم تحقق المساواة، وتكفل الكرامة والحرية ، وتلغي كل سيادة ظالمة،وتمنع أي حاكم جائر، وتؤدى إلى تحقيق السيادة لله ، و تنمى القيم الإنسانية في حياة البشر .

وحين اجتمع الأنصار في سقيفتهم لم يجدوا في الإسلام طريقة محددة لاختيار الحاكم ، أو خطه معروفة لأخذ رأي الناس جميعا ... ولم يجدوا في

نظم الفرس أو الروم طريقة يستفيدون بها لأن الحكم في الفرس والروم يعتمد علي الوراثة ، والتسلط ، والاستعباد ، والقهر.

ولهذا اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة للنظر في الأمر ، والتشاور في اختيار من يحكمهم وكيفية اختياره ، وتحديد المهام التي سيقوم بها لأن الإسلام دعاهم إلى التشاور،والاجتهاد في كل ما يجد لهم من أقضية،وما يحتاجون إليه لتنظيم شئونهم،وشئون دينهم الحنيف ...

وأما المهاجرون فلقد تواجدوا في مسجد النبي ﷺ قرب بيته حين سماعهم خبر وفاة رسول الله ﷺ ، وأصابهم الهلع حتى أتاهم أبو بكر رضي الله عنه وهدأهم وأزال الفزع الذي انتابهم لموت رسول الله ﷺ ...

ثم قال لهم رضي الله عنه : **إن محمدا ﷺ قد مضي لسبيله ، ولابد لهذا الأمر من يقوم به ، فانظروا فيه،وهاتوا أراءكم .**

فقال الناس من سائر نواحي المسجد : **صدقت . صدقت يا أبا بكر**[1] .

وبعدها اجتمع أبو بكر مع من وجد من كبار الصحابة ليتشاوروا فيما يجب عمله في هذا الموقف.

نظر أبو بكر إلى جنبات المسجد ، وتفرس في الحاضرين فلم يجد أحدا من الأنصار،ورأى أن أمر الحكم لا يمكن أن يتم إلا بحضور الأنصار ورضاهم ، فلهم سبقهم، ولهم منزلتهم في الإسلام ، وعند المسلمين .

ترك أبو بكر رضي الله عنه مسجد النبي ﷺ وتوجه نحو الأنصار في سقيفتهم يريد مشاورتهم ، ومشاركتهم ، وصحبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وفي الطريق لقيهما أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه .

وأثناء توجه هؤلاء الثلاثة إلي الأنصار في سقيفتهم قابلهم في الطريق رجلان من الأنصار هما عويمر بن ساعدة الخزرجي ، ومعن بن عدى الأوسى

١- الخلفاء الراشدون صـ٣٠ .

فقصا ما علما عن الأنصار لأبي بكر ومن معه.

وقالا : **أدركا إخوانكم قبل أن تكون فتنة** [١] .

اجتمع المهاجرون الثلاثة مع إخوانهم الأنصار ، ودار بينهم حوار طويل ، حيث تداولوا جميع الآراء التي أبداها المهاجرون والأنصار وانتهت بترشيح أبي بكر رضي الله عنه ، ومبايعته البيعة الخاصة .

ونظرا لتعدد الأقاويل حول ما حدث في السقيفة .

حيث ذهب بعضهم إلى خلو البيعة من الشورى والحرية .

وبعضهم صور البيعة بالمؤامرة ...

لهذا فإنى هنا سأنقل المناقشات و الكلمات الذي ذكرها الحاضرون ، وهى كلمات يفخر بها المسلم في كل وقت لأنها توضح ما كان عليه أصحاب النبي ﷺ من حرية الرأي ، وشجاعة السلوك ، وأدب الحوار ، وقوة الاستدلال .

إن اجتماع الأنصار في السقيفه أتاح للجميع إبداء الرأي . وقد تحدث فيه كثير من الأنصار ... وهم :

١- خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين رضي الله عنه قال: **يا معشر الأنصار : إنكم قدمتم اليوم إلى يوم القيامة.. أنتم الأنصار في كتاب الله عز وجل ، وإليكم كانت الهجرة ، وفيكم قبر النبي ﷺ فأجمعوا أمركم على رجل تهابه قريش ، وتأمنه الأنصار .**

فقال الأنصار : صدقت يا خزيمة إن القول لعلى ما تقول قد رضينا بها حبنا سعد بن عبادة ، فتعجب المهاجرون ونظر بعضهم إلى بعض ، ولم يعلقوا على كلام خزيمة [٢] **.**

٢- ثم قام أسيد بن حضير الأنصارى رضي الله عنه فقال : **يا معشر الأنصار ، إنه**

١- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٢٠٥ .

٢- تاريخ الخلفاء للسيوطى صـ٦٩ ، فصل في مبايعته رضي الله عنه .

قد عظمت نعم الله عليكم إذ سماكم الأنصار، وجعل الهجرة إليكم، وقبض النبي ﷺ بينكم، فاجعلوا ذلك شكرا لله، فإن هذا الأمر في قريش دونكم فمن قدموه فقدموه، ومن أخروه فأخروه .

فوثب إليه نفر من الأنصار فأغلظوا له في القول وأسكتوه فسكت[١] .

٣- ثم وثب بشير بن سعد الأنصارى رضي الله عنه ــ وكان من أفاضل الأنصار ــ فقال : يا معشر الأنصار، إنما أنتم بقريش وقريش بكم، ولو كان ما تدعون حقا لما اعترض عليكم فيه، فإن قلتم آوينا ونصرنا ما أعطاهم الله خيرا مما أعطيتم، فلا تكونوا كالذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار[٢] .

٤- ثم وثب "عويمر بن ساعدة الأنصارى" رضي الله عنه وهو من النفر الذين أنزل الله عزوجل عنه في مسجد قباء قوله تعالى ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ﴾ [٣] فقال: يا معشر الأنصار : إنكم أول من قاتل عن هذا الدين ، فلا تكونوا أول من قاتل أهله عليه،فإن الخلافة لا تكون إلا لأهل النبوة ، فاجعلوها حيث جعلها الله عز وجل ، فإن لهم دعوة إبراهيم عليه السلام[٤] .

٥- ثم تحدث "معن بن عدى الأنصارى" رضي الله عنه فقال : يا معشر الأنصار إن كان الأمر لكم دون قريش فاخبروهم بذلك حتى يبايعوكم عليه، وإن كان لهم من دونكم فسلموا لهم ، فوالله ما مات رسول الله حتى صلى بنا أبو بكر فعلمنا أنه قد رضيه لنا ، لأن الصلاة عماد الدين[٥] .

١- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٢٢١ .

٢- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٢٢١ .

٣- سورة التوبة آية ١٠٨ .

٤- تاريخ ابن عساكر في ترجمة بشير بن سعد جـ١٠ صـ ٢٩١ ، ٢٩٢ .

٥- أسد الغابة جـ٤ صـ٣١٦ .

٦- ثم تكلم " ثابت بن قيس بن شماس " رضي الله عنه ، وكان خطيب الأنصار لم يزل في عهد النبي ﷺ كذلك فقال: **يا معشر المهاجرين لقد علمتم وعلمنا أن الله تبارك وتعالى بعث محمدا، وكان في بدء أمره مقيما بمكة على الأذى والتكذيب لا يأمره الله عز وجل إلا بالكف والصفح الجميل ، ثم أمره بعد ذلك بالهجرة ، وكتب عليه القتال ، ونقله من داره، فكنا أنصاره ، وكانت أرضنا مهاجره وقراره ، ثم إنكم يا معشر المهاجرين قدمتم علينا فقاسمناكم الأموال، وكفيناكم الأعمال ، وأنزلناكم الديار ، وآثرناكم بالمرافق ، فنحن أنصار الله،وكتيبة الإسلام ، ونحن الذين أنزل الله فينا : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَـٰنَ ﴾ [١] وغيرها من كتاب الله عز وجل مالا ينكره منكر . وأخرى فإنكم قد علمتم ما ذكره رسول الله ﷺ فينا من الفضائل الشريفة، وقد خرج من الدنيا ولم يستخلف رجلا بعينه وإنما وكل الناس إلى ما وكل الله عز وجل من الكتاب الكريم والسنة الجامعة .**

والله تبارك وتعالى لا يجمع هذه الأمة على الضلال، فنحن أنصار الله ولنا الإمامة في الناس، فهاتوا ما عندكم يامعشر المهاجرين والسلام [٢] .

وبعد هذا الاستعراض التفصيلي لمقالات زعماء الأنصار نرى أراءهم ، وبراهينهم ، ونعلم أنهم لم يتفقوا على رأى واحد ، وأن منهم من رأى الإمامة والولاية في قريش والمهاجرين .

بعد ذلك أورد روايات البخارى و مسلم في صحيحيهما لأظهر مدى الحرية التي كانت بين المهاجرين و الأنصار في يوم السقيفة ولأوضح أن البيعة تمت باختيار ورضى وفق الشورى الإسلامية التي جعلها المسلمون في

١- سورة الحشر آية ٩ .

٢- الفتوح لابن أعتم جـ١ صـ٥ .

تناول شئونهم كلها .

يروى البخاري بسنده أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس فقال : " **قد بلغني أن قائلا منكم يقول : والله لو مات عمر بايعت فلانا ، فلا يغترن امرؤ أن يقول : إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وتمت ، ألا إنها قد كانت كذلك ، ولكن الله وقي شرها .**

وليس منكم من تقطع دونه الأعناق مثل أبي بكر .

من بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه .

وإنه قد كان خبرنا حين توفي رسول الله ﷺ .

إلا أن الأنصار خالفونا ، واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بنى ساعدة ، وخالف عنا على والزبير ومن معهما .

وتخلفت الأنصار عنا باجتماعهم بأسرهم في سقيفة بني ساعدة .

واجتمع المهاجرون إلي أبي بكر،فقلت له: يا أبا بكر انطلق بنا إلي إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فانطلقنا نريدهم ، حتى لقينا رجلان صالحان فذكرا لنا الذي صنع القوم ، فقالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟

قلت: نريد إخواننا من الأنصار .

فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم ، واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين

فقلت : **والله لنأتينهم .**

فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة ، فإذا هم مجتمعون ، وإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل ، فقلت من هذا ؟

قالوا: **سعد بن عبادة**

قلت : **ماله ؟**

قالوا: **يوجع**

فلما جلسنا قليلا قام خطيبهم فأثني علي الله بما هو أهله وقال: **أما بعد فنحن أنصار الله ، وكتيبة الإسلام ، وأنتم معشر المهاجرين رهط ، وقد دفت**

دافة من قومكم (عدد قليل) يريدون أن يخزلونا من أصلنا أى (يقطعونا عن الأمر ويأخذوه) ويخضنونا من الأمر أى (ويخرجونا منه) .

فلما سكت خطيب الأنصار أردت أن أتكلم ، وكنت زورت في نفسي مقالة أعجبتني،أردت أن أقولها بين يدى أبي بكر،وقد كنت أدارى منه بعض الحدة. فقال أبو بكر: علي رسلك ، فكرهت أن أغضبه ، فتكلم أبو بكر فكان هو أعلم مني وأوقر ، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويرى إلا قال في بداهته مثلها ، أو أفضل منها حتى سكت .

قال أبو بكر : أما بعد. يا معشر الانصار فما ذكرتم فيكم من خير، فأنتم أهله، ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش ، هم أوسط العرب نسبا ودارا ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ، فبايعوا أيهما شئتم- فأخذ بيدى وبيد أبي عبيدة — وهو جالس بيننا ، فلم أكره مما قاله غيرها ، كان والله أن أقدم فتضرب عنقي أحب إلي من أن أتأمر علي قوم فيهم أبو بكر .

فقال قائل من الأنصار(هو الحباب بن المنذر): منا أمير ومنكم يا معشر قريش أمير ، وكثر اللغط وارتفعت الأصوات .

يقول عمر : فلما خشيت الاختلاف ، قلت : ابسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده فبايعته ، وبايعه المهاجرون والأنصار ، أما والله ما وجدنا فيما حضرنا أمرا هو أوفق من مبايعة أبي بكر ، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة ، فإما أن نبايعهم علي ما لا نرضي ، وإما أن نخالفهم فيكون فيه فساد" فمن بايع أميرا على غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ، ولا بيعة للذى بايعه[1] .

وروى سعيد الخدري رضي الله عنه قال: " قبض رسول الله ﷺ واجتمع الناس في دار سعد بن عبادة، وفيهم أبو بكر وعمر، فقام خطباء الأنصار ، فجعل الرجل

١- صحيح البخارى — كتاب الحدود . باب رجم الحبلى من الزنا جـ١٠ صـ٢٩١،٢٩٠،٢٨٩ .

منهم يقول يا معشر المهاجرين ، إن رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلا منكم قرن معه رجلا منا ،فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان منا ومنكم ، وتتابع خطباء الأنصار علي ذلك،فقام زيد بن ثابت (الأنصاري) فقال : أتعلمون أن رسول ﷺ كان من المهاجرين؟فخليفته يكون من المهاجرين ونحن أنصار خليفته ، كما كنا أنصاره ، ثم أخذ بيد أبي بكر فقال : هذا هو صاحبكم ، وبايعه ثم بايعه عمر،ثم بايعه المهاجرون والأنصار "[١] .

وفي رواية أخري أنه بعد زيد قام بشير بن سعد كبير الأوس فقال : **يا معشر الأنصار ، إنا والله وإن كنا أولي فضيلة في جهاد المشركين . وسابقة في الدين ، ما أردنا به إلا إرضاء ربنا وطاعة نبينا، فما ينبغي أن نستطيل علي الناس بذلك ، ولا نبتغي به من الدنيا عرضا ، فإن الله هو ولي المنة علينا بذلك ، ألا إن محمدا من قريش وقومه أولي به ، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الامر ، فاتقوا الله ولا تخالفوهم .**

بقى أمام الصديق سعد بن معاذ رضي الله عنه فناقشه الصديق حتى رضي بما عرضه أبو بكر رضي الله عنه .

فقال أبو بكر: **هذا عمر ، وهذا أبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا .**

فقالا : **والله لا نولي هذا الأمر عليك،وأنت أفضل المهاجرين وخليفة رسول الله ﷺ ! أبسط يدك نبايعك فلما ذهبا يبايعانه سبقهما بشير بن سعد فبايعه قبلهما[٢] .**

ومن هذا ندرك أن خلاف المهاجرين والأنصار كان سياسيا ، بقصد تحقيق المصلحة ، ولذلك دارت الحجج حول من الأحق بالقيادة .

وإن الأنصار نظروا إلي ظروف المجتمع المدني وحده ، و تأملوا العلاقة

١- صحيح البخارى ـ كتاب الحدود . باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت جـ٤ صـ٢٧٣ ـ ٢٧٥ .

٢- المصدر السابق .

التاريخية بين المهاجرين والأنصار ...

أما المهاجرون فقد نظروا إلي الأمة كلها ، وإلي كون الإسلام دينا للنـــاس أجمعين ، والي الظروف النفسية،والفكرية التي تحكم قبائل العرب .

وبإنتهاء اجتماع السقيفة تمت البيعة الخاصة لأبي بكر رضي الله عنه ، وهي عبارة عن ترشيح للخلافة بإبراز مزايا الشخص المرشح ،والتعريف به ،ليكون العامة علي بصيرة ، وهم يبايعونه البيعة التي يتولي بها صاحبها الأمر بعدها .

ويلاحظ مدى دقة الاختيار ، وحرية التعبير فلقد تكلمـــوا عـــن صـــفات أبي بكر ، وبينوا منزلته في الإسلام ، وعند رسول الله ﷺ وتحدث كل مـــنهم بما أراد ، واتخذ كل منهم الموقف الذي يرغب .

لقد سلم الأنصار أخيرا بوجهة نظر المهاجرين ، وبايعوا أبـــا بكـــر رضي الله عنه ولم يكن معهم من المهاجرين إلا الثلاثة الذين ذهبوا إليهم في السقيفة .

وقد تمت البيعة الخاصة في يوم الاثنين يوم وفاة النبي ﷺ ، وفـــي يـــوم الثلاثاء اجتمع المسلمون جميعا عامتهم وخاصتهم من المهاجرين و الأنـــصار في مسجد رسول الله ﷺ وبايعوا أبا بكر رضي الله عنه بيعة عامة بعد خطبة لعمر بـــن الخطاب رضي الله عنه اعتذر فيها عن موقفه ساعة وفاة النبي ﷺ ، وبين مكانة أبـــي بكر في الصحبة والهجرة وإقامة الصلاة ... وبعد انتهاء عمر دعا أبـــا بكـــر للصعود علي المنبر لتلقي بيعة الناس التي توالت جماعة بعد جماعة ، علـــي نمط واحد ...

يقول أبو بكر لكل من بايعه : **بايعوني علي السمع والطاعة لله ، ولكتابه ، ثم للأمير ... فيبايعونه**[١] .

وبذلك تمت البيعة العامة ، وهي الاختيار الملزم للحاكم ليقوم بالأمر بعـــد ذلك .

١- البداية والنهاية جـــ٣ صـــ٣٤٢

وبعد انتهاء البيعة العامة صعد أبو بكر ﷺ المنبر وخطب في المسلمين وبين أهم ملامح خلافته فقال: " **إني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينونى، وإن أسأت فقومونى، الصدق أمانة، والكذب خيانـــة ، والـــضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه ــ إن شـــاء الله ــ ، والقـــوي فـــيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ــ إن شاء الله ــ لا يدع قوم الجهاد فـــي سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قـــوم إلا عمهـــم الله بالبلاء. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله** "[١] .

ويلاحظ أن بعض المسلمين تأخر لسبب ما عن بيعه أبى بكر ﷺ الأمر الذي يدل علي أنه لا يشترط إجماع الأفراد كلهـــم علـــي اختيـــار الحـــاكم ، ومبايعته. بل المقصود الأغلبية التي تضمن طاعة الأمة .

ودل أيضا علي أنه لا إكراه في البيعة ، بل لابد أن تكـــون عـــن اقتنـــاع ورضي واختيار .

ودل على أن امتناع الفرد عن البيعة لا يمكن أن يطعن في دين الممتنـــع الذي يعتز برأيه ولم يقتنع بغيره، ولا يطعن في دين الذي بايعته الأغلبية مـــن باب أولى .

١- البداية والنهاية جـــ٦ صــ٣٤٠ .

المبحث الثانى

أسبـــــاب

اختيار أبي بكر رضي الله عنه للخلافة

اختار المسلمون أبا بكر رضي الله عنه أميرا فيهم لأسباب عديدة ، ووفق مرئيات متنوعة فذهب جماعة من المحدثين أن خلافة أبي بكر رضي الله عنه ثبتـت بـالنص الصريح ، وأن هذه النصوص هي الأسباب التي جعلت المسلمين يختارون أبا بكر رضي الله عنه . ومن هذه النصوص .

- عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : **أتت امرأة إلـى النبـي ﷺ تـسأله ، فأمرها ﷺ أن ترجع إليه ...**

  فقالت : **أرأيت إن جئت ولم أجدك ــ كأنها تخاف الموت .**

  فقال لها ﷺ : **إن لم تجديني فأتى أبا بكر**[١] **.**

- عن حذيفة رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ جلوسا فقال: **إني لا أدرى مـا قدر بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدى ،وأشار إلي أبي بكر وعمر**[٢]**.**

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **بينما أنا نـائم رأيتنـى على قليب عليها دلو ، فنزعت منها ما شاء الله ، ثم أخذها ابن أبـى قحافة فنزع بها ذنوبا ، أو ذنوبين ، وفى نزعه ضعف ، والله يغفر له ضعفه ، ثم استحالت غربا ، فأخذها ابن الخطاب ، فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر ، حتى ضرب الناس بعطن**[٣] **.**

- عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ في مرضـه

١ـ صحيح البخارى ـ كتاب المناقب . باب مناقب أبى بكر جـ٦ صـ٨١ .
٢ـ صحيح البخارى ـ كتاب المناقب . باب مناقب أبى بكر جـ٦ صـ٩٣ .
٣ـ صحيح البخارى ـ كتاب المناقب . باب مناقب أبى بكر جـ٦ صـ٨٤ .

الذي مات فيه: **ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابا فإني أخاف أن يتمني متمن ويقول قائل: أنا أولي،ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**[١] .

ويمكن حمل هذه النصوص علي أنها إخبار من النبي ﷺ بما سيكون بعد أن عرفه الله به. وليس في هذا الإخبار أمر أو تكليف بحكم شرعي يتعلق بتعيين أبى بكر رضي الله عنه للخلافة ، وإن لا ما اختلف المهاجرون والأنصار في البداية ، ولما جرى الحوار. والنقاش أصلا ، ولعمل الصحابة علي تنفيذ أمر رسول الله ﷺ فهم قريبو العهد بالرسالة ، والحديث فيهم محفوظ ، ووصايا الرسولﷺ لها قدرها.

ومن أهل السنه من يري وجود إشارات خفية لتولية أبي بكر الخلافة بعد رسول الله ﷺ كتكليفه بإمامة المسلمين في الصلاة خلال مرض رسول الله ﷺ . ولذلك قال الصحابة : **ارتضاه رسول الله لدينا أفلا نرضاه لدنيانا ... وكأمره ﷺ سد الأبواب إلا خوخة أبي بكر**[٢] .

وهذه الإشارات إخبارات نبوية لا تفيد التكليف والإلزام ، ولذلك لم يتأثر بها المسلمون إلا لترجيح اختياراتهم،وتوجهاتهم .

والواقع أن أبا بكر رضي الله عنه كان زاهدا في الخلافة ، ولم يذهب إلى السقيفة من أجلها ، وإنما ذهب لحرصه على تماسك الأمة ، وخوفه من التفرق والضياع وسط جو عام فيه الردة ، ومواجهة الفرس والروم .

كما أن غيبة بني هاشم وبني أمية، وجمهرة المهاجرين عن اجتماع السقيفة الذي علموا بأنبائه بعد انتهائه ، يقطع بأن السرعة التي استدعتها الأخطار المحيطة بالمدينة، وظهور التنافس من جديد بين الأوس والخزرج ، ومهارة أبي بكر كانت أهم الأسباب التي قادت الخلافة إلي الصديق من غير تدبير

١- صحيح مسلم – كتاب فضائل الصحابة . باب من فضائل أبى بكر رضي الله عنه جـ٤ صـ١٨٥٧ .
٢- صحيح البخارى – كتاب المناقب . باب مناقب أبى بكر جـ٦ صـ٩٤ .

سابق بين أبي بكر والمهاجرين، ولا بين أبى بكر وعمر وأبى عبيـدة ، وإلا لقضوا أمرهم بينهم كما نصح بذلك الأنصاريان، وإلا لما خفي الأمـر علـي المهاجرين والأنصار، ولكان ذلك حجة للممتنعين عن البيعة إن صـح خبـر الامتناع ، مع أنهم لم يشيروا إلي ذلك أدني إشارة.

يقول أبو بكر رضي الله عنه : **وددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين عمر أو أبى عبيدة**[١] .

وكثيرا ما حاول أبو بكر رضي الله عنه أن يعتذر عن الخلافة، وان يستبرئ نفوس المسلمين من أي معارضة. ومن أقواله: " **أيها الناس هذا أمركم إليكم ، فولوا من أحببتم علي ذلك وأكون كأحدكم** "[٢] .

وقد اختار المسلمون أبا بكر رضي الله عنه للخلافة وفق مميزات وصفات تجمعت في شخصيته رضي الله عنه ومنها :

١ـ إنه مهاجر قرشى :

وذلك أمر بينه النبي ﷺ ووضح ضروته. في أحاديث عديدة .

- روى مسلم في صحيحه بسنده أن رسول الله ﷺ قال: " **لا يزال الإسلام عزيزا بخلفاء كلهم من قريش** "[٣] .
- وعن عبد الله بن عمر قال: رسول الله ﷺ : " **لا يزال هذا الأمر فـي قريش ما بقي منهم اثنان** "[٤] .

وقال رسول الله ﷺ : " **الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمـسلمهم وكافرهم لكافرهم** "[٥] .

١- الزهد . باب زهد أبى بكر صـ١١٠ .
٢- المصدر السابق صـ١١١ .
٣- صحيح مسلم ـ كتاب الامارة . باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش جـ٣ صـ١٤٥٣ .
٤- صحيح مسلم ـ كتاب الامارة . باب الناس تبع لقريش والخلافة جـ٣ صـ١٤٥٢ .
٥- المصدر السابق جـ٣ صـ١٤٥١ .

وعن بكير بن وهب الجزري قال: **قال لي أنس بن مالك الأنصاري : أحدثك حديثا ما أحدثه كل أحد، كنا في بيت من الأنصار فجاء النبي ﷺ حتى وقف فأخذ بعضادتي الباب** ، فقال : **"الأئمة من قريش إن لهم عليكم حقا، ولكم عليهم حقا مثل ذلك،ما إن استرحموا رحموا ، وإن عاهدوا أوفوا ، وإن حكموا عدلوا " .**

٢- تمتعه بصفات عالية دعا الإسلام إليها :

وجد المسلمون أنفسهم أمام شخصية جمعت العديد من الصفات التي دعا إليها الإسلام وحث علي ريادة أصحابها ... من ذلك قوله تعالي ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[١] و أبو بكر رضي الله عنه هو الصادق الأول في الأمة ، و هو صديق رسول الله ﷺ .

ومنها قوله تعالي ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾[٢] وأبو بكر رضي الله عنه من أوائل الذين آمنوا وعملوا الصالحات .

ومنها قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[٣] وأبو بكر رضي الله عنه من أوائل السابقين للإسلام، والذى صاحب رسول الله في الهجرة ، وكان أقرب الصحابة

١- سورة التوبة آية ١١٩ .

٢- سورة النور آية ٥٥ .

٣- سورة التوبة آية ١٠٠ .

إلي رسول الله ﷺ قبل البعثة، وبعدها في مكة و المدينة .

٣- تمتعه بكافة خصائص المؤمن العقائدية والتشريعية والأخلاقية :

تميز أبو بكر رضي الله عنه بصدق العقيدة ، وصفاء الفهم للشريعة ، وحسن التطبيق لما يكلف به ، وكان دمث الخلق ، رفيع السجايا ، وهو في كل ذلك يمشي علي خطى حبيبه المصطفي ﷺ .

إن النبي ﷺ لم يستخلف أبا بكر ولا غيره بنص جلي أو خفي وإنما كانت هناك إشارات قوية تدل على أنه يرشح أبا بكر لذلك .

يقول عمربن الخطاب رضي الله عنه في آخر حياته : **إن استخلفت عليكم فقد استخلف من هو خير منى "يعنى أبا بكر" وإن أتركتكم فقد تركتم من هو خير منى ، يعنى رسول الله ﷺ .**

وأخرج الحاكم وصححه أنه قيل **لعلى : ألا تستخلف علينا ؟**

فقال: " **ما استخلف رسول الله ولكن إن يرد الله بالناس خيرا فسيجمعهم على خيرهم** "[١].

والقائلون بعدم النص على خلافة أحد بعينه هم جمهور أهل السنة والمعتزلة والخوارج .

وقد أيد الإمام ابن تيمية " رحمه الله تعالى " هذا الرأي وانتصر له وناقش ابن حزم في رأيه القائل بالنص الجلى واستدلاله بحديث عائشة في قوله ﷺ لها : " **لقد هممت أن أبعث إلى أبيك وأخيك وأكتب كتابا** " يستدل ابن حزم بهذا الحديث ويقول :

فهذا نص على استخلاف أبى بكر على الأمة بعده لأن الكتاب الذي هم الرسول ﷺ بكتابته كان في تعيين أبى بكر رضي الله عنه للخلافة كما يرى البعض ذلك .

١- المستدرك ــ كتاب معرفة الصحابة جـ٣ صـ٨٤ .

والرأى الصحيح أن هذا الحديث لا يفيد شيئا ، لأن الهم ليس قـولا ، ولا فعلا، ولا يصح أن يكون نصا ، والأحكام الشرعية لا تتم إلا بدليل قطعى في معناه أو دلالاته ، ولو عدالهم دليلا . لقامت الأحكام على الاحتمالات ، وحينئذ يشوبها النقص والفساد .

ولذلك يقول ابن تيمية : **لا نص في حديث رسول الله لعائشة بل هو دليل على عدم استخلافه أيضا لأنه ﷺ لم يصرح بشئ ولم ينزل كتابا ، ويمكن القول بأن عدم كتابة الكتاب دليل على عدم مشروعية ما كان سيتضمنه ، ومن أين حدد البعض موضوعه ؟ وكيف تأتى له ذلك ؟ وهو لم يكتب .**

وإنما يدل الحديث على أنه ﷺ يمكن أن يكون هو الخليفة بعده ﷺ وعلى الأمة أن تجتمع عليه من بعده، فسكت ﷺ عن النص الجلى ، واكتفى بما تجتمع عليه الأمة .

المبحث الثالث

إجمـــاع الصحابـــة

علي بيعة أبـــي بكـــر رضي الله عنه

بايع الصحابة من المهاجرين والأنصار أبا بكر رضي الله عنه للخلافة ، ولم يـشذ منهم أحد وقد تأخر بعضهم في بيعته قليلا بسبب له وجاهته ، إلا أن الجميـع في النهاية بايعوا أبا بكر واتبعوه .

يحاول البعض أن يشكك في اجتماع السقيفه الذي بويع فيه أبو بكر البيعة الخاصة مستفيدا بآراء الشيعة، وبعدم ذهاب المهاجرين إلي سقيفة بني ساعدة ، والي ما زعم من أن عليا، والزبير، وبني هاشم وبعض الأنصار توقفوا عـن بيعه أبى بكر فى البيعة العامة ... وهذا التشكيك مردود ببيان حقيقة ما كـان عليه المسلمون يومذاك .

ورأي الشيعة لا صلة له بإجماع المسلمين علي بيعة أبي بكر رضي الله عنه لأنهم كأناس ، وكمذهب ، لا وجود لهم قبل الخلاف بين علـي ومعاويـة ، وإنمـا أوجدهم الخلاف فى العقد الرابع الهجرى ، وقد تسموا بالشيعة بـسبب مـيلهم لعلي،وبيعتهم له،والتعصب لرأيهم فـي مواجهـة الأمـويين،وقـد تطـورت أفكارهم،وداخلها الزيف والهوى مع امتداد التاريخ بعد على،والإمام علي رضي الله عنه براء من أكثر مزاعم الشيعة علي اختلاف اتجاهاتهم .

وحين نعيش واقع المسلمين يوم وفاة رسول الله ﷺ ، بعد أن استسلموا لقدر الله في وفاة رسولهم ﷺ نرى لكل جماعة منهم اهتماماتها .

فلقد أعلن المسلمون في الجزيرة العربية ردتهم،ولم يبق علي الإسـلام إلا الأنصار أبناء المدينة ومعهم من هاجر إليهم ، وأبناء مكـة والطـائف علـي استحياء حتى لا يقال فيهم : إنهم آخر من اسلم وأول من ارتد .

شعر المهاجرون والأنصار بخطورة الأمر،ولم يجدوا أمامهم طريقا معينـــا يسلكونه ، ورأوا ضرورة استمرار سلطة الحكم ، ووجود القيادة التي تخلــف رسول الله ﷺ وقد تصرفت كل جماعة حسب رؤاها ، واجتهدت في النطــاق الذي تقدر عليه .

اجتمع الأنصار جميعا في سقيفة بني ساعدة لتحمل مسئولية نصرة الإسلام وحمايته ، ليستمر دورهم الذي بايعوا عليه رسول الله ﷺ ، وكادوا أن يملكــوا عليهم واحدا إلا أنهم فوجئوا بمجئ أبى بكر وعمر وأبى عبيدة رضي الله عنهم فبــدأوا معهم في مناقشة الموضوع من جديد،وأبدوا ما عندهم من آراء فـــي حريـــة أمينة، وصدق تام ، وناقشوا أبا بكر وعمر وأبا عبيدة ، ووضح أبو بكر مـــا عنده من أدلة حفظها عن رسول الله ﷺ . وهنا بايع جميع من كان في السقيفة أبا بكر بالخلافة[1] .

ويلاحظ أن قيادة المدينة في حياة رسول ﷺ قام بها المهاجرون غالبا الأمر الذي أدى إلي اختفاء الصراع القديم بين الأوس والخزرج،ولذلك بايع الأنصار حينما علموا أن تولية أحد المهاجرين أمر الخلافة سيقوى هذا الشأن ويدعمه .

وقد استفاد المهاجرون الثلاثة من اقتناع الأنصار ورضاهم بأبي بكر رضي الله عنه فباشروا البيعة له ، ولم يؤجلوها مدة لأخذ رأي المهاجرين ، حتـــى لا يتـــآمر المنافقون ، ويلعب الشيطان بالبعض ، ويهون التوقف في الموضوع انتظـــارا لما يستقر عليه أمر باقي العرب ... ولو حدث ذلك ما انتهت الردة ، ولضاع الإسلام من حياة الناس ، لأن من حافظ علي الإسلام ، وقضي علي الردة هم الأنصار مع المهاجرين ولذلك كانت بيعتهم لأبي بكر في السقيفة وقايـــة مـــن الفتنة، وحفظا للأمة من الانهيار .

أما المهاجرون رضوان الله عليهم فقد انشغل بنو هاشـــم برســـول الله ﷺ

١- صحيح البخارى ــ كتاب الأحكام . باب الاستخلاف جــ١٣ صــ٢٥٥ .

لتجهيزه ودفنه، واجتمع أبو بكر يوم وفاة رسول الله ﷺ مع المهاجرين في المسجد النبوى قريبا من بنى هاشم .

نظر أبو بكر رضي الله عنه إلى الموجودين فلم يجد أنصاريا فيهم ، فأدرك أنهم غابوا ليدبروا أمر المدينة بعد رسول الله ﷺ ، وخاف أن يقضوا الأمر وحدهم فتحدث فتنة، وبخاصة أن ما يحفظه أبو بكر رضي الله عنه عن رسول الله في شأن الخلافة غائب عنهم،وأيضا فإن قيام الأنصار وحدهم بالاختيار سيوقع المسلمين مرة أخرى في الفرقة والانقسام والعصبية.

اصطحب أبو بكر عمر وأسرعا إلي الأنصار وقابلهم في الطريق أبو عبيدة فأخذاه معهما ، فوجد أبو بكر ما توقعه ، عن الأنصار فناقشهم بالأمر ، حتى تمت البيعة .

وهنا سؤال :

هل يكفي حضور ثلاثة من المهاجرين أمر البيعة ؟

وأين الباقون ؟

ولم لم تؤجل المناقشات لحضور الجميع ؟

والجواب عن هذا . أن الذي تم في سقيفة بني ساعدة هو البيعة الخاصة ، وهي عبارة عن ترشيح من يصلح للخلافة يقوم به قادة الرأي وأهل الحل والعقد ، والترشيح ليس نهاية البيعة،وإنما المعتد به هو البيعة العامة التي يباشرها المسلمون جميعا عامتهم وخاصتهم ، وهو ما حدث مع أبي بكر في اليوم التالي ، حيث اجتمع المهاجرون والأنصار، وبايعوا أبا بكر واحدا واحدا بعد نقاشات وحوارات عديدة ، وقد حضر الأنصار جميعا في السقيفة .

أما المهاجرون فلم يحضر إلا الثلاثة لا تمثيلا لغيرهم، وإنما دعت الضرورة إلي ذلك، فلما كان اليوم التالى كان هو يوم المهاجرين، فلما حضروا اشتركوا مع الأنصار في البيعة العامة ، ولم يعترض أحد على بيعة

أبي بكر ولم يدع أحد أنه سمع أو علم أن الرسول ﷺ نص على أحد بعينـــه ، ولو كان هناك نص لذكره من كان يعلم به .

وقبل أن يبايع الناس خطب فيهم عمر بن الخطاب معتذرا عما حدث منـــه عند وفاة رسول الله ﷺ ، فقال بعد أن حمد الله وأثني عليه: **أيها الناس ، إنـــي كنت قلت بالأمس مقالة ما كانت ، فما وجدتها في كتـــاب الله ، ولا كانـــت عهدا عهده إلي رسول الله ﷺ ، ولكني كنت أرى أن رسول الله ﷺ ســـيدبر أمرنا،ويكون آخرنا، وإن الله قد أبقي فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله ﷺ فإن اعتصمتم به هداكم الله ، وإن الله قد جمع أمركم علي خيـــركم،صـــاحب رسول الله ﷺ ، ثاني اثنين إذ هما في الغاز فقوموا فبايعوه[1] .**

فقام الناس واحدا واحدا وبايعوا أبا بكر البيعة العامة التي بها انعقدت الخلافة .

ويلاحظ أن البيعة العامة قد تمت قبل دفن النبي ﷺ حيث كان تمامها يـــوم الثلاثاء ثاني أيام وفاة رسول الله ﷺ وقد حضرها المهاجرون جميعا ، وبـــذلك اشترك الجميع في بيعة أبي بكر رضي الله عنه ...

وقد ادعي البعض أن بني هاشم وعلي رأسهم على بن أبي طالب والزبير بن العوام تخلفوا عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه ولم يقوموا ببيعته إلا بعد ستة أشهر أي بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها مستدلين بما يلي :

١- ما أخرجه مسلم من طريق ابن شهاب عن عروة بن الزبيـــر عـــن عائشة أنها أخبرته أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أرسلت إلي أبي بكر الصديق تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينـــة وفدك، وما بقي من خمس خيبر .

فقال أبو بكر رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ قال: " **لا نورث ما تركناه صدقة إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال ، وإني والله لا أغير شيئا مـــن**

١- سيرة النبى لابن هشام جـــ٤ صـــ١٠٧٥

صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها علي عهد رسـول الله ﷺ ولنعملن فيها بما عمل رسول الله ﷺ .

فأبي أبو بكر أن يدفع إلي فاطمة شيئا،**فوجدت فاطمة علي أبي بكر** ﵁ **في ذلك .**

هذه راوية عائشة التي رواها الإمام مسلم في صحيحة وهى تتحـدث عن موقف فاطمة وأبى بكر من التصرف في تركه النبى ﷺ .

يعلق الزهرى على حديث عائشة السابق ، ويقـول : فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى توفيت ، وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر ، فلما ماتت دفنها زوجها علي بن أبي طالب ليلا، ولم يؤذن بها أبا بكـر ، وصلي عليها " علي" وكان : لعلي" من الناس وجهة حياة فاطمة فلما توفيت استنكر " على" على وجوه الناس ، فالتمس مصلحة أبي بكـر ومبايعته.ولم يكن بايع تلك الأشهر .

يقول الزهرى: أرسل على إلي أبي بكر أن ائتنا فدخل عليهم أبو بكر فتشهد علي بن أبي طالب ثم قال : إنا قد عرفنا يا أبا بكر فضيلتك ، وما أعطاك الله ، ولم ننفس عليك خيرا سـاقه الله إليـك ؛ ولكنـك استبددت علينا بالأمر، وكنا نرى لنا حقا لقرابتنا من رسول الله ﷺ فلم يزل يكلم أبا بكر حتى فاضت عينا أبى بكر .

فلما تكلم أبو بكر قال : والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي من قرابتي ، وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فإني لم آل فيها عن الحق، ولم أترك أمرا رأيت رسـول الله ﷺ يـصنعه فيها إلا صنعته .

فقال علي لأبي بكر : موعدك العشية للبيعة .

فلما صلي أبو بكر صلاة الظهر صعد علي المنبر فتشهد وذكر شأن علي ، وتخلفه عن البيعة ، وعذره بالذي اعتذر إليه .

ثم استغفر علي بن أبي طالب وتشهد فعظم حق أبي بكر ، وبين أنه لم يحمله علي الذي صنع نفاسة علي أبي بكر ولا إنكارا للذي فضله الله به ووضح وجهة نظره فقال : لقد كنا نرى لنا في الأمر نـــصيبا فاستبد علينا به ، فوجدنا في أنفسنا .

فسر بذلك المسلمون وقالوا: أصبت .

فكان المسلمون إلي " علي" قريبا حين راجع الأمر بالمعروف " [١].

٢- يروى البخاري بسنده في صحيحه عن ابن عباس أن عبد الرحمن بن عوف قال له : **إن عليا و الزبير ومن كان معهما من بني هاشـــم تخلفوا عن بيعة أبي بكر في بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ .**

٣- وهذه الأدلة تحتاج لتحليل ونقاش حتى يتضح الحق مـــن ورائهـــا ، ونلحظ معها ما يلي :

ورد في قول الزهرى الذي أدرج في حديث عائشة أن عليا رضي الله عنه قال معللا تأخره : **ولكنا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقا " .**

فما هو الحق الذي يريده علي ؟ ... هو مجرد مودته لقرابتـــه مـــن رسول الله أو مشاورته ، والسماع له ؟

والحق بهذا المعنى أمر مقرر لعلى ولغيره من كبار الصحابة .

وإن كان المراد حقه وحق فاطمة في ميراث النبي ﷺ فهو مردود بالحديث الصحيح الذي ذكره أبو بكر رضي الله عنه .

وإن كان المراد أحقيته في الخلافة فإنه رضي الله عنه بايع أبا بكر رضي الله عنه وهذا يدل علي أنه رضي الله عنه رأى بعد نظر واجتهاد أن أبا بكر هو الأحق بالخلافة لما له من صفات فبايعه فلا أحقية له فيها .

والرأي الصحيح أن عليا والزبير وبني هاشم رضـــي الله عنهـــم بايعـــوا

١- صحيح مسلم ــ كتاب الفرائض . باب قول النبى لا نورث ما تركناه صدقة حـــ٤ صـــ٢٤٩

أبا بكر رضي الله عنه مع الناس البيعة العامة ، وتولي أبو بكر الخلافة بها ، فطالبته فاطمة بإرثها من رسول الله ﷺ بصفته خليفة المسلمين الذي تمت بيعته فلم يستجب لها، وذكرها بقوله ﷺ : " **نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة** "[١] ، فغضبت لما لها من اجتهاد في الموقف ، الأمر **الذي أدي إلي تقليل لقاء على أبا بكر فتصور الناس أنه لم يبايع أبا بكر** ، وبخاصة أنه جاء وبايع أبا بكر مرة ثانية بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها .

يروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة أن فاطمة رضي الله عنها جاءت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما تسأل ميراثها من رسول الله ﷺ فقالا لها : سمعنا رسول الله ﷺ يقول : **إنى لا أورث فقالت : والله لا أكلمكما أبدا ... تعنى في هذا الميراث لصدقهما**[٢] .

إن موقف أبى بكر رضي الله عنه هو الحق لا مراء ، ولذلك وافقه الجميع عليه يقول مالك بن أوس : **دخلت على عمر بن الخطاب ودخل عليه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص .**

ثم جاء على والعباس يختصمان .

فقال عمر لهم : **أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض ، تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : لا نورث ما تركنا صدقة .**

١- وهذا الحديث متفق عليه صحيح البخاري ــ كتاب المغاري .باب حديث بني النضير جــ٧ صـــ ١١٣ صحيح مسلم كتاب الجهاد . باب حكم الفرد جـــ ٢ صـــ٨١ .

وقد سلمت فاطمة رضي الله عنها بالحديث بعد سماعه،ولم تتخذ موقفا معا رضا لأبي بكر رضي الله عنه ولم يغضب لها زوجها علي رضي الله عنه ، فأبو بكر منع الميراث عن بنات النبي وزوجاته ، ومنهن ابنته عائشة رضي الله عنها ... وأيضا فلو كان علي رضي الله عنه يري بغير رأى أبي بكر لأنفذه بعدما أصبح خليفة ، وصار الأمر بيده ، وبخاصة أن الحقوق لا تضيع بالتقادم ... ولم يحدث أن أثارت إحدى أمهات المؤمنين مسألة إرثها من زوجها رسول الله ﷺ لتسليمها وغيرها بصحة الحديث ، وصدق ما دل عليه .

٢- سنن الترمذى ــ كتاب السير . باب ما جاء في تركة النبي ﷺ جــ٤ صـــ١٥٧ ، ١٥٨ .

قالوا : **نعم ؟**

قال عمر : **فلما توفى رسول الله ﷺ قال أبو بكر : تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك ، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها ؟**

فقال أبو بكر : **إن رسول الله ﷺ قال : لا نورث ما تركنا صدقة والله يعلم إنه صادق بار راشد تابع للحق . فسكتوا . وصدقوا[1] .**

أخرج البيهقي بسنده عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال بعدما ذكر القصة : ثم قام أبو بكر فخطب الناس واعتذر إليهم — يعني إلى علي والزبير ومن تخلف عن السقيفة– وقال : **والله ما كنت حريصا على الإمارة يومـا ولا ليلة قط، ولا كنت فيها راغبا، ولا سألتها الله في سر وعلانية ولكني أشفقت من الفتنة ، ومالي في الإمارة من راحة، ولكني قلدت أمرا عظيما مالي بـه طاقة ولايدان إلا بتقوية الله، ولوددت أن أقوى الناس مكاني عليها اليوم . فقبل المهاجرون منه ما قال وما اعتذر به .**

وقال علي والزبير : **ما غضبنا إلا أننا أخرنا عن المشاورة، وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ إنه لصاحب الغار، وثاني اثنـين، وإنـا لنعرف شرفه وكبره، ولقد أمره رسول الله بالصلاة بالناس وهو حي.**

قال عمرو بن حريث لسعيد بن زيد رضي الله عنهم : **أشهدت وفاة النبي ﷺ؟**

قال: **نعم**

قال: **فمتي بويع الصديق ؟**

قال: **يوم مات رسول الله ﷺ كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة .**

قال: **فهل خالف عليه أحد ؟**

قال: **لا . إلا مرتد . أو من كاد أن يرتد ، لولا أن الله ينقذهم من الأنصار .**

قال: **فهل قعد أحد من المهاجرين ؟**

١- المرجع السابق جـ٤ صـ١٥٨

قال: **لا ... تتابع المهاجرون علي بيعته من غير أن يدعوهم** [١] .

يقول حبيب بن أبى ثابت : كان على في بيته إذ أتى فقيل له : قد جلس أبو بكر للبيعة ، فخرج في قميص ما عليه إزار ولا رداء عجلا ، كراهية أن يبطء حتى بايعه ، ثم جلس إليه ، وبعث إلى ثوبه فأتاه فتجلله ، ولزم مجلسه [٢].

وعلي ضوء هذا الرأي نفهم رأي من قال: **بتأخر علي والزبير وغيرهما في البيعة ، على أنه كان يتحدث عن البيعة الثانية لعلى ومن معه ظنا من راويها أنها هي البيعة الأولي لعلي رضي الله عنه لأن عليا بايع أبا بكر البيعة العامة ثم غاب عن لقائه . فلما ماتت فاطمة بايع بيعة جديدة .**

ونلاحظ أن النصوص الدالة علي تأخر علي في البيعة وبخاصة في الحديث الذي رواه مسلم بسنده عن عائشة رضي الله عنها ، مدرجة من زيادة الزهرى أدرجها في الحديث مع أنها ليست منه ، وذلك واضح في الحديث المذكور.

يعلق العقاد علي ما أثير من خلاف بين أبي بكر رضي الله عنه وبين آل البيت وعلي رأسهم علي وفاطمة رضي الله عنهم حول الخلافة والإرث فيقول:

ليس من العقل أن يقدح قادح في ولاء الصديق للنبي ﷺ بما حرم فاطمة رضي الله عنها من ميراث أبيها ، فلئن حرمها لقد حرم عائشة مثلها ، لأن الأنبياء في شرعة محمد ﷺ لا يورثون .

وما أراد أبو بكر أن يضن بميراث محمد علي وارثيه ، ومنهم بنته ، وأحب الناس إليه ، ولكنه أراد أن يضن بدينه ، ويضن بوصاياه ، وهي أولي أن تصان من المال ، ومن البنين .

وكذلك لا يقال إنه حرم عليا رضي الله عنه حقا في الخلافة ، فما كان في وسعه أن يحرمه شيئا لو كان ﷺ قد وصي له بشئ .

١- تاريخ الطبرى حـ٣ صـ٢٠٧.
٢- المصدر السابق جـ٣ صـ٢٠٧ .

وما كانت فاطمة رضي الله عنها بغائبة عن سرير أبيها في مرض موتــه فيقال : **إنهم قد كتموا عن النبي بعض ما قال .**

ولا كان علي رضي الله عنه بالذى يعوزه المنطق لو أنه أراد البرهان من القــرآن الكريم أو أراد الحجة من الحديث الشريف .

ومن أين لأبي بكر تلك القوة التي ينتزع بها الخلافة انتزاعا من آل النبي ﷺ ومن الأنصار والمهاجرين بغير حجه وبغير برهان ؟

لئن استطاع ذلك غير محتال ، ولا مغتال ، ولا سافك دم لكفي بذلك فهــو أولاهم ، وأقدرهم عليها ، وما استطاعه بعد ذلك وقام به دليل على أنه أحــق المسلمين بالخلافة .

لقد حدث بعد النبي ما لابد أن يحدث ، وما ليس بكثير أن يحدث في موقف مقتضب لم يمهد له بسابق متبوع ، ولا بقدوة مأمومة ، الأمر الذي أدى إلــى التأويل والرؤى المتعدده .

كان أبو بكر يندب عليا للمهمات في حراسة المدينة ، وعلى كان يلبي ندبة أبي بكر تلبية الصدق والنجدة ، ولو صح أن أبا بكر أخفى حقا لعلى لما أقــر علي له ببيعة ، ولا رضي له ولا لمن بعده بصحبة ، ولتمرد عليه [١].

لقد تمت البيعة بإجماع الأمة ، وصار أبو بكر هو الخليفة بــلا جــدل ولا مراء .

١- عبقرية الصديق صـــ١٧٦

المبحث الرابع

رأي الشيعة

في خلافة أبي بكر رضي الله عنه

والرد عليهم

الشيعة اسم مشتق من التشيع بمعنى التبعية المشتملة علي الحب ، والطاعة ويراد بهم من انحازوا لعلي رضي الله عنه، وقالوا بإمامته ، وخالفوا كل ما لم يكن معهم في هذا الاتجاه .

وقد غلب اسم الشيعة علي من يتولي عليا وأهل بيته رضي الله عنهم حتى صار اسما خاصا بهم ، وأصبحت الشيعة مذهبا يحتوى كل ما يعبر عن أفكار أتباعها واتجاهاتهم المذهبية .

ورأى الشيعة في الإمامة أو الخلافة أنها من الوظائف الهامة التي لا تقل في أهميتها عن النبوة والرسالة، ولذلك نص الله علي ضرورتها، وعين من يقوم بها بنصوص جلية أو خفية أو بوصية واضحة.

والخلافة عند الشيعة لا تخرج عن علي رضي الله عنه وأولاده من بعده بتعيين السابق للاحق ولا يتخلف ذلك إلا بظلم من غيرهم ، أو بتقية منهم .

وفرق الشيعة عديدة ، ولذلك تعددت شخصيته الإمام عندهم ، فالزيدية يرون الوصية في أي شخص جامع لشروط الخلافة من آل علي ، متصف بالصفات الواجب توافرها فيمن يتولي الخلافة ، ولذلك فهم يرون كل شخص جمع صفات الخليفة من آل البيت أهل لها ، بلا تعيين شخص ، أو حصر الاختيار في بطن معين ، أو في عدد معين ، أو في أجيال معينة، أو أزمنة خاصة بلا عدد ، أو غيبة لأحد .

ومنهم الذين يرون الخلافة في اثنى عشر رجلا منحصرين في علي رضي الله عنه

وذريته من بعده يعدونهم حتى يبلغ العدد اثنى عشر إماما .

ومنهم من يحصر العدد في أقل من ذلك ، ومنهم من يحصر الإمامة في أبناء فاطمة ، ومن يراها في أبناء على من أزواجه جميعا .

والشيعة الزيدية أقربهم إلي أهل السنة لأنهم يشترطون في الإمام الوصف لا الشخص ،ولا يقفون بالأئمة عند عدد معين ولا يقولون بالإمام الغائب ، ويجيزون إمامة غير آل البيت ، ويرون صحة خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، وصحة خلافة من أتي بعده كذلك من باب جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل .

أما الشيعة الاثنا عشرية فهم لا يجيزون الإمامة لغير آل البيت من أبناء فاطمة ، ويرون عدم أحقية غيرهم فيها ، ويذهبون إلي أن أبا بكر وعمر وعثمان ظلموا حق غيرهم بتوليهم الخلافة بعد رسول الله ﷺ .

أما الشيعة "الكيسانية فإنهم لم يحصروا الإمامة فى **أبناء فاطمة الزهراء ،** وقالوا إنها انتقلت من الإمام على **إلى ابنه محمد بن الحنفية .**

والشيعة الاسماعلية ، وهم من الغلاة، ومنهم البهرة ، والنصيريون ، والدروز فإنهم يقولون: إن الخلافة انتقلت بعد الإمام السادس **(جعفر الصادق)** إلى ابنه إسماعيل الذي إليه ينتسبون، ومن هنا افترقوا عن الاثنى عشرية .

وهناك اختلافات بين الشيعة الأثنى عشرية وأهل السنة في الأصول والفروع . ونحن هنا سنتحدث بإذن الله تعالي عن الاختلاف بين الشيعة الاثني عشرية وأهل السنة في الخلافة ، وفي اختيار أبي بكر للخلافة مع محاولة إبراز الحق في هذه القضية ، ولذلك سنعرض أولا لآراء الاثنى عشرية ، ونكر ثانيا بردها ونقدها .

وغالبية الشيعة علي المذهب الاثني عشري ، ولذلك فإن حديثا مطلقا عن الشيعة اليوم ينصرف إليهم ، وحين يكون الحديث عن غيرهم نذكر وصفهم ، ونوضح المراد بهم تميزا لهم عن عامة الشيعة .

ـ١ـ

آراء الشيعـــة

يرى الشيعة أن الإمامة أو الخلافة من الأمور الهامـــة التـــي أوجبهـــا الله تعالى على نفسه ، وعين لها من يقوم بها .

يستدل الشيعة علي هذا الوجوب بأدلة متعددة منها .

١- يقول الله تعالي ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴾[1] ونصب الإمام من الهدى وقــد أوجبه الله على نفسه بنص الآية .

٢- ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] ونصب الإمام من الرحمة التي أوجبها الله علي نفسه .

٣- يقول الله تعالي : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[3] حيث أمر الله تعالى بطاعة أولي الأمر علي سبيل الجزم بلا قيد ما فدل ذلك على ضـــرورة الإمام الذي يطيعه المــؤمنون ويعملون تحت قيادته و إمرته.

٤- والشيعة يرون نصب الإمام ضرورة عقلية أيضا لأن الله تعـــالي جعــل للجوارح في الإنسان قائدا يوجهها ، وحاكم يحكم حركتها وهو القلــب ، ومن باب أولي يكون الإمام حاكما للأمة، ضابطا لحركتها .

١- سورة الليل آية ١٢ .
٢- سورة الأنعام آية ٥٤ .
٣- سورة النساء آية ٥٩ .

كما أن ملاحظة العمران البشرى تؤكد ضرورة وجود الإمـام حتـى لا تتحول الحياة إلى فوضى ، يسيطر القوى فيها على الضعيف ، ويستبد الأغنياء بالفقراء .

٥- يقول الشيعة : إن الله أرسل للناس رسلا قطعا لأعذارهم ومنعا لنشر الاستبداد ، وشيوع الفساد بينهم إذا غاب الوحي عنهم ، ولذلك فواجب علي الله أن يعين الأئمة بعد رسول الله ﷺ ليقوموا بوظيفة النبي ﷺ ويسدوا مسده في تحقيق مصالح العباد، والمحافظة علي الدين .

٦- ويقولون : إن الشورى لا تأتى بالإمام المطلوب ، ولم تشرع لذلك لأن الأفهام متفاوته ، ووصولها إلى الصواب في الاختيار أمر ظنى ، والله سبحانه وتعالى لا يترك أمر العباد لأمر مشكوك فيه .

وأيضا فإن إدخال الشورى في الإمامة يؤذن بنقص الدين لحاجته إلى الشورى مع أنه كمل وتم لقوله تعالى ﴿ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾[1] .

وإنما تصلح الشورى في الأمور العادية التي يجوز معها الاجتهاد ويتحقق معها الثواب حين الخطأ وحين الصواب.

هذا عن الخلافة ونصبها بصورة عامة .

أما تعيين الخليفة بعد رسول الله ﷺ فهم يذهبون إلى أن رسول الله ﷺ أوصى بها لعلي رضي الله عنه وذريته من بعده .

ويرون أن الوحي الكريم نص عليها بنصوص خفية وأخرى جلية ، وأن المسلمين مسئولون عن العمل بها .

١- سورة المائدة آية ٣ .

ويستدلون علي مذهبهم هذا بأدلة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية ، ومن المعقول [١] .

أدلة الشيعة من القرآن الكريم :

يقول الشيعة وردت آيات قرآنية تدل علي تعيين " على" للخلافة ومنها :

- يقول الله تعالي ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[٢] ويذهب الشيعة إلي أن الآية نص في ولاية علي رضي الله عنه فهو الولي بعد الله ورسوله، وهو رأس المؤمنين لأن الآية قبلها وهي قوله تعالي ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٣] .
- والآية تتحدث عن المؤمنين ، وتصفهم بأنهم الذين يحبهم الله تعالي ويحبونه ، وعلي رأس هؤلاء على بن أبى طالب كما صرح بذلك النبي ﷺ يوم فتح خيبر ، فكون على الأحب إلى الله تعالى دليل على تعيينه للخلافة .
- يقول الله تعالي ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾[٤] .

١- أنظر علي ومناوئوه .

٢- سورة المائدة آية ٥٥ .

٣- سورة المائدة آية ٥٤ .

٤- سورة الأحزاب آية ٣٣ .

فقد رفع الله شأن آل البيت، وطهرهم ، وأذهب عنهم كل عيب ، والمراد بأهل البيت في الآية علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم ومن نسل منهم ، وفى هذا التطهير دليل على أحقيتهم في الخلافة.

- يقول الله تعالي ﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[١].

وفي الآية خطاب الله لأهل مكة لمراعاة قرابة النبي ﷺ ويرى الشيعة أن قرابة النبي ﷺ هم علي وبنوه، ومودتهم تكون بتوليتهم الإمارة عليهم، والانقياد لهم، وطاعتهم.

أدلة الشيعة من السنة :

وكما استدل الشيعة علي تعيين الإمام علي رضي الله عنه للخلافة بآيات من القرآن الكريم استدلوا كذلك بأحاديث من السنة النبوية ومنها:

ــ حديث الولاية :

أخرج الطبراني والنسائي وأحمد والحاكم عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ خطب الناس في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، وقال في خطبته **" يا أيها الناس ، إن الله مولاى ، وأنا مولي المؤمنين ، وأنا أولي بهم من أنفسهم ، فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه وانصر من نصره ، واخذل من خذله "**[٢].

فقوله ﷺ فمن كنت مولاه فعلى مولاه يشير إلى تعيين علي للخلافة .

ــ حديث المنزلة :

حينما خلف النبي عليا علي المدينة بعد خروجه لغزوة تبوك ، قال :

١- سورة الشورى آية ٢٣ .

٢- المواقف صـ٤٠٥ ، وقد أورد صاحب المواقف الحديث وأشار إلى ضعفه .

المنافقون: **إنما خلفه لأنه يبغضه، فبلغ ذلك عليا، فبكي واشتكى إلـــي النبـــي قائلا : أتخلفني في النساء والصبيان ؟**

فرد النبي : أما ترضي أن تكون منى بمنزلة هارون من موسي، إلا أنـــه لا نبي بعدي[١] .

وهذا حديث صحيح متواتر ، فسره الشيعة بما يثبت لهم خلافـــة علـــي ، وقالوا : إن تشبيه علي بهارون يثبت له كل منازل هارون مع موسي فيما عدا النبوة ، ومن منازله الأخوة والوزارة ، والخلافة، وولاية الأمر بعده لو عاش بعد موسي ، وكونه شريكا في أمره .

ـــ حديث الراية :

قال النبي ﷺ محددا أوصاف من يحمل الآية يوم خبير حين قال : **لأعطين الراية غدا إلي رجل يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، كـــرار غيـــر فرار ، لا يرجع حتى يفتح الله علي يده ، وفى الغد أعطاها لعلى فـــدل ذلـــك على تمتع على بهذه الصفات خاصة وهو بهذا يتعين للخلافة** [٢].

يروي الشيعة هذا الحديث وهو حديث صحيح رواه البخـــاري والترمـــذى والحاكم ، ويقولون: هذه الصفات صارت خاصة بعلى ، مما يدل علي أفضليته وبالتالي تبين أحقيته للإمامة، لأن الإمامة تكون للأفضل .

ويؤكدون أدلتهم بمفهوم عقلي وهو وجوب طاعـــة أمـــر الله تعـــالي لأن المخالفة تضر إيمان صاحبها، والمسلم ملتزم بطاعة الله ، وواجب أن يتتبـــع مظان الأدلة القائمة ويقوم بها .

ويذهب الشيعة إلى أن عدم تولية أهل البيت مشاقة لله ورسوله ، تؤثر في إيمان صاحبها لقوله تعالي ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ

١- صحيح البخارى ـــ كتاب المناقب . باب مناقب على جـــ٦ صـــ١١٧ بنجوه .

٢- صحيح البخارى ـــ كتاب المناقب . باب مناقب على جـــ٦ صـــ١١٥ .

غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [1] .

ويرى الشيعة أن قوله تعالي ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴾[2] تتصل بتعيين علي فقد اختاره الله وعينه، وليس للمؤمن والمؤمنة بعد اختيار الله خيار .

ويري الشيعة أن عليا رضي الله عنه أفضل البشر علي الإطلاق فهو أول من أسلم وهو الذي رباه النبي ﷺ وهو أخوه في المدينة ، وهو الذي نـام مكانـه يـوم الهجرة ، وهو الذي ولي أمر المدينة حين ذهب النبي إلي خيبر. فأهليته للولاية أمر مقرر لصفاته ، والنص عليه وقيامه بها في حضرة النبي ﷺ .

ويرى الشيعة أن كل من ولي الخلافة قبل الإمام علي ظالم ومعتد، وآخـذ لحق غيره بلا داع أو مقتض .

وحين يستعرضون ظروف بيعة أبي بكر رضي الله عنه يرون أنه عاد من " السنح" متعجلا ليقضي الأمر **قبل أن يفلت منه**، وليحقق ما يريد ،و لذلك ذهب إلـى الأنصار مسرعا ، واكتفى بإثنين معه مـن المهـاجرين ، وكـان يمكنـه أن يصطحب أكثر من هذا العدد . وكان يمكنه كذلك أن يؤجل الاختيـار حتـى يجتمع عدد أكبر من المهاجرين .

ويرى الشيعة الاثنا عشرية أن تعيين الأئمه منحصر في أثني عشر إماما هم على الترتيب :

<u>الأول</u> : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد ولد في اليوم الثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين عاما ، واستشهد في الحادى والعـشرين من رمضان في الكوفة علي يد عبد الرحمن بن ملجم في العام الأربعين للهجرة

١- سورة النساء آية ١١٥ .

٢- سورة الأحزاب آية ٣٦ .

النبوية ومدفنه في النجف الأشرف بالعراق .

الثاني : الإمام الحسن السبط الزكي بن علي ﷺ ولد في منتصف شهر رمضان في العام الثالث للهجرة ومات مسموما في السابع من صفر من العام الخمسين منها ومدفنه في المدينة المنورة بالحجاز .

الثالث : الإمام الحسين السبط سيد الشهداء ابن علي رضي الله عنه ولد في الثالث من شهر شعبان من السنة الرابعة للهجرة، وقتل مظلوما في العاشر من المحرم سنة إحدى وستين للهجرة ومدفنه في كربلاء بالعراق .

الرابع : الإمام علي بن الحسين زين العابدين ﷺ ولد في الخامس من شعبان عام ثمان وثلاثين وتوفي في الخامس والعشرين من شهر الله المحرم عام خمس وتسعين للهجرة ودفن في المدينة المنورة بالحجاز .

الخامس : الإمام محمد بن علي الباقر ﷺ ولد سنة سبع وخمسين في أول رجب وتوفي في السابع من ذي الحجة من العام الرابع عشر بعد المائة للهجرة ودفن في المدينة المنورة بالحجاز.

السادس : الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ ولد سنة ثالث وثمانين في الثالث عشر ربيع الأول و توفي في منتصف شهر رجب سنة ثمان وأربعين بعد المائة للهجرة ودفن في المدينة المنورة بالحجاز.

السابع : الإمام موسي بن جعفر الكاظم ﷺ ولد سنة ثمان وعشرين بعد المائة في الخامس من رجب واستشهد مسموما في الخامس والعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانين بعد المائة للهجرة ودفن في الكاظمية .

الثامن : الإمام علي بن موسي الرضا ﷺ ولد سنة ثلاث وخمسين بعد المائة في الحادى عشر من ربيع الأول واستشهد مسموما في السابع عشر من صفر سنة ثلاث بعد المائتين ودفن في طوس (خراسان) .

التاسع : الإمام محمد بن علي التقي الجواد ﷺ ولد في العاشر من رجب

عام الخامس والتسعين بعد المائه وتوفي في الحادى عشر من ذي القعدة في العام العشرين بعد المائتين للهجرة و دفن في الكاظمية بالعراق إلي جوار جده الإمام موسي بن جعفر رضي الله عنه في ضريح مشيد .

العاشر : الإمام علي بن محمد الهادي النقي ﷺ ولد في الخامس من رجب في العام الرابع عشر بعد المائتين وتوفي في السادس والعشرين من جمادى الثانية العام الرابع والخمسين بعد المائتين ودفن في سامراء بالعراق ومقامه مشيد .

الحادى عشر : الإمام الحسن بن علي العسكرى ﷺ ولد في العاشر من ربيع الثاني العام الثاني و الثلاثين بعد المائتين وتوفي في الثامن من ربيع الأول العام الستين بعد المائتين للهجرة ودفن إلي جنب أبيه علي الهادى ﷺ في سامراء بالعراق .

الثاني عشر : الإمام أبو القاسم محمد الغائب المهدى المنتظر ﷺ ولد في الخامس عشر من شعبان العام السادس والخمسين بعد المائتين للهجرة .

وقد غاب هذا الإمام غيبتين الصغري في عام واحد و ستين بعد المائتين للهجرة وكان يظهر فيها للسفراء و يوقع المراسيم.

أما الغيبة الكبري فكانت فى العام التاسع والعشرين بعد الثلاثمائه للهجرة وفيها انقطعت السفارة وخروج التواقيع ، وأعلن ﷺ فيها لشيعته أدلة الرجوع بعد هذه الغيبة وأسندها إلي القرآن الكريم والي ما يرويه الثقات العدول الأمناء عند الشيعة من أحاديثهم رضي الله عنهم[1] .

هذا مجمل التعريف بآراء الشيعة وأئمتهم الأثني عشر.

ومن حقائق التاريخ أن الشيعة رغم كثرة ثوراتهم وخروجهم على الأئمة لم يقيموا دولة شيعية إلا في العصور المتأخرة .

١- الشيعة في عقائدهم وأحكامهم صـ٥٤ ، ٥٥ .

-٢-

الـــرد

علـــى الشيعـــة

يذهب أهل السنة إلى أن الله تعالي لم ينص علــي تعيــين علــي رضي الله عنه لا بجلاء ولا بخفاء ، وإنما ترك الأمر شورى بين المسلمين يختارون خليفــتهم وفق المبادئ الإسلامية،مستدلين بعدم وجود نص صريح علي تعيين علي رضي الله عنه لأنه لو وجد هذا النص لاشتهر ، ولظهر عند وفاة النبي ﷺ ، ولــو وصــل الخبر إلى أحد الرواة ماكتمه في ذاك الوقت لكنه لم يصل ، لأنه لــم يحــدث ولذلك لم ينطق به أحد .

وينظر أهل السنة في أدلة الشيعة ويرون عدم دقتها فــي الدلالــة علــى ما سيقت له ، لأنها يمكن أن توجه لغير ما ذكره الشيعة ، وحين يتأملون فــي أدلة الشيعة يرون ان الهدى الواجب علي الله يفيد التوفيق ، والسداد ، ودخول الجنة والكرم، والخير، فلم يخصونه بمعنى واحد مع عدم وجود المخصص ...؟ مع أنهم يتحدثون في جزء من العقيدة يحتاج لدليل قطعــى لا يحتمــل غيــر ما سيق له ، ومن المعلوم أن التخصيص بلا مخصص لا يجوز .

والرحمة هي الأخرى تفسر بالنبوة وبالولاية ، وبالمعونــة ، وبــالمودة ، وبمعانى الخير كله ، ولذا يقال فيها ما قيل في الهدى .

وأما الأمر بطاعة الله وطاعة الرسول وأولي الأمر كما في آية النساء التي تحدد طاعة أولي الأمر ما داموا مطيعين لله ورسوله ، ولا تحصر أولي الأمر في علي وذريته ، بل هم كل من ولي للمسلمين أمرا في أى زمان ، وفي أى مكان بلا حصر في شخص معين ، أو جماعة معينة .

ومودة النبي في قرابته أمر مقرر لقوله تعالي ﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ

ﭐلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةً نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [1] والآية لا تساعد الشيعة فيما ذهبوا إليه لأن هذه القرابة تشمل جميع آل النبي وأنسابهم ، وأرحامهم، ولقد ثبت أنه ما من بطن في مكة إلا وله بالنبي قرابة ، وأيضا فإن مودة القربي تكون بالحب والعطاء والمساندة والموالاة ...

وأيضا فلم لا يكون معنى الآية أن رسول الله ﷺ . يقول لأهــل مكــة : **لا تدفعوا أجرا علي دعوتي إياكم إلي الخير والإسلام ، ولكــن حــافظوا علــي مودتي فأنتم أقربائي ، فاسمعوا لي ، وأطيعون وأسلموا لله رب العالمين .**

وأما إخبار الله تعالي بأن المؤمنين والمؤمنات لا خيرة لهم في أمرهم مــا دام حكم الله واضح في قضائه وأمره فإنها أخبار تفيد أنه لا اجتهاد مع وجود النص مطلقا ، وليس هو خاص بالإمامة والخلافة .

والأحاديث التي استدل بها الشيعة بعضها ضعيف وبعضها صحيح ومــع ذلك فإنهم يوجهون معناها إلي غير ما سيقت له .

فحديث غدير خم حديث غير صحيح ولو صح لأفاد غير ما ذهبوا إليــه.

يقول الإيجي : **أخرج الطبراني والنسائي وأحمد والحاكم عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ خطب الناس في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، وقال فــي خطبته : " يا أيها الناس، إن الله مولاى ، وأنا مولي المؤمنين ، وأنا أولــي بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعــاد من عاداه، وانصر من نصره،واخذل من خذله "** [2]. وهذا الحديث لا يدل على خلافة على لأن الموالاة تتحقق بالحب ، وبالمعاونة ، والمشاركة ، وليس من الضرورى أن تكون في البيعة بالإمامة .

١- سورة الشورى الآية ٢٣

٢- المواقف صـــ٥٠٦ .

وحديث منزلة عليّ من رسول الله حديث صحيح ولكن معناه لا يفيد رأى الشيعة في الواقع ، فحينما خلف النبي عليا علي المدينة بعد خروجه لغزوة تبوك ، قال المنافقون: **إنما خلفه لأنه يبغضه ، فبلغ ذلك عليا، فبكي واشتكى إلي النبي قائلا : أتخلفني في النساء والصبيان ؟**

فرد النبي: **أما ترضي أن تكون منى بمنزلة هارون من موسي ، إلا أنه لا نبي بعدي**[١] .

وهذا حديث صحيح متواتر، فسره الشيعة بما يثبت لهم خلافة علي، وقالوا: إن تشبيه علي بهارون يثبت له كل منازل هارون مع موسي ، فيما عدا النبوة ومن منازله الأخوة ، والوزارة، والخلافة، وولاية الأمر بعده لو عاش بعد موسي، وفى كونه شريكا في أمره ، ومن أهله وعصبته ، ومع هذا العموم في الدلالة نجد الشيعة يخصون المنزلة بالولاية وهذا تخصيص بلا مخصص .

وحديث المحبة المتبادلة بين علي وبين الله ورسوله لا يثبت الإمامة لعلي فإنه لا ملازمة بين حب الله للعبد و بين ضرورة توليه ، فالمؤمن مطلقا يحب الله ، ويحبه الله ، ولن يكون المؤمنون جميعا ولاة .

ومحاولات الشيعة نقض بيعة أبي بكر، ووضعها في صورة مؤامرة أعطت الحق لغير أهله فهو مردود بمعرفة ما حدث في بيعة أبي بكر من حوار وجدل ، وسنرد علي ذلك في مناقشة آراء أعداء الإسلام وهم ينقدون بيعة أبي بكر لأنهم يماثلون الشيعة في أفكارهم العقلية .

والخلاصة التي ننتهي إليها هي صحة بيعة أبي بكر رضي الله عنه للخلافة ، وأنه لا تعيين لإمام ، ولا نص علي إمام وإنما الأمر شورى بين المسلمين يختارون بإرادتهم الحرة إماما يقودهم إلي الله، ويحرس لهم دينهم ودنياهم، ويصون المعاش ، ويقيم الحق والعدل بين الجميع .

١- صحيح البخارى – كتاب المناقب . باب مناقب على جـ٦ صـ١١٧ .

يجمل الباقلاني رد آراء الشيعة فيقول:

١) استدلال الشيعة علي تعيين الإمام علي كرم الله وجهه للخلافة ، والنص عليه من رسول الله ﷺ استدلال مردود ، لأن ما أوردوه من أحاديث فهي إما أحاديث ضعيفة ، أو مؤولة بغير ما ذهبوا إليه .

٢) ومن المستحيل علي الصحابة العدول المبشر بعضهم بالجنة أن يكتموا خبرا عن الرسول ﷺ لاسيما في شأن الإمامة ، ذات الأثر الخطير والشهير، لأنه لو صح قول النبي ﷺ لشاع خبره بين الصحابة، وعم ذكره وبخاصة بعد وفاة رسول الله ﷺ لاهتمام جميع الصحابة بما حدث ولذكره الصحابة في سقيفة بنى ساعدة حيث أدلى كل من حضر برأيه ، ولا يتصور من أحدهم كتمان خبر سمعوه من رسول الله وهم أصدق الناس في الإتباع والطاعة .

ولو سمعه مسلم من رسول الله ﷺ لذكره يوم البيعة العامة ، إن الإمامة من قضايا الأمة الكبرى وأى خبر عنها يأخذ أهميتها .

ومن المعلوم أن الأخبار الهامة تسير بها الركبان إلي كل العالم فور حدوثها لأهميتها وشهرتها ، ولم يحدث ذلك مع أدلة الشيعة الحديثية .

- وهل يعقل أن يتم التعيين مع النبي ﷺ ولا يعلم المعين؟
- وهل يسلم عقل ما أن عليا رضي الله عنه علم بتعيينه ، وحفظ النصوص الدالة على ذلك . وبعدها يسكت عنها عند بيعة أبى بكر رضي الله عنه ويضيع حقا شرعيا ثبت له؟
- وهل يعقل أن يكتم الصحابة أحاديث تحدد مسارهم السياسى ، ولا يظهرونها في البيعة الخاصة أو العامة و هم الذين سلموا بحديث " **الأئمة من قريش** " فور ظهوره ورواية أبى بكر له ؟!

وعلي فرض أن عليا رضي الله عنه وأشياعه علموا بالتعيين فلماذا لم يتمسك علي بحقه، ويخاصم عليه عند بيعة كل من أبى بكر

وعمر وعثمان وبذلك يقطع دابر الخلاف الذي حدث عند اختيار الخليفة أبى بكر ؟

- لقد ذكر العباس لعلي أهمية الخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ مباشرة، وقبل اختيار أبي بكر ومع ذلك لم يتحرك علي... ولو كان هناك نص يزكيه لأبرزه ؟!! وتحرك للحصول عليه ؟!
- عند اختيار عمر رضي الله عنه للخلافة اشترك علي رضي الله عنه في المشاورة ولم يتحدث عن تعيين ، ولم يشر إليه مما يدل علي عدم وجود النص أصلا .
- في اختيار عثمان رضي الله عنه ظهر حرص علي رضي الله عنه علي الخلافة لأهليته لها ومع ذلك لم يذكر نصا يعينه ، أو حديثا يؤيده ، ولو وجد نص لظهر ، و لرواه علي ، أو العباس ، أو أحد ممن كان يري عليا هو الأولي بالخلافة يومذاك وكانوا كثيرين وكانوا يأملون في الخلافة لعلى رضي الله عنه .

٣) ولو كان علي كرم الله وجهه معصوما كما تقول الشيعة لا ستغني بعصمته عن النبي ﷺ في التعليم وغيره ، مع أنهم يسلمون بأنه كان محتاجا إلى النبي ومؤتما به ، ولو لم يكن محتاجا لرسول الله لكان خارجا عن الدين .

٤) القول بعصمة الإمام يقودنا إلي القول بعصمة أمرائه ، وولاته ، وقضاته ، لأن الإمام لا يلي من الأمر شيئا أكثر منهم ، والشيعة لا يرون عصمة هؤلاء ، فلا فائدة إذاً في قولهم بعصمة الإمام .

٥) يري الشيعة أن عليا رضي الله عنه معصوم من الخطأ ، ومع ذلك يذهبون إلي أنه أخطأ في بعض الأشياء ، ومنها قبوله التحكيم مع معاوية رضي الله عنه .

٦) القول بعصمة الإمام على يؤدي إلي انعدام الشورى ، لأنه لا حاجة إلي الشورى حينئذ لعدم جدواها مع إمام لا يخطئ في قول أو في فعل .

٧) في صحيح مسلم عن عوف عن مالك الأشجعي قال : سمعت النبي ﷺ يقول : **خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتعلنوهم ويلعنوكم .**

قيل يا رسول الله : **أفلا ننابذهم بالسيف ؟**

قال: **لا ما أقاموا فيكم الصلاة ، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئا تكرهونه فاكرهوا عمله ، ولا تنزعوا يدا من طاعة**[1] .

وفي صحيح مسلم أيضا عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال: **إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون، وتنكرون فمن كره فقد برئ ، ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضي وتابع ؟!!**

قالوا يا رسول الله : **ألا نقاتلهم ؟**

قال: **لا ما صلوا ، لاما صلوا**[2] .

وهذه الأحاديث تشير إلي أن الائمة منهم الأخيار ، ومنهم الأشرار ، ومنهم المحبوب يدعي له، ومنهم المكروه يبغضه الناس ، فهم إذا غير معصومين.

٨) القول بوجوب شئ علي الله لا يليق بمقام الله تعالي ولا يجب عليه سبحانه وتعالى شئ إلا ما أوجبه سبحانه وتعالى علي نفسه، وليس منها تحقيق عصمة علي رضي الله عنه، فله سبحانه وتعالى الإرادة المطلقة ، ومشيئته نافذة ، يقول الله تعالي ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[3]

ويقول سبحانه وتعالى﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[4]

١- صحيح مسلم – كتاب الأمارة . باب خيار الأئمة وشرارهم جـ١٢ صـ٢٤٥ .

٢- صحيح مسلم – كتاب الأمارة . باب وجوب الإنكار على الإمام جـ١٢ صـ٢٤٣ .

٣- سورة القصص آية ٦٨ .

٤- سورة يس آية ٨٢ .

٩) يقول ابن حزم: إن عمدة ما احتجت به الإمامية أن قالوا:لا بد من أن يكون إمام معصوم عنده جميع علم الشريعة .

والجواب عليهم، أن ذلك هو النبي ﷺ نفسه في حياته وبعد مماته إلي يـــوم القيامة ، فبلاغ رسول الله ﷺ قائم بعد موته إلي يوم القيامة ، محفوظ ثابت بحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية[١] .

١٠) ونتساءل أخيرا مع الشيعة.

أين هذا الإمام المعصوم؟!

إنهم يقولون باختفائه في الغيبوبة الكبرى ، وأنه الإمام الثاني عشر ، وهو المهدي المنتظر ، وأنه سيرجع ليملأ الأرض عدلا ، بعد أن تمتلئ جورا وظلما ..

ونتساءل كذلك.

كيف يقوم الإمام المختفي، غير الظاهر بهداية أتباعه وهو غائب عنهم ؟

- وكيف تعرفون أحواله مع أنكم لا تعرفون أي شئ عنه ؟!
- وماذ تفيد عصمته وهو غائب لا أثر له؟
- ومن الذي قضى بغيبته ، وبخروجه ؟
- ومن أين لنا خبره ؟

إن إماما يقوم بين الناس لا عصمة له أنفع للناس مما تقولون ؟!

وهل الإنسان الذي يعصمه الله يعيش هكذا طريدا ، ضعيفا ، مختفيا ؟؟

وهل الآيات والأئمة معصومون كالإمام الذي ينوبون عنه ؟؟

أم أن أمر الشيعة الآن كسائر المسلمين لا عصمة لمن يقودهم ؟!!

وهذه مسألة لها أهمية لأن عندهم من يري عصمة الآيات والأئمة حتى الآن.

إن تعمير الأرض في صورة عملية حقيقية بواسطة إمام ظاهـــر، ومعـــه

١- الفصل جـــ٤ صـــ٨٧ .

مستشاروه ، ومعاونوه ، من أهل الحل والعقد ، الذين يجتهدون معه في تطبيق شرع الله تعالي بدقة وإحكام علي قدر طاقة البشر أولى و أكمل .
وهو الموافق للعقل و الشرع .

وسوف يوفق الله هذا الإمام الظاهر لإصابة الحق ما دام ملتزما بما أملاه عليه شرع الله .

وعلي هذا ولي الخلفاء الراشدون أمر المسلمين وهم ظاهرون ، تختارهم الأمة ، و تراقبهم، وتحاسبهم.بلا عصمة يزعمونها أو أدعاء غيبة تضعهم في عالم خوارق العادات التي جعلها الله للرسل .

يقول أبو بكر بعد أن بايعه الناس:**أني وليت عليكم ولست بخيركم**[1] .

ويقول عمر: **ماذا أنتم فاعلون لو رأيتم في اعوجاجا .**

قالوا: **لو رأينا فيك أعو جاجا لقومناه بسيوفنا**[2] .

فالإمام غير معصوم والأمة معه تعينه، وتنصحه وتنصره ... والله الموفق .

ويجب أن يكون واضحا أن الشيعة في العصر الحديث أكثر التزاما بما آمنوا به من غيرهم ، إذ نراهم يعيشون حياتهم في إطار ما اعتقدوه وصدقوا به ... **أما غيرهم من أهل السنة** فهم يتحدثون عن الخلافة والإمامة ، وعن الصفات الواجب توافرها في الخليفة والإمام ... ومع علمهم ومعرفتهم بكل هذا لا نجد إماما لوطن واحد من أوطان أهل السنة ولى الأمر لا تصافه بالصفات التي اشترطها أهل السنة وأكثروا فيها الكلام والنقاش ...

لا أثر لأهل السنة في عالم الواقع ... وتمضى الحياة بالمسلمين بعيدة عن منهج الله فأمراؤهم في جانب ، وما اشترطه الإسلام وآمنوا به في جانب آخر.

وفى هذه الملاحظة تفسير واضح لتقدم الشيعة وتخلف غيرهم من المسلمين.

١- البداية والنهاية جـ٣ صـ٣٤٠ .
٢- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٤٢٩ .

المبحث الخامس

المستشرقـون
وبيعــة أبــى بكــر رضي الله عنه

لم يبتعد المستشوقون وأعداء الإسلام كثيرا عن الشيعة في مزاعمهم حول خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، وكل ما بينهم من فروق أن الشيعة يلبسون أفكــارهم ثوب الإسلام ، ويحيطونها بأدلة دينية يلوون معناهــا ، ويوجهونهــا لتأييــد ما ذهبوا إليه لتصير جزءا من مبادئهم المذهبية،بينما المستــشرقون يعملــون للإساءة إلي الإسلام ، وتصوير نظامه السياسى بغير حقيقته ، ويحاولون إفهام الناس خلو الإسلام من الشورى والعدل والمساواة ، والمحافظة علــي حقــوق الناس.

وأيضا فإن الشيعة يحاولون استقطاب غيرهم من المسلمين، ودعوتهم إلي التحيز لآل البيت علي اعتبار ما لهم من منزلة حسني عند الله وعند المسلمين بينما يقصد أعداء الإسلام هدم الإسلام، وإفناء الأمة الإسلامية كلها.

والحقيقة المجردة هي الغاية الأساسية التي يدعو الإسلام إليها و يحــرص على إيجادها لتكون دعامة كل توجيهاته،وتشريعاته،بعيدا عن التدليس والخداع ومن غير إنكار وتشويه . هكذا في كل القضايا،ومع سائر الأعمال .

ومع بيعة أبى بكر رضي الله عنه وخلافته نعيش مع الحقيقة لنرد بها على كل من خالفها لغاية يقصدها ، وآمال يعمل للوصول إليها . وبالحقيقة يبطل كل زيف.

يذهب المستشرقون إلي أن أمر الخلافة بعد رسول الله ﷺ تم بمؤامرة متقنة خطط لها ونفذها أبو بكر مع ابنته عائشة ، وانضم إليهما عمر وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم .

يقولون : إن أبا بكر رضي الله عنه رأي في ابنته ذكاء ومهارة ، وقدرة ظاهرة علي

تدبير الحيل ، وسبك المؤامرات فزوجها من صاحبه محمد ﷺ بعد أن كانت مخطوبة لغيره ، وبهذا أخذ أبو بكر يوجه الأمور من داخل بيت رسول الله ﷺ وأخذت عائشة تغرى رسول الله باستخلاف أبيها من بعده . وقد اتفق أبو بكر مع عمر وأبى عبيدة على أن يليا الأمر بعد رسول الله ﷺ بالتوالى . ولـذلك رشح أبو بكر عمر للخلافة من بعده ، ولما مات أبو عبيدة في خلافة عمر قال عمر عند وفاته : لو كان أبو عبيدة حيا لا ستخلفته .

ويقولون : إن عمر ضاعف عطاء عائشة بعدما ولى الخلافة مكافأة لها على دورها .

ويسمى المستشرقون ــ لعنهم الله ــ عائشة رضي الله عنها بالجاسوسة الحسناء و يرون أن أبا بكر أحاط رسول الله بسياج يمنعه من الاتصال بأهله كعلى بن لأبى طالب و العباس عم النبي ﷺ .

وحتى يحبك المستشرقون تصوراتهم الكاذبة نـراهم يـضخمون بعـض المواقف ، ويروون بعض الأحاديث ومن ذلك :

١– يذهبون إلى أن سعد بن عبادة رضي الله عنه كان منافسا خطيـرا للمهـاجرين ، سعى للرئاسة بقوة ، وقاطع المسلمين في اتجاهاتهم ، ولم يبايع أبا بكـر رضي الله عنه في السقيفة ، ويزعمون أنه قال كما جاء في تاريخ الطبـرى : **لا أبايعكم حتى أرميكم بما في كنانتى ، وأخضب سنان رمحى ، و أضـرب بسيفى ، وكان لا يصلى بصلاة المسلمين ، و لا يجمع بجماعتهم ، ولا يقضى بقضائهم ، ولا يفيض في الحج بإفاضتهم**[١] .

٢– ويذهبون إلى أن المهاجرين الثلاثة " أبو بكر ، وعمر ، وأبـو عبيـدة " قاطعوا الحباب بن المنذر السلمى الأنصارى ولم يسمعوا له ، وبخاصـة

١– تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، والرواية هنا عن أبى مخيف ... وفيه ضعف يشكك العلماء في رواياته .

بعد أن قال لأبى بكر : منا أمير ومنكم أمير[١] .

٣- يذهبون إلى أن حديث "**الأئمة من قريش**" ليس حديثا نبويا وإنما هو شعار سياسى قاله أبو بكر ليستفيد بالجو العام الذي كان يسود العرب يومذاك .

ورد مزاعم المستشرقين وغيرهم عن بيعة أبى بكر لابد منها .

لقد شعر المسلمون بعد وفاة رسول الله ﷺ بالأخطار فعملوا على التخلص منها بسرعة ، ولذلك اجتمع المهاجرون مع أبى بكر في المسجد ، واجتمع الأنصار في سقيفتهم ، فلما علم أبو بكر باجتماع الأنصار ترك المهاجرين وذهب مع عمر إلى الأنصار ، وناقشهم في مسأله الخلافة حتى بايعوا أبا بكر على نحو ما سبق ذكره بعيدا عن مؤامرات أو سرية ، لأن الكل تحدث عن تصوراته ، وعهدهم برسول الله قريب ، ولا يتصور من أحدهم خوف أو حياء في هذا الموضوع الهام .

وكان رسول الله ﷺ لا يخاف في الحق لومة لائم ، ولم يكن لعائشة رضي الله عنها أكثر مما للزوجة الصالحة على زوجها ... وأما أمر خطبتها لابن المطعم بن عدى قبل رسول الله ﷺ فهو حقيقة إلا أن فسخ الخطبة كان من قبل المطعم وزوجته لا من قبل أبى بكر ... وقد سبق بيان ذلك .

ثم إن عمر رضي الله عنه غير قاعدة العطاء التي سار عليها أبو بكر ، فلقد كان أبو بكر يعطى بقدر حفظ المرء للقرآن الكريم فجعلها عمر بقدر بلاء المرء وعطائه في الإسلام . ولذلك ضاعف عمر عطاء عائشة رضي الله عنها بقدر ما ضاعف لجميع المسلمين .

وكيف نتهم عائشة بهذا الاتهام مع أنها حاولت صرف الرسول عن تكليف أبى بكر بالصلاة وأشارت له إلى عمر لكن رسول الله ﷺ أبى ذلك .

يروى البخارى أنه لما اشتد المرض بالنبى ﷺ وحضرته الصلاة فأذن بلال

١- المصدر السابق جـ٣ صـ٢٢٠

فقال: النبي ﷺ " : **مروا أبا بكر فليصل بالناس** "

قالت عائشة وحفصة : **إن أبا بكرٍ رجل أسيف**[1] **، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلى بالناس ، وأعاد فأعادوا له ، فأعاد الثالثة فقال : " إنكن صواحب يوسف**[2] **مروا أبا بكر فليصل بالناس** "[3] .

نسأل لامنس زعيم المستشرقين القائلين بالمؤامرة،هل كانت هذه المؤامرة سرا من الأسرار بين هؤلاء المتآمرين ، سرا ظل كمينا في صدورهم لم يعرفه أحد قبل " لا منس ".

إن كان الأمر كذلك . فكيف عرفه هو ؟

وما مصدره في المعرفة ؟

وإن لم يكن أمرها سرا ، أو كان سرا ، ثم ذاغ وانتشر فأين موضعه من كتب التاريخ الإسلامي ، ولو من أوهى المصادر ؟

يستطيع لامنس هنا أن يجيبنا قائلا : **هذا موجود في كتب الشيعة ، وعلى الأخص في كتاب درر البحار المصطفى لمرتضى المرتضى .**

وعندئذ يحق لنا أن نطالب لامنس بشيء من الأمانة العلمية ليوضح المسألة من كافة جوانبها ، ولا يورد ما يرضيه ، ويدع ما يعارضه .

كان عليه أن يذكر لقرائه أن هذه المراجع تجعل غير الشيعة غير مسلمين وتتلطف فتسمى أصحاب الرسول ﷺ . من غير على وبنى هاشم رضوان الله عليهم " **بالمنافقين لعنهم الله** " .

وعندئذ كان يوفر على العلماء عناء البحث والرد عليه .

١- أسيف : من الأسف وهو شدة الحزن والمراد أنه رقيق القلب لا يقدر على تحمل شدائد الأمور بعد رسول الله ﷺ .

٢- والمراد : أنهن مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف ما في الباطن .

٣- صحيح البخارى ـ كتاب الأنبياء . باب قول الله تعالى " لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين " جـ٦ صـ٥١٥ ـ ٥١٦ .

ويوفر على القراء وقتهم بدل هذا التلبيس الذي لا يتفق مع منهج العلمـــاء في البحث .

وكان غير المسلم يفهم لأول وهلة، وبلا عناء. أن هذه تهمة من قوم جعلوا أنفسهم خصوما وأعداء ، لإخوانهم من المسلمين بلا مبرر .

إن كلام الشيعة عن أصحاب رسول الله ﷺ فرصة لخصوم الإسلام وأعداء الشرق من الغربيين انتهزوها ، ولبسوا بها على الأفهام ،ووجدوا على نشرها أعوانا من تلاميذهم (المستغربين) الذين لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث ،ومشقـــة الدرس فتعلموها وعلموها دون وعى ، والله حسيب ورقيب.

أما قولهم في سعد بن عبادة رضي الله عنه فهو قول مردود لأن مواقفـــه من الرسول ﷺ تؤكد كذب هذا التصور فلقد كان يلقب " **بذى الرأي** " في عهد رسول الله ﷺ وذلك لقبول الرسول ﷺ مشورته في بدر وخبير .

وأما قول الحباب بن المنذر: منا أمير ومنكم أمير ، فقد سوغ ذلك وأوضح أنه لا يقصد بذلك الوصول إلى الإمارة، فقال : **فإنا والله ما ننفس عليكم هذا الأمر و لكنا نخاف أن يليه أقوام قتلنا آباءهم وإخـــوانهم، فقبل المهـــاجرون قوله ، وأقروا عذره ، ولا سيما أنهم شركاء فـــي دمـــاء مـــن قتـــل مـــن المشركين**[1] .

وما روى عن الحباب بن المنذر رضي الله عنه مخالف لما روى عنه فـــي حيـــاة رسول الله ﷺ فقد قبل الرسول مشورته في بدر والخندق ، وما كان رأيـــه إلا اجتهادا[2] أراد به النصح والسداد ، والبعد عن مزالق الجاهلية .

وأما حديث الأئمة من قريش "فهو حديث متفق عليه ، ولا مجال للطعن فيه وقد بينا أنه يتعامل مع الواقع الذى عاشه العرب حيث لا يدينون إلا لهذا النفر منهم .

١ـ الطبقات الكبرى . باب ذكر الناس حين شكوا في وفاة رسول الله ﷺ جـ٢ صـ٢٦٩ .

٢ـ أنظر في الأحداث السابقة السيرة النبوية لابن هشام .

يحاول المستشرقون تصوير الإسلام على أساس أنه نظام تسلطى باسم الدين ، وأن دعوته للشورى دعوة نظرية بحتة لم تر التطبيق العملي في الحياة الإسلامية ... ويستشهدون بالواقع المعاصر للمسلمين البعيد تماما عن الشورى والديموقراطية .

وهذا افتراء ترده الحياة الإسلامية كما عاشها المسلمون مع رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ، ومع الخلفاء الراشدين ... ويستشهدون بالواقع المعاصر للمسلمين البعيد تماما عن الشورى والديموقراطية .

ولا يصح مطلقا إسقاط حدث ما له ظروفه وغايته على الأحداث الأخرى المغايرة سبقت هذا الحدث أو لحقت به ،إنما الصحيح أن تتم الإحاطة بالأحداث كلها ، ويؤخذ الحكم من أكثرها ، وما شذ فهو مردود .

وحين ننظر في الأسس النظرية التي التزم بها أبو بكر خلال البيعة،ونتأمل في التطبيقات العملية لهذه الأسس في كافة جوانب الحياة،وبصورة شاملة ... ونتأمل في شخصية أبى بكر وقراراته السياسية ندرك على الفور المدى الكبير لتوفيق الله الأمة الإسلامية أن اختارت أبا بكر رضي الله عنه،وبايعته للخلافة،ولذلك قال: **أبو هريرة** رضي الله عنه: **لولا خلافه أبى بكر ما عبد الله في الأرض**[1] .

ويقول أبو جابر البصرى : **دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ، ورأيت رجلا يقبل رأس رجل آخر** ويقول له: **لولا أنت لهلكنا .**

قلت : **من المقبل ؟**

قالوا: **أبو بكر .**

فقلت: **من المقبل ؟**

قالوا: **عمر**[2] .

١- البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٤٠ .

٢- عبقرية الصديق صـ١٤٥.

لقد بايع المهاجرون والأنصار أبا بكر بالخلافة في ظروف قاسية ، وأطاعوه في كل ما أمرهم به في حرب الردة ، وبعث أسامة ، وفتح فارس والروم ولم يخالفوا له أمراً ... ولو كان اختياره تسلطا وعدوانا وتآمرا لا نفضوا عنه وتركوه يقاتل ويجاهد وحده ، ولم يحدث شئ من ذلك لأنهم اختاروه راضين .

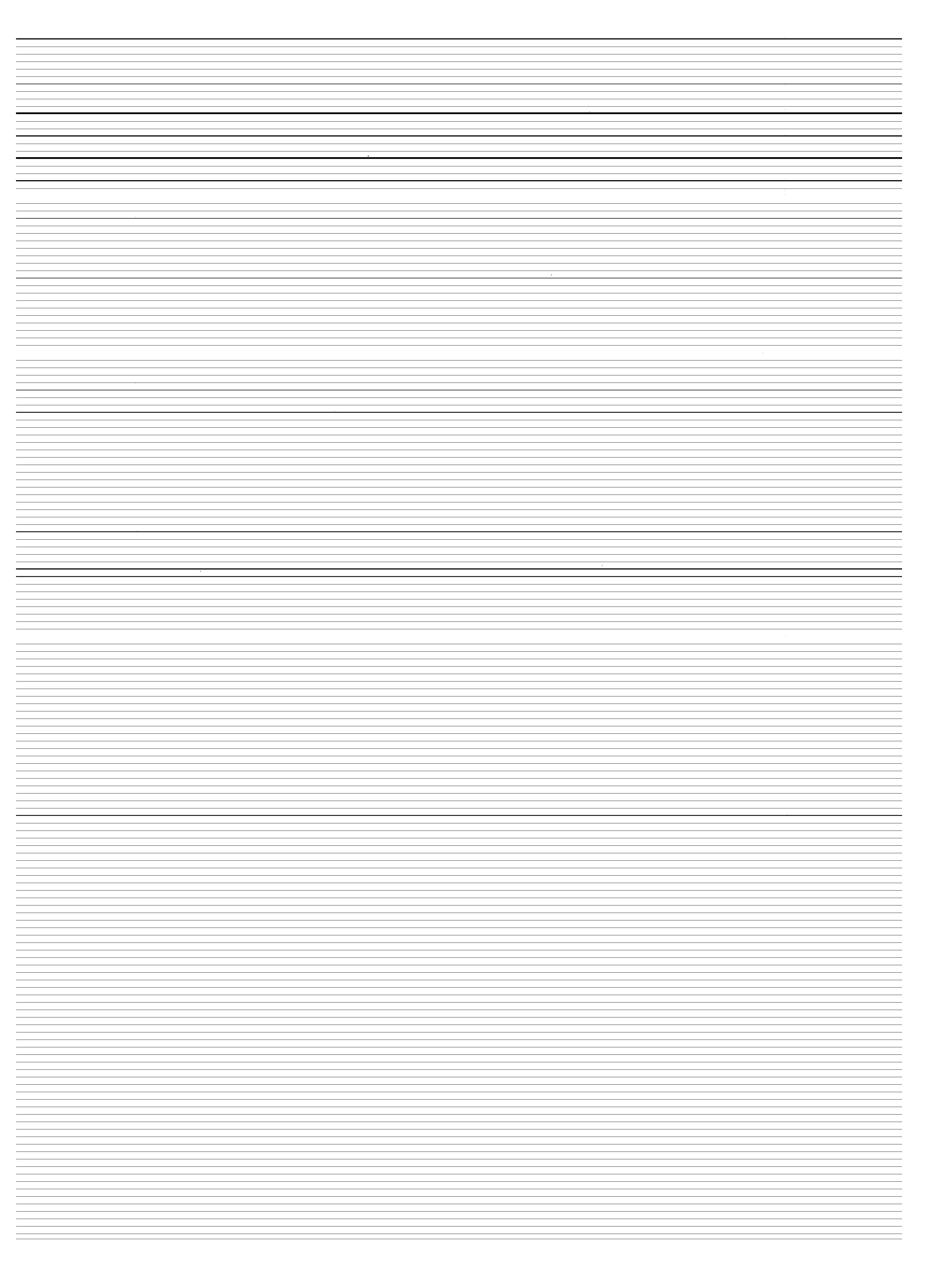
وحين ندرك أن تجميع الجيش كان بإعلان النفير العام والتطوع المطلق بلا ديوان ، أو أجرة ... إذ لم يكن للجند ديوان أو راتب ... حين ندرك ذلك يظهر بوضوح أن بيعة أبى بكر رضي الله عنه قامت على الشورى والاختيار ... وحينئذ تبطل مزاعم المستشرقين ، ومن يماثلهم في الافتراء والزيف .

لقد أقام أبو بكر رضي الله عنه بمنهج الله تعالى دولة الإسلام في أرض الواقع ، وحفظ التاريخ للدنيا أحداثها لتبقى دليلا على حيوية الإسلام ، وقدرته في تحقيق نهضة سامية في أى وقت ، وفى أى مكان يعيش بمنهج الله تعالى .

إلا أن أعداء الإسلام يجتهدون في إخفاء هذه الحقيقة ، ويحاولون تغييب العقل الإسلامي ، وإفهام الناس أنه لا دولة في الإسلام بكل ما أمكنهم من سبيل.

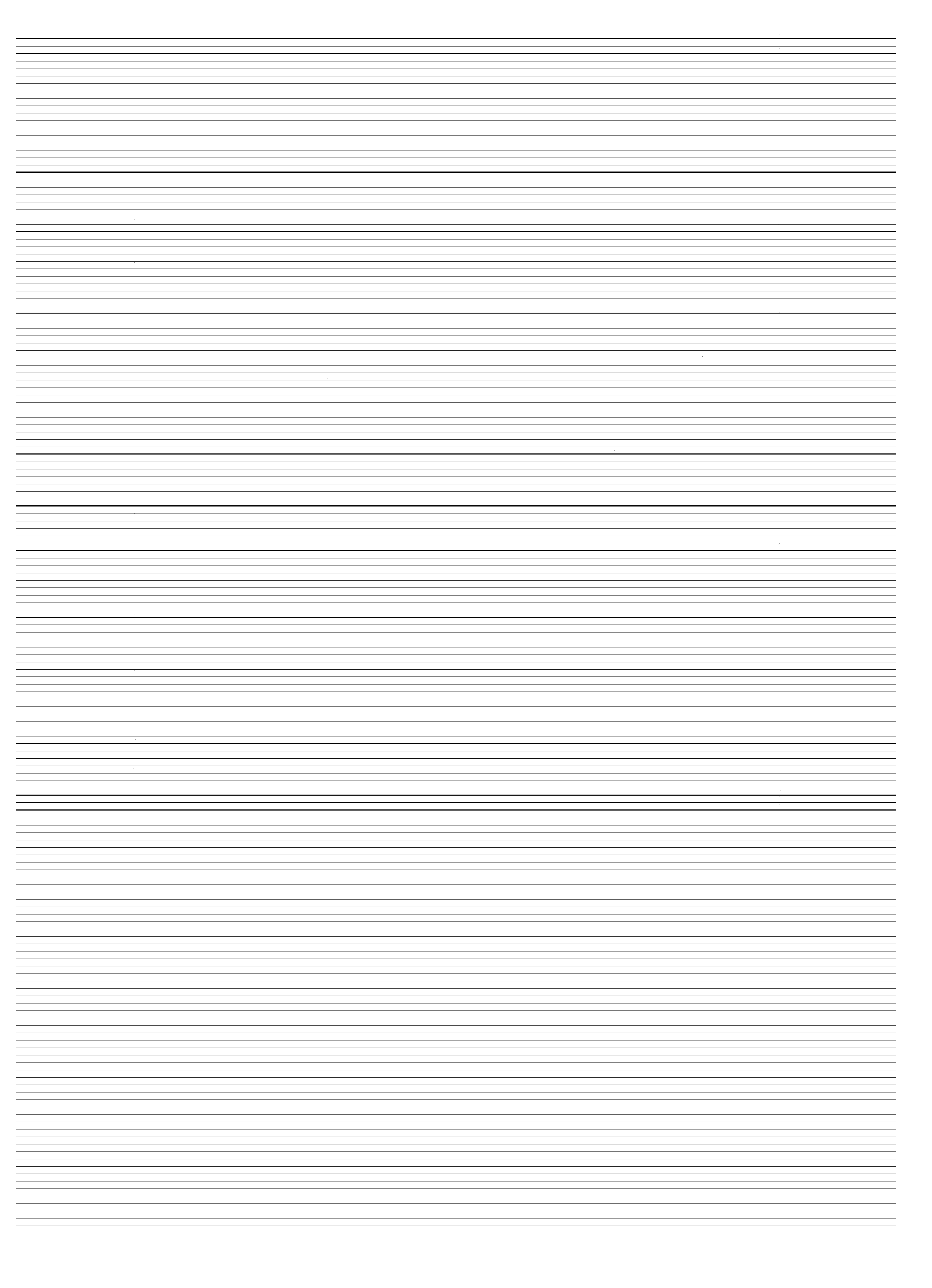
ومن طرق الأعداء في عزل الإسلام عن الحياة تشويه تاريخ المسلمين ، وبخاصة تاريخ السلف الصالح الذين عاشوا بالإسلام ، وتحركوا به . وعلى رأسهم أبو بكر رضي الله عنه .

ويا ليت المسلمين يدركون ذلك ، ويخلصون لدينهم لتسلم لهم الدنيا ، وتأتيهم الآخرة وهم صالحون .



الفصل الخامس
أســـس الحكــم فــى
خلافة أبى بكــر

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ



أسس الحكـــم

فى خلافة أبـــى بكـــر رضي الله عنه

بايع المسلمون أبا بكر رضي الله عنه ، واختاروه خليفة عليهم . فقـــام فـــيهم رضي الله عنه خطيبا ، لتوضيح الأسس والمبادىء التى سيقيم عليها حكمه لأمة محمـــد ﷺ ، فصعد المنبر ، وحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعـــد ...

أيها الناس ، فإنى قد وليت عليكم ، وليـــست بخيـــركم ، فـــإن أحـــسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فـــيكم ضـــعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم قـــط إلا عمهـــم الله بـــالبلاء ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت الله ورسوله فـــلا طاعـــة لـــى عليكم ...[1]

وبهذا وضع أبو بكر رضي الله عنه فى هذه الخطبة القـــصيرة ، المـــوجزة أســـس حكمه في الدولة الإسلامية كما تعلمها من رسول الله ﷺ وهى الأسس التالية :

- **الأساس الأول :** الالتزام المطلق بالشرعية الدينية .
- **الأساس الثانى :** تحقيق الكرامة بنشر العدل و المساواة .
- **الأساس الثالث :** المحافظة على الأمة بنشر قيم الأخلاق و الجهاد .
- **الأساس الرابع :** تنظيم السلطات في الدولة الإسلامية .
- **الأساس الخامس:** العمل الدائم لنشر الإسلام و الدعوة إلى الله تعالى .
- **الأساس السادس :** تطبيق عوامل النجاح .

وسنوضح هذه الأسس في هذا الفصل .

والله الموفق ...

١- البداية والنهاية حـ٦صـ٣٤٠ .

الأساس الأول

الالتـــزام المطلـــق

بالشرعية الدينية

عاش رسول الله ﷺ فى الناس ثلاثا وعشرين سنة، علمهم خلالها أركـــان العقيدة، وجوانب الشريعة ، ومكارم الأخلاق، ولم يفارق الناس إلى الله إلا بعد أن كمل الدين، وتمت النعمة ، وصار الإسلام قائما محفوظـــا فـــى الـــصدور والعقول ، ومطبقا فى حياة كل فرد ومسئول ، ورأى الجميع السعادة الحقيقيـــة في حياة الناس وهم يحيطون تعاليم الله بالفهم والقبول ، ويحولونه إلى مـــنهج عملى يشمل كل حركة وسكون.

فلما ولى أبو بكر رضي الله عنه الخلافة كان أول أساس أعلن التزامـــه بـــه هـــو التمسك المطلق بتعاليم الإسلام ، والطاعة الدائمة لله ورســـوله ، ســـواء فـــى سلوكه الشخصى أو فى بيته، أو مع أبنائه ، أو مع المسلمين ، أو مع غيرهم .

وهذا الالتزام من أبى بكر رضي الله عنه هو القضية الكبرى فى الإسلام كله، لأن الإسلام دين جاء لتنظيم حياة الناس، وإنقاذهم من ضلالات الهوى، وانحراف الشياطين ، جاء ليعلم الناس حقيقة الخالق ، وحقيقة المخلوق ، وحقيقة الصلة والترابط الذى يجب أن تكون بين الإله الخالق العظيم ، وبين الإنسان المخلوق المحتاج ، وبين الإنسان وأخيه الإنسان .

إن الله خالق الخلق، ورازقهم، والمتحكم فيهم، وهو العظيم الواحد الأحد ، الذى له العبادة وحده ، ونعمه على المخلوق لا تعد ولا تحصى، وكانت رحمة الخالق بعباده واسعة، فأرسل إليهم رسله مبشرين ومنذرين قطعا لأعذارهم ، ومنعا لحجة قد يتمسكون بها وعنها يقول الله تعالى ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾[1] .

١- سورة النساء الآية ١٦٥

وعلم الله تعالى الإنسان المخلوق النعم التى أمده الله بها فى نفسه ، وفى الكون المحيط به، وفى العالم كله. ولو تأمل الإنسان بعضها لتيقن بحق الخالق وعاش عبدا مطيعا له، خاضعا لقدره وقضائه ، مستسلما لكل ما يريده منه وهذا ما يعرف بالالتزام التام بالإسلام ، وهو الأمر الواجب على كل مسلم صادق .

أدرك أبو بكر رضي الله عنه بعد توليه الخلافة مسئوليته عن العمل فى خدمة هذه الحقيقة، ولذلك كان إعلانه الأول: "**أطيعونى ما أطلعت الله فيكم ، فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم** "[١] .

وطاعة الله ليس شيئا غامضا، وإنما هى التطبيق التام لما جاء الوحى به، وهو الموجود فى القرآن الكريم وسنة النبى ﷺ اللذان هما مصدرا الإسلام .

وقد أوصى النبى ﷺ المسلمين بهما وذلك فى قوله ﷺ : " **تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى** "[٢] .

وعهد الصحابة رضوان الله عليهم برسولهم قريب ، وصلتهم بالعربية وثيقة ولذلك كانت دقتهم فى الفهم، وسرعتهم فى التطبيق والعمل، وحرصهم على الاتباع والطاعة . وكانت المدينة بيت الخلافة الأول صورة ناضجة للإسلام نظريا وعمليا ... ولذلك جعل الإمام مالك رحمه الله عمل أهل المدينة كنص الوحى فى الدليل ليقينه أن عمل الصحابة فى المدينة نابع من النص ، ومتبع له [٣] ...

ولى أبو بكر رضي الله عنه فكان أول ما عاهد الناس عليه هو التطبيق التام لشريعة الإسلام لتكون محور الحكم والتوجيه ، وأساس الطاعة والالتزام . ولم يبتعد عن ذلك فى أمر أبدا .

نظر إلى تقدير العطاء لرعاياه فاتبع طريقة تربطهم بكتاب الله تعالى فكان

١- البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٤٠ .

٢- مستدرك الحاكم ـ كتاب العلم جـ١ صـ١٧٢ .

٣- أصول مذهب الإمام أحمد صـ٧٥ بتصرف .

يقدر المرء بقدر حفظه للقرآن الكريم ، لأن من حفظ فهم و عمل ، وقد تعلم الصحابة من رسول الله ﷺ أن يستتبعوا حفظهم بالفهم المعنوى ، والتطبيق العملى وبذلك تحول المسجد النبوى وسائر المساجد في عهد أبى بكر إلى دور لتحفيظ القرآن الكريم ، فإذا تساوى الصحابة فى حفظهم للقرآن الكريم تساوى عطاؤهم .

وكان لأبى بكر رضي الله عنه أولية السبق حين أمر بجمع القرآن الكريم لأول مرة، وذلك أن الوحى كان ينزل بالقرآن الكريم مفرقا، وكان النبى ﷺ يأمر بكتابته، ووضعه فى المكان الذى نزل فيه . فلما كان أبو بكر، وكثر استشهاد القراء فى حرب الردة خاف أبو بكر أن يضيع شئ من القرآن بموت الحفظة ، أو بفقد بعض المكتوب، فأمر رضي الله عنه بجمع المكتوب بلوحاته مرتبا فى مكان واحد، ووضعه فى بيت عائشة رضى الله عنها ، وحتى يتيقن من ثبات المكتوب راجعه الحافظون قبل جمعه ، وبذلك تطابق القرآن المكتوب مع القرآن المحفوظ وجمع فى مكان واحد .

وهذا هو الجمع الأول الذى أمر به أبو بكر رضي الله عنه صيانة لكتاب الله تعالى . لقد كان أبو بكر رضي الله عنه متبعا لما آمن به مع رسول الله ﷺ. ولذلك كانت طاعته لله ورسوله تنفيذا لقوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾[1] .

إن غاية الرسالة هى طاعة الناس لله ، فهى منارة الطريق ، وموئل التائبين ومرجع الباحثين عن الرشاد .

استمر أبو بكر يحكم بما جاء الوحى به تطبيقا لقوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾[2] .

١- سورة النساء الآية ٦٤ .
٢- سورة النساء الآية ١٠٥ .

ولقوله سبحانه ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[١] .

ولذلك لما جاءته فاطمة رضي الله عنها تطلب إرثها من أبيها محمد ﷺ بين لها حكم الله كما هو واضح فى قوله ﷺ : " **نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة** "[٢] ... فلما غضبت وراجعه بعض أصحابه قال لهم : **لست تاركا شيئا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به ، فإنى أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ** [٣] .

وفى كل أعماله رضي الله عنه كان يتأسى برسول الله ﷺ ... يأتى من مسكنه بـ"**السنح**" ليؤم المسلمين في الصلوات الخمس فى المسجد النبوى ، ويجعل المسجد دار الحكم ، واستمر يتعيش بعمله فى التجارة ، والرعى ، حتى رأى كبار الصحابة ضرورة تفرغه لمسئولية الخلافة ، وحددوا له راتبا ينفق منه على نفسه وأهله وبيته ، وكان يأخذ منه الكفاية فلما حان أجله أمر ابنته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن ترد ما بقى عندهم من مال لبيت مال المسلمين ، **فقد اكتفى بما أنفقه وما زاد فلا حق له فيه**[٤] .

ولك أن تتأمل فى هؤلاء الناس وهم يحددون رزق الخليفة، ويقدرون له شاة ناقصة ، فلما رآها ابو بكر غير كافية خرج للسوق مرة أخرى ليكسب الباقى ، فاجتمع كبار الصحابة مرة أخرى وقدروا له الشاة كلها ، وزادوه خمسين دينارا بعد التشاور وأخذ الرأى ...

وهكذا تتجلى عظمة أبى بكر رضي الله عنه أكثر وهو يأخذ رأى المسلمين فى هذه الزيادة ، ولا يرتضيها لنفسه وعياله إلا بعد رضا المسلمين بها[٥] ...

١- سورة المائدة الآية ٤٩ .
٢- صحيح البخارى - كتاب الفرائض . باب قول النبى ﷺ لا نورث ما تركنا صدقة جـ٤ صـ٢٤٩ .
٣- صحيح البخارى - كتاب فرض الخمس . باب فرض الخمس جـ٢ صـ ٢٨٢ - ٢٨٣ .
٤- صحيح البخارى - كتاب فرض الخمس . باب فرض الخمس جـ٢ صـ ٢٨٢ .
٥- طبقات ابن سعد جـ٣ صـ١٨٥ ط دار صادر بيروت .

وكان عمر بن الخطاب أول المعارضين في الزيادة إلا أنه وافق بعد رد الصحابة عليه .

والحادثة لا تحتاج لتعليق سوى القول .

هذه هى دولة الإسلام ... !!

وهذا هو أبو بكر ... !!

دولة لا تعرف المصاريف السرية !... ولا المخصصات السيادية... وخليفة يخطر العامة بمرتبه ، ويشهدهم على ما تقرر له ! ويؤكد لهم أن ما تقرر هو لمعاشه وأهله ، ويقول للناس : **لقد علم قومى أن حرفتى لم تكن تعجز عن مؤونة أهلى ، لكنى شغلت بأمر المسلمين ولهذا سيأكل آل أبى بكر من هذا المال ، الذي أحترف للمسلمين فيه**[١] ... **وقد أوصى أبو بكر** رضي الله عنه **برد ما بقى من رزقه لبيت مال المسلمين حتى لا يرثه أحد من ورثته .**

حين سمع أبو بكر من بعض المرتدين أنهم لن يدفعوا له الزكاة قال : **والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه** "[٢] وقد فعل.

ولما نصحه بعض أهل الشورى بتأجيل بعث أسامة بن زيد رضى الله عنهما ليتمكن من مواجهة الردة.. وحين نصحوه أيضا بتعيين قائد غير أسامة لصغر سنه ، وفى الجيش كبار الصحابة ... حين نصحوه بهذا وذاك قال رضي الله عنه : **والذى نفس أبى بكر بيده ، لو ظننت أن السباع تتخطفنى لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ ، ولو لم يبق فى القرى غيرى لأنفذته**[٣].

يقول أبو هريرة : " **و الذى لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عبد الله فى الأرض** "[٤] .

١- طبقات ابن سعد جـ٣ صـ١٨٥ ط دار صادر بيروت .

٢- صحيح البخارى ـ كتاب الاعتصام . باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ جـ٤ صـ٣٩٠ .

٣- البداية والنهاية ، فصل في تنفيذ جيش أسامة بن زيد جـ٦ صـ٣٤٣ .

٤- البداية والنهاية جـ٦ صـ٢٤٦.

وسبب ذلك أن أبا بكر رضي الله عنه هو وحده الذى تمسك بما فعله رسول الله ﷺ فأنفذ جيش أسامة ، وحارب المرتدين ، واستمرت مسيرة الدعوة كما تركهـا رسول الله ﷺ .

كان أبو بكر إذا عرض له أمر بحث عن حكمه في كتاب الله تعالى .

فإذا لم يجده في كتاب الله بحث عنه في سنة المصطفى ﷺ .

فإذا لم يجده في السنة سأل الناس: هل علمتم أن رسول الله قال في هذا الأمر شيئا ؟ ،فربما قام إليه أحد وقال: قضى فيه رسول الله بكذا وكذا ، فيأخذ بقضاء رسول الله ﷺ وحينئذ يقول: الحمد لله الذى جعل فينا من يحفظ عن نبينا ...

وإذا لم يجد في الموضوع قضاء لرسول الله ﷺ اجتهد واستشار أصحابه وحكم بما يوصله إليه اجتهاده[١] .

وكان أبو بكر رضي الله عنه يأخذ برأى الرجلين عن رسول الله ﷺ تأكيدا في التثبيت ، وخوفا من النسيان أوعدم الضبط[٢] .

وعلى هذه الوتيرة استمر أبو بكر رضي الله عنه في التطبيق التام لشرع الله ، والالتزام بكل ما نزل على رسول الله ﷺ وذلك أمر ظاهر في كل تصرفاته طوال خلافته .

والالتزام بالمشروعية الإسلامية في الحكم والإدارة هو الإسلام في الحقيقة لأن الإسلام وصية الله لرسوله ﷺ لصناعة الحياة بمنهج الله ، وتعبيد الخلق للخالق ، وإسعاد الناس بإقامة العدل ، ونشر الأمن ، وتحقيق الكرامة ، وصبغ الكون كله بصبغة الله يقول الله تعالى ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴾[٣] .

وقد التزم رسول الله ﷺ بوصية الله ووحيه ، فلما لقى الرسول ربه التزم أبو بكر رضي الله عنه بما التزم به رسول الله ﷺ وأقام دولة الله في الأرض . وعلى

١- موسوعة فقه أبى بكر صـ١٥٥.
٢- أنظر تذكرة الحفاظ جـ١ صـ٢ ،٣ .
٣- سورة البقرة آية ١٣٨.

المسلمين جميعا في كل عصر ، وفي كل مصر أن يلتزموا بذلك لأنهم بالإسلام بايعوا الله على هذا ...

وإن لا فلم هم مسلمون إذا ... ؟!!

وهل الإسلام إعلان دون عمل ؟ أو فكر من غير تطبيق ؟

إن الإسلام كل متكامل ، ومنهج واحد مترابط ، فليحذر المسلمون من الخطأ والمخالفة .

إن الإسلام أمانة الله في أعناق أتباعه ، وسوف يسألهم الله تعالى عن أدائهم لحق الأمانات التي وجبت عليهم .

ولا يصح مطلقا أن يفرط مسلم في حق الإسلام عليه ، وليتذكر كل إنسان أن كافة مواقفه مسجلة عليه ليحاسبه الله عليها . يقول الله تعالى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[1] .

١- سورة الانفطار الآيات ١٠ : ١٢ .

الأساس الثانى

تحقيــق الكرامـــة للنـــاس

بنشر العدل والمساواة

الإنسان مخلوق عاقل ، مدرك ، يتصور ، ويحكم ، وله دوافعه الذاتيـــة ، وملكاته النفسية ، وهو يتأثر بغيره، ويؤثر في غيره .

يولد الإنسان على الفطرة ، ويرث الكثير من أبويه ، و يكمل ذاته بما في بيته وبيئته من عادات و أعراف ، و ينمو بما يتلقاه من المجتمـــع مـــن فكـــر وثقافة ، ولذلك تنوع الناس ، وتعـــددت اتجاهـــاتهم ، واختلفـــت مـــذاهبهم ، وانقسموا إلى شعوب وفرق مع أنهم جميعا يرجعون لأب واحد ، وأم واحدة .

وكان المأمول أن يعيش الناس سعداء بالحق ، متآخين في تعاون ومودة ، إلا أن هذا الأمل لم يدم طويلا بين الناس ، فلقد انتشر الباطل ، وعم الفـــساد ، وساد الظلم والطغيان .

وقبيل ظهور الإسلام ساد في الناس ظلم شامل لكافة جوانب الحياة.

سياسة فيها الحاكم إله أو طاغية ...

واقتصاد لا يعطى الضعيف إلا القهر و العبودية و الصغار ، ويدعه فـــى السخرة والضنك والشقاء...! ويستعبده لصالح الأقوياء والسلاطين ...!!

ومجتمع لا يعرف الحقوق، ولا يقدر الواجب فهو طبقـــات ، وفـــوارق ، وسيد ومسود ...

وأسرة مفككة محرومة من قيم المجتمع، وآداب النجاة .

وضلال كبير ينتشر في كل جوانب الحياة ... !!

فلما جاء الإسلام وضع نهاية للمظالم، وبدأ نور الله يتلألأ في حياة البشر، وأخذت الكرامة الإنسانية ، وعزة البشرية طريقها الحركى في حياة الناس .

وجاء أبو بكر رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ فواصل المسيرة الإسلامية ، وعمل

على تعميق الحقائق التى أرسى الإسلام قواعدها ، وأبرز الكرامة الإنسانية فى المجتمع ، وجعلها حركة يعيشها الجميع ، وخلقا يتمتع به الجميع ، وقيمة يسعد بها الجميع.

إن الكرامة الإنسانية تتم بالتعامل مع الآخرين على أساس إنسانيتهم التى ميزهم الله بها، فهى تعنى تقدير العقل، وضمان الحق، وتحديد الواجب لكل الناس تبعا لطاقاتهم العقلية والبدنية والنفسية .

إن الله تعالى كرم الإنسان بوضعه فى ريادة المخلوقات وسخر الكون كله له ، ومكنه من سائر خلقه، ورزقه كل ما يحتاج إليه ، وأرشده إلى الطريقة المثلى ليستفيد من هذه الحياة، وعرف الله الناس بهذا التكريم فقال سبحانه ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[1] .

وحين يتحقق التكريم فى أرض الواقع يشعر الإنسان بالعزة ، ويتمتع بالحرية ، وينطلق بالواجب شجاعا أمينا .

أعلن أبو بكر رضي الله عنه هذا التكريم فى أول لحظات الخلافة بعد البيعة حين قال رضي الله عنه " **إنى وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى، وإن أسأت فقومونى** "[2] ... ففى هذه الكلمات القصيرة أعلن أبو بكر أنه واحد من الناس لا يتميز على أحد منهم ، فالكل فى دين الله سواء ، ولربما كان فى الناس من هو أفضل من أبى بكر رضي الله عنه وهو غير معروف، والعبرة فى الإسلام هو أن يتعاون الجميع لتكون الرعية معاونة ومساعدة للراعى ، ويكون الراعى مقدرا ومستجيبا لنصائح وتوجيهات رعاياه .

وكما يحتاج التكريم إلى وجود المساواة يحتاج كذلك إلى العدل الذى يصون حقوق كل فرد وإن كان ضعيفا، ويمنع طغيان الإنسان وإن كان قويا ،

١- سورة الإسراء آية ٧٠.

٢- البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٤٠.

وبذلك يعمل الإنسان مطمئنا على نفسه وحياته ، آمنا على معاشه ونشاطه لا يرى قلقا ، ولا يعيش ظلما ... ولهذا كان من أوليات أبى بكر رضي الله عنه فى خلافته تحقيق العدل بين رعاياه بدقة واضحة ، وشمول تام . ولذلك قال فى خطبة له " **الضعيف فيكم قوى عندى حتى أرجع له حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله** "[١]... وهذا هو عدل الإسلام الذى سار عليه أبو بكر ، لا يتأثر بضعف أو قوة ، وإنما هو إحقاق للحق، وإبطال للباطل بلا تمييز ولا تفرقة .

إن الإنسان حين يعيش العدل والمساواة وفق إمكاناته واستعداده يكون حرا لا يخاف، شجاعا لا يرتعش، خلوقا فى كل أعماله وسلوكه ، يعطى ما عليه ، ويأخذ ماله بصورة سلسة وتلقائية .

ولذلك عاش المجتمع المسلم فى خلافة أبى بكر رضي الله عنه حياة طيبة ، وتقدم الناس فى كل مجالات الحياة .

وتمكن المسلمون بعون الله تعالى من القضاء على حركة الردة ، ومواجهة العدوان الرومانى والفارسى ، ونقلوا الحرب إلى أرض الأعداء الأمر الذى ساعد على انتشار الإسلام فى العالم كله بعد ما رأى الناس عدل الإسلام ، وقيمه التى تعامل بها مع أهل البلاد ، ومع سائر الناس .

وإن العقل ليعجب ويتساءل عن سر انتشار الإسلام فى البلاد المفتوحة عقب الفتح مباشرة ، وتحول أبناء البلاد المفتوحة إلى مجاهدين يشاركون فى فتح البلاد المجاورة لهم ... !!!

لقد شارك أبناء العراق فى فتح بلاد الشام،وساهم أبناء الشام فى فتح مصر وشارك أبناء مصر فى فتح بلاد شمال أفريقيا وغيرها ... وليس بعيدا عن هذه الصور أن أهل مكة هم الذين فتحوا الطائف ، وشاركوا فى غزوة حنين .

ولعل سر ذلك هو الصورة العملية للإنسان المسلم ، فلقد استسلم لله ، وخضع لشرعه ، وعاشت دولة الإسلام بدين الله أسمى صور العدل ، وأرقى

١- المرجع السابق جـ٦ صـ٣٤٠.

أشكال المساواة ... وبذلك عاش الناس حياة الكرامة والحرية والعزة، وتلك خصائص لا تموت ، ولها قوة الجذب والإقناع والرضى ، وكل إنسان يتمنى أن يتمتع بهذه المزايا التى حرم منها أبناء البلاد المفتوحة.

ولا يمكن تصور إيمان بلا اقتناع ورضى ، لأن الإيمان ينطلق من العقل ابتداء ، ولا يتصور مع العقل و الضمير إكراه ما .

ولا يتصور مسلم صادق لا يطبق الإسلام أبدا ...

لقد كانت دولة أبى بكر رضي الله عنه صورة مثالية فى تطبيق الإسلام ، ولذلك كان انتصارها ، وكانت عظمتها .

وقد يتصور البعض أن محافظة الحاكم على تحقيق العدل والمساواة ، وإقرار الكرامة الإنسانية هبة منه يعطيها للناس باختياره وإرادته ، ويقدمها لهم منحه منه تفضل بها عليهم ، ولو منعها فلا معارضة له .

إن المساواة حق طبيعى من حقوق الناس ، وإقامة العدل بينهم ضرورة شرعية لازمة ، فلا صحة بعد ذلك لتصور يجعل حقوق البشر منحة وهبة .

إن إقامة العدل من الواجبات الشرعية الملزمة . يقول الرازى فى تفسيره: أجمع العلماء على أن من كان حاكما وجب عليه أن يحكم بالعدل [١]... والله تعالى يقول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[٢] فقد أوجب الله العدل بين الناس دون النظر إلى أوطانهم . أو أجناسهم ، أو ألوانهم ، أو أديانهم ، وأمر سبحانه وتعالى بإقامة العدل مع الناس جميعا بلا تأثر بمواقف سابقة أدت إلى كراهية نفسية لأن ذلك هو التقوى .

ومن عدل أبى بكر رضي الله عنه أنه كان يعاقب نفسه إن أخطأ فى حق غيره، ولو

١- تفسير الرازى جـ١ صـ١٤١ .

٢- سورة المائدة آية ٨ .

لم يقصد، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قام يوم جمعة فقال : **إذا كنا بالغداة فأحضروا صدقات الإبل نقسمها ، ولا يدخل علينا أحد إلا بإذن .**

فقالت امرأة لزوجها : **خذ هذا الخطام لعل الله يرزقنا جملا ، فأتى الرجل فوجد أبا بكر و عمر رضي الله عنهما قد دخلا إلى الإبل فدخل معهما .**

فالتفت أبو بكر فقال : **ما أدخلك علينا ؟ ثم أخذ منه الخطام وضربه .**

فلما فرغ أبو بكر من قسم الإبل دعا الرجل فأعطاه الخطام .

وقال له: **استقدمني ...**

فقال عمر : **والله لا يستقد منك ولا تجعلها سنة .**

قال أبو بكر : **فمن لي من الله يوم القيامة ؟**

قال عمر : **إرضه .**

فأمر أبو بكر غلامه أن يأتيه براحلة، ورحلها ، وقطيفة ، وخمسة دنانير فأرضاه بها [1] .

ونظر أبو بكر رضي الله عنه إلى قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[2] فعلم أن الناس سواسية لا فرق بين حاكم ومحكوم ، أو غنى وفقير ، أو حر وعبد إلا بالتقوى التى تزيد صاحبها تواضعا ، وتربى فيه حسن التعامل فجعل عمله وفق علمه .

لم يفرق أبو بكر بين الناس فى المعاملة .

يروى ابن سعد فى الطبقات أن أبا بكر رضي الله عنه كان له بيت مال بالسنح معروفا، ليس يحرسه أحد ، فقيل له : **ألا تجعل على بيت المال من يحرسه ؟**

فقال : **إنى لا أخاف عليه .**

١- الدعوة في الإسلام في عهد الخلفاء صـ٤١٠ .

٢- سورة الحجرات آية ١٣ .

قيل له : **ولم ؟**

قال : **عليه قفل[١] !**

وكان يعطى ما فيه حتى لا يبقى فيه شيء ، فلما تحول إلى المدينة حوله معه فجعله في الدار التي كان فيها[٢] .

وقدم عليه مال كثير ومعادن جهينة ، وكان كثيرا ، وانفتح معدن بنى سليم في خلافته ، فقدم عليه منه صدقة ، فكان يضع ذلك في بيت المال، فيقسمه بين الناس سويا ، بين الحر والعبد ، والذكر والأنثى ، والصغير والكبير على السواء[٣] .

قالت عائشة رضي الله عنها : **فأعطى أول عام الحر عشرة والمملوك عشرة، وأعطى المرأة عشرة ، وأمتها عشرة ، ثم قسم في العام الثانى ، فأعطاهم عشرين عشرين .**

فجاء ناس من المسلمين فقالوا : **يا خليفة رسول الله : إنك قسمت هذا المال فسويت بين الناس ، ومن الناس أناس لهم فضل وسوابق وقدم ، فلو فضلت أهل السوابق والقدم والفضل .**

فقال: **أما ما ذكرتم من السوابق والقدم والفضل فما أعرفنى بذلك ، وإنما ذلك شئ ثوابه على الله جل ثناؤه ، وهذا معاش ، فالأسوة فيه خير من الأثرة .**

ولم يهمل أبو بكر حقوق الضعفاء، وإنما جعل مساعدتهم محل اهتمامه ، ورعايته، كان يشترى الكساء من البادية ،ويوزعه على أرامل المدينة .

أتى إليه مرة مائتا ألف درهم فوزعها على أبواب الخير فى المدينة فى وقت قصير [٤] .

ونعود .... ونتساءل ....

١- الطبقات الكبرى جـ٣ صـ٢١٣ ط دار صادر بيروت .

٢- طبقات ابن سعد جـ٣ صـ٢١٣ ط دار صادر بيروت .

٣- طبقات ابن سعد جـ٣ صـ١٩٣.

٤- تاريخ الدعوة الإسلامية صـ٢٥٨.

لماذا تخلف المسلمون ؟ ....

ولماذا تقدم غيرهم ؟ ...

وما طريق المسلمين للنهضة ؟

وهل يمكن إيجاد هذا الطريق والعمل به ؟

ولماذا انهارت الأمة الإسلامية في كافة الجوانب ؟

ونرد على الأسئلة بأسئلة أخرى :

هل العدل الإسلامى موجود فى حياة الناس ؟...

وهل تسوى الدولة المسلمة بين بنيها ؟...

وما مدى تحقيق كرامة الإنسان بما فيها من حرية ، وعـزة ، وصـيانة للحقوق ؟

وهل يقر الإسلام ما فى المجتمع الاسلامى المعاصر من خلق وسلوك ؟...

وهل يطبق المسلمون أفرادا وجماعات تعاليم الإسلام ؟!

وهل طريق النهضة الأولى مجهول ؟

وهل يصعب إعادة تجربة نجحت بين الناس مرة أخرى ، ونجاحها محقق ؟

إن الإجابة الصادقة توضح المراد ، وتبين الحقائق ... وهذا يكفى في الإجابة على الأسئلة السابقة .

ونعلق بكلمة قصيرة وأقول : إن طريق الفوز معروف ، وسهل ، ولكنـه يحتاج لأناس مخلصين ... وأين هم ؟!!

الأساس الثالث

المحافظة على الأمة

بنشر قيم الأخلاق والجهاد

حقق أبو بكر رضي الله عنه فى دولة الخلافة أعمالا عظيمة ، وأرسى أسس الدولة الناهضة ، فحدد المشروعية للدولة ،وحصرها فى الإسلام ، وحقق للناس الكرامة بنشر العدل والمساواة ،والحرية والعزة ...ولذلك أمن المجتمع فى توجهه ، وأمن الناس فى حياتهم وأعمالهم .

لم يقف أبو بكر رضي الله عنه عند هذا الحد بل قام بنشر روح الحركة والنشاط فى حياة الناس ، ووجه الحركة نحو البناء والخير، داخليا وخارجيا للأفراد والجماعات ، وبذلك حافظ على روح الأمة وخيريتها القائمة على العمل ، والجهد ، والنصح ، والإخلاص .

نشر مكارم الأخلاق، وأمر بها لتكون سلوكا وعملا، ودعا إلى الجهاد بكل ألوانه وصوره .

وحارب الجوانب السلبية التى تعوق حركة الخير بين الناس .

وبذلك حافظ على الأمة ، ونظم مسيرتها،وأوصلها إلى قيادة الدنيا ، وريادة الحياة .

إن الأخلاق الكريمة أساس الرفعة والتقدم ، وأى بناء بلا خلق ينهار بالضرورة ، وأمهات الأخلاق هى الصدق ، والأمانة ، والشجاعة ، والحلم ، والتواضع ... وتلك أسس لسائر المكارم فهى تتفرع منها ، وتنبنى عليها .

والصدق يكون بمطابقة القول للعمل ، وتوافق النية والسلوك ورواية الخبر على ما هو عليه في الواقع بلا تزيد أو نقصان ، وبذلك يتميز الصادق فى قوله وعمله ، وسائر حالاته ، إنه دائما تعبير آمين عن الواقع الصحيح .

والحاكم الصادق يكون محل ثقة الناس، فهو لا يخدعهم ، ولا يبعدهم عن

الحقيقة ، ودائما تقوى صلته برعيته ، ولأهمية الصدق وفائدته يأمر الله به فيقول سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[1] .

وقد جعل الله الصدق علامة الإيمان ودليله ، فلقد سئل النبى ﷺ : **أيكون المؤمن جبانا ؟**

فقال ﷺ : **نعم**

فقيل له : **أيكون المؤمن بخيلا؟**

فقال ﷺ : **نعم .**

فقيل له : **أيكون كذابا؟**

قال ﷺ : **لا**[2]

ولقد كان أبو بكر رضي الله عنه صادقا فى كل حياته ، ولذلك سماه النبى ﷺ بـ "**الصديق**" ... وفى أول كلماته إلى الأمة نراه يعاهد الناس على التزام الصدق فيقول رضي الله عنه " **الصدق أمانة ، والكذب خيانة** "[3] . وهو فى قوله هذا يؤكد أهمية الصدق ويوضح أنه أمانة ومسئولية لابد منها لأن من يكذب يكون خائنا لنفسه ، وللناس ، ولله تعالى .

وهكذا وجدنا أبا بكر فى خلافته يلتزم بالصدق ، ويهجر الخيانة ، فأحبه الناس ، وسعدوا بقيادته .

وقد تميز أبو بكر رضي الله عنه بالشجاعة ، يضعها فى موضعها ، ولا تغيب عنه حين الحاجة إليها ، ولذلك كان موقفه الذى تفرد به ، واستمسك به بعد أن ولى الخلافة فى حرب المرتدين ، وفى إنفاذ جيش أسامه، وقد أثبت أبو بكر رضي الله عنه بحسن قراره أن الموقف كان يحتاج لما قرره فقد أدخل الرعب فى قلوب الأعداء ، بعدما تصوروا قوة المسلمين العالية ... وصدقوا متيقنين بفكرة أنه لولا قوة المسلمين ما سير أبو بكر جيشا إلى الروم ، وجيوشا إلى المرتدين

١- سورة التوبة آية ١١٩ .
٢- الموطأ - كتاب الكلام . باب ما جاء في الصدق والكذب جـ٢ صـ٧٥٦ .
٣- البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٤٠ .

فى وقت واحد ... ويرجع هذا الفضل إلى شجاعة أبى بكر رضي الله عنه في إدارة شئون الخلافة .

ومع هذه الشجاعة من أبى بكر رضي الله عنه كان حلمه وتواضعه فلقد كان يحلب الغنم بأجرة قبل الخلافة ، فلما ولى الخلافة قالت جارية من الحي : **الآن لا يحلب لنا ... فسمعها أبو بكر** رضي الله عنه . **فقال : لعمرى لأحلبنها لكم ، وإنى لأرجو ألا يغيرنى مادخلت فيه عن خلق كنت عليه ... فكان يحلب لهن ، وكن إذا أتينه بأغنامهن يقول لهن : أنضح أم ألبد ؟**

فإن قالت : إنضح باعد الإناء من الضرع حتى تشتد الرغوة ...

وإن قالت : ألبد أدناه منه حتى لا تكون له رغوة ...

واستمر على ذلك ستة أشهر بعد الخلافة[١] .

وكان أبو بكر رضي الله عنه دائما فى خدمة الضعفاء والمحتاجين ، **فعن أبى صالح الغفارى أن عمر بن الخطاب كان يتعهد عجوزا كبيرة عمياء في بعض حواشى المدينة من الليل ، فيسقى لها ، ويقوم بأمرها ، فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت ، فجاءها غير مرة مبكرا كى يسبق إليها لكنه سبق من غيره فرصده عمر، فإذا أبو بكر هو الذي يأتيها ، وهو يومئذ خليفة[٢] .**

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه : **قال أبو بكر** رضي الله عنه **بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر : انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها ، فلما انتهيا إليها بكت، فقالا : ما يبكيك؟ وما عند الله خير لرسول الله ﷺ .**

فقالت : **ما أبكى أن أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ ، ولكن أبكى أن الوحي قد انقطع من السماء . فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها[٣] .**

١- الطبقات الكبرى جـ٣صـ١٨٦ .

٢- تاريخ الخلفاء للسيوطى . باب نبذة من حلمه وتواضعه صـ٨٠ .

٣- تاريخ ابن عساكر . باب إماؤه ﷺ جـ٤ صـ٣٠٢ .

وهكذا كانت أخلاق أبي بكر رضي الله عنه ، إنها أخلاق محمد ﷺ وأخلاق الإسلام الحنيف .

أما دعوته الى الجهاد وحرصه عليه فهو جلى فى كل أعماله وأقواله ، فقد دعا إليه فى خطبته الأولى فقال : **وما ترك قوم الجهاد فى سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل "...**

ومن هنا كان التطبيق العملى لهذه الحقيقة التى تعلمها من رسول الله ﷺ .

وتجارب الأمم المعاصرة تؤكد أهمية الجهاد ، لأن التنافس بين الأمم لا يخدمه إلا القوة ، فلو تخاذلت جماعة وهانت فإنها تتحول إلى يتيم فى مأدبة اللئام ، يؤكل حقه ، ولا يجد له فى حياة الناس كرامة ، وعزا .

لقد باشر أبو بكر رضي الله عنه الجهاد ، وجيش الجيوش ، وطرق على الأعداء أبوابهم فعظمت الأمة ، وانتشر الإسلام ، ووقف الجميع عند طاقته وقدراته .

لم يكتف الصديق بنشر مكارم الأخلاق بين الناس ، ولم يقف عند تنشيط حركة الجهاد ، وإنما عمل كذلك على صيانة حركة المجتمع ، وتوجيه مسارها إلى الخير والمصلحة ، والبعد به عن السوء والأذى .

كان دائما يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويحارب الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ويفتح المساجد للتعليم وتحفيظ القرآن الكريم ، ويقرب علماء الأمة إليه فهم أولو الأمر في الناس وهم الناقلون الأمناء لحكم الله تعالى وهم الدعاة إلى دين الله، وعليهم تقوم نهضة الإسلام ويستمر الخير، وتبقى كلمة الله هي العليا .

ومن المعلوم أن الناس على دين ملوكهم، ولذلك رأينا المجتمع المسلم فى عهد أبي بكر رضي الله عنه يعيش بالخلق السوى ، وينشط أبناؤه فى الجهاد ، ويقضون حياتهم الدنيا لله رب العالمين .

الأساس الرابع

تنظيـــم السلطـــات

فـــى الـــدولة الإسلاميـــة

تقاس حضارة الأمم بمستوى التنظيم فيها ، وكلما تحدد التنظـيم وارتقـت معالمه ، وطبق الحاكم النظام المحدد كانت النهضة ، وكانت الحضارة .

والسلطات في أى أمة هي السلطة التشريعية ، والسلطة التنفيذية ، والسلطة القضائية ، وسلطة الرقابة الشعبية وتمثلها الصحافة ومنظمات المجتمع المدنى كالنقابات وغيرها .

وهذا التحديد للسلطات تنظيم حديث قديم ، أما حداثته فإن كل دول العـالم تنادى به ، وتعتمد عليه فى تقدمها ورقيها ، وأهل السبق هم الذين يـصدقون ويعملون ... وأما قدمه فإن الأمم القديمة كانت تقيم هذه السلطات المتنوعـة ، وتخضعها فى النهاية لحاكم فرد ، يستبد بالأمة، ويضيع مزايا تنوع السلطات .

وحين نعود لعصر أبى بكر رضي الله عنه نجده يقيم دولة الإسـلام بهـذه الـسلطات مستفيدا بما ورثه عن رسول الله ﷺ ، وبما توصل إليه عقله وفطرته وحـين يوكل الأمر إليه كان يراعى الحق والدقة ، ويراقب الله في الحكم، والتوجيه ، في إطار عمل سائر السلطات .

فبالنسبة لسلطة التشريع وجدنا أبا بكر يعتمد على المشروعية الإسلامية إلا أنه كان يتخذ من أصحابه من يجتهد لشرح نص ، أو التذكير به ، أو الاجتهاد لاستنباط حكم منه... وكان رضي الله عنه يعرض مختلف الآراء على أصحابه ليتفـق الجميع على حكم واحد هو حكم الله وبخاصة فيما للاجتهاد فيه مجال .

واهتم أبو بكر رضي الله عنه بتعيين القضاة ، وتحديد سلطاتهم ومهامهم و كان أبو بكر رضي الله عنه يباشر القضاء بنفسه ، وكان يكله أحيانا إلى عمر بـن الخطـاب ، والى الولاة في الأقاليم " ولم يستقل القضاء عن الحاكم فى عهد أبى بكر لقلـة الخصومات وبساطة القضايا .

وكان مرجع القضاء هو المصادر الإسلامية وبذلك يرجع القاضي إلى القرآن الكريم وإلى السنة النبوية وإلى الإجماع ... وإلى الاجتهاد والرأى في آخر الأمر .

وكان أبو بكر رضي الله عنه يتثبت في قبول الأخبار ، ويسأل الصحابة عن قضاء رسول الله ﷺ في مثل ما يعرض عليه، ليحكم بحكمه ﷺ، وإذا احتاج إلى الاجتهاد قضى به على أساس القواعد الشرعية .

وكان رضي الله عنه يرى علم القاضي كعلم سائر الناس ، ويعده شاهدا يحتاج لشاهد آخر معه . وكان الولاة يباشرون القضاء بتكليف من الخليفة بمنهجه في نصرة المظلوم ، وإحقاق الحقوق ، والمعاملة الواحدة للناس أجمعين.

وبالنسبة للسلطة التنفيذية فقد طبقها أبو بكر رضي الله عنه في دار الخلافة ، وفي الولايات كلها ، وسار في عمله على خطى رسول الله ﷺ ولذلك أقر الولاة الذين عينهم رسول الله في ولاياتهم ، وعين ولاة آخرين للولايات الجديدة بعد الفتح ... وقد بلغت الولايات في عصر أبي بكر أربع عشرة ولاية ... ولكل ولاية واليها ... وهم :

١ــ **ولاية المدينة :** عاصمة الدولة وبها الخليفة أبو بكر رضي الله عنه وكان هو واليها .

٢ــ **ولاية مكة :** وأميرها عتاب بن أسيد رضي الله عنه ، وهو الذي ولاه الرسول ﷺ واستمر في ولايته مدة حكم أبي بكر رضي الله عنه .

٣ــ **ولاية الطائف :** وأميرها عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه ، ولاه رسول الله ﷺ وأقره أبو بكر عليها .

٤ــ **ولاية صنعاء :** و أميرها المهاجر بن أبي أمية رضي الله عنه ، وهو الذي فتحها ووليها بعد انتهاء أمر الردة .

٥ــ **ولاية حضر موت :** وواليها زياد بن لبيد رضي الله عنه .

٦ــ **ولاية زبيد ورمع :** وواليها أبو موسى الأشعري رضي الله عنه .

٧- **ولاية خولان** : وواليها يعلى بن أبى أمية رضي الله عنه .

٨- **ولاية الجند**: وأميرها معاذ بن جبل رضي الله عنه .

٩- **ولاية نجران** : وواليها جرير بن عبد الله رضي الله عنه .

١٠- **ولاية جرش** : وواليها عبد الله بن ثور رضي الله عنه .

١١- **ولاية البحرين** : وواليها العلاء بن الحضرمى رضي الله عنه .

١٢- **ولاية العراق والشام** : وكان أمراء الجند هم ولاة الأمر فيها .

١٣- **ولاية عمان** : وواليها حذيفة بن محصن رضي الله عنه .

١٤- **ولاية اليمامة** : وواليها سليط بن قيس[١] رضي الله عنه .

وكان أبو بكر رضي الله عنه يتخير ولاته على أساس الصلاح والتقوى ، وحسن التصرف ، وكان يولى بعض الصحابة على قبائلهم .

وكان أبو بكر يكتب عهدا للولاة ليكون مرجعا لهم .

وكانت الاتصالات مع الولاة تتم بالكتابة ،وبالرسل ،وباللقاء المباشر وكان من حق الولاة المتجاورة أقاليمهم أن يتشاوروا فى قضايا الأقاليم فيما بينهم .

وقد حدد أبو بكر رضي الله عنه للولاة مهامهم ، وأهمها :

- المحافظة على شعائر الإسلام ، وإقامة الصلاة ، وإمامة الناس . وإلقاء خطب الجمعة ، وخطب المناسبات المختلفة .
- مباشرة الجهاد ، والإعداد له ، كل فى الجهة التى يوجد فيها .
- تحصيل الأموال كالزكاة ، والغنائم ، والجزية ، والتصرف فيها وفق ما يرى الخليفة .
- إدارة شئون الولاية بتعيين القضاه والعمال
- أخذ البيعة للخليفة ، ورفع مظالم الناس إليه حين لا يجدون لها حلا .
- الاهتمام بالتعليم ، وبخاصة العلوم الدينية .
- تهيئة السبل أمام الدعاة ليتحركوا بالدعوة إلى الناس فى إقليمهم ، وفى

١- الدول الإسلامية والعربية صـ٩٦ ، ٩٧ .

الأقاليم المجاورة ، وإمدادهم بما يحتاجون إليه من علم ومال وأمن .

وبذلك سار أبو بكر رضي الله عنه في الأمة ، فحرك السلطات الواجبة كل في مجالها تعمل ، على أساس القيم والمبادئ الإسلامية ، وإذا ما علمنا أن أبا بكر وأصحابه لم يأخذوا شيئا من نظم الفرس أو الروم لا تضح لنا الجهد الجميل الذي بذله المسلمون لتنظيم الدولة ، وتحقيق الغايات الإسلامية الكبرى، وإيجاد الأمة الخيرة التي تكونت بمنهج الله تعالى .

إن الجيل الأول جيل متفرد حقيقة بعقيدتة ، وسلوكة ، وعمله في كل مجالات الحياة .

ويجب أن يكون واضحا أن أبا بكر رضي الله عنه اجتهد واستعان بأولى الرأى والمشورة في تنظيم دولته، و لم يتسع الوقت له ليتمم سائر النظم لأنه مكث في الخلافة مدة تقل عن ثلاث سنوات .

فمع ضيق الوقت كان عدم الحاجة إلى استحداث النظم لأن الجزيرة العربية عادت بعد حروب الردة إلى مثل ما كانت عليه في أيام النبوة .

والأرجاء الأجنبية التي زحفت عليها بعوث المسلمين لم تزل إلى آخر خلافة الصديق في مرحلة الغزو والفتح،ولم تبلغ بعد دور التوطيد والتنظيم فكل ما جرى عليه النظام في أيام النبوة كان صالحا للإتباع في أيام الخلافة الأولى.

وهنا تتجلى حكمة النبى عليه السلام في ترجيح إسناد الخلافة الأولى إلى أصلح الناس لمتابعة العهد النبوى على حاله الذي كان عليه. حتى إذا حان وقت التوسع والتصرف وجد المسلمون من هو أصلح وأقدر .

ومن هنا ندرك سر إبقاء أبى بكر على ما ورثه عن الرسول ﷺ في الحكم والإدارة . فأمين الأمة هو " أبو عبيدة " وهو والى بيت المال ، والفاروق هو " عمر " وهو والى القضاء ، وزيد بن ثابت هو " كاتب الوحي " وهو كاتب الدولة في عهد أبى بكر...

وهكذا استقرت حركة الأمة في المسار الذي تركه عليها رسول الله ﷺ مع التجديد المناسب لحركة التطور ، وأحداث الحياة .

الأساس الخامس

الاهتمـــام

بتبليغ الدعوة ونشر الإسلام

بعد ما ولى أبو بكر شئون الخلافة بعد رسول الله ﷺ عاش المسئولية كاملة وتيقن بالأمانة التى علمها فحملها بعلم و معرفة ، وأداها بحكمة وإتقان .

إن الرسالة المحمدية لم تكن مجرد سلطة تحكم ، أو حاكم يسود ، أو أناس يملكون البلاد و العباد ... وإنما كانت الرسالة منهجا إلهيا ينتشر ، ودينا ربانيا يسود ، وحاكما يأخذ عن الله من أجل الناس ، وأمة تبعث الخيـر ، وتعمـل المعروف وتنهى عن المنكر، وتحقق الأمن والسلام .

قامت الرسالة في حياة محمد ﷺ بتلقى الوحي ، وتبليغه ، والعمل بمقتضاه وإبرازه في الحياة العملية خلقا ، وسلوكا ، ومنهجا واضحا ، وسبيلا محددا . وسعد المسلمون بالإسلام ، وامتلأوا بشكر الله وحمده على ما أسداه إليهم مـن معروف أنقذهم من العبودية ، والجهل ، والهوى ، والصغار .

فلما ولى أبو بكر رضي الله عنه الخلافة ، وجد نفسه أمام الرسالة وقد كملت وتمت ورآها دينا يتعامل مع طاقات الإنسان وملكاته ، ودوافعه بصورة سوية . مـن حيث عقيدة ترضى عقله ونفسه ، وتسعد روحه وعواطفه ، وتجعلـه يعـيش الحرية و الكرامة وهو يتعبد لله تعالى ...

ومن حيث شريعة تامة تنظم له شئون الحياة ، وجوانب السلوك ، وتعلمـه صور وقواعد التعامل مع الله ، ومع الناس ، ومع الذات ...

ومن حيث أخلاق تضعه في إنسانية راقية تتمتع بالقيم النبيلـة ، والخلـق الكريم .

علم أبو بكر مسئوليته عن دين الله تعالى ، وعلم ضرورة أن يصل هـذا الدين إلى العالمين ليتمتعوا بخيره ، ويكونوا من أتباع الإسلام الحنيف ...

علم أبو بكر رضي الله عنه ذلك فعمل له وقام بأمر الدعوة خير قيام . لم يترك أبو بكر الدعوة إلى الله تعالى للمناسبات الطارئة ، أو المواقف التلقائية ، وإنما قام بكل ما تحتاجه الدعوة خير قيام على أساس أنها واجب ملزم .

والدعوة إلى الله تعالى معلومة الأركان ،محددة الواجبات من قبل الله تعالى، فلقد عاشها رسول الله ﷺ بتطبيق الوحي ، ونقلها الصحابة عن رسولهم ﷺ بالحفظ والفهم والعمل .

إن الدعوة إلى الله في مجملها تعنى نقل الإسلام للناس عن طريق أناس يخلصون له ، مستفيدين بكل وسيلة مشروعة تلائمه ، مع مراعاة أحوال من يبلغهم الإسلام .

والإسلام لا غموض فيه فقد تركه الرسول لأصحابه حجة واضحة ، وتعاليم ميسرة ، ونهجا ثابتا محفوظا ، وعلم رسول الله ﷺ أصحابه أن تبليغ الإسلام للناس ، والدعوة إليه أمر واجب ... كما عرفهم أن هذا التبليغ يقوم به أناس من المؤمنين الثقاة ، القادرين على حمل الفكرة ، وإيصالها إلى الغير بوضوحها ، وبيانها ، وبصورة تثير داعية التفكير في الإنسان ، وببراهين تدعو إلى الرضى والإقناع .

وعلم الرسول ﷺ أصحابه أن عليهم الاستفادة بكل وسيلة ممكنة قولا – أو فعلا ، أو حالا ، أو وصفا ، أو غير ذلك ما دامت تحقق البصيرة والبيان المطلوب .

لم تغب جوانب الدعوة الإسلامية هذه عن أبى بكر رضي الله عنه فقام بتبليغها على وجهها الصحيح، وجعلها حركة بين المسلمين ، وفي كل مكان ... وذلك أمر واضح في كثير مما نقل من أخبار أبى بكر رضي الله عنه .

فبالنسبة لموضوع الدعوة وهو الإسلام نجد الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر رضي الله عنه قد أخذوه غضا من رسول الله ﷺ مباشرة ، وعاشوا به كما أمرهم رسول الله ﷺ فلقد كان تلقيهم للوحى يقوم على الحفظ والفهم والعمل .

وكانت طاعتهم للأوامر والنواهى قمة في الانقياد والاستسلام .

وكانت سرعتهم في الحب ، والإخلاص ، والاستقامة آية من آيات الله في هذا الجيل الفريد الذي اشترى الآخرة بالدنيا ، وتحول إلـى مجموعـة مـن الربانيين لاحظ للشيطان أو للهوى معهم .

من هذا الجيل وجد الدعاة إلى الله تعالى في عهد أبـي بكـر ، وعـرف الإسلام بوضوحه ، و بيانه ، و تطبيقاته.

أخذ الصحابة الإسلام من رسول الله ﷺ و فهموه حق الفهـم ، وعملـوا بتعاليم الله فوصلوا إلى الغايات التي يرجوها الله منهم .

إن الإسلام في حقيقته يعنى أن يتحول البشر إلـى عبـاد طـائعين لله ، يأخذون منه ، ويعملون له ، ويرجون رضاه ، لا تلهيهم تجارة أولهو عـن ذكره ، وبذلك يكون المجتمع إسلاميا كله.

لقد ألغى الصحابة من حياتهم أن يأخذوا من فارس أو من الـروم فقـد أغناهم الله بالوحى ... ولم يروا في حياتهم فراغا لأن الوحي أعطاهم سـبل الحياة لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا ودلهم على مراد الله فيها .

ولم يقصروا في طـاعة لأنهم تيقنوا أن الوحي نزل للتطبيـق والتنفيذ ، والعمل . لقد كانوا ــ وبحق ــ جيل الصفوة المتفرد الذي رباه رسول الله ﷺ بالإسلام ، وتركه مثالا للقدوة والريادة على الزمن كله .

تولى أبو بكر رضي الله عنه قيادة هذا الجيل الفريد ، وأخذهم معه للدعوة ، ونشر الإسلام ... وتحول كل مسلم ومسلمة إلى داعية ... يحمل الإسلام فـي قلبـه وعمله ، ويبلغ الدعوة بحاله ومقاله . وسلوكه ، وانتشر الإسلام في كل بيوت الصحابة . وصار كل بيت خلية صغيرة تتحرك بالدعوة إلـى الله تعـالى ... ومن هنا علم النسوة الإسلام مع أنهن لا يخالطن الرجال ، وظهر عديد مـن أبناء الصحابة يعملون لله ، ويسعون للجهاد رغم صغر سنهم ، وأخذ الجميـع يتسابقون في الإيمان .

وقد يسرت أمة الدعوة أمام أبنائها الحركة بالإسلام ، وجعلت الدعاة فـي مقدمة المسلمين ، وحولت الجهاد ، والعمل وكل أنشطتهم إلى دعوة ، لأن كل

ذلك تم وفق حكم شرعى ، وتبعا لأمر إلهى ... ولذا كان ظهوره في حد ذاته دعوة ينبنى عليها العلم ، والعمل ، والحكم ، والاستنتاج .

لم يكن الإسلام بعيدا عن الناس ، بل عاش بينهم فهو العلم يعرفونه ، وهو النص يحفظونه ، وهو الخير يتمسكون به ، وهو المعروف يأمرون به ، وهو الأمل يوصلونه للناس ، ويورثونه لأبنائهم وأهاليهم .

وحين تكون الأمة على خط واحد ، وعلى منهج واحد يسهل العمل وتسهل الحركة ، وتتحقق الغايات التي يرجوها العاملون ... وهذا هو سر نجاح أبى بكر في الدعوة إلى الله . حيث اتحد المنهج ، وتوحد المصدر ، واتفق المسلمون جميعا على الغايات والطريق ، وصدق في المسلمين قوله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[١] .

فهم أمة على خط واحد ، لا مذاهب في تدينهم ، ولا تفرق في توجهاتهم وأعمالهم . فهم جميعا يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالله ، وأولئك هم المفلحون .

ولنتذكر بعضا من جهود أبى بكر رضي الله عنه في الدعوة إلى الله تعالى، وهو خليفة المسلمين بعد رسول الله ﷺ .

فلقد كان أبو بكر داعيا إلى الله تعالى بمكوناته، وبأقواله ، وأفعاله ، وبأحواله كلها ... ولم يحدث منه أمر ما يبعده عن طريق الدعوة إلى الله .

فشخصية أبى بكر تجسد صورة الداعية في أعلى صورها حيث الالتزام التام في التطبيق الصحيح للإسلام ظاهرا وباطنا ، مع نفسه ومع أهله وعشيرته ومع الأمة كلها ... وتلك أمور لابد منها لكل من أسلم لله وجهه ، وبخاصة للذين يتصدون لخدمة الدعوة و نشر الإسلام .

١- سورة آل عمران آية ١١٠.

لقد أحب أبو بكـــر دينه فعمل له ، وسار في الناس على خلق كريم ، يعاونهم ويشاركهم في التخلص من نكد الدنيا ، في إخلاص أمين ، وصدق دقيق .

وتميز أبو بكر بسعه الأفق ، و كثرة العلم . فقد حفظ القرآن كله[١] وروى الحديث عن رسول الله ﷺ وتفرد بالرواية في كثير من الأحاديث .

أخرج البخارى في صحيحه بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قـال: **خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: "إن الله تبارك وتعالى خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ذلك العبد ما عند الله ، فبكى أبو بكر وقال : بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا .**

فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله ، فكان رســول الله ﷺ هو المخير ، وكان أبو بكر أعلمنا .

يقول رسول الله ﷺ : " إن من أمن الناس على في صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن أخوة الإســلام ومودته، لا يبقين في المسجد خوخة إلاخوخة أبى بكر "[٢].

يقول ابن هجر الهيتمى: أبو بكر من أكابر المجتهدين ، بــل هــو أعلــم الصحابة على الإطلاق .

فلقد أخرج البخارى وغيره أن عمر في صلح الحديبية سأل النبي ﷺ عن ذلك الصلح وقال : علام نعطى الدنية في ديننا ؟ فأجاب النبي ﷺ .

ثم ذهب إلى أبى بكر فسأله عما سأل عنه رسول الله ﷺ من غير أن يعلم بجواب النبي ﷺ فأجاب بمثل الإجابة سواء بسواء[٣]

" ولما توفى رسول الله ﷺ : ارتدت العرب ، واشرأب النفاق ــ رفع رأسه ــ فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبى بكر لها ضها ــ فتها ــ واختلــف

١- تهذيب التهذيب جـ٢ صـ١٩١

٢- صحيح البخـارى - كتـاب فـضائل الـصحابة . بـاب قـول النبـي ﷺ سـدوا الأبـواب إلا بـاب أبو بكر جـ٦صـ٧٨

٣- صحيح البخارى - كتاب مناقب الأنصار . باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة جـ٧ صـ٢٨٧

الصحابة في دفن النبي ﷺ وقالوا: أين يدفن ؟ فمن قائل بالبقيع ، ومن قائل مكان مولده ، ومن قائل ببيت المقدس مدفن الأنبياء . حتى جاء أبو بكر بالأمر الفصل وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول "**ما من نبى يقبض إلا دفن تحت مضجعه الذي مات فيه** ".

واختلفوا في ميراثه فما وجدوا عند أحد علما في ذلك ، فقال أبو بكر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة .

فكانت هذه سننا تفرد بها الصديق دون الصحابة كلهم ولما أخبرهم بها رجعوا إليه فيها جميعا المهاجرون والأنصار .

وأبو بكر هو أكثر الصحابة الذين حفظوا أحاديث رسول الله ﷺ ، وبرواياته للأحاديث التي تفرد بها كان التخلص من الفتنة ، فهو رضي الله عنه تفرد برواية كل الأحاديث التي تركها النبي ﷺ في الأنصار، وفى الخلافة ، وفى ميراث النبوة ، وفى مواطن دفن الأنبياء كما بينا آنفا .

وكان أبو بكر صاحب فهم دقيق للنصوص المروية، بل كان له فهمه في معناها القريب والبعيد .

يقول الحافظ محمد بن أبى نصر الحميدى : سمعت بعض أهل العلم، وقد جرى ذكر فتوى أبى بكر بين يدى رسول الله ﷺ في سلب القتيل يقول : فإنه "أى أبا بكر" بثاقب علمه ، وشدة حزمه ، وقوة رأيه وإنصافه ، وصحة تحقيقه وصدق تدقيقه، بادر إلى القول الحق فأفتى، وحكم، وأمضى ،وأخبر في الشريعة عن النبي ﷺ بحضرته ،وبين يديه بما صدقه فيه، وأجرى عليه قوله[١] .

ولم يقصر أبو بكر رضي الله عنه في نصح يوجهه إلى الناس ، فهو يقضى يومه مع أصحاب الحاجات ، وتدبير شئون المسلمين ، وهو الذي يؤم المصلين في مسجد النبي ﷺ .

١- الصواعق المحترقة صـ٨٣ .

وبذلك كان يعلم أحوالهم، ويغني سائلهم ، ويقضى حاجة المحتاج فيهم ويسأل عن غائبهم ، ويعود مريضهم ، ويصرف شئون الدنيا ، ويوجه إلى قضايا الدين .

وهو خطيب الجمعة الراتب في مسجد النبي ﷺ وقد اشتهر بروعة البلاغة، وحسن البيان، وجودة الخطيب ، يوجز حين يقتضى الحال ذلك ، ويطنب حين تكون الفائدة في الإطناب ... يدور بمواعظه مع القضايا التي تهم المجتمع والناس. وبذلك علم الناس ، وأثر في حياتهم .

يقول ابن كثير : **كان أبو بكر من أفصح الناس، وأخطبهم** [1] .

ويقول الزبير بن بكار : **سمعت بعض أهل العلم يقول أفصح خطباء النبي ﷺ أبو بكر و على بن أبى طالب رضي الله عنهما** [2] .

وحين نتأمل في بعض خطب أبى بكر رضي الله عنه ، ونضعها في الجو التي ألقيت فيه تظهر لنا دقة البيان، وحسن مواجهة الواقع ، وروعة أبى بكر كخطيب يدعو إلى الله تعالى.

ولنتخير بعض هذه الخطب .

ـ ١ ـ

خطبته يوم وفاة النبي ﷺ

المناسبة التي قيلت فيها الخطبة :

لما توفى رسول الله ﷺ عظمت المصيبة على المسلمين لأنهم كانوا يأملون أن يستمر النبي بينهم ، و كانوا يخافون اليوم الذي يفارقهم فيه إلى الله وهو أمر حتمى وذلك لفرط حبهم لرسول الله ﷺ ... وحينما كانوا يفكرون في لحوق الموت برسول الله كانوا ينخرطون في البكاء .

١- البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٤٠

٢- تاريخ الخلفاء للسيوطى صـ٦٠

أتى النبي ﷺ المسجد فوجد رجالا و نساء يبكون فلما سأل فقيل له: **هــذه الأنصار رجالها ونساؤها في المسجد يبكون .**

قالﷺ: **وما يبكيها ؟**

قالوا : **يخافون أن تموت**[١] .

فخرج ﷺ فجلس على منبره متعطفا بثوب ، طارحا طرفيه على منكبيه ، عاصبا رأسه بعصابة ، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال :

أما بعــد ...

أيها الناس ، فإن الناس يكثرون ، وتقل الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام ، فمن ولي شيئا من أمرهم فليقبل من محــسنهم ، و ليتجــاوز عــن مسيئهم[٢] .

- وأخرج البخاري عن أنس قال : **لما ثقل النبي ﷺ " جعــل يتغــشاه الكرب ، فقالت فاطمة رضي الله عنها واكرب أبتاه ، فقال لها ليس على أبيك بعد اليوم كرب .**

فلما مات قالت : وا أبتاه أجاب ربا دعاه ...

يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه ...

يا أبتاه إلى جبريل ننعاه .

فلما دفن قالت فاطمة : **يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول** الله التراب [٣] ؟

- **وأخرج ابن سعد عن عاصم عن أبيه قال: ما سمعت ابــن عمــر رضي الله عنه إذا ذكر رسول الله ﷺ إلا ابتدرت عيناه تبكيان**[٤] .
- وكان النبي ﷺ " قد استقر في مرضه الذي توفى فيه ببيــت عائــشة رضي الله عنها. ووعك أشد الوعك ، واجتمع إليه نســاؤه ، واشتــد

١- مجمع الزوائد . باب فضل الأنصار جـ١٠ صـ٣٥ .
٢- مجمع الروائد جـ١٠ صـ٣٧.
٣- صحيح البخاري - كتاب المغازي . باب مرض النبي ﷺ جـ٧ صـ١٠٦ .
٤- الطبقات الكبرى صـ١٦٨ .

وجعه ، فلم يزل بذلك حتى زاغت الشمس[١] .

- يقول الذهبى : " وزعموا أنه ﷺ كان يغشى عليه ، ثـم إذا شـخص بصره إلى السماء يقول : نعم إلى الرفيـق الأعلـى ... ويكررهـا فأرسلت عائشة إلى أبى بكر، وأرسلت حفصة إلى عمر، وأرسـلت فاطمة إلى على ، فلم يجتمعوا حتى توفى رسول الله ﷺ على صـدر عائشة و في يومها ... يوم الإثنين[٢] ...
- وجزع الناس وظن عامتهم أنه غير ميت ، منهم من يقـول : كيـف يكون الشهيد علينا ونحن شهداء على الناس فيموت ، ولا يظهر على الناس ، ولكنه رفع كما فعل الله بعيسى بن مـريم ، فأوعـدوا مـن سمعوه يقول: **إنه مات ، ونادووا لا تدفنوه فإنه حى .**
- وأما عثمان فسكت .
- وأما عمر فأهجر وقال : " **ما مات رسول الله ﷺ ، وإنما واعده الله كما واعد موسى وليرجعن رسول الله ﷺ " فليقطعن أيـدى أنـاس وأرجلهم "[٣] .**

على هذا الحال عاش الصحابة لحظة وفاة رسول الله ﷺ ، وصار الأمـر يحتاج إلى رجل يوفقه الله لإخراج الجمع مما هم فيه من بلاء وفتنة ، بطريقة مرضية، وإقناع سديد ... وكان هذا الرجل هو أبو بكر رضي الله عنه ، فإنه لما رجع من السنح ، ووجد الناس على هذه الحال لم يحدث أحدا منهم، وإنما دخل على رسول الله ﷺ وقبله ثم خرج إلى الناس ، وخطبهم بخطبته هذه ، وهى التـي أعادتهم إلى الحق و الصواب[٤] .

هذه هي المناسبة التي قيلت فيها الخطبة .

١- مجمع الزوائد - كتاب المناقب . باب ما جاء في فضل الأنصار جـ٩ صـ٧٧٥ .

٢- السيرة النبوية للذهبى جـ٢ صـ ٥٦٦ .

٣- العواصم صـ٥٥ ، صحيح البخارى جـ٧ صـ٩٩ .

٤- أنظر صـ٢٨ .

نـــص الخطبـــة

(أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشـــهد أن محمـــدا عبـــده ورسوله ، وأشهد أن الكتاب كما أنزل ، وأن الدين كما شـــرع ، وأن القـــول كما قال ، وأن الله هو الحق المبين .

أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبـــد الله فإن الله حى لا يموت ، وأن الله قد تقدم إليكم في أمره فلا تـــدعوه جزعـــا ، وإن الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم ، وقبضه إلى ثوابه، وخلـــف فيكم كتابه و سنة نبيه، فمن أخذ بهما عرف ، ومن فرق بينهما أنكر .

" يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط، ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم، فعاجلوه بالذى تعجزونه، ولا تستنظروه فيلحق بكم .

ثم قرأ قوله تعالى (﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[١] **)**[٢] .

ركائز الدعوة في هذه الخطبة

حين نحلل هذه الخطبة نجد فيها العديد من الخصائص التي يجب أن تكون في كلمات و مواعظ الدعاة ، ومن أهم هذه الخصائص التي نلمسها في هـــذه الخطبة مع وجازتها ما يلي :

أـــ قوة الداعية الشخصية والذهنية :

فاجأ الموقف أبا بكر رضي الله عنه ، ورأى ذهول المسلمين لحبهم لرسول الله ﷺ فلم يصب بما أصيبوا به ، مع أنه كان أكثرهم حبا لرسول الله ﷺ .

إنها قوة النفس ، وثبات العقل التي جعلت أبا بكر يقف هذا الموقف .

١- سورة آل عمران آية ١٤٤.

٢- تاريخ الطبرى جـــ٣ صـــ٢٠٣.

يقول الأستاذ محمد حسين هيكل: **يدل موقف أبى بكر بعد وفاة الرسول ﷺ أبلغ الدلالة على قوته ، فلو أن رجلا من المسلمين جاز لـه أن يبلـغ منـه الجزع لوفاة الرسول ما بلغ من عمر لكان ذلك الرجل أبا بكر ، فهو صـفى النبيﷺ ، وخليله ، ومن آثره في كل موقف على نفسه ، والـذى أجهـش بالبكاء لقول النبيﷺ " إن عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبـين مـا عنده فاختار ما عند الله " ، وهو الذي قال حين سمع هذه الكلمـة والعبـرة تخنقه : " نحن نفديك بأنفسنا وأرواحنا "، لكن جزعه لوفاة الرسـول ﷺ لـم يذهله كما أذهل عمر ، وهو لم يلبث حين أيقن أن الله اختار رسول إليـه أن خرج إلى الناس وخطبهم بما قرأت ...**

وهذه الكلمات التي ألقاها عليهم، وهذه الآية التي تلاها من القرآن الكريم لإقناعهم تدل على قوة في مواجهة الحقائق تنأى بصاحبها عن أن يذهله نبأ فاجع، كموت رسول الله ﷺ، وقد اقترنت هذه القوة النفسية بـصفة أخـرى زادتها جلالا و مهابة ، هي بعد النظر إلى المـستقبل ، وهاتـان الـصفتان تثيران العجب من رجل كله الرفق و الرقة[١] .

ومع المفاجأة كانت الخطبة في إيجازها و بلاغتها بلا إعداد و تنسيق ، لأن الوقت لم يسمح بذلك ... ومع أن الخطبة بلا إعداد فقد جاءت مشتملة على كل ما يحتاجه هذا الموقف العصيب .

ولم ينس أبو بكر رضي الله عنه في خطبته المفاجئة أن يعرف المسلمين بالواجـب المستمر الذي يجب أن يتمسكوا به... كل ذلك وغيره في كلمات تتميز بالبلاغة والفصاحة والبيان .

يقول العقاد : **كلمات أبى بكر من أرجح ما قيل في موازين الكلام ، سواء في ذلك موازين البلاغة ، أو موازين الخلق أو الحكمة ، ولـه مـع مواقـع الكلمة الحكيمة أمثلة نادرة تنزل الواحدة منها على ملكـة صـاحبها منزلـة**

١- أبو بكر الصديق للاستاذ هيكل صـ٥٦ .

الكلام الطويل، فيغنى القليل منها عن الكثير ، كما تغنى السنبلة الواحدة عن الجرين الحافل .

فحسبك أن تعلم معدن القول من نفسه وفكره حين تسمع كلمة **كقوله " احرص على الموت توهب لك الحياة " أو قوله " أصدق الصدق الأمانة ، وأكذب الكذب الخيانة" وقوله " الصبر نصف الإيمان ، واليقين الإيمان كله " .**

فهي كلمات تتسم بالقصد والسداد ، كما تتسم بالبلاغة وحسن التعبير ، وتنبئ عن المعدن الذي نجمت منه، فتغنى عن علامات التثقيف التي يستكثر فيها المستكثرون لأن هذا الفهم الأصيل هو اللباب المقصود من التثقيف .

وكانت له رضي الله عنه لباقة في الخطاب إلى جانب البلاغة في الكلام "[1] .

ب ـ قوة الحجة وبديهية الإقناع :

لم يخاطب أبو بكر رضي الله عنه الناس في المصاب الذي وقع بهم لأنهم يختلفون فيه ، وإنما عرفهم بخطإ ما هم فيه مستدلا ببعض الحقائق التى آمنوا بها ، وتيقنوها . فهم يعلمون أن الموت حق، و لكل أجل كتاب. كما قال الله تعالى ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[2] .

ثم إنهم كما علمهم رسول الله ﷺ يتجهون بعبادتهم كلها لله وحده لا شريك له وهو حى لا يموت ، وبهذه القوة في الإقناع عاد الصحابة إلى رشدهم ، وفاءوا إلى الحق مسرعين مع أنه رضي الله عنه لم يحدثهم في المصاب ، ولم يهون عليهم وقعه ، وإنما لجأ إلى المسلمات الإيمانية الواقعية التي ذكرتهم بالحقيقة رغم مرارتها .

ج ـ الاستشهاد بالقرآن الكريم :

زكى أبو بكر رضي الله عنه حجته بالقرآن الكريم و قرأ الآية التي تناولت القضية وهى قوله تعالى ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ

١- عبقرية الصديق صـ٩٥ .

٢- سورة الأعراف الآية ٣٤.

قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[١] .

ومن روعة الإعجاز في الآية أنها تخاطب العقول ، وتستشهد بالمثل السابقة فلقد مات الأنبياء قبل محمد ﷺ فلم الجزع حين يموت ؟ ... وهو واحد من الرسل .

وبعد بيان الآية للدليل تختم بحقيقة بشرية وهى انقسام الناس دائما إلى فريقين .

فريق يبتعد عن الحق ، وينقلب على الصواب وهذا لا يضر إلا نفسه .

وفريق يتمسك بالحق ، ويعمل به ،ولهذا جزاؤه الحسن الجميل عند الله تعالى ...

د ـ الالتزام التام بالإسلام :

لم يقف أبو بكر رضي الله عنه في خطبته عند الموضوع المشار، وإنما تطرق ببلاغته الموجزة إلى ضرورة الالتزام بالإسلام كله ، فعرفهم أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ ولهم ، وعليهم أن يعيشوا مع رسول الله ، ومع الوحي الذي تركه فيهم ، فحب الرسول هو في طاعته وتطبيق تعاليم الوحي الثابت الذي يبين المعروف ، ويبعد عن الضلال والهوى .

ولم يجعل أبو بكر رضي الله عنه قضية الالتزام بطاعة الله خاصة بصحابة رسول الله ﷺ وحدهم ، وإنما أشار إلى عموم الالتزام بين المؤمنين لأنه أورد الآية القرآنية المصدرة بـ " من " وهى اسم موصول عام .

هـ ـ التعريف بالعدو :

لم يترك أبا بكر مناسبة استماع الناس له ، وتأثرهم بقوله تذكيرهم بعدوهم الذي يعمل على إضلالهم بصور خفية وعلنية ، فأخذ يعرفهم بمسالكه التي ينتهز بها أى ثغرة ينفذ منها لتحقيق مراده،و بين لهم أن الشيطان يرقب أوقات

١- سورة آل عمران الآية ١٤٤ .

الجزع والبلاء ، ليوسوس خلالها للإنسان ليبعده عن الصراط المستقيم.

إن المسلم له أعداء كثيرون في الأرض ، وأخطرهم هو الشيطان الرجيم ، الذي يوسوس للإنسان في خلوته وحضوره ، ويعين كل من يعمل للهدم والفساد ، وينشط حين الضعف ، والتردد وأول انتصار المسلم انتصاره على عدوه الذي بين جنبيه ، وبعد ذلك سيتمكن من الانتصار على أعدائه الآخرين .

وفي كلمات قصار وضح أبو بكر رضي الله عنه للناس طرق مقاومة الشيطان وذلك بمعالجته بطاعة الله ، وقطع الطريق على تآمره بذكر الله تعالى ، والاستعاذة به سبحانه وتعالى .

ـ ٢ ـ

ومن خطبه رضي الله عنه الوعظية الخطبة التالية

نص الخطبة

قال أبو بكر رضي الله عنه بعد أن حمد الله وأثنى عليه .

قال : إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه، فأريدوا الله بأعمالكم ، فإنما أخلصتم لحين فقركم وحاجتكم .

اعتبروا عباد الله بمن مات منكم ، وتفكروا فيمن كان قبلكم .

أين كانوا أمس ؟

وأين هم اليوم ؟

أين الجبارون الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحروب ؟

قد تضعضع بهم الدهر ، وصاروا رميما ، وقد توالت عليهم القالات ، الخبيثات للخبيثين ، والخبيثون للخبيثات .

وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها ؟

قد بعدوا ونسى ذكرهم ، وصاروا كلا شيء.

ألا إن الله عز وجل قد أبقى عليهم التبعات ، وقطع عنهم الشهوات ، ومضوا

والأعمال أعمالهم ، والدنيا دنيا غيرهم ، وبعثنا خلفا بعدهم ، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا ، وإن انحدرنا كنا مثلهم .

أين الوضاء الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم ؟

صارو ما فرطوا فيه حسرة عليهم .

أين الذين بنوا المدائن، وحصنوها بالحوائط ، وجعلوا فيها الأعاجيب ؟

قد تركوها لمن خلفهم ، فتلك مساكنهم خاوية وهم في ظلمات القبور .

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾[١] .

أين من تعرفون من آبائكم وإخوانكم؟ قد انتهت بهم آجالهم ، فوردوا على ما قدموا فحلوا عليه ، وأقاموا للشقوة أو السعادة بعد الموت .

ألا إن الله واحد لا شريك، ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيرا ولا يصرف به عنه سوءا إلا بطاعته وإتباع أمره . واعلموا أنكم عبيد مدينون ، وأن ما عنده لا يدرك إلا بطاعته . أما آن لأحدكم أن تحسر عنه النار ولا تبعد عنه الجنة[٢] ؟

مناسبة الخطبة

هذه الخطبة خطبة وعظية ، يحتاج إليها الإنسان دائما ، لأن هذا النوع من الخطب يقصد ترقيق المشاعر،وإخلاص الوجه لله ، وعدم الاغترار بنعم الله وعطائه ... وهي في جملتها تعرف الإنسان بحاجته إلى الله تعالى ، وتبين له قيمة الدنيا وما فيها ... ولذلك فهي مناسبة للناس في كل وقت ، وفى جميع الأماكن .

ركائز الدعوة في هذه الخطبة

تتضمن هذه الخطبة عددا من الدروس والعبر التي لابد منها في الخطب الوعظية السديدة ، وأهم هذه الدروس ما يلي :

١- سورة مريم آية ٩٨ .

٢- البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٤٢، تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٢٤١، ٢٤٥.

أ- بيان الموضوع :

توضح الخطبة موضوعها الذي تريده وهو أن يخلص العبد عمله لله تعالى وأن يجعل حياته كلها لله رب العالمين، ليقبل الله العمل، ويجازى عليه ، وقد ظهر الموضوع في البداية والنهاية وما بين البداية والنهاية ، هو الأدلة والبراهين المؤيدة للموضوع وهذا البيان يتجلى في بلاغة الخطيب حيث يربط المستمع بما يريده له ، ويدفعه إلى ما يدعوه إليه .

ب - مخاطبة العقل والوجدان :

تتجه الخطبة نحو إقناع العقل، وتحريك العاطفة ، وإثارة الوجدان وذلك بدعوة الناس إلى التفكير في هذه الدنيا ، وتدبير المآل الأخير لكل من عاش فيها ، فكل مخلوق هالك يقول الله تعالى ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾[1] وإذا ما تيقن الإنسان من هذه الحقيقة فإنه سوف يعمل وفق معطياتها فيترك الغرور بالدنيا الفانية ويخلص لله تعالى لينال سعادة الآخرة الباقية .

ج - دقة الأدلة :

ساق أبو بكر رضي الله عنه في خطبته الأدلة السهلة المعلومة المسلمة البديهية ، وذلك بالتأمل في كل من مات ، وفى أى شأن كانوا عليه ، وفى كل مصير صاروا إليه . لأن التفكير في السابقين يحدد للمفكر السلوك السوى الذي يلتزم به لينجوا من سوء الخاتمة ، وسوء المنقلب .

وتركز الخطبة على ضرورة النظر في أن الموت لا يستثنى أحدا ، ولا يحابى مخلوقا .

فكم من جبار ملأ الأرض غلبة وانتصارا، وساد الناس ظلما وطغيانا ، وإذا بالموت يفنيه ولم يبق له إلا ذكر ما كان يفعله ويقوم به .

وكم من حسن وجيه، التف حوله المعجبون، وإذا بالموت يأخذه، وينصرف

١- سورة الرحمن من آية ٢٦: ٢٧.

عنه كل من كان يحيط به .

وكم من إنسان شيد القصور، وأقام الحصون ، وإذا بالهلكة تأتيه ، فيتـــرك ما شيده لمن بعده ، ولا يناله منه شيء .

إن هذه الحقائق تؤكد حقيقة الموت ، وأنه النهاية الحتمية لكل مخلـــوق ، والواجب الاستعداد له .

د ــ التركيز على المصير الحتمى :

يوضح أبو بكر رضي الله عنه في خطبته أمرا هاما ، وهو أن من يموت لا يأخـــذ عمله، أو ماله معه ، وإنما يترك الذكر والخبر ، والقـــول والمثـــل ، ويأخـــذ الحساب والجزاء وأفضل الناس من يخلف سيرة حسنة، وذكرى طيبة .

هـــ ــ تتابع الأدلة بالمقارنة :

يقارن أبو بكر رضي الله عنه بين الميت ووارثه. ويوضح أن الميت يتحمل مسئولية ما عمل ، وهو بعد موته لا شهوة له ... وحينئذ فهو في قبره يحاسب ويعذب بعَمله، بينما يتمتع الوارث بما ورث عنه، فالعمل عملهم، والدنيا دنيا غيرهم .

و ــ صلة العبد بربه :

يبين أبو بكر رضي الله عنه في خطبته طبيعة صلة العبد بربه، ويوضح أن الخلق جميعا متساوون أمام الخالق ، وليس لأحدهم صلة تقربه إلى الله أكثـــر مـــن غيره. وإنما الذي يقرب العبد من ربه هو طاعته، وإتباع أوامره ...

ويذكر الناس في نهاية الخطبة أنه ليس بعد الموت إلا الجنـــة أو النـــار، والكيس من عمل في الدنيا عملا يقربه من الجنة ويبعده عن النار.

زـــ وجود الخصائص الفنية :

يضع أبو بكر رضي الله عنه في خطبته هذه صورة فنية بليغة فهو يبدؤها بالتأكيد ، والأمر ، ويملأها بالإستفهامات التعجبيـــة ، والتخـــصيص ، والتعـــريض ، ويستشهد بآيات القرآن الكريم ، ويقارن بين الوقائع ، ويركز على الترغيـــب والترهيب .

وهو يوضح المعنى في صور وأساليب متعددة ، حيث يبدأ بالتعميم والنظر

في كل من مات من الآباء ، والإخوة ، والأخوات ، والأصحاب . ثـم يثنـى بالتخصيص وذلك بالتأمل في موت الجبابرة ، والملوك ، والوجهاء . ويـشير إلى تنوعهم بين سعيد بطاعته، وشقى بمعاصيه .

وفى النهايـة :

لو تصور إنسان ما أن هذه الخطبة موجهة إليه،وسلم بحقائقها "وهى حقيقية" واستغرق متأملا في معانيها ... فما هو الأثر الذي سيصير عليه ؟؟!

لو كان هذا الإنسان عاقلا فإنه سيسرع إلى ما دعا إليه أبو بكر رضي الله عنه من الإخلاص في العمل، والتوجه التام لله تعالى . وترك ما عدا ذلك ليعيش سعيدا في الدنيا وفى الآخرة .

ـ ٣ ـ

ومن خطبه رضي الله عنه الوعظية الخطبة التالية

نـص الخطبـة

قال رضي الله عنه بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

أما بعـد ...

فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو له أهل ، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة ، وتجمعوا الإلحاح بالمسألة، فإن الله أثنى على زكريا وأهل بيته واستجاب له فقال تعالى ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[1] ثم اعلموا عباد الله أن الله قدارتهن بحقه أنفسكم ، وأخذ على ذلك مواثيقكم فاشترى القليل الفاني بالكثير الباقى ، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه ، ولا يطفأ نوره، فصدقوا قوله ، وانتصحوا كتابه ،

١- سورة الأنبياء آية ٩٠ .

واستوضئوا منه ليوم الظلمة، فإنما خلقكم الله للعبادة ، ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون، ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه، فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل لله فافعلوا ، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله ، فسابقوا في مهل آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم فيردكم إلى أسوإ أعمالكم ، فإن أقواما جعلوا آجالهم لغيرهم ، ونسوا أنفسهم ، فأنهاكم أن تكونوا مثلهم . فالوحا الوحا ، ثم النجا النجا ، فإن وراءكم طلبا حثيثا مره سريع[1] .

تندرج هذه الخطبة في الخط الذي سلكته الخطبة السابقة من حيث ضرورة إتباع تعاليم الله تعالى، والعمل لليوم الآخر ، وأن الموت حقيقة آتية لا ريب فيه ، والسعيد من عمل له ، واستعد للقاء الله تعالى .

ركائز الخطبة

تتضمن هذه الخطبة الركائز التالية :

أ ـ وضوح الغاية :

تظهر الغاية التي يقصدها أبو بكر من هذه الخطبة ، فهو يدعو إلى التقوى والمسارعة إلى الخيرات الموجودة في القرآن الكريم .

ب ـ بيان قيمة القرآن الكريم :

يوضح أبو بكر رضي الله عنه عظمة القرآن الكريم في نصائحه وتوجيهاته فهو نور ساطع ، وإعجاز مستمر. فيه النجاة ، وفيه الفلاح .

ج ـ تحديد رسالة الإنسان :

يبين أبو بكر أن الإنسان خلق للعبادة التي بعث الرسل لتحديدها، والتعريف بها ، والدعوة إليها، وعلى المسلم أن يلتزم بذلك ويعيش دنياه عابدا لخالقه سبحانه وتعالى .

١- مصنف ابن أبى شيبة جـ٧ صـ١٤٤ ومعنى الوجا السرعة.

د ــ فنيه التأثير :

تبرز الخطبة دعوتها في أسلوب سهل، وتستشهد بالقصة لما لها من تأثير في المستمع والقارىء . فتورد قصة زكريا وأهل بيته وقصة من عملوا لغيرهم ، وجعلوا عمرهم لغيرهم فخسروا الدنيا والآخرة .

هـ ــ براعة الاستهلال وحسن الختام :

تنتهي الخطبة بختام حسن، وهو الدعوة إلى المسارعة إلى الخير ، والعمل الجاد للنجاة .

****

وقد كان كلام الصديق في جملته فصيحا بليغا، وله رضي الله عنه في جوامع الكلم أمثلة نادرة تدل على مدى تملكه للحكمة والبيان، ومن ذلك أقواله :

- **احرص على الموت توهب لك الحياة .**
- **أصدق الصدق الأمانة وأكذب الكذب الخيانة .**
- **خير الخصلتين أبغضهما إليك .**
- **لا تكتم عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك .**
- **ليس مع العزاء مصيبة .**

وهكذا نرى في كلمات أبي بكر الإيجاز، والسداد، والبلاغة وحسن التعبير.

وقد كان رضي الله عنه دائم الاتصال بالولاه . يكاتبهم ، ويبعث إليهم رسله ، ويلتقى بهم في الحج ، ويكلفهم في كل ذلك بالإخلاص لله ، والعمل وفق شرعه ودينه و لذلك كان الولاة صورة للخليفة في الدعوة إلى الله تعالى ، والعمل لخدمة الإسلام ، ونشره بين الناس.

وقد اتخذ أكثر الولاة المسجد الكبير في موطنهم مقرا للحكم والتوجيه، ومكانا للتعليم،وموئلا للفتوى والقضاء، ومنطلقا لإعلان الجهاد،وجمع المقاتلين.

ولو عدنا لكل أعمال أبي بكر رضي الله عنه الذاتية،والاجتماعية،والإدارية، والعلمية والاقتصادية ... وغير ذلك . عملا عملا . لوجدنا كلا منهما عملا دعويا حسنا

وذلك لتميز كل أعماله بخصائص معينة أهمها :

أ ــ **صفاء النية** ، وخلوص القلب لله ، وفى ذلك صدق الإيمان ، ودقة المراقبة ، واستمرارية العبودية في الأحوال ، والنيات ، والأماني ، والأحلام .

ب ــ **إخضاع السمع والبصر والجوارح لله** ، فلا يسمع إلا خيرا ، ولا يعمل إلا مشروعا ، ولا يرى إلا ما أحله ربه ، ولا يصدر منه أمر إلا إذا كان يرضى الله تعالى .

ج ــ **الإلتزام التام في حركته وعمله بما شرعه الله تعالى** فهو بعيد عن المنهى عنه ، ملازم للمشروع الثابت في دين الله تعالى.

د ــ **وكان أبو بكر** رضي الله عنه **يستشير أصحابه** في مجال الحكم والفتوى طاعة لله تعالى ، و أملا في الوصول إلى الحكم السوى الصحيح الذي يحقق عدالة الإسلام بين الناس في كل المسائل والقضايا.

ولهذا كان أبو بكر رضي الله عنه داعية في كل ما قام به .

دعا نفسه إلى الله تعالى وألزمها بالامتثال بكل ما أمر الله به من عقيدة وشريعة وخلق .

ودعا أبو بكر أهله وبنيه ولذلك دخلوا جميعا في الإيمان بدعوة أبى بكر لهم .

ودعا الناس أفرادا وجماعات ، وكتب الكتب ، وأرسل الرسل ، واستقبل الوفود ، حتى أنه يمكن القول : أن أبا بكر رضي الله عنه دعا بلسانه وحاله وعمله عن طريق الاتصال الذاتي . والاتصال الجمعي ، والاتصال الجماهيرى ... وبكل صور الاتصال التي ينادى بها علماء الإعلام في العصر الحديث .

وهكذا عاش أبو بكر رضي الله عنه للإسلام، والدعوة إليه، ولم يتوان أبدا عن ذلك في أى عمل قام به بكل الصدق والإخلاص .

وقد وفقه الله تعالى ، وحقق له ما أراد ، وعاشت الأمة كلها بالإسلام ، كما كانت في عهد رسول الله تأخذ توجيهات أبى بكر ومواعظه ، ونصائحه وتعمل بها لأنها تؤمن بحقيقة أن أبا بكر رضي الله عنه كان دقيق الإتباع لرسول الله ﷺ ومن هنا عدوا اتباعهم لأبى بكر رضي الله عنه إتباعا لرسول الله ﷺ .

الأساس السادس

اعتماد عوامل النجاح في الحكم

يتساءل المرء عن أسباب نجاح أبى بكر رضي الله عنه وهو يتحرك بالدعوة إلى الله تعالى لتكون طريقا نتبعه في العصر الحديث ، وبخاصة أن الواقع المعاصر يؤكد الانفصام بين العلم بالإسلام ، وبين تطبيقه والعمل به ، رغم كثرة الدعاة، وتعدد المؤسسات التي تعمل للدعوة ، والاستفادة بكل مخترعات العصر ومستجداته .

إن الأسباب في التي أدت إلى نجاح أبى بكر رضي الله عنه في الحكم ترجع إلى ما يلي :

ـ أولا ـ

القيادة المثالية

قدم أبو بكر رضي الله عنه في قيادته للأمة النموذج الإسلامي الصحيح فقاد الأرواح والقلوب قبل أن يقود الجوارح والأبدان ، وأرى الناس من نفسه إيمانا صادقا ، والتزاما دقيقا بكل ما أمر الله به ولذلك كانت طاعة الناس له يقول أبو بكر بن عياش : **ما سبقكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام،ولكن بشيء وقر في قلبه** [1] ...

وجاء في سنن أبى داود عن أبى بكر عن النبي ﷺ أنه قال : **من رأى منكم رؤيا ؟**

فقال رجل من الصحابة : **أنا رأيت كأن ميزانا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبى بكر... ثم وزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ثم رفع الميزان** [2] .

١- فضائل الصحابة جـ١ صـ١٧٣.

٢- سنن الترمذى ـ كتاب الرؤيا . باب ما جاء في رؤيا الميزان جـ٤ صـ٥٤٠ .

وكان أبو بكر يهتم بالصلاة والخشوع فيها ، ويحرص على حسن العبادة ، وكان لا يلتفت في صلاته .

وكان أهل مكة يقولون: **أخذ ابن جريج الصلاة من عطاء،وأخذها عطاء من ابن الزبير،وأخذها ابن الزبير من أبي بكر،وأخذها أبو بكر من النبي ﷺ .**

وعن أنس رضي الله عنه قال: **صلى أبو بكر بالناس الفجر فقرأ البقرة في ركعتيه فلما انصرف قال له عمر: يا خليفة رسول الله ما انصرفت حتى رأينا أن الشمس قد طلعت ، لو طلعت لم تجدنا غافلين**[1] .

وكان يحث الناس على الصبر في المصائب ، ويقول لمن مات له أحد : **ليس مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة ، الموت أهون مما قبله وأشد مما بعده ، اذكروا فقد رسول الله تصغر مصيبتكم، وعظم الله أجركم**[2] .

وعزى عمر رضي الله عنه عن طفل أصيب به فقال: **عوضك الله منه ما عوضه منك ، وكان** رضي الله عنه **يحذر الناس من البغي، والنكث، والمكر ويقول ثلاث من كن فيه كن عليه: البغي، والنكث، والمكر .**

وكان يعظ الناس ويذكرهم بالله ومن مواعظه رضي الله عنه: **الظلمات خمس والسرج خمس: حب الدنيا ظلمة والسراج له التقوى، والذنب ظلمة والسراج له التوبة ، والقبر ظلمة والسراج له لا إله إلا الله محمد رسول الله، والآخرة ظلمة والسراج لها العمل الصالح، والصراط ظلمة والسراج لها اليقين**[3] .

وكان رضي الله عنه من خلال منبر الجمعة يحث على الصدق والحياء ، ويحث على الاعتبار والاستعداد للقدوم على الله ، ويحذر من الغرور.

فعن أوس بن إسماعيل رحمه الله قال : سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله بسنة ، فقال: **قام فينا رسول الله ﷺ مقامي هذا عام أول، ثم بكى أبو بكر ثم قال وفي رواية : ثم ذرفت عيناه ، فلم يستطع**

١- مصنف ابن أبي شيبة ــ كتاب الصلاة . باب ما يقول في صلاة الفجر جــ١ صــ٣١٠ .

٢- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال جــ١٥ صــ٧٤٤ .

٣- المرجع السابق .

من العبرة أن يتكلم ، ثم قال: "أيها الناس: اسألوا الله العافية ، فإنه لم يعط أحد خيرا من العافية بعد اليقين ، وعليكم بالصدق فإنه مع البر ، وهما في الجنة ، وإياكم والكذب ، فإنه مع الفجور ، وهما في النار ولا تقاطعوا ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، وكونوا عباد الله إخوانا[1] .

وأخذ أبو بكر أهله وبنيه بما أخذ به نفسه، وكان رضي الله عنه واسع النظر وهو يوجه الناس في كل مسائل الحياة . نصح الأزواج والزوجات ، والأولاد والبنات ، وكافة أفراد المجتمع .

وكان رضي الله عنه يوصى الجيوش وهى تتحرك إلى غير المسلمين أن يعيشوا بأخلاق الإسلام ويفصلها لهم.

أخرج البيهقى وابن عساكر بن سعيد من المسيب أن أبا بكر قال لخالد بن الوليد وهو يوجهه للغزو : **تألف الناس وادعهم إلى الله عز وجل ، فإن أجابوا فبها وإلا فخذ منهم الجزية ، فإن امتنعوا عن ذلك قاتلهم .**

وأمره أن لا يكره أحدا على المسير معه ، ولا يستعين بمن ارتد عن الإسلام ، وإن احتاجه عاد إليه .

وأمره أن يستصحب معه كل امرئ مر به من المسلمين[2] .

فنراه رضي الله عنه يعرف جنوده طرق التعامل مع غيرهم، وكيف يعرفونهم بالإسلام، ويدعونهم إليه.

وكان أبو بكر رضي الله عنه زاهدا في الحياة الدنيا ، شديد الخوف من الله تعالى أخرج ابن أبى شيبة ، والبيهقي عن الضحاك قال: **رأى أبو بكر الصديق** رضي الله عنه **طيرا واقفا على شجرة فقال: طوبى لك يا طير! والله لوددت أني كنت مثلك ، تقع على الشجر، وتأكل من الثمر، ثم تطير ولس عليك حساب ولا عذاب! والله لوددت أني كنت شجرة إلى جانب الطريق مر على جمل فأخذني ،**

١- مسند أحمد في الزهد . باب زهد أبى بكر الصديق عليه السلام جـ٦ صـ١١٢ .

٢- تاريخ ابن عساكر في ترجمة عبد الرحمن بن عائذ جـ٣٤ صـ٤٥٠ .

فأدخلني فاه ، فلاكني ثم ازدرني ، ثم أخرجني بعرا ولم أك بشرا[1] **.**

ولذلك رغب رضي الله عنه أن يخرج من الدنيا نقيا طاهرا، مستعدا للحساب والسؤال ، فعن أبي بكر بن حفص بن عمر قال: **جاءت عائشة رضي الله عنها إلى أبي بكر** رضي الله عنه **وهو يعالج ما يعالج الميت ونفسه في صدره ،فتمثلت هذا البيت :**

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فنظر إليها كالغضبان ثم قال: **ليس كذلك يا أم المؤمنين! ولكن تذكرى قول الله تعالى : ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾**[2] **، إني قد كنت نحلتك حائطا ، وإن في نفسي منه شيئا، فرديه إلى الميراث .**

قالت: **نعم ، فرددته .**

فقال رضي الله عنه: **أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم دينارا ولا درهما ، ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي وهذا البعير الناضح ، وجرد هذه القطيفة ، فإذا مت فابعثي بهن إلى عمر وابرئي منهن، ففعلت .**

فلما جاء رسول عائشة بهذه الأشياء إلى عمر بكى حتى جعلت دموعه تسيل في الأرض ويقول: **رحم الله أبا بكر، أتعب من بعده !! رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده !!**

فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : **سبحان الله ، تسلب عيال أبى بكر عبدا حبشيا وبعيرا ناضحا وجرد قطيفة ثمنه خمسة دراهم ؟!**

قال عمر: **فما تأمر ؟**

قال عبد الرحمن: **تردهن على عياله**

١- مصنف ابن أبى شيبة ــ كتاب الزهد . باب كلام أبى بكر الصديق رضي الله عنه جـ٨ صـ٤٤ .

٢- سورة ق آية ١٩ .

فقال عمر: **لا والذي بعث محمدا ﷺ بالحق لا يكون هذا في ولايتي أبدا ، يخرجهن أبو بكر منهن عند الموت وأردهن " أنا " على عياله !! الموت أقرب من ذلك**[1] **.**

وقد تعلم أبو بكر رضي الله عنه من رسول الله ﷺ كيف يزهد في الدنيا، وعطائها يروى البزار عن ابن أرقم رضي الله عنه قال: **كنا مع أبي بكر رضي الله عنه فاستسقى ، فأتي بماء وعسل ، فلما وضعه على يده بكى وانتحب حتى ظننا أن به شيئا ولا نسأله عن شيء ، فلما فرغ قلنا : يا خليفة رسول الله ﷺ ما حملك على هذا البكاء ؟**

قال : **بينما أنا مع رسول الله ﷺ إذ رأيته يدفع عن نفسه شيئا ولا أرى شيئا، فقلت: يا رسول الله ما الذي أراك تدفع ولا أرى شيئا ؟**

قال ﷺ : **الدنيا تطولت لي فقلت: إليك عني .**

فقالت: **أما إنك لست بمدركي .**

قال أبو بكر: **فشق علي، وخشيت أن أكون قد خالفت أمر رسول الله ﷺ ولحقتني الدنيا**[2] **.**

هذا هو أبو بكر رضي الله عنه في قيادته لأمة الإسلام بكل إخلاص ، وصدق ، وإيمان ، وعمل ، وتوجه مطلق لله تعالى .

يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنه: **ثلاثة من قريش أصبح الناس وجوها ، وأحسنها أخلاقا ، وأثبتها حياء . إن حدثوك لم يكذبوك. أبو بكر الصديق ، وعثمان بن عفان ، وأبو عبيدة بن الجراح .**

١- صحيح البخاري – كتاب فرض الخمس جـ٥ صـ١٩٦ .

٢- أورده الهيثمي في مجمع الزوائد جـ١٠ صـ٢٥٤ ونسبة إلى البزار .

ـ ثانيا ـ

واقعية الحكم والإدارة

تميز أبو بكر رضي الله عنه في إدارة شئون الخلافة بأنه كان يتعامل مع الواقع الإجتماعى للناس من حيث فهمه له، وتخير الحكم الشرعي المناسب معه، والعمل بالأساليب الملائمة للناس، وهذا ما يعرف بالمثالية الواقعية .

وكان فهم أبى بكر للواقع ينبع من فهم النفوس قبل فهم السلوك، ومعرفة الطباع قبل معرفة الأحوال . ولذلك عده المؤرخون من رجال المواقف الصعبة الذي يحسن التصرف والتفكير في الأزمات والشدائد .

من مواقفه الدالة على فهمه للواقع، وقوته في الشدائد، وحكمته في اتخاذ القرار الملائم ما حدث منه يوم وفاة النبي ﷺ حيث أدرك الواقع، وتعامل معه بحكمة ودقة .

إن إدراك أبي بكر رضي الله عنه لما وراء ذلك الحدث من الأمور العظام، وتصوره المستوعب للموقف من جوانبه المختلفة، وتوقعاته لردود الفعل المترتبة على وفاة الرسول ﷺ، كل ذلك جدير بأن يوهن قوة أعظم الرجال شجاعة، ويعقد لسان أعظم الرجال فصاحة، ولو أن أبا بكر تعرض لشيء من ذلك ما كان ملوما، ولكن شيئا من ذلك لم يكن .

لم يضعف الحادث الجلل من عزم أبي بكر رضي الله عنه، ولم يعقد موت رسول الله ﷺ لسانه عن أن يجلي للناس حقيقة الأمر، وسيطر أبو بكر على الموقف برباطة جأش، وصرامة رأى، وفكر، وحزم، وكانت خطبته إشارة قوية إلى أمر عظيم سيجتاح الجزيرة، وخطب جسيم سيلم بالمسلمين شاؤوا أم أبوا وتهيئة النفوس المؤمنة للثبات على الإيمان .

إن كلمة الصديق ما زالت ماثلة في أذهان المؤمنين تؤكد هذا المعنى.

وبعد وفاة رسول الله ﷺ كان لأبى بكر رضي الله عنه موقفه من الردة الذي خالف فيه سائر الصحابة .

وحاول المسلمون أن يثنوه عما عزم عليه من قتالهم وتجييش المسلمين لردعهم، ولكن هيهات، فقد كان ـ ﷺ ـ أمة وحدة ، وكان يرى ببصيرة المؤمن ما لم يره غيره من المؤمنين، ووجد المسلمون الذين أذهلتهم الردة في عمر بن الخطاب خير نصير، فدفعوه ليرد أبا بكر عن عزمه حتى لا يقضي على البقية الباقية من المسلمين ، لأنهم رأوا أنه لا قبل لهم بحرب العرب جميعا، ولا سبيل إلى النجاة إلا المهادنة، وليرتد من يرتد، وليمنع الزكاة من شاء منهم، فما داموا هم يعبدون الله فلا بأس عليهم ، والزمن كفيل بعودة المرتدين إلى الحق ، بعدما يتبين الصواب ، وتتفرغ لهم قوة الخلافة[١] .

وفطن أبو بكر لما يراد بالإسلام فقال كلمته المشهورة : **أو ينقص الدين وأنا حي ؟** وقد رأى ﷺ أن السكوت على الردة سيؤدى إلى تضخمها ، واتساع أمرهما وستجد من عرب الشمال ، والأعراب في البوادى والفرس والروم ما يقويها ويدعمها .

وجاء عمر يجادل أبا بكر في أمر مانعى الزكاة لعل الخليفة يسكت عنهم حتى ينتهوا من المرتدين الذين عادوا إلى الجاهلية، ولكن أبا بكر كان أقوى حجة ، وأوضح برهانا فحاج عمر، وكأنه رأى في عمر الجبار وهنا فصارحه بالحقيقة وقال له : **حتى أنت يا عمر ... أجبار في الجاهلية ...؟ خوار في الإسلام ؟...! والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه ، ولأقاتلنهم وحدي ما استمسك السيف بيدي**[٢] .

كان ذلك الإصرار من الخليفة دليلا على أنه يرى ما لا يراه غيره ، وبرهانا على اقتناعه بأحقية موقفه ، وكانت تلك الكلمات من أبي بكر أوضح ، وتيقن عمر أن سبيل أبى بكر أوثق فاقتنع به ، ورجع عن رأيه ، وشرح الله صدره للإسلام ، يقول عمر ﷺ : **فو الله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر**

١- جولة تاريخية في عصر الخلفاء صـ٤٥ .

٢- مشكاة المصابيح ــ كتاب المناقب . باب مناقب أبى بكر .

أبي بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق [١] .

وكما حاول المسلمون منعه من محاربة ما نعي الزكاة والمرتدين حـاولوا كذلك منعه من إنفاذ جيش أسامة ، ولكن كل المحاولات رفضها أبـو بكـر ، حيث لم ير فيها الخليفة إلا وهنا لا يليق بالمسلمين، وخوارا لا يتناسـب مـع مكانتهم، فأراد أن يقطع كل سبب يتعللون به ، وأن يغلق الباب فلا يفتح أبـدا فقال : **والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تختطفني لأنفذت بعـث أسامة كما أمر رسول الله ﷺ ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته** [٢] .

وكان رضي الله عنه ينصح أصحابه وولاته ، ويوصيهم بأهمية مراعاه الواقع حين التطبيق.

إن مراعاة الواقع ، واتخاذ القرار المناسب يساعد على التنفيذ ، ويؤدى إلى الطاعة ، ويحقق النجاح المطلوب .

وهذا يحتاج إلى بصيرة في النظر ، وبعد في التحليل ، وجرأة في القـرار والتطبيق .

كما يحتاج صاحب القرار إلى مشاورة أصحابه ، وتدبر الأمر من كافـة جوانبه ، وتخيل كافة الاحتمالات المتوقعة ليكون القرار بعد ذلك محققـا لمـا سيق له .

إن الذين عارضوا أبا بكر في قراراته مخلصون ، ولهم نظـرهم الـذي عارضوا به ... غير أن أبا بكر رضي الله عنه كان أكثرهم بعد نظر .

وفكر أبو بكر رضي الله عنه في الأمور من كل اتجاهاتها ، وتخيل كافة جوانبها . فرأى ما رأى فاقتنع به من اقتنع ... وأثبتت الأيام نجاحة رأى أبى بكر رضي الله عنه. إن الذين خالفوا أبا بكر لم يعارضوه حين العمل بل طبقوا ما أمرهم به ، لأنهم يسلمون بقيادته ، ويعلمون إخلاصه ، وهم له ناصحون فقط والقرار قراره في النهاية .

١- البداية النهاية جـ٦ صـ٣١١.
٢- الصديق أبو بكر للأستاذ هيكل صـ١٠٣، الكامل ابن الأثير ٢جـ صـ٣٣٤، الطبري جـ٣ صـ٢٢٥.

ـ ثالثا ـ

صدق الأمة مع الله تعالى

سارت الأمة في عهد أبي بكر رضي الله عنه على ما كانت عليه مع رسول الله ﷺ فالعهد برسول الله قريب ، والإيمان بالله قوى ، وحب الإسلام يملك الأفئدة والجوارح. وذلك أمر حقق سهوله الإدارة ، ونجاح التطبيق ولذلك رأينا الناس يخرجون للجهاد إذا نادى منادى الخليفة بالخروج من غير ديوان يجمعهم ، أو راتب مادى يسعون إليه .

وكانوا يلتزمون بطاعة الخليفة لأنها طاعة لله ، ولذلك لما أصر أبو بكر على قيادة أسامة بن زيد رضي الله عنه أطاعه شيوخ الصحابة ومشاهيرهم وساروا جنودا تحت إمرة أسامة .

ـ رابعا ـ

وحدة المؤثرات الدعوية

يعيش الإنسان وسط عدد من المؤثرات، فهو يرث من والديه الشكل ، والذكاء ، والمزاج ، ويستزيد بعد ذلك من البيت ،والمدرسة ، والأقران ، وأجهزة التوجيه ، وألوان النشاط في المجتمع كالنادى ، والرحلات ، والأعمال التطوعية التي يحتاجها الناس .

والواجب أن تتعاون كل هذه المؤثرات في خط واحد لتحقيق هدف واحد مقصود ومشروع .

وقد راعى الإسلام الحنيف هذه الحقائق فوضع لها نظما تحدد مسارها وفق شرع الله تعالى .

فهناك نظام للأسرة ينظم الحقوق، ويحدد الواجبات ويرسم طريقها في الحياة ، وهناك آداب إسلامية لكل نشاط اجتماعي في المدرسة ، وفي الشارع وفي سائر مؤسسات المجتمع ، وأجهزة التوجيه والتثقيف .

لقد وضعت الشرعية الإسلامية الضوابط الأخلاقية والعملية التي تحدد المسار الصحيح لأى نشاط يقوم به الفرد ، وتنهض به الجماعة . وتحتاج إليه الأمة .

ولذلك سار المسلمون في عصور السلف على تعاليم الإسلام الحنيف ، فأخرجوا أمة تعيش الحرية ، والعدل ، والمساواة كما هي في دين الله وشريعته وتعمل للخير ، وتقوم بالبلاغ ، وتخلص القصد لدين الله تعالى .

وسار أبو بكر رضي الله عنه على خطى رسول الله ﷺ وسار المجتمع كله في خط واحد يعيش لله ، ويعمل له ، ويموت في سبيله متمثلا بصدق قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) ﴾[١] .

لقد نجح أبو بكر رضي الله عنه في خلافته ، وحقق للأمة انتصارات عدة ، وترك للمسلمين دروسا وعبرا عساهم يتخذونها أسوه ليعيشوا الدين علما وعملا ، ويروا الدعوة فكرا وانتشارا ويحققوا النصر جهادا وفوزا .

ليس هناك أمر مستحيل ، إلا أنه يحتاج إلى الإيمان القوى ، والإرادة الصادقة ، والإخلاص في العمل ، والتوجه الجاد لله رب العالمين .

ولعل توجه كافة المؤثرات في مجتمع أبى بكر نحو الله تعالى يفسر لنا سر نجاح هذا المجتمع ، ويبين أسباب ضياع المسلمين في العصر الحديث لتنوع المؤثرات وتعارضها ، فهذه تبنى ، وتلك تهدم ، وهذا يرفع ، وذلك يخفض ، وللمرء أن يقارن بين دور المسجد المعاصر ، وبين دور السينما ومثيرات الإعلام .

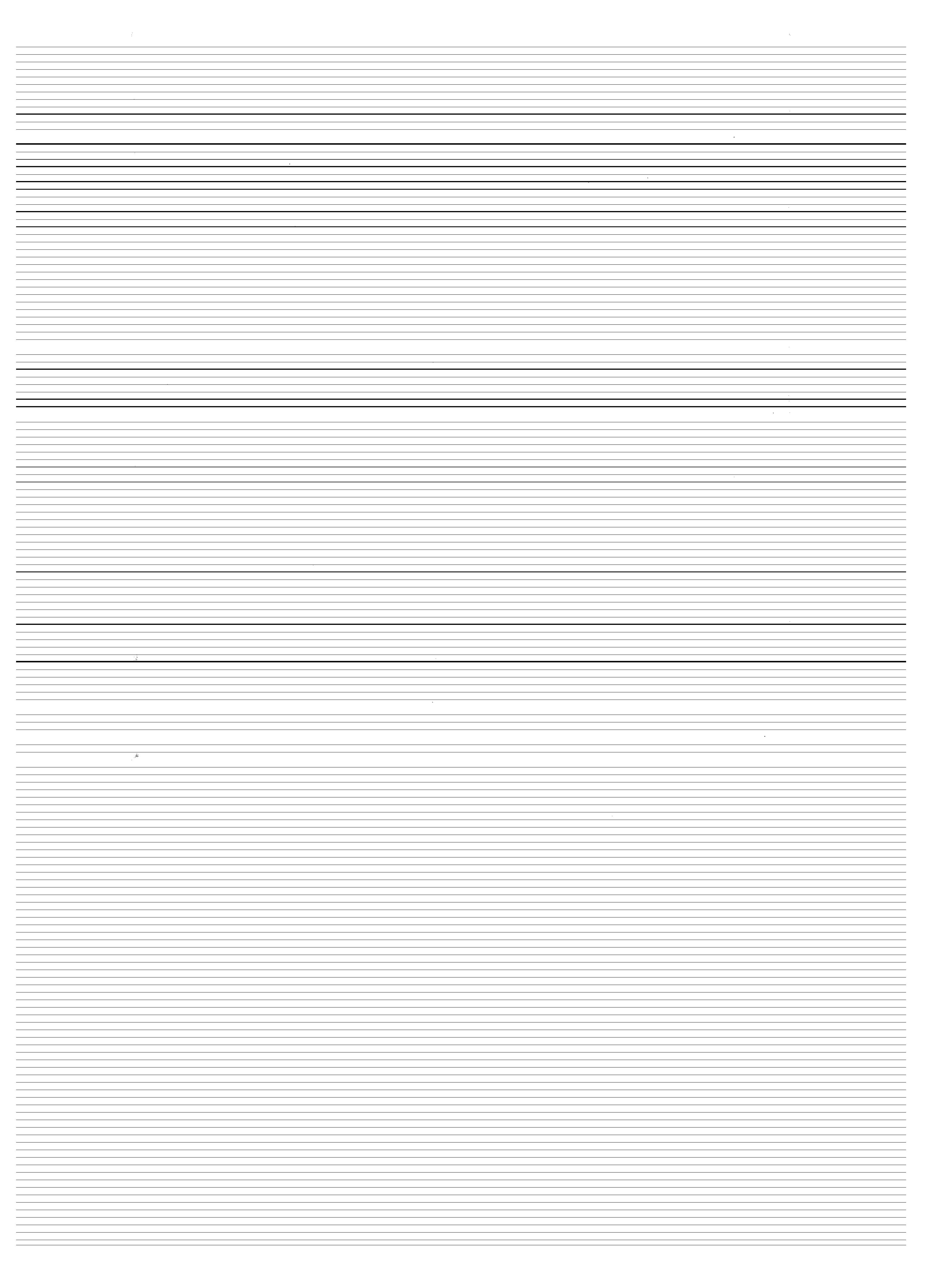
وله أن يتعجب من بعد النشاط العام عن منهجية الإسلام وتعاليمه ...!!

وله أن يتأمل في الهوة السحيقة بين الواقع وحقيقة الإسلام ...!!

١- سورة الأنعام آية ١٦٢ .

الفصل السادس

بعث أسامة رضي الله عنه



تمهيـــد :

استمرت خلافة أبى بكر رضي الله عنه أقل من ثلاث سنوات امـــتلأت بالنـــشاط ، والعمل ، والحركة .

وجد المسلمون أنفسهم بعد وفاة رسول الله ﷺ أنهم أمام موقف يحتاج إلى مواصلة الجهاد ، وبذل كل الطاقة في سبيل الله حتى لا ينقلب الحال، وتمتلىء الأرض بالضلال بعد أن شع فيها نور الإسلام.

رأى أبو بكر رضي الله عنه والصحابة معه أن أحوال المسلمين في الجزيرة العربية قد تغيرت بعد وفاة رسول الله ﷺ فلقد انتشرت الردة بينهم، فمن العرب من تنبأ ومنهم من أعلن رفضه دفع الزكاة لأبى بكر . وبدأت موجات من التمرد على تعاليم الإسلام تنتشر بين قبائل العرب بدوافع عنصرية ، وقبلية ، وشخصية .

ورأى أبو بكر رضي الله عنه أن الفرس والروم أخذت تعمل لمحاربـــة المـــسلمين والقضاء على دينهم قبيل وفاة رسول الله ﷺ فكان أن سير الرســـول ﷺ جنـــد المسلمين إلى مؤته، وتبوك لردع الروم وأشياعهم، كما أن الفـــرس حـــاولوا استعداء جنودهم في اليمن . ضد المسلمين في الجزيرة العربية .

وكان على أبى بكر رضي الله عنه أن يتحرك لتأمين الإسلام فـــي عقـــر داره، وأن يتحرك لتأمين حدود الدولة الإسلامية ، وأن يتحرك لتأمين حريـــة النـــاس ، وضمان حقهم في الاختيار والحركة .

إن حركة الردة وجدت من داخل المجتمع، وعدوانية الفرس والروم جاءت من خارجه ، وتسلط الطغاة سادت الأمصار كلها ، وكان على أبـــى بكـــر أن يتصدى لهذه الجبهات وهو يعمل لخدمة الإسلام، وصيانة حقوق الناس .

لقد وفق الله أبا بكر رضي الله عنه في تأمين مستقر الخلافة ، وضمان سيرها بعـــد أن اختارته الأمة ليتولى شئونها ووثقت في عمله . وقوله ، وإيمانه وصدقه مع الله تعالى .

وكان عليه أن يقرر ما يرى في الموضوعات الأخرى التي يعيشها المسلمون في قلب الجزيرة وأطرافها ، وعلى رأس هذه الموضوعات بعث أسامة .

وفى هذا الفصل سأتناول موضوع بعث أسامة رضي الله عنه في عدة مباحث هي :

المبحث الأول : الأحوال العامة ودورها في بعث أسامة .

المبحث الثاني : موقف أبى بكر والصحابة من بعث أسامة بعد وفاة رسول الله ﷺ

المبحث الثالث : النتائج المباشرة لبعث أسامة .

المبحث الرابع : ركائز الدعوة في إنفاذ جيش أسامة .

والله الموفق ...

المبحث الأول

الأحـــوال العامـــة

ودورهـــا فى بعث أسامـــة

قبل مرض رسول الله ﷺ الأخير ندب المسلمين لغزو الروم في آخر شهر صفر ، وولى على الجيش أسامة بن زيد الشاب الذي لم يبلغ العشرين بعـد ، ووصل عدد الذين تجهزوا مع أسامة سبعمائة صحابى فيهم كبـار الـصحابة كأبى بكر وعمر ..وغيرهم.

وحين نتأمل في الأحوال والظروف التي قضت بتجييش بعث أسامة نجـد أهمية هذا البعث وضرورته.

كان الرومان يجاورون العرب ، وكانوا يسيطرون على ولاياتهم في شمال الجزيرة ، وقد بعث النبي ﷺ الرسل والرسائل إلى قيصر الروم، والى سائر الولايات الرومانية فبعضهم رَّد ردًّا حسنا ، وبعضهم رد ردا سيئا ، وأصـبح الأمر يحتاج إلى عمل يعيد الهيبة للمسلمين ويؤكدها بعد وفاة رسول الله ﷺ ، ليلتزم كل طرف بحق الآخر، ولا يفكّر في العدوان عليه ، ولا ينكر ما للناس من حقوق .

تأمل رسول الله ﷺ في أحوال الرومان فوجدهم وأشياعهم يعتمدون علـى قوتهم للقهر والغلبة ، ورآهم ينزلون القيصر منزله إلههـم ، ورأى خنوعـا وضعفا لدى العامة من الناس .

وكانت نظرة الرومان إلى العرب تقوم على الاستهانة والتحقير، واعتبارهم مجموعة من البدو لا قيمة لهم، ولذلك كبر عليهم أن تأتيهم دعوة مـن قبـل العرب ، تغير مسارهم ، وتسوى بين عامتهـم ، وخاصتهـم وتمنـع الظلـم

والعدوان ، وتعمل لإدخال العالم كله في الإسلام دين هؤلاء الأعراب .

أخذ الرومان في إرهاب المسلمين وجمعوا جيوشا ضخمة ، وعسكروها على حدود الجزيرة العربية الشمالية ، وتحول الأمر إلى مظاهرة عسكرية حاول الرومان بها إرهاب المسلمين، وإشاعة الإحساس بضعف المسلمين بين الناس .

وقف النبي ﷺ على نظرة الروم ورأى أن العرب يهابونهم لقوتهم وجندهم فعمل على إضعاف هذه الهيبة في نفوس الناس ، وإظهار قوة المسلمين ، فأرسل في العام الثامن الهجرى جيشا مؤلفا من ثلاثة آلاف مقاتل، وأرسلهم إلى مؤتة ، وقد عاد الجيش إلى المدينة بعد أن استشهد قواده الثلاثة زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم ، وعاد الجيش إلى المدينة بعد أن أدخل الرعب في قلوب الروم وأشياعهم.

حاول الرومان وأشياعهم بعد لقاء مؤتة أن يعيدوا ما فقدوه فيها ، فكان أن أرسل النبي ﷺ جيشا إسلاميا قاده بنفسه ﷺ ووصل الجيش إلى " تبوك " وعسكر بها عشرين ليلة لم يلق فيها أحدا من الرومان ، أو من أشياعهم من العرب. ووافق الأعراب على دفع الجزية، إلا أنهم عادوا بعد "تبوك" إلى سيرتهم الأولى في صد الناس عن دين الله، وإشاعة الظلم، وإظهار قوتهم أمام ضعف المسلمين كما يتصورون.

وقضت حكمة الله تعالى أن يندب الرسول ﷺ المسلمين بالاستعداد لغزو الروم قبل مرضه الأخير، وأن يتم تجهيز الجيش، وأن يعسكر المسلمون بقيادة "أسامة بن زيد" قبل وفاة رسول الله ﷺ بيومين في "الجرف" إحدى ضواحى المدينة .

حين يتضح هذا الواقع ندرك أهمية بعث أسامة، وضرورته لهدم هيبة الروم من القلوب ، وإشاعة العزة الإسلامية بين الناس ، لأن ذلك يفتح العقول للتفكير ، ويحقق الحرية للدعاة، ويمنع الظلم والعدوان .

هذا عن البعث في حد ذاته .

أما عن اختيار أسامه لقيادة جيــش فيه كبار الصحابة فقد أثمر عددا من الفوائد والعبر ، فقد أفاد .

ــ أولا ــ

ضرورة طاعة القائد الأعلى فيما يأمر به ، لأنه يبنى قراره على مرئيات قد لا يدركها غيره ، وله أن يوضح مرئيات أو يتركها .

إن على القائد أن يتفرس أحوال الناس ويستشير أصحابه من أهــل الحــل والعقد ، وبعد ذلك يحدد قراره، وعلى الناس طاعته ما دام لا يأمر بمعــصية ومن هنا كانت طاعة الصحابة رضوان الله عليهم لرسول الله ﷺ فأشــتركوا في الجيش راضين بقيادة أسامة بن زيد رضي الله عنهما .

وهو ــ ثانيا ــ

أفاد أهمية دور الشباب في بناء المجتمع وخدمــة الإســلام. والاســتعانة بطاقاتهم، وحركتهم فيما يفيد المجتمع والدين.. وليس من الإنصاف أن يتــرك الشباب في فراغ يقتل إمكاناتهم ، ويعطل طاقتهم.

إن الإسلام اهتم بالشباب ، ووجههم إلى ضرورة الاستفادة بما يتمتعون به من نشاط وقوة.

لقد اختار الله تعالى من الشباب رسلا حيث يقول الله تعالى عن يحيى عليه السلام : ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾[١] ويمدح أصحاب الكهف على إيمانهم وهم شباب حيث يقول الله تعالى ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾[٢] .

وكان للشباب دور حيوى في الغزوات ، والسرايا ، والعمل فــي خدمــة المجتمع والناس .

١- سورة مريم آية ١٢ .
٢- سورة الكهف آية ١٣ .

وحتى يستمر هذا الدور للشباب وضع رسول الله أسامة على رأس الجيش الذاهب إلى الروم ، وفيه كبار الصحابة لتعلم الأمة ، ويعلم الشباب ضـــرورة الاستفادة بما عند الشباب من طاقة وإمكانيات .

وهو ــ ثالثا ــ

يقدم درسا في معالجة النفوس البشرية وفق أعمال مشروعة، فلقد استشهد زيد بن ثابت رضي الله عنه والد أسامة رضي الله عنه على يد الروم في غزوة مؤتـــة ، وتلـــك ذكريات لا تضيع من عقل أسامة وعواطفه، فأراد ﷺ أن يستفيد بمـــا عنـــد أسامة من توجه نفسي ، وشحنة عاطفية فعينه قائدا لهذا البعث، وقال له: **ســـر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش**[١] .

وبهذه الولاية أرضى رسول الله أسامة ، واستفاد بحكمته القيادية ، وإدارته الحسنة .

يقول ﷺ : **بعد أن طعن البعض في إمارة أسامة : إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل ، واسم الله إن كان لحليفا بالإمارة ، وإن كان لمن أحب الناس إلي ، وإن هذا لمن أحب الناس إلَّي بعده**[٢] .

لقد أراد النبي ﷺ ببعث أسامة أن يعرف الناس جميعا ، والروم والعـــرب على الخصوص أن المسلمين أقوياء ، وعلى غير المسلم أن لا ينخدع بأكاذيب الروم ، وأراجيف أعداء الإسلام .

وأراد ﷺ أن يترك للناس درسا ، على طول الزمن ، وهو أن التكريم في الإسلام للتقوى والكفاءة ، وحسن العمل لا فرق في ذلك بين صغير وكبير ، أو رجل وامرأة .

١- فتح الباري جــ٨ صــ١٥٢ .

٢- صحيح البخاري ــ كتاب المغاري . باب بعث اسامة جــ٧ صــ١٠٨ .

المبحث الثاني

موقف المسلمين من بعث أسامه

بعد وفاة رسول الله ﷺ

بعد تمام تجهيز جيش أسامة خيم في منطقة " الجرف " بجـوار المدينـة المنورة منتظرا أوامر التحرك إلى تخوم الولايات الرومانية.وبعد ذلك بيومين توفى رسول الله ﷺ :

أقام الجيش "بالجرف" وتوالت الأحداث بعد ذلك،حيث ارتد أهل الجزيـرة جميعا، ولم يبق على الإسلام إلا أهل مكة والمدينة، والطائف، وشعر من بقى على الإسلام بخطورة الأمر، وصعوبة المسار.

استقر الجيش في مكمنه، وانتظر رجاله ما يئول الأمر إليـه، حيـث رأى أغلب الصحابة عدم إنفاذ الجيش إلى بلاد الروم في هذا الظرف العـصيب ، وعلى رأسهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذى أرسله أسامة إلى أبى بكر ليستطلع رأيه، ويتشاور معه، ويمد الجيش بأمر خليفة رسول الله الأخير.

وقد اعتمد الصحابة في رأيهم عدم إنفاذ جيش أسامة على بعض المعطيات التي تصوروا أهميتها. وهى.

أولا : تغيير قيادة الأمة

رأى بعض الصحابة أن بعث أسامة تم تجهيزه بتكليف من رسول الله ﷺ لمصلحة رآها الرسول في حينه ، وبوفاته ﷺ وتولية أبى بكر رضي الله عنه تغيـرت القيادة ، فرأى الصحابة إمكانية إيقاف بعث أسامة حـسب مرئيـات الإدارة الجديدة.

ثانيا : تغير الظروف

رأى الصحابة أن الظروف قد تغيرت بعد وفاة رسول الله حيث ارتد العرب

ونشط المنافقون ضد الإسلام ، وأكثر الرومان من تحركاتهم . وعلى أساس هذا التغيير رأى الصحابة عدم إرسال جيش أسامة ليبقى الرجال في حراسة المدينة خوفا من استيلاء المرتدين عليها ...

وأيضا فإن تحرك الجيش إلى تخوم الروم محاط بالمشاق ، حيث يخاف عليه كبار الصحابة من غدر المرتدين ، وتآمرهم ، والإغارة عليهم أثناء تحركهم ، وبخاصة أن القبائل المتناثرة على الطريق أعلنت ردتها.

تصف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الحالة العامة التي كان عليها المسلمون في المدينة فتقول " **لما قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب قاطبة واشرأب النفاق ... فوالله لقد نزل بى ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها وصار أصحاب محمد كأنهم معزى مطيرة في حش، في ليلة مطيرة بأرض مسبعة** "[١] .

تصور رضي الله عنها حاله الضعف والحيرة التي عاشها الصحابة كما تصور مكالبة القوى المعادية للإسلام للقضاء عليه منتهزين فرصة ارتداد العرب.والتى كانت أحد الأسباب في موقف الصحابة من جيش أسامة رضي الله عنه .

ثالثا : تغير العلاقات الدولية

كلف النبي ﷺ أصحابه بالاشتراك في جيش أسامة في وقت يشعر الجميع فيه بقوة المسلمين ، وهيبتهم ، وشدة طاقتهم ، وهذه أحاسيس لها دورها في صنع علاقات معينة مع القوى الخارجية، فلما تغيرت الأمور بعد وفاة رسول الله ﷺ انقلبت حالة السلم إلى حالة الحرب والتوجس . وهنا رأى الصحابة ضرورة التعامل مع الواقع الجديد بما يناسبه ، لأن القوى المختلفة تبنى سياساتها على الواقع الذي تعيشه، وتتحرك فيه .

١- البداية والنهاية جـ٦ صـ ٣٤٤ . واشرأب معناها ظهر وارتفع ، والحش البستان، ومسبعة أي مليئة بالسباع التي تتربص بالغنم لتأكلها.

رابعا : موقف الأعراب حول المدينة

رأى الصحابة أن العرب جميعا قد ارتدوا ، وأن الأعراب حول المدينة يتجمعون لمهاجمتها ، والاستيلاء عليها ، والقضاء على الخلافة ، ولذلك طالبوا بإلغاء بعث أسامة ليبقى الرجال في المدينة لحمايتها من أعدائها المتربصين بها.

****

كانت هذه أهم الأسباب التي اعتمد عليها الصحابة في رأيهم إيقاف بعث أسامة ﷺ ولذلك حاولوا إثناء أبى بكر وتنفيذ ما يطلبون، وإيقاف حملة أسامة إلى الشام، ومن هذه المحاولات :

- أرسل أسامة أحد جنوده وهو عمر بن الخطاب ليقنع الخليفة بعودة الجيش إلى المدينة ، فجاء عمر إلى أبى بكر وقال له: **إن معى وجوه الناس وجلهم ، ولا آمن على خليفة رسول الله ﷺ وحرم رسول الله والمسلمين أن يتخطفهم المشركون**[1].
- جاء بعض الصحابة إلى أبى بكر وقالوا له: **إن هؤلاء جل المسلمين ، والعرب على ما ترى قد انتفضت بك فليس ينبغى لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين**[2] .
- تكون رأى عام في المدينة المنورة ينادى بإيقاف حملة الشام بقيادة أسامة ﷺ ليبقى الرجال حراسا في حرم رسول الله ﷺ .

أصر أبو بكر على رأيه في ضرورة إنفاذ جيش أسامة، وأمام مواقف الصحابة في المدينة دعاهم للتشاور معهم ، يسمعهم ويسمعونه، فلما اجتمعوا وتناقشوا ظهرت قوة المعارضة. لموقف أبى بكر ﷺ ، وكان على رأس المعارضين عمر ابن الخطاب ﷺ .

١- الكامل لابن الاثير جـ٢ صـ٢٢٦.

٢- البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٤٤.

أنهى أبو بكر الاجتماع بلا قرار معين ، ليهيء للجميع فرصة التحليل ، والمراجعة ، والنظر في المسألة من كافة جوانبها بعد أن سمعوا سائر وجهات النظر .

ثم دعا المسلمين إلى اجتماع عام في المسجد ،وبين لهم أن بعث أسـامة مشروع وضعه رسول الله ﷺ ولا ينبغى إلغاؤه ، وبين لهم ذلك بحسم وقـوة قائلا:

والذى نفس أبى بكر بيده، لو ظننت أن السباع تختطفنى لأنفـذت بعـث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ ولو لم يكن في القرى. غيرى لأنفذته[١] .

إن موقف أبى بكر رضي الله عنه نابع من صدقه مع الله ، ومع رسوله فهو متبـع لا مبتدع ، مؤمن بنصر الله تعالى ، مجتهد في تصوراته ورؤاه .

وفى رأيى أن تقدير الموقف العسكرى كان عاملا مهما في قرار أبى بكر رضي الله عنه فلقد رأى أن قبائل العرب تتحفز، والروم من خلفهم مستعدون ، ولذلك اختار المواجهة السهلة السريعة في بعث أسامة ليحدث بها خللا في قبائل العرب، ويمنع الروم من التدخل فى ردة العرب .

وليس غريبا أن يتصور أبو بكر رضي الله عنه هذه الخطـة ولا يفـصح عنهـا لأصحابه ، فلقد تعلم من رسول الله ﷺ أهمية التعامل مع الموقف، واختيـار الخطة الملائمة كما حدث في بدر، والأحزاب .وفى سائر الغزوات والسرايا ... أما السر في عدم إفصاحه عن رؤيته فلعلمه أن السر في هذا أفـضل لكثـرة الأعداء ، وظهور النفاق ، وحتى لا يعلم الأعداء خبايا التحـرك الإسـلامى وبخاصة أن الأعداء كانوا محيطين بالمدينة .

ومن عوامل قرار أبى بكر ثقته في نصر الله للمؤمنين، فهم على الجـادة يسيرون، وبتعاليم الله يتمسكون ، وعلى حب الله ورسوله يعيـشون ، وتلـك أمور ينصر الله بها أصحابها .

١- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ ٢٢٦ .

وأخيرا : فهو إلهام من الله لأبى بكر ظهرت فائدته بعد ذلك .

وبعد إصرار أبى بكر على بعث أسامه طلبت الأنصار أن يستبدل بأسامة رضي الله عنه رجلا أسن منه ، واختاروا لعرض طلبهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فذهب عمر إلى أبى بكر وقال له : **إن الأنصار تطلب رجلا أقدم سنا من أسامة** رضي الله عنه . فنهض أبو بكر واقفا وكان جالسا، وأخذ بلحية عمر وقال له : **ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب ...!! استعمله رسول الله ، وتأمرنى أن أنزعه .**
فخرج عمر من عند أبى بكر أسيفا، **فقال له الناس: ما صنعت ؟**
فقال لهم : **ثكلتكم أمهاتكم، مالقيت من خليفة رسول الله ﷺ**[1] .

ومن عجائب الأمور أن عمر هو الذى تصدى للمعارضة نيابة عن الصحابة فى عدد من المواقف ... مع أنه أقرب الناس إلى قلب أبى بكر رضي الله عنه والمشهور بقوته ، وشجاعته وحبه للغزو والجهاد ؟؟!!

ومع هذه المعارضة من عمر فإن أبا بكر يؤثر بقاء عمر معه يعاونه ، ويأخذ برأيه، ويستأذن أسامة فى ذلك . فيأذن له !!

ولا تفسير لذلك إلا بصفاء القلوب ، وصدق النوايا ، وإخلاص العمل لله،ولكل اجتهاده ونظرته ... فأبو بكر وعمر كلاهما يحب الله ورسوله ، ويعمل لخدمة الإسلام والمسلمين وأى اختلاف بينهما هو اجتهاد فى الطريق إلى الصواب .

وأيضا فقد عرف الصحابة أقدار بعضهم ، وقدروا مسئولية كل منهم ، ولذلك استمر تعاونهم ، وتماسكهم بعد مناقشة الأمر واتخاذ القرار .

إن الرجل الجاد يحب مشاورة الأقوياء، والاستفادة بإخلاصهم ولا يستعين بالضعفاء والمنافقين إلا ذو النفوس الخبيثة التى لا تعرف حقا ، ولا تصون مبدأ ... لأنها تتحرك بأنانية، ولا ترى إلا نفسها ... ولا تخلص لأحد سواها. ولو كان أبو بكر رضي الله عنه من هؤلاء الرجال الذين يتخذون القيادة للاستغلال

١- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٢٢٦ .

والاستعلاء ، والتكسب ، والتفرد بالخيرات لسر بإبعاد عمر عن المدينة ، ولأرسل مع أسامة كل معارض له تخلصا من معارضتهم كما يفعل الطغاة مع المعارضين .

وكل ذلك لم يحدث لأنه أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ .

تابع أبو بكر تحركه فخرج من المدينة إلى "الجرف" ليكون في وداع المجاهدين .. وليلقن الدنيا كلها درسا يبين عظمة الإسلام وهو يصنع الرجال ، ويظهر عظمة الرجال وهم يتخلقون بأخلاق الإسلام ، فها هو الخليفة يحتاج لبقاء عمر بجواره فيذهب بنفسه يستأذن أسامة فيأذن له، وقد سبق النبى ﷺ في ذلك حيث استأذن أسامة لبقاء أبى بكر قبل أن يلقى ربه .

ولا يسرع أبو بكر بالعودة بعمر. وإنما يودع الجيش سائرا على قدمه ، وأسامة يركب دابته، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبى بكر ... وهنا يقول أسامة لأبى بكر : **يا خليفة رسول الله، والله لتركبن أو لأنزلن !!**

فيقول له أبو بكر : **والله لا تنزلن ...! والله لا أركب ...! وما على أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعة ، فإن للغازى بكل خطوة يخطوها سبعمائه حسنة تكتب له ، وسبعمائه درجة ترتفع له ، وترفع عنه سبعمائه خطيئة**[1] .

ثم أخذ أبو بكر في توجيه وصاياه إلى الجيش . فقال لهم بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

يا أيها الناس: إنما أنا مثلكم ، وإنى مثلكم وإني لا أدري لعلكم ستكلفونني ما كان رسول الله ﷺ يطيق، إن الله اصطفى محمدا على العالمين ، وعصمه من الآفات، وإنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن استقمت فتابعوني ، وإن زغت فقوموني، وإن رسول الله ﷺ قبض وليس لأحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ألا وإن لي شيطانا يعتريني ، فإذا أتاني فاجتنبوني ، لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم ، وأنتم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه ، فإن

١- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٢٢٦ .

استطعتم ألا يمضى هذا الأجل إلا وأنتم في عمـل صـالح فـأفعلوا ، ولـن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في جهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكـم إلى انقطاع الأعمال ، فإن قوما نسوآ آجالهم وجعلوا أعمالهم لغيرهم فإياكـم أن تكونوا مثلهم، الجد الجد، والوحاء الوحاء ، والنجاء النجاء ، فإن وراءكم طالبا حثيثا، مره سريع، احذروا الموت واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان ، ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات[١] .

وقال لهم وهو يودعهم إلى الشام:

يا أيها الناس ! قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني :

لا تخونوا

ولا تغلوا

ولا تغدروا

ولا تمثلوا

ولا تقطعوا شجرة مثمرة

ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكله

وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له .

وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منـه شيئا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها .

وتلقون أقواما قد حلقوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العـصائب ، فأخفقوهم بالسيف خفقا .

اندفعوا باسم الله .

وأوصى الصديق أسامة رضي الله عنه أن يفعل ما أمر به النبي الكريم ﷺ قائلا: **اصنع ما أمرك به نبي الله ﷺ ، ابدأ قضاعة ثم إيت آبل[١] ولا تقصرن**

١- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٢٢٤.

في شيء من أمر رسول الله ﷺ لا تعجلن لما خلفت عن عهده [٢] .

بعد ذلك يرجع أبو بكر إلى مقر الخلافة ... ويواصل الجيش مسيره إلى تخوم الشام ، وينفذ أسامة رضي الله عنه ما أمر به رسول الله ﷺ في قوله ﷺ له : **إبدأ ببلاد قضاعة ، ثم آبل : وهى بلدات تقع ناحية فلسطين قرب " مؤتة " .**

ثم عاد أسامة بجيشه إلى المدينة بعد أربعين يوما غابها عنها بعد ما قاتل وغنم ، وانتصر وكان هذا أول النصر ، وأعظمه لتأثيره في كافة الناس .

لقد أكدت عودة جيش أسامة للمسلمين ثقتهم في نصر الله تعالى ، وأهاب الروم ، والفرس ، وزلزل أقدام المرتدين لأنهم تيقنوا أن الدائرة عليهم ، وعلمت القبائل العربية ما قام به جيش أسامة وساروا بأخباره في الجزيرة كلها.

١- آبل: منطقة في جنوب بلاد الأردن اليوم وجاء في معجم البلدان أنها تقع على بحر الروم الأبيض في آخر بلاد الحجاز وأول بلاد الشام .

٢- تاريخ الطبري جـ٣ صـ٢٢٧ .

المبحث الثالث

النتائـــج المباشـــرة

لبعث أسامة

وفق الله تعالى أبا بكر رضي الله عنه في قراره إنفاذ جيش أسامة ، الأمـــر الـــذى أدى إلى نتائج كبيرة كان لها أثرها العظيم بين المسلمين وبين غير المـــسلمين من العرب المرتدين ، أو من الفرس والروم .

ومن أهم نتائج خروج جيش أسامة ما يلى :

أولا : ثقة المسلمين فى نصر الله

رأى الصحابة فى المدينة نصر الله لهم ببعث أسامة رضي الله عنه ، ولم يحـــدث شيئا مما توقعوه، فبقيت المدينة فى حماية الله لم يهاجمها أحد مـــن الأعـــراب وسار الجيش إلى الشام لم يتعرض له أحد، وقاتل، وغـــنم ، وانتـــصر علـــى القبائل من غير أن يساعدهم الرومان أو يتحدوا جميعا فى قوة واحدة .

ولما عاد الجيش إلى المدينة المنورة بعد أربعين يوما تأكدت ثقة المسلمين فى نصر الله، وزادت هيبة المسلمين فى عقول الآخرين .

ومن عظيم قدر الله تعالى أن الروم وصلهم خبر وفاة النبى ﷺ مع قـــدوم جيش أسامة، فتعجب الروم أجمعهم وقالوا : **ما حال هـــؤلاء العـــرب يمـــوت صاحبهم ويغيرون على أرضنا**[1]...

وقالت القبائل العربية : **لو كان بالمسلمين ضعف ما تحرك هذا الجيش .**

وكان لرجوع جيش أسامة إلى المدينة فرحة غامرة عمت الجميع فخـــرج كبار المهاجرين والأنصار للقاء الجيش ، وتلقاه جميع المـــسلمين بالإعجـــاب والسرور والتقدير ، وقصد أسامة عند دخوله المدينة مسجـــد رســـول الله ﷺ

١- تاريخ ابن عساكر جـــ١ صـــ٤٣٩.

وصلى ومن معه ركعتين لله شكرا على ما انعم به عليهم من النصر والظفر[١] .

ثانيا : إضعاف الأعداء

أصاب خروج جيش أسامة المرتدين والمنافقين وأعداء الإسلام بنكسة كبيرة بعد ما دخل الرعب فى قلوبهم ، وتحول هذا الرعب عند الروم إلى عامل رئيسى من العوامل التى نصر الله بها المسلمين.

فلقد بقيت القبائل فى مساكنها، ولم تتحرك تجاه المدينة بعد ما كانوا يقصدون ذلك ، وتفرق الذين تجمعوا ، واكتفى آخرون بإعلان التمرد والاختفاء فى شعابهم وأوديتهم .

كان تمركز الأعداء فى قبائل شمال الجزيرة ، حيث وجود اليهود ، وقربهم من الرومان، لكن هؤلاء القبائل كانوا أضعف الجبهات بعد ما رأوا بعث أسامة ولذلك سهل الانتصار عليهم فى حروب الردة وفى فتوح الشام بعد ذلك .

١- الصديق صـ ١٠٧.

المبحث الرابع

ركائــز الدعــوة

فى إنفاذ جيش أسامــة

هذا عن النتائج المباشرة لحملة أسامة العسكرية أما الركائز التــى تعــيش للدعوة وتفيد الدعاة على الزمن كله فإنى أشير إليها فيما يلى :

ــ أولا ــ

ضــرورة الاتباع

جاء الإسلام بشريعة الله تعالى فى صورة نظم تــشمل كافــة المجــالات والأنشطة التى يحيا بها الإنسان ... وهى نظم كافية لتحقيــق ســعادة الــدنيا والآخرة.

وهذه النظم ثابتة فى وحى الله تعالى ، ومفصلة فــى شــروح الفقهــاء ، واستنباطاتهم للأحكام من الأدلة الشرعية . وباب الاجتهاد مفتــوح لاســتنباط أحكام لكل حدث جديد .

وقد تعلم المسلمون من رسول الله ﷺ ضرورة اتباع ما جــاءهم بــه لأن ما جاءهم به هو من عند الله العليم الخبير ، الحكيم قــضاؤه ، التــام قــدره ، ولذلك تمكنوا من التحول إلى خير أمة أخرجت للناس .

ولما ولى أبو بكر رضي الله عنه شئون الخلافة رأى أنه أمام عدد مــن القــضايا الجديدة ، فى ظروف جديدة ، وحينما استشار أبو بكر رضي الله عنه الصحابة رضوان الله عليهم فى العمل الذى يسلكه فيها أشاروا عليه بتغيير العمل الذى أمر بــه رسول الله ﷺ لتغير الظروف والأحوال . فلقد تم تجهيز جيش أسامة فى حالة من السلم ،والعرب كلهم على الإسلام والطاعة، فلما انتقل رسول الله إلى ربه

ارتد العرب جميعا، ولم يستمر على الإسلام إلا مكة والمدينة والطائف ، وتحولت حالة السلم إلى حالة حرب وقتال، وأصبح المسلمون فى المدينة فى حاجة لحراسة وحماية .

استمع أبو بكر لرأى أصحابه، وفكر فى الأمر، إلا أنه خالفهم فيما ذهبوا إليه ، وأصر على تنفيذ أمر رسول الله ﷺ ، وأقسم على إصراره على موقفه مهما كانت نتيجته، ولم يقبل أبدا أن يغير أمرا قضى رسول الله ﷺ فيه ...

وبذلك ترك للمسلمين درسا تعلمه من رسول الله ﷺ وهو ضرورة إتباعهم لأمر رسول الله، وأنه لا اجتهاد مع النص .

وقد أدى اتباع أبى بكر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ إلى تحقيق نصر كبير على أعداء الإسلام من غير قتال ، **وفوق ذلك سد باب التدخل العقلى فى النص الثابت، وبذلك كان استمرار الأحكام الثابتة بالأدلة القطعية وإن تغيرت الظروف قاعدة شرعية مطبقة ما دامت مشروعيتها متعلقة بالفعل ذاته لا بالواقع الجديد .**

إن الأحكام التي تتغير هي المستنبطة باجتهاد العلماء من تطبيقات مبادىء عامة ، وأسس كلية وحينئذ يكون التغيير في الاستنباط لا في القاعدة والأساس.

ــ ثانيا ــ

اهتمام المسلم بالشأن العام

الإنسان مطلقا لا يعيش وحده، وإنما يحيا وسط مجموعة من الناس ، يستفيد من كل منهم ، ويفيد كلا واحد منهم، ولذلك أدى الاجتماع البشرى إلى وجود مصالح شخصية ، ومصالح عامة ... وقد وضع الإسلام نظامه لتحقيق المصلحة كلها سواء كانت فردية أو جماعية .

إن الإنسان المسلم يدرك أن مصلحته الفردية تتم بتحقيق المصلحة العامة حيث لا معارضة بينهما، بل كل منهما في خدمة الأخر لا يتم إلا به ...

إن اهتمام الفرد بذاته وإهمال مصلحة الجماعة أنانية لا يرضاها ديـــن الله تعالى .

كما أن إهمال مصلحة الفرد من أجل الجماعة هدم للمجتمع كله، لأن الفرد هو عنوان الجماعة، وعنصرها الأساسى ، وصلاحه أو فساده ينعكس علـــى المجتمع كله .

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم مع خلافة أبى بكر رضي الله عنه يـــسيرون على ما تركهم عليه رسول الله ﷺ من ضرورة تماسك الجماعة، والعمل على تحقيق الصالح العام الذي يستفيد منه الجميع. والاهتمام بالشأن العام الذي يحقق للأمة حضارتها، وللمجتمع تقدمه ورقيه.

كان كل اهتمام أبى بكر رضي الله عنه أن يبقى الإسلام ، وينتصر علـــى أعدائـــه الذين تكالبوا عليه، ولذلك أصر على إرسال جيش أسامة رضي الله عنه ، وفى نفـــس الوقت لم يقصر في حراسة المدينة، وكان أصحابه معه رضـــوان الله علـــيهم يخلصون لدينهم وأمتهم .

حذر أبو بكر رضي الله عنه المسلمين من أى تقصير ، وأيقظ فـــيهم روح العمـــل الجماعى لخدمة الجماعة، فأطاعوه لعلمهم بصدقه وإخلاصه .

أمرهم رضي الله عنه بالمبيت في المسجد ومعهم أسلحتهم حتى يكونوا مـــستعدين لرد من يغير عليهم فأطاعوه .

وأمر النسوة باليقظة حتى لا يفاجئهم عدو مغير فالتزموا بذلك .

وأخذ يرسل الرسائل والرسل إلى القبائل حول المدينـــة يـــذكر بالإســـلام وضرورة العمل لحمايته والدفاع عنه ، وتطبيق تعاليمه على أنفسهـــم وعلـــى سائر معاملاتهم .

وتمكن رضي الله عنه من صيانة المجتمع ، وحمايته من أى خطر أو تهديد .

ـ ثالثا ـ

إبراز دور الشباب في المجتمع

قاد أسامة رضي الله عنه الجيش وعمره لم يبلغ العشرين بعد وفى الجيش كبار الصحابة وشيوخهم. ولما طلب بعض الصحابة من أبى بكر رضي الله عنه أن يعين على الجيش رجلا مسنا أبى ، وأصر على إنفاذ ما أمر به رسول الله ﷺ ... ولما رغب في إبقاء عمر رضي الله عنه معه في المدينة استأذن وهو الخليفة أسامة الشاب في ذلك فأذن له .

ولما بدأ الجيش في التحرك نحو بلاد الشام ذهب رضي الله عنه لوداعه سائرا على قدمه وأسامة راكب .

وفى ذلك تقدير لدور الشباب ، وإظهار أهميته في حركة المجتمع والناس .

إن الإسلام يرى في الشباب قوة الحياة وفترة النشاط في الإنسان . إذ يعيش الإنسان فترة الشباب بعد ضعف الطفولة، وقبل ضعف الشيخوخة ...

ولذلك عد الاهتمام بالشباب اهتماما بحيوية المجتمع ، وتجديدا للنشاط والحركة بين الناس .

إن الإسلام يضع منهجه لتربية الشباب بوسائل متعددة حيث يلزم الآباء بتحسين البيئة التي ينشأون فيها أسريا واجتماعيا، ويكلفهم بتعليمهم الخلق الحسن، والسلوك القويم بالأسوة، والتبصرة ، والمكافأة ، ويأمرهم بتعويد الأبناء منذ الصغر على العبادة ومعرفة حقوق الله ...

وفى مجال تربية الشباب نجد القرآن الكريم يمدح عظماء الشباب من الأنبياء والصالحين حيث يقول الله تعالى :

﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢ ﴾[1] .

١- سورة مريم آية ١٢ .

ويقول سبحانه :

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [1].

ويبشر النبى ﷺ الشباب الصالح بمكانتهم عند الله تعالى حيث يظلهـم الله يوم القيامة بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله . ويبين النبى ﷺ أن الشاب الذي ينشأ في عبادة الله تعالى أحد المستظلين بظل العرش فيقول ﷺ : **وشاب نشأ في عبادة الله تعالى**[2] .

ــ رابعا ــ

وضوح إنسانية الجهاد الإسلامي

شرع الله الجهاد وألزم به المسلمين صيانة للحق، وحماية لحرية الإنسان في الاعتقاد ، والعمل ، والسلوك .. وجعله الله طريقا لتبليغ الإسلام ، وإيصاله إلى القلوب والعقول بيسره ووضوحه. وأحاطه بتشريعات تبعد عنه تهمة التطرف والتخويف،وقد أدى الجهاد الإسلامى في عصر رسول الله ﷺ إلى دخول الناس في الإسلام بعد ما عايشوه عمليا، ولم يجدوا فيه إكراها ماديا أو معنويا.

وحين نتأمل فى حركة الجهاد الإسلامى نجد أن رسول الله ﷺ كان يجاهد ويكلف أصحابه بالجهاد لمواجهة الطغيان الذي يصد الناس عن دين الله تعالى، ومقاومة البغاة الذين سيطروا على الناس واستعبدوهم، وحولوهم إلى أمـلاك تباع وتشترى .

وهذه الحقيقة تظهر حين نرى أن من سارع إلى الإسـلام هـم الـضعفاء المستذلون ، لأنهم رأوا فيه خلاصهم، وحياتهم، وسعادتهم . أما هؤلاء الكبار فإنهم تأخروا في الإسلام حفاظا على وضعيتهم الاجتماعية ، وأملا في استمرار

١- سورة الكهف آية ١٣ .

٢- صحيح البخارى ــ كتاب الآذان . باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة جـ٢ صـ٣٠ .

سلطانهم وجبروتهم، إلا أنهم حين انتبهوا شعروا أن الأرض تميد تحت أقدامهم وأن قوتهم ضعيفة هشة ، وأن الخير لهم في الإسلام فدخلوا فيه بعد حين .

إن الجهاد الإسلامى تميز بإنسانية عالية تعلمها أبو بكر رضي الله عنه من جهاده مع رسول الله ﷺ ولذلك كانت نصائحه للمجاهدين بضرورة المحافظة على هذه الجوانب الإنسانية وهم ينطلقون جهادا في سبيل الله تعالى، وحين نتأمل في وصيته أبى بكر رضي الله عنه التي سبق ذكرها ندرك أنه أمر بالمحافظة على السلوك الخلقى مع المحاربين حيث لا غدر ، ولا خيانة ، ولا غلول ، ولا تمثيل بقتل ، ولا تعرض لشيخ كبير أو امرأة، أو طفل، أو رجل دين في صومعته وكنيسته.

وفى نفس الوقت ندرك أنه أمر بالمحافظة على الثروة الزراعية فلا قطع لنخيل أو شجر مثمر، أو إفساد أرض صالحة .

وأيضا فإنه رضي الله عنه أمر بالمحافظة على الثروة الحيوانية وهو يأمر بعدم الذبح إلا للأكل فقط .

ونراه رضي الله عنه يأمر بعدم التعرض لأديان الناس وهو يحثهم على ترك رجال الدين في أماكنهم يعملون ، وعدم التعرض لكنيس أو كنيسة ... وهكذا .

حين ندرك ذلك ونقارنه بما تفعله جيوش العالم اليوم باسم المدنية والحضارة نرى سبق الإسلام وتميزه .

إن حروب اليوم تقوم على الهدم والتخريب، وقتل الآمنين وإذلال الناس ويكفى أن ننظر فيما تفعله إسرائيل في فلسطين ، وما يقوم به رجال السياسة لحفظ العروش والسلطان من ظلم ، وعدوان .

ــ خامسا ــ

استمرارية الدعوة إلى الله تعالى

انقلبت الجزيرة العربية مع بداية خلافة أبي بكر رضي الله عنه وظهـــرت الـــردة، وبدأ النفاق، وأصبح رضي الله عنه أمام موقف صعب يحتاج التخطيط له، وإدارته إلى كل فكره وجهاده .

لقد قام أبو بكر رضي الله عنه بواجبه خير قيام ولكنه لم يغفل عن واجب الـــدعوة إلى الله تعالى . ولذلك نراه يواجه كل الفرقاء بالنصح والتوجيه ، ويقدم لهم الدليل والبرهان .

ناقش الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب رضي الله عنهم . وقال لهم: **لن أغير قضاء قضى به رسول الله ﷺ .**

وتعجب من محاولة البعض إيقاف جيش أسامة .

وأخذ رضي الله عنه ينصح المجاهدين ويعظهم، ويدعوهم للعمل الجاد المـــستقيم ، وكما دعاهم وعظيا دعاهم عمليا فأعطى للقيادة حقها ، وسار على قدميه وهو يودع الجيش، وجعل تعبه هذا في سبيل الله .

ولما رجع رضي الله عنه إلى المدينة أخذ يقول للناس: " **اتقوا الله أيهـــا النـــاس ، واعتصموا بدينكم ، وتوكلوا على ربكم فإن دين الله قائم ، وان كلمته تامة ، وان الله ناصر من نصره ، ومعز دينه ... والله إن ســـيوفنا لمـــسلولة مـــا وضعناها بعد ... ولنجاهدن من خالفنا كما جاهدنا مع رســـول الله ﷺ فـــلا يبغين أحد إلا على نفسه** "[١] .

وسلك رضي الله عنه مع الناس مسلك رسول الله ﷺ فكان يرسل الرسائل لشيوخ القبائل ، ويشكل الوفود ، ويجمع الجند المخلصين ، ويدفع بهم لأهل الـــردة ، ويتعامل مع كل فريق بما يناسبه.

١- البداية والنهاية جـــ٦ صـــ٣٤٨ .

ـ سادسا ـ

احـــترام الإنســـان

حافظ أبو بكر رضي الله عنه بعد أن تولى الخلافة على تكريم الإنـسان عمومـا ولذلك شاور أصحابه في كل ما عنَّ له ، وأمر بالمحافظة على كـل مـن لا يعتدى ، وحث على ضرورة المحافظة على مصالح البلاد والقيـاد للإسـلام والمسلمين بالعدوان .

وكان أبو بكر دائم الحمد لله ، والتوكل عليه ، بعيدا عن الخيلاء والغرور وكان دائما يقول : **إن الله رفع بالإسلام أقواما ووضع به آخرين .**

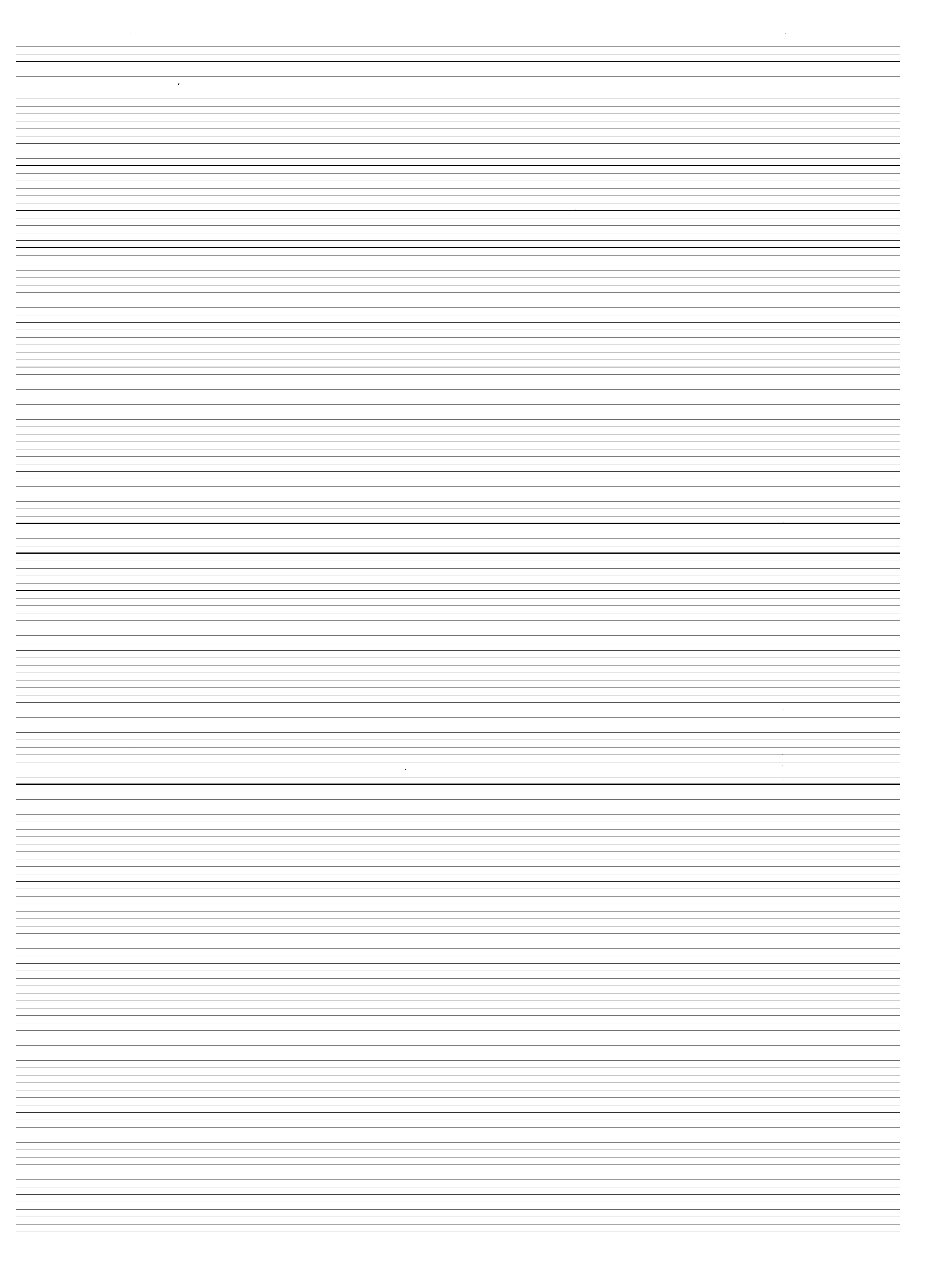
لم يشك أحد ظلما من أبى بكر رضي الله عنه ولذلك عاشت الأمة حبا، وتوحـدا، وعاش الإسلام قويا عزيزا، وعاش كل إنسان الكرامة التي قضى الله بها .

الفصل السابع

أبـــو بكـــر

فـــى

مواجهة الردة والمرتدين



تمهيـــد

ارتدت الجزيرة العربية كلها بعد وفاة رسول الله ﷺ ، واتخذت الردة فيها صورا متعددة .

فمن المرتدين من أعلن خروجه عن الإسلام ، لأنه لا يحب النظام ، ويكره مساواته بالضعفاء .

ومنهم من تعصب لقبيلته وسار معها رغم عدم إيمانه بأفكار شيوخها .

ومنهم من بقى على الإسلام واستثنى منه عدم تنفيذ بعض تكاليفــه كــدفع الزكاة أو إقامة الصلاة .

ومنهم من رأى تغير الظروف والأحوال فلجأ إلى الصمت والعزلة منتظرا ما تسفر عنه الأحداث.

لقد استغل بعض الوجهاء الموقف في قبائلهم ، وقـــاموا بالـــسيطرة علـــى عقول الناس، وادعوا النبوة خالصة لهم، أو مشاركة مع رسول الله ﷺ ومـــن العجب أنهم استمروا رغم ضلالهم على توحيد العقيـــدة ، ونـــادوا بـــضرورة العبودية لله الواحد مع إدخال تيسيرات فـــي أركـــان العبـــادات وصـــورها ، وشروطها .

وكل تعديلاتهم كانت في الأحكام الشرعية غالبا ، أما في العقيدة فهو الزعم بإدعاء النبوة . الأمر الذي يؤكد أن الردة لم تكن بسبب دينى ، وإنمـــا تمـــت لغايات شخصية، وبحثا عن مجد دنيوى زائل.

اتسع نطاق الردة ، وتعددت مواقف العرب .

فمنهم من كمن في دياره معلنا ردته .

ومنهم من توقف انتظارا لما يستجد من أحداث .

ومنهم من جاء للمدينة يريد السيطرة عليها، والقضاء على الإسلام والمسلمين .

رأى أبو بكر رضي الله عنه ذلك فشاور أصحابه، وكان له قراره الذي هـــداه الله إليه ، والذى أدى إلى انتصار الإسلام وهزيمة المرتدين .

ورأى رضي الله عنه ضرورة التصدى للردة بكل صورها ، ولم ير في بعث أسامة ما رآه غيره ، فسير جيش أسامة وواجه المرتدين ، وتصدى لكل مخالفة لدين الله تعالى ، وكان لكل ذلك أثره البالغ في النصر والتمكين .

وفى هذا الفصل سأتناول المباحث التالية :

المبحث الأول : خطة أبى بكر لحماية المدينة بعد انتشار الردة .

المبحث الثاني : التعريف بزعماء الردة وتوجهاتهم .

المبحث الثالث : المواجهة الشاملة لقتال المرتدين .

المبحث الرابع : المعارك الفاصلة في حرب المرتدين .

المبحث الخامس : النتائج المباشرة لحرب الردة

المبحث السادس : ركائز الدعوة المستفادة من حروب الردة .

والله الموفق ...

المبحث الأول

خطة أبى بكر الصديق رضي الله عنه

لحماية المدينة المنورة

تولى أبو بكر رضي الله عنه الخلافة ، ووجد نفسه بعد تمام البيعة أمام مجموعة من الحقائق .

أولهـــا :

وجود جيش أسامة رضي الله عنه الذى تم تجهيزه قبل وفاة رسول الله ﷺ بيومين وقد أصر أبو بكر رضي الله عنه على إرسال الجيش إلى الجهة التى أعده الرسول ﷺ لها ... وقد فعل ما وصل إليه رأيه كما سبق .

ثانيهـــا :

ردة قبائل العرب ، وظهور المتنبئين فيهم ، وتعاونهم على التغلب علـــى المدينة ، ومحاولة نقل السيادة والسلطان إلى مـــواطنهم ، ولهـــذا تحـــالفوا ، وتعاونوا ، وتحركوا ، فمنهم من بقى فى دياره منتظرا مجئ جيش أبى بكر ، ومنهم من أخذ يجمع الجيوش لقتال جيش أبى بكر ، ومنهم من أرسل وفده إلى أبى بكر لمفاوضته حول عدم دفع الزكاة ، والوقوف على أحوال المسلمين في المدينة .

ثالثهـــا :

موقف الصحابة رضوان الله عليهم ، فلقد شاور أبو بكـــر رضي الله عنه صـــحابة النبى ﷺ فى المدينة ، واستمع لأهل الحل والعقد وأخذ رأيهم فى التـــصرف الأمثل لمواجهة ردة العرب فأشاروا عليه بمهادنتهم ، وإعفائهم مـــن الزكـــاة مؤقتا ، ما داموا يوحدون الله تعالى ، على أن يأخذها منهم بعـــد ذلـــك حـــين القدرة والتمكين . فعن أبى هريرة رضي الله عنه قـــال : **لمـــا تـــوفى رســـول الله ﷺ**

واستخلف أبو بكر بعده ، وكفر من كفر من العرب ، أخذ أبو بكر رأى أصحابه.

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبى بكر : **كيف تقاتل الناس ، وقد قال رسول الله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله ؟!!**

فقال أبو بكر رضي الله عنه : **والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه .**

فقال عمر رضي الله عنه: **فو الله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق [1] ...**

وسبب شرح صدر عمر يرجع إلى بيان أبى بكر أن حق النطق بشهادة التوحيد الالتزام بكافه الحقوق الشرعية .

ويقول عمر رضي الله عنه أيضا : " **والله لقد رجح إيمان أبى بكر بإيمان هذه الأمة جميعا فى قتال الردة** "[2] .

واجه جمهور الصحابة أبا بكر بما رآه فى ضرورة قتال المرتدين وعارضوه في ذلك معتمدين على عدد من معطيات الواقع وأهمها :

- انقلاب عرب الجزيرة جميعا على مقر الخلافة ، واعتزاز كل قبيلة بعصبيتها ، وضعف الصحابة فى المدينة أمام العرب إذا واجهوهم ، وقاتلوهم ، ولذا كان رأيهم أن يتصرف الخليفة باللين ، ويعتمد على الدعوة بالرفق، والتأليف . ولذا قال عمر من الخطاب رضي الله عنه : **يا خليفة رسول الله ، تألف الناس وأرفق بهم .**

فقال له أبو بكر رضي الله عنه : **يا عمر أجبار فى الجاهلية ؟...! خوار فى**

١- صحيح البخارى ــ كتاب الاعتصام . باب منه ... جــ١١ صــ٩١ .

٢- البداية والنهاية جــ٦ صــ٣٤٤ .

الإسلام ؟... يا عمر قد انقطع الوحى ، وتم الدين ... أينقص وأنا حى[١] ؟!!

- خلو المدينة من الرجال ،فقد انضم أغلبهم إلى جيش أسامة،وسافروا إلى الشام ، ولذلك رأى الصحابة أهمية مهادنة المرتدين ، وتركهم وشأنهم .
- أدرك الصحابة ومعهم أبو بكر رضي الله عنه أن كثيرا من الوفود التى قدمت المدينة ، وتحدثت مع أبى بكر تمكنت من كشف أحوال المدينة ، وعلموا أوضاعها بصورة عامة ، وهذا يدفعهم إلى التخطيط لمهاجمة المدينة على غرة من بنيها ... ولذا رأى الصحابة أهمية مهادنة القوم حتى تقوى الأمة ، ويتمكن المؤمنون من تشييد الصرح وإقامته قويا مرة أخرى ، وإعادة المسلمين إلى الطاعة والانقياد بعد ذلك .

استمع أبو بكر رضي الله عنه لكافة وجهات النظر ، وأعلن بكل حسم أنه لن يهادن فى حكم شرعى، ولن يضعف أمام ترك عمل دينى، وعرف الجميع أنه سيقاتل من يمتنع عن أداء عقال كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ وحين خطب فى الناس قائلا:

الحمد لله الذى هدى فكفى ، وأعطى فأغنى ، إن الله بعث محمدا ﷺ . والعلم شريد ، والإسلام غريب طريد ، قد رث حبله ، وخلق عهده ، وضل أهله منه ، ومقت الله أهل الكتاب فلا يعطيهم خيرا لخير عندهم ، ولا يصرف عنهم شرا لشر عندهم ، قد غيروا كتابهم ، وألحقوا فيه ما ليس منه ، والعرب الآمنون يحسبون أنهم في منعة من الله لا يعبدونه ولا يدعونه ، فأجهدهم عيشا ، وأضلهم دينا ، في ظلف من الأرض مع ما فيه من السحاب فختمهم الله بمحمد ، وجعلهم الأمة الوسطى ، نصرهم بمن اتبعهم ، ونصرهم على غيرهم ، حتى قبض الله نبيه ﷺ فركب منهم الشيطان مركبه الذي أنزله عليه ، وأخذ بأيديهم ، وبغى هلاكهم ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن

---

١ - مشكاة المصابيح ــ كتاب المناقب . باب مناقب أبى بكر .

يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [١] .

إن من حولكم من العرب منعوا شاتهم وبعيرهم ، ولم يكونوا في دينهم وإن رجعوا إليه أزهد منهم يومهم هذا ، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا ، على ما قد تقدم من بركة نبيكم ﷺ ، وقد وكلكم إلى المولى الكافى ، الذي وجده ﷺ ضالا فهداه ، وعائلا فأغناه ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [٢] ، والله لا أدع أن أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده ، ويوفى لنا عهده ، ويقتل من قتل منا شهيدا من أهل الجنة ويبقى من بقى منها خليفته وذريته في أرضه ، قضاء الله الحق، وقوله الذي لا خلف له (﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [٣]) [٤].

وبهذه الخطبة بين أبو بكر رضي الله عنه مدى إحاطته بالواقع ، وسعة علمه ، وحسن تأثيره في غيره ...

وقد وضح أبو بكر رضي الله عنه تمسكه بالرأى الذى اتخذه مع المرتدين في إعلان عام ليحدث به التأثير المطلوب ، وليعلم كل من يتابع الأمر توجه أبى بكر ، ومواجهته الحامية للمرتدين .

وقد وضع أبو بكر خطته لمواجهة الواقع العملى مشتملا على أربعة أمور :

١- سورة آل عمران آية ١٤٤ .

٢- سورة آل عمران آية ١٠٣ .

٣- سورة النور آية ٥٥ .

٤- البداية والنهاية جـ٦ صـ٣١٦ .

الأمر الأول :

الاتصال المستمر بمن بقى على الإسلام داخل القبائل ، وبيان أهمية معارضتهم لمن خالف أمر الله مهما كان قريبا لهم والتنبه لمكرهم ، وضرورة الاستعداد لقتالهم إما بصورة منفردة،أولمعونة الجيش الإسلامى الذى سيأتى إليهم.

الأمر الثانى :

استمرار إرسال الدعاة إلى الأقاليم المختلفة لبيان الحق فى دين الله ، ورد الشبه ،وبيان بطلان المزاعم التى اعتمد عليها المتمردون ،وروجها المتنبئون.

الأمر الثالث :

ملازمة الهدوء القتالى إلى أن يعود جيش أسامة لأنه عمدة القتال ، وأساس الانطلاق ، وبدونه لا يمكن تكوين جيش قوى، مع الاستمرار في إعداد القوة ، والتمويه و القيام بمناورات و تحرشات تخيف الأعداء المحيطين بالمدينة .

الأمر الرابع :

العمل لحماية المدينة من ألاعيب المتربصين بها ، وبخاصة بعد ما اكتشف أبو بكر ما لديها من غدر بواسطة وفودهم التى جاءت لمفاوضة أبى بكر رضي الله عنه وهذا الأمر الأخير من الأوليات التى اهتم بها أبو بكر رضي الله عنه ولذلك كانت خطته لحماية المدينة بعد ما ودع جيش أسامة مباشرة .

التنظيم الحركى لحماية المدينة

وضع أبو بكر رضي الله عنه خطة محكمة لحراسة المدينة أثناء غياب جيش أسامة بعد ما قرأ فى الوفود التى حضرت إلى المدينة نوايا الغدر والخيانة . وتقوم الخطة التى وضعها أبو بكر رضي الله عنه على النقاط التالية :

أولا :

أرسل إلى القبائل المحيطة بالمدينة ، وبخاصة تلك التى بقيت على إسلامها وكلفهم بأن يفتحوا عيونهم على تحركات القبائل الأخرى تجاههم ، وأن يستعدوا للتصدى لهم ، وأن يرسلوا بعض أبنائهم إلى المدينة لحراستها وحمايتها من

أعدائها ، واستجابت القبائل لتوجيه أبى بكر رضي الله عنه فأرسلت قبائل أسلم وغفار ومزينة ، وأشجع ، وجهينة ، وكعب أبناءها حتى امتلأت المدينة بهم ، وقد جاءوا ومعهم الخيل والإبل ... كما أرسلت قبيلة جهينة وحدها أربعمائة رجل مجهزين بالغذاء والسلاح ، وساق عمرو بن مرة الجهنى مائه بعير لإعانة المسلمين فوزعهم أبو بكر على المقاتلين[1] .

ثانيا :

نظم أبو بكر الحراسة ووضع الرجال على أنقاب المدينة ، وكافة الطرق الموصلة إليها ، ليمنعوا أى غارة قادمة ، وعين على الحراس الأمراء وهم، على بن طالب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين [2] .

ثالثا :

ألزم أهل المدينة بالمبيت فى المسجد النبوى ، وهم مستعدون للقتال حتى لا يأخذهم المهاجمون على غرة .

رابعا :

أمر النسوة والعجزة أن يبيتوا متيقظين فى مساكنهم حتى لا يفاجئهم مغير متسلل .

وقد صدقت توقعات أبى بكر رضي الله عنه ، فإنه بعد رجوع وفود المرتدين بثلاثة أيام فقط إلى ديارهم، طرقت قبائل أسد ، وغطفان ، وعبس ، وذبيان ، وبكر ، المدينة ليلا من جهتين بعدما أعدوا مؤخرة لهم فى " ذى حس " و "ذى القصة" تكون لهم ردءا ، وموئلا .

انتبه الحراس لهجوم القبائل الليلى ، وأخبروا أبا بكر رضي الله عنه فأمرهم بأن يلزموا أماكنهم فالتزموا به ، وخرج هو لمقاومتهم مع المقيمين في المسجد النبوى ، وشدوا عليهم حتى فروا فاتبعوهم حتى أوصلوهم إلى مؤخرتهم في

١- البدء والتاريخ للمقدسى جـ٥ صـ١٥٧ .
٢- البداية والنهاية جـ ٦ صـ ٣٥٠ .

"ذى حس" و "ذى القصة " .

وقد أعدت مؤخرة المرتدين خدعة فاجأوا بها المجاهدين،ذلك أنهم أعدو قربا ونفخوها ، وربطوها بالحبال ، فلما جاء المسلمون على إبلهم وخيلهم حركوا القرب نحوهم، فنفرت الإبل، وطفقت راجعة مسرعه إلى المدينة وهى مذعورة.

واستمرت على ذلك حتى وصل المسلمون إلى المدينة ، ولم يصب منهم أحد بسوء بفضل الله تعالى .

ظن المرتدون بالمسلمين سوءا ، وتصوروا أن ذعر الإبل ، وهروبها أدى إلى خوف المسلمين ووهنهم ، فجمعوا جموعهم في " ذى حس " وفى " ذى القصة " وأخذوا يستعدون للهجوم على المدينة مرة أخرى .

لم يقف أبو بكر ﵁ صامتا،وإنما سبق فكره تدبير المرتدين،فبات ليلته يعبئ المسلمين،ويهيئهم للقتال، ويعدهم للقاء هؤلاء الذين يريدونهم والإسلام بسوء ...

وفى عجز الليلة الأولى تحرك أبو بكر بجيشه ، ووضع على الميمنة النعمان بن مقرن ، وعلى الميسرة عبد الله بن مقرن ، وعلى الساقة سويد بن مقرن ، فما طلع الفجر إلا والمسلمون والعدو فى صعيد واحد ، ووضع المسلمون في أعدائهم السيوف بغتة وهم لا يشعرون .. فما أن طلعت الشمس إلا وقد ولى المرتدون الأدبار ، وأعاد أبو بكر سلطة المسلمين على " ذى القصة " وولى عليها النعمان بن مقرن ﵁. وكان هذا أعظم الفتح ...

وأخذ الثابتون على الإسلام من هذه القبائل فى التحرك، ورجع إلى الإسلام أناس كثيرون ، وبدأت صدقات القبائل تفد إلى المدينة .

وفي ليلة واحدة أثرت المدينة بأموال زكاة ستة أحياء من العرب ، وكان كلما طلع على المدينة أحد جباة الزكاة قال الناس : **نذير** .

فيقول أبو بكر : بل **بشير** .

وإذا بالقادم يحمل معه صدقات قومه فيقول الناس لأبى بكر : **طالما بشرتنا بالخير**[١].

١- تاريخ الطبرى جـ٤ صـ ٦٧ .

يقول بن كثير : كانت هذه الوقعة من أكبر العون على نصر الإسلام وأهله ذلك أنها عزت المسلمين في كل قبيلة ، وذلت الكفار في كل قبيلة ، ورجع أبو بكر إلى المدينة مؤيدا منصورا ، سالما ، غانما ، وطرقت المدينة في الليل صدقات عدى بن حاتم ، وصفوان ، والزبرقان ؛ إحداها في أول الليل ، والثانية في أوسطه ، والثالثة في آخره .

وقدم بكل واحدة منهن بشير من أمراء الأنقاب ، فكان الذي بشر بصفوان ــ سعد ابن أبى وقاص ، والذى بشر بالزبرقان ــ عبد الرحمن بن عوف .

والذى بشر بعدى بن حاتم ــ عبد الله بن مسعود .

وذلك على رأس ستين ليلة من متوفى رسول الله ﷺ[1] .

فى هذا الوقت الذى بدأ العرب يعودون فيه إلى الإسلام أقدمت بعض القبائل المرتدة على أبنائها الثابتين على الإسلام وقتلتهم شر قتلة ، فأقسم أبو بكر رضي الله عنه ليقتصن لهم ... وقد فعل .

فى هذه الأثناء عاد جيش أسامة إلى المدينة ظافرا بعد أن نفذ كل ما أمره به رسول الله ﷺ وما أوصاه به أبو بكر رضي الله عنه .

لم يضيع أبو بكر وقتا ، وإنما تصرف بسرعة ماهرة ، فولى أسامة على المدينة ، وأبقى رجاله معه ليستريحوا ، وخرج على رأس جيش جمعه من رجال الحراسة و المقيمين فى المساجد إلى ذى القصة وأسرع إلى قتال الموجودين بها قبل أن يتجمع المرتدون مع غيرهم مرة ثانية[2] .

طلب المسلمون من أبى بكر رضي الله عنه أن لا يخرج للقتال ، وقالوا له : **ننشدك الله يا خليفة رسول الله أن لا تعرض نفسك ، فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام ، ومقامك أشد على العدو ، فابعث رجلا فإن أصيت أمرت آخر .**

فقال لهم : **والله لا أفعل ، ولأواسينكم بنفسي**[3] .

١- البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٥٤ .

٢- المرجع السابق جـ٦ صـ٣٥٤ .

٣- البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٥٤ .

قصد أبو بكر رضي الله عنه بخروجه هذا القبائل المجاورة للمدينة وبخاصة تلك التى حاولت الهجوم عليها ، وقد مكنه الله تعالى منهم فنزل على أهل الربذة بالأبرق ، وهزم الحارث ، وعوفا ، وأخذ الحطيئة أسيرا .

كانت الأبرق لـ " بنى ثعلبة " فأخذتها ذبيان بعد ردتها وسيطرتها على البلاد ، فأجلاهم أبو بكر منها ، وقال : **حرام على ذبيان أن يتملكوا هذه البلاد إذ غنمناها لله ، وأجلاهم عنها .**

وهنا حاولت (ثعلبة) العودة إليها فجاءوا إلى أبى بكر فى المدينة ، وقالوا له : **علام نمنع من بلادنا ؟**

فقال لهم : **ليست ببلادكم ، ولكنها موهبى ، ونفذى ، وبنى حماها لخيل المسلمين ، وجعلها لإبلهم ، ثم حمى الربذة لسائر المسلمين**[١] .

وهكذا ...

– تمكن أبو بكر رضي الله عنه من حماية المدينة ، وأبناؤها بعيدون عنها لاشتراكهم فى جيش أسامة .

– كما تمكن رضي الله عنه من تأديب كافة القبائل المجاورة للمدينة وردهم خائبين .

– وتمكن كذلك من تحقيق خطط النصر والفوز مع قسوة الأوضاع والظروف.

واستطاع رضي الله عنه أن يعيد هيبة المسلمين فى القلوب مرة أخرى ... لأن العرب لما رأوا أبا بكر يتصدى لمقاتلة الروم ،وفى نفس الوقت يهزم القبائل حول المدينة ، ويرتب للحرب هنا وهناك ، حينئذ قال العرب بلسان حالهم : **إن جماعة بهذه الصورة لن تهزم ، ولو كان بهم ضعف لانهزموا أمام القبائل وجيشهم بالشام وما كان انتصارهم إلا لقوتهم ، وتأييد الله لهم .**

وهذا كله تأييد من الله وتوفيق لأبى بكر أقربه رضي الله عنه فقد قيل له : **لقد نزل بك ما لو نزل بالجبال لهاضها ، وبالبحار لغاضها ، وما نراك ضعفت .**

فقال : **ما دخل قلبى رعب بعد ليلة الغار ، فإن النبى ﷺ لما رأى حزنى**

١– المرجع السابق جـ٦ صـ٣٥٥ .

قال : لا عليك يا أبا بكر فإن الله قد تكفل لهذا الأمر بالتمام[1] .

إن موقف أبي بكر ، وخطته في مواجهة المرتدين تدل على عبقريته الفذة وفهمه الدقيق، ونظرته إلى الحياة بنور الإيمان والثقة في الله .

لقد أعلن موقفه من بعث أسامة ، ومن المرتدين بوضوح ، ورتب الأمر بما يناسب الواقع .

لقد سير جيش أسامة رضي الله عنه . وفي هذا دلالة على الثقة ، والشعور بمعية الله ، والتسليم المطلق بنصر الله لشرعه ودينه ، وفيه أيضا إبراز لقوة المسلمين في وقت تصورت الروم والعرب ضعفهم بعد وفاة رسول الله ﷺ .

جمد أبو بكر الموقف مع القبائل المرتدة البعيدة مكتفيا بإيقاظ همم الثابتين على الإسلام حتى لا يتركوا الساحة للمرتدين يعبثون بها وهم آمنون .

وقد وضع خطة دقيقة لمواجهة القبائل المحيطة بالمدينة بتجهيز رجال أعدهم لذلك ، وقد تمكن مع رجاله وبتوفيق الله تعالى من هزيمة هذه القبائل ، وإعادتها للحظيرة الإسلامية .

لما عاد جيش أسامة رضي الله عنه تكون منه ومن الرجال الذين كانوا مع أبي بكر ورجال القبائل المجاورة الذين ثبتوا على الإسلام . تكون من هؤلاء جميعا جند كثيف وجهه أبو بكر لقتال المرتدين في الجزيرة العربية كلها . وقد حقق الله النصر على أيديهم وعادت الجزيرة العربية إلى الإسلام مرة أخرى كعهدها يوم أن آمنت بالله ورسوله ...

ومن الملاحظ أن أبا بكر رضي الله عنه أصر على مشاركة المسلمين بنفسه وهم يخرجون للقتال ليكون في المقدمة قدوة وقائدا .

لقد خرج مع جيش أسامة ، وقاتل مهاجمي المدينة ، وخرج (إلى ذي حس وذي القصة) وبذلك ضرب المثل ، وترك للناس درسا يعرفون به أن القيادة تضحية وبذل ، وليست ترفا ووجاهة . رضي الله عنه وأرضاه .

١- أبو بكر الصديق صـ٦٩ .

المبحث الثانى

التعريف بزعماء الردة

وتوجهاتهم

عاشت الجزيرة العربية على نظام القبيلة والبداوة ، وشكلت مجموعات متناثرة وسط الصحراء ، حيث تمثل المجموعة قبيلة لها رئيسها المطاع ، وشيخها الذي يتولى كل شئونها، ويتعامل نيابة عنها مع القبائل الأخرى .

وكانت كل قبيلة تسيطر على مكان لها من الصحراء تسكن فيه ، وترعى غنمها وإبلها ، وتزرع شيئا منه حين وجود الماء . وعاشت كل قبيلة حياة مستقلة عن سائر القبائل .

وقد أدى النظام القبلي إلى تربية الفرد على العصبية والعنصرية ، والاعتداد بالذات ، والتوجس والخوف من الغرباء والدخلاء .

وأدى انعزال القبائل إلى بداوة ظهرت في جفاء الطبع ، وخشونة العيش ، ومنافسة الغير، وحب السبق والغلب .

ولذلك دخلت القبائل في الإسلام بصورة جماعية ، حيث كانت القبيلة كلها تعلن إسلامها.

ونظرا لقصر مدة إسلامهم رأيناهم يرتدون عن الإسلام كليا أو جزئيا، ويعودون لعنصريتهم، وبداوتهم في صورة أتباع قيادات قبلية من بنيهم ، واحتشادهم تحت إمرتها انتصارا للقبيلة، وتقوية لها أمام القبائل الأخرى ... ومما يؤكد عنصرية العرب أنهم لم يدخلوا في دين آخر ، ولم يخترعوا دينا لهم ،وإنما حاول كل زعيم فيهم أن يكون نبيا من أنبياء الإسلام، ليعيش عظمة تماثل العظمة التي رآها في شخصيته رسول الله ﷺ حقدا منهم وحسدا لقبيلة قريش التي علت ببعثة محمد ﷺ .

لقد اتخذت الردة في القبائل صورا عديدة تبعا لقادتها ، وتوجهاتهم .

وفي هذا المبحث سأتناول بالدراسة التعريف بزعماء الـــردة فـــي قبائـــل العرب، وتوجهاتهم، وموقفهم في قبائلهم، ولذلك سيأتى هذا المبحث دراسة عن ردة القبائل ، وزعمائهم. والتحرك الذي اتبعه المرتدون لتنفيذ ما أملوا فيـــه ، وعملوا له ...

وسوف يتكون هذا المبحث من المسائل الآتية

أولا : التعريف بالأسود العنسى.

ثانيا : التعريف بمسيلمة الكذاب .

ثالثا : التعريف بـــ " سجاح " .

رابعا : التعريف بـــ " طليحة بن خويلد " .

خامسا : التعريف بمواطن باقى المرتدين .

والله الموفق ...

ـــ أولا ـــ

الأســـود العنســـى

أ ـــ التعريف به

هو عيهلة بن كعب ، ويعرف بالأسود العنسى ، وسمى بالأسود لشدة سواد وجهه، ونسب الى قبيلة "عنس" واشتهر بقوة البنية، وضخامة الجسم، وهو ممن تعلم القراءة والكتابة في قبيلته، وتميز بإلقاء الشعر، وجودة الخطابة.

اشتغل في شبابه بالسحر والشعوذة وعمل بالكهانة وخدمة الأوثان ، وقـد تأثر بذلك في كبره حيث ادعى النبوة وزعم اتصاله بالله تعالى ، ويبـدو والله أعلم أن الاشتغال بالسحر والشعوذة ، وخدمة الأوثان من الأمور التي تـؤدى بصاحبها إلى الضلال والضياع .

عرفته قبيلته بالقوة والشجاعة والفصاحة فتـأثرت ببلاغتـه وشـجاعته ، ووضعته من أولى الرأي في القبيلة ، الأمر الذي صادف هوى لديـه ، فهـو محب للظهور ، ساع للسلطان والعظمة.

دخل الأسود في الإسلام مع قبيلته "عنس" إلا أنه رأى في الإسـلام دينـا يساويه بسائر الناس، ويعدل بين الجميع في الحقوق والواجبات، وهذا أمـر لا يرتضيه الأسود لنفسه، ولذلك أمل في موقف يعلو به ويسود.

ولم يجد أمامه إلا ادعاء النبوة لينال منزلة أعلى في قومه تعـدل منزلـة محمد ﷺ في أمته. ولذلك زعم أن الوحي ينزل عليه،وأرسل إلى رسول الله ﷺ ليتقاسم معه أمر النبوة .

ويبدو أن شيطانا لعب بالأسود، فأخذ يسترق له بعض الأخبار، ويخبره بها ... ومن هنا ادعى الأسود علمه بالغيب، وأخذ يزعم أن الـوحي ينبئـه بـبعض المغيبات التي يخبر بها الناس الأمر الذي أوقعهم في الخبل والضلال[١] .

١- انظر البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٤٧ ، تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٢٢٧ وما بعدها .

وقد اطلع الله نبيه بمصير الأسود العنسي وأخبره أن أمـــره إلـــى زوال وهلاك وذلك في الرؤية التي رآها ﷺ وأخبر بها أصحابه رضوان الله عليهم وهو على المنبر إذ قال ﷺ : **بينما أنا نائم إذ أوتيت خزائن الأرض فوضع في يدى سواران من ذهب ، فكبرا على وأهمانى ، فـــأوحى إلـــى أن أنفخهمـــا فنفختهما فطارا ، فأولتهما الكذابين ، اللذين أنا بينهمـــا : صـــاحب الـــيمن "الأسود" وصاحب اليمامة " مسيلمة "**[1].

وقد فسر أهل العلم بالتعبير هذه الرؤية على هذه الصورة فقالوا: إن نفخه ﷺ لهما يدل على أنهما يقتلان بريحه وأنه لا يغزوهما بنفسه .

وأن وصفه لهما بأنهما من ذهب دلالة على كذبهما لأن شأنهما زخرف وتمويه .

كما دل لفظ السوارين على أنهما ملكين لأن الأساورة هم الملوك .

ودل بقوله أنهما يحيطان باليدين أن أمرهما يشتد على المسلمين فترة لكون السوار مضيقا على الذراع .

وعبر الدكتور على العتوم معنى الرؤية بقوله ... إن طيرانهما بالنفخ دلالة على ضعف كيدهما مهما تضاخم، فشأنهما زبد لابد أن يؤول إلى جفاء ما دام هذا الكيد مستمدا من الشيطان، فهو واه لا محالة ، إذ أقل هجمة مركزة فـــي سبيل الله تحيلهما أثرا بعد عين .

وقولهما من ذهب دلالة على أنهما يقصدان من عملهما الدنيا لأن الـــذهب رمز لحطامها الذي يسعى المغترون بها خلفه .

وأنهما سواران إشارة إلى محاولتهما الإطاحة بكيان المسلمين عن طريـــق الإحاطة بهم من كل جانب تماما كما يحيط السوار بالمعصم[2].

وقد صدقت رؤيا النبي ﷺ إذ لقى الأسود حتفه وقتل يوم تحـــرك جـــيش أسامة إلى الشام، وتفرق أنصاره، وتبدد شملهم، وأصابهم الله بالخوف والفزع. واستمروا في ضلالهم حتى جاءهم خالد بن الوليد رضي الله عنه .

١- صحيح البخاري - كتاب التعبير . باب النفخ في المنام جـ١٠ صـ٣٨١ .
٢- حركة الردة صـ ٦٦.

ب ــ جوانب ردة الأسود

أبطن الأسود ردته ، وأخذ يجمع حوله الأنصار سرا مستفيدا بمنهج المرحلة السرية، إذ كان يتخير من يراه مناسبا من ناحية هدوئه ، وحبه للصمت، وبعده عن الصخب والضجيج فلما كثر أتباعه أعلن مزاعمه التي ارتد بها عن الإسلام وأهمها :

- أعلن نفسه نبيا لقبيلته وما جاورها من القبائل وبذلك خالف النص القطعي الدال على ان محمدا ﷺ خاتم النبين، وأنه لا نبي بعده يقول الله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[1] .
- ادعى أنه نبي لإقليم معين ، وأن محمدا ﷺ نبي للعالم كله ، وفي دعوته هذه ــ رغم كذبها ــ اتهام للإسلام بعدم الكمال ، وأنه ليس للعالم كله .
- ادعى أن الوحي ينزل عليه ، وانه يتصل بملكين سماهما سحيقا وشريقا، وهذا كذب لأن الوحي لم ينزل إلا على رسول الله ﷺ .
- سمى الأسود نفسه "رحمان اليمن" للدلالة على نبوته وجعله مسمى له للدلالة على النبوة لأن النبوة أحد معانى الرحمة يقول الله تعالى ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ ﴾[2] .
- أخذ يضع عن الناس بعض التكاليف الشرعية كتقليل عدد الصلوات وإلغاء الجهاد ... وهكذا .

١- سورة الأحزاب آية ٤٠

٢- سورة هود آية ٦٣

ج ـ تحرك الأسود في موطنه

تمكن الأسود من التأثير في الناس ، وكان أول من اتبعه أبناء قبيلته (عنس) ثم كاتب زعماء قبيلة (مذحج) لما بينهم وبين قبيلته من قرابة فتابعه العوام ، وبعض زعمائهم من طالبى الزعامة .

وقد عمل على إثارة العصبية القبلية لأنه من (عنس) وهي بطن من بطون قبيلة (مذحج)،ونادى بسيادة (عنس) على غيرهم،وحثهم على التمرد على قريش.

راسله بنو الحارث بن كعب من أهل نجران، وهم يومئذ مسلمون فطلبوا منه أن يأتيهم في بلادهم، فذهب إليهم ، وغرهم ببلاغته فاتبعوه وبخاصة أنهم لم يسلموا رغبة واقتناعا .

وتبعه أناس من (زبيد) و (أود)و(مسلية) و (حكم بن سعد العشيرة) فصار هو القوى في بلاد اليمن .

ثم أقام بنجران بعض الوقت، وقوى أمره فيها بعد أن انضم إليه عمرو بن معد يعرب الزبيدى ، وقيس بن مكشوح المرادى ، وتمكن من طرد فروة بن مسيك من مراد ، وعمرو بن حزم من نجران، واستهوته فكرة السيطرة على صنعاء فخرج إليها بست مئة ـ أو سبع مئه ـ فارس معظمهم من (بنى الحارث بن كعب) و (عنس) .

فتقابل مع أهل صنعاء وعليهم (شهر بن بزان الفارسى) ، وكان قد اسلم مع أبيه- في منطقة خارج صنعاء تسمى منطقة (شعوب) ، فتقاتلوا قتالا شديدا فقتل (شهر بن بزان) وانهزم أهل صنعاء أمام الأسود العنسى، فغلب عليها ونزل قصر (غمدان) بعد خمسة وعشرين يوما من ظهوره.

وكان له مواقف بشعة في تعذيب المستمسكين بالإسلام، فقد أخذ أحد المسلمين فقطعه عضوا عضوا، ولهذا تعامل معه المسلمون الذين كانوا في المناطق التي يديرها بالتقية[١] .

١- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٢٣٠ .

د ـــ مواجهة المسلمين للأسود

ادعى الأسود النبوة لنيل عظمة شخصية ، وعلو مادى ظاهر، ولتحقيق ذلك اشتغل بالشعوذة والكهانة واستخدام الشياطين ليسترقوا له بعض أخبار الناس وأحوالهم .

حينما علم النبي ﷺ بخبر الأسود العنسى أرسل الصحابى زبربن نكنس الديلمى بكتابه إلى معاذ بن جبل رضي الله عنه يأمره فيه بأن يتصدى ومن معه للأسود العنسى، وأن يقاتله . فقام معاذ بإيصال كتاب النبي ﷺ إلى جميع عمال النبي ﷺ وكل مسلم تمكنوا منه ... وصادف كتاب النبي ﷺ نفرا من المسلمين امتلأوا كراهية للأسود لمزاعمه الكاذبة ، وخروجه على الإسلام ، وعلى رأسهم :

- قيس بن عبد يغوث .
- أمير الجند للأسود .
- فيرور الديلمى .
- دازوية .
- زوجته شهر بن باذام . وهى ابنة عم فيروز الديلمى .
- قيس بن مكشوح .

اجتمع رأى من بقى على الإسلام وعلى رأسهم هؤلاء الصحابة على ضرورة الفتك بالأسود، واتفقوا على ذلك ، وتعاقدوا عليه .

وحدث أن نقل شيطان الأسود إليه ما اتفق عليه المسلمون، فدعا الأسود قيس بن مكشوح فقال له : **يا قيس . ما يقول هذا أى الشيطان ؟**

قال: **وما يقول ؟**

قال الأسود : **يقول عمدت إلى قيس فأكرمته ، حتى إذا دخل منك كل مدخل ، وصار في العز مثلك ، مال ميل عدولك ، وحاول ملكك ، وأضمر الغدر بك ، إنه يقول : يا أسود ... يا أسود ... يا سوأة ... يا سوأة ... أقطف قنته ، وخذ من قيس أعلاه ، وإن لا سلبك أو قطف قنتك .**

فقال له قيس : وحلف له بكنيته: كذب وذى الخمار لأنت أعظم فــي نفــسى وأجل عندى من أن أحدث بك نفسى .

فقال له الأسود : ما إخالك تكذب الملك، فقد صدق الملك وعــرف الآن أنــك تائب لما اطلع عليه منك.

ثم خرج قيس من بين يديه، فجاء إلى أصحابه: وأخبرهم بما قاله الأسود وبما رد عليه .

فقالوا: إنا كلنا على حذر، فما الرأي ؟

فبينما هم يشتورون إذ جاءهم رسوله فأحضرهم بين يديه، فقال : ألم أشــرفكم على قومكم ؟ ألم يبلغنى عنكم ؟

قالوا : بلى

قال : فماذا يبلغنى عنكم ؟

فقالوا : أقلنا مرتنا هذه .

فقال : لا يبلغنى عنكم فأقتلكم

فخرجنا من عنده ولم نكد، وهو في ارتياب من أمرنا، ونحن على خطر. فبينما نحن في ذلك إذ جاءتنا كتب من عامر بن شهر- أمير همــدان، وذى ظليم، وذى الكلاع، وغيرهم من أمراء اليمن يبذلون لنا الطاعــة والنــصر ، على مخالفة الأسود، وذلك حين جاءهم كتاب رسول الله ﷺ يحــثهم علــى مصاولة الأسود العنسى، فكتبنا إليهم أن لا يحدثوا شيئا حتى نبرم الأمر .

قال قيس : فدخلت على امرأته زاد، فقلت : يا ابنة عمى، قد عرفت بلاء هذا الرجل عند قومك ، قتل زوجك ، وطأطأ في قومك القتل ، وسفل بمــن بقــى منهم ، وفضح النساء، فهل عندك من ممالأة عليه ؟

قالت: على أى أمره ؟

قلت : إخراجه

قالت : أو قتله ؟

قلت : قتله

قالت : **نعم والله ما خلق الله شخصا أبغض إلى منه، ما يقوم لله على حق ولا ينتهى له عن حرمة ، فإذا عزمتم فأخبرونى أعلمهم بمأتى هذا الأمر .**

وبعدها بعث إليه الأسود فدخل عليه في عشرة من قومه، فقال : **ألم أخبرك بالحق وتخبرنى بالكذابة؟ إنه يقول: يا سوأة ياسوأة ، إن لم تقطع من قيس يده يقطع قنتك العليا، حتى ظن قيس أنه قاتله .**

فقال قيس : **إنه ليس من الحق أن أقتلك وأنت رسول الله ، فمرنى بما أحببت فقتلى أحب إلى من موتات أموتها كل يوم ، فرق له وأمره بالانصراف .**

ثم قال الأسود لفيروز: **أحق ما بلغنى عنك يا فيروز ؟ لقد هممت أن أنحرك فألحقك بهذه البهيمة ، وأبدى له الحربة .**

فقال له فيروز : **اخترتنا لصهرك ، فضلتنا على الأبناء ، فلو لم تكن نبيا ما بعنا نصيبنا منك بشيء، فكيف وقد اجتمع لنا بك أمر الآخرة والدنيا؟ فلا تقبل علينا أمثال ما يبلغك، فإنا بحيث تحب .**

ثم أسرع فيروز إلى اللحاق به ، فإذا رجل يحرض الأسود على فيروز ويسعى إليه فيه ، واستمع له فيروز ، فإذا الأسود يقول : **أنا قاتله غدا وأصحابه ، فاغد على به .**

ورجع فيروز إلى أصحابه فأعلمهم بما سمع وبما قال : وما قيل له ، فاجتمع رأيهم على أن يعاودوا المرأة في أمره، فدخل أحدهم ــ وهو فيروز ــ إليها فقالت : إنه ليس من الدار إلا والحرس محيطون به، غير هذا البيت، فإن ظهره إلى مكان كذا وكذا من الطريق، فإذا أمسيتم فانقلبوا عليه فإنكم من دون الحرس، وليس من دون قتله شيء ، وإنى سأضع في البيت سراجا وسلاحا .

فلما خرج من عندها تلقاه الأسود فقال له: **ما أدخلك على أهلى؟ ووأد رأسه ، وكان الأسود شديدا . فصاحت المرأة فأدهشته عنه ، ولولا ذلك لقتله ،**

وقالت: **ابن عمى جاءنى زائرا .**

فقال : **اسكتى لا أبالك، قد وهبته لك .**

فخرج فيروز على أصحابه فقال: **النجاء ... النجاء ... النجاء ... وأخبـرهم الخبر ، فحاروا ماذا يصنعون ؟**

فبعثت المرأة إليهم تقول لهم: **لا تنثنوا عما كنتم عازمين عليه، فدخل عليهـا فيروز الديملى** فاستثبت منها الخبر ، ودخلوا إلى ذلك البيت فنقبوا من حائطه بطائن ليهون عليهم النقب من خارج ، ثم جلس عندها جهرة كالزائر ، فـدخل الأسود فقال : **وما هذا ؟**

فقالت : **إنه أخى من الرضاعة، وهو ابن عمى، فنهره وأخرجه فرجـع إلـى أصحابه.**

فلما كان الليل نقبوا ذلك البيت فدخلوا، فوجدوا فيه سراجا تحـت جفنـة ، فتقدم إليه فيروز الديملى والأسود نائم على فراش من حرير، قد غرق رأسـه في جسده ، وهو سكران يغط في النوم ، والمرأة جالسة عنده .

فلما قام فيروز على الباب أجلسه شيطانه وتكلم على لسانه ـ وهو مع ذلك يغط ـ فقال : **مالى ومالك يا فيروز ؟**

فخشى فيروز إن رجع أن يهلك وتهلك المرأة ، فعاجله وخالطه وهو مثل الجمل ، فأخذ برأسه فدق عنقه ، ووضع ركبتيه في ظهره حتى قتله . ثم قـام ليخرج إلى أصحابه ليخبرهم ، **فأخذت المرأة بذيله .**

وقالت : **أين تذهب عن حربتك ؟ وظنت أنه لم يقتله .**

فقال : **أخرج لأعلمهم بقتله** ، فدخلوا عليه ليحتزوا رأسه ، فحركـه شـيطانه فاضطرب، فلم يضبطوا أمره حتى جلس اثنان على صدره، وأخـذت المـرأة بشعره وجعل يبربر بلسانه، فاحتز الآخر رقبته، فخار كأشد خوار ثور سـمع قط ، فابتدر الحرس إلى المقصورة ، فقالوا : **ما هذا ؟ ما هذا ؟**

فقالت المرأة : **النبى يوحى إليه، فرجعوا .**

وجلس قيس وداذويه وفيروز يأتمرون كيف يعلمون أشياعهم ؟

فاتفقوا على أنه إذا كان الصباح ينادون بشعارهم الذي بينهم وبين المسلمين.

فلما كان الصباح قام أحدهم ــ وهو قيس ــ على سور الحصن فنادى بشعارهم ، فاجتمع المسلمون والكافرون حول الحصن ، فنادى قيس ــ الأذان أشهد أن محمدا رسول الله ، وأن عبهلة كذاب ، وألقى إليهم رأسه ، فانهزم أصحابه وتبعهم الناس يأخذونهم ويرصدونهم في كل طريق يأسرونهم، وظهر الإسلام وأهله، وتراجع نواب رسول الله ﷺ إلى أعمالهم، وتنازع أولئك الثلاثة في الإمارة، ثم اتفقوا على معاذ بن جبل يصلى بالناس. وكتبوا بالخبر إلى رسول الله ﷺ .

وقد أطلع الله رسوله على الخبر من ليلته، كما قال سيف بن عمر التميمى عن أبى القاسم الشنوى عن العلاء بن زياد، عن ابن عمر قال : **أتى الخبر إلى النبي ﷺ من السماء في الليلة التي قتل فيها العنسى ليبشرنا** ، فقال ﷺ : **قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين .**

قيل : **ومن ؟**

قال: **فيروز**[1]

وكانت مدة تنبؤه منذ ظهر إلى قتله ثلاثة أشهر ، ويقال : أربعة أشهر ، فالله أعلم.

ولم يهنأ أتباع الأسود بعودتهم إلى الإسلام لأنهم ما لبثوا أن علموا بوفاة رسول الله ﷺ ، وردة جميع العرب حتى نكصوا على أعقابهم مرة أخرى ، فكان أن بعث إليهم أبو بكر رضي الله عنه بجنده وقاتلهم حتى انتصر عليهم، وأعاد من بقى منهم إلى الإسلام .

١- البداية والنهاية جــ٦ صــ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، وتاريخ الطبرى جــ٣ صــ٢٣١ ــ ٢٣٤ .

ـــ ثانيا ـــ

مسيلمـــة الكـــذاب

أ ـــ التعريف به :

هو مسيلمة بن ثمامة من بنى حنيفة يكنى بأبى ثمامة، ويعرف بـــ "مسيلمة الكذاب" بعد ما أرسل له رسول الله ﷺ كتابا صدره بقوله: **"من محمـــد بـــن عبد الله رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ...** "

ولد بقرية "الجبلية" إحدى قرى اليمامة، ونشأ فيها، وتربى .

تعلم القراءة والكتابة، واهتم بتعلم الأساليب العجيبة، والحيل المدهشة التى يباشرها الكهنة، والعرافون ، والسحرة، وسافر من أجل ذلـــك إلـــى الكهنـــه والسدنة فى أماكن الجزيرة، وبلاد فارس، والروم، وتمكن من مصاحبة الجن والحديث معه.

ووجد فيه الشيطان خير من يساعده في نشر الـــضلال، وإثـــارة الفـــتن ، ومحاربة الحق.

اشتهر مسيلمة بخفة اليد ، وسرعة الحيل فزعم للناس قدرته على إيـــصال ريش جناح الطير بعد قصه ، وتمكنه من إدخال البيضة فى الزجاجـــة وهـــى سليمة مع ضيق فم الزجاجة ، وتلك حيل يجيدها السحرة بخفـــتهم ، وســـرعة حركتهم .

اهتم مسيلمة بسماع القرآن الكريم فكان يرسل من قبله من يسمع ما ينزل من القرآن على رسول الله ﷺ ويعود به إليه ليستفيد مـــن نظمـــه وبلاغتـــه ومعانيه فى مزاعمه الكاذبة التي سيظهر بها على الناس.

جاء وفد بنى حنيفة إلى رسول الله ﷺ فى المدينة خـــلال العـــام التاســـع الهجرى، واعلنوا إسلامهم، أما مسيلمة فقد اختلفت الروايات فى إسلامه ففـــى

رواية أنه كان مع الوفد حين قدومه إلى المدينة [١]... وفى رواية أخرى انه لـم يأت مع الوفد ، وإنما تخلف فى الرحل الذى أبقاه الوفد خارج المدينة ليحرس رحلهم [٢] .

وكلا الروايتين تشير إلى ما كان عليه مسيلمة من شر وضلال، وبحث عن العظمة والسلطان ... لأن الرواية الأولى تشير إلي أن مسيلمة جاء به قومه إلى رسول الله ﷺ وهم يسترونه بالثياب، ويخفونه عن أعين المسلمين، ويبدو أنه طلب من رسول الله ﷺ المشاركة فى النبوة أو الخلافة، أو الولاية لأن رسول الله ﷺ قال له وفى يده عسيب نخل: **لو سألتى هذا العسيب ما أعطيتكه .**

وأما الرواية التى أشارت إلى تخلف مسيلمة فى الرحل فتبين أن رسول الله ﷺ أخرج له نصيبا مثل أنصبائهم، وقال لهم: **إنه ليس بشركم مكانا**" .

رجع وفد بنى حنيفة إلى ديار القوم وأخذ مسيلمة يدور على الناس، ويحيى فيهم العصبية والعنصرية لتحقيق مآربه، فلما تجمع حوله بعض الأنصار أعلن أنه صار نبيا يوحى إليه ، وسمى نفسه "**رحمان اليمامة**" ليتميز عـن الأسـود **(رحمان اليمن)** ، وأرسل إلى النبى ﷺ رسالة يطلب منه المشاركة فى النبـوة يقول فيها: " **من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله : أما بعد، فإن لنـا نصف الأرض ولقريش نصفها، ولكن قريشا لا ينصفون**" .

وقد حمل رسالة مسيلمة إلى رسول الله رجلان، فلما اطلع النبى على الرسالة سألهما: ماذا **تقولان أنتما ؟**

قالا : **نقول كما قال مسيلمة .**

فقال ﷺ : **أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعنا فكم** [٣] .

ويبدو من رسالة مسيلمة حبه للسيطرة والتملك ، وعدم فهمه لدور الرسالة وتصوره أن أرض الدعوة هى جزيرة العرب التى يتمنى أن يتملكها ، ويصير

١- السيرة النبوية جـ٢ صـ٥٧٦.

٢- السيرة النبوية جـ٢ صـ٥٧٧ .

٣- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ١٤٦ .

ملكها المتوج . ولذلك اقترح توزيعها بين قبيلتى قريش وبنى حنيفة .

وقد رد عليه رسول الله ﷺ برسالة موجزة توضح حقيقة الرسالة وغايتها ، وتفضح مسيلمة أمام نفسه وأتباعه، حيث جاء فى رسالة النبى ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد نبى الله إلى مسيلمة الكذاب

أما بعـــد ...

فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، والـسلام على من اتبع الهدى[1] .

وفى رد النبى ﷺ على هذا الكذاب توضيح لعدة مبادىء دينية هى:

- قيام الدين على العبودية المطلقة لله تعالى فالخلق عبيد لخالقهم، يعبدونه، ويطيعونه ، لا يتركون له أمرا إلا ويفعلونــه ، ولا يــدعون نهيــا إلا ويبتعدون عنه ، فهو الله ، وهو الرحمن ، وهو الرحيم ، واليه المرجــع والمآب ، والعاقبة فى الآخرة للمتقين .
- بيان أن محمدا ﷺ هو نبى الله المرسل من الله تعالى ، وما عــداه مــن أدعياء النبوة كذابون ، وعلى رأسهم مسيلمة الــذى وصــفه النبــى ﷺ بالكذاب، وفى هذا تحد لمسيلمة ليدافع عن نفسه ، ويبين صدق دعوته إن كان صادقا .
- توضيح أن الرسالة ليست ملكا فى الأرض وتملكا للنـــاس، ولا ســلطانا للعلا والسيطرة ، وإنما هى اختيار من الله تعالى لعبد من عبيده يكلفـــه بتبليغ الرسالة ، وإيصال الدين للناس بمنهج يوحى به الله لرسوله ﷺ .
- بيان أن الملك والسلطان فى الأرض لله تعالى يستخلف فيها من يشاء من عباده وفق الأسس والمبادىء التى نزل بها الوحى، وحفظهــا الله فـــى الصحف والصدور، واجتهد العلماء معها لاستنباط الأحكام منهـــا وفـــق

١- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ١٤٦ .

قواعد دينية صحيحة .

- بيان أن الأمن والسلام فى الدنيا لمن يستحقه من الناس ، وهم السالكون طريق الهدى والأتباع ، أما غيرهم ممن أعرض عن دين الله، وبعد عنه فهو محروم من السلام، محاط بالضلال والغواية والضياع .
- فى الرسالة ترغيب وترهيب ، أما الترغيب فهـو بيان أن الذى يـرث الأرض هو عبد الله المطيع، وأن العاقبة لأهل التقوى، وأن السلام لمـن اتبع الهدى .
- أما الترهيب فهو معروف بمفهوم المخالفة لأن الكذاب مع الله لا يـرث شيئا من الأرض فى الحقيقة، وعاقبته سيئة، ولا سلام ولا أمن له.
- بيان تواضع الرسول فى الخطاب والمعاملة فهو يعرف بنفسه بذكر اسمه المجرد (محمد) ويبتعد عن التهديد المباشر، والوعيد الصريح.
- بيان البرهان الذى سوغ له ﷺ أن يرد على مسيلمة بهذا الـرد الغلـيظ وهو (كذب مسيلمة) ومحاولته تملك الناس والسيطرة عليهم.

وبعد أن وصل خطاب النبى ﷺ إلى مسيلمة طواه ولم يلتفت إليه وقال لحامله الصحابى حبيب بن زيد الانصارى رضي الله عنه : **أتشهد أن محمدا رسول الله ؟**

فقال له : **نعم**

فسأله: **أو تشهد أنى رسول الله ؟**

فقال له : **أنا أصم ولا أسمع .**

فكرر مسيلمة السؤال، وحبيب يجيبه بنفس الإجابة، **فأخذ يقطعه إربا إربا ، وحبيب صابر محتسب حتى استشهد** رضي الله عنه[1] .

وجاءت سجاح إلى ديار مسيلمة تريد القضاء عليه ، وتأخذ المجد لنفسها. فبعث إليها مسيلمة يستأمنها، ويضمن لها أن يعطيها نصف الأرض التى هـى لقريش لو عدلت عن غايتها وتعاونت معه، فردت عليـه ووافقتـه علـى أن

١- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ١٤٧ .

يجتمعا معا ويتدارسا الأمر ، فركب إليها في أربعين رجلا من قومه ، واجتمعا معا في خيمة ، فخلا بها ، وعرض عليها نصف الأرض فقبلت ...

فقال لها مسيلمة : **هل لك أن أتزوجك وآكل بقومي وقومك العرب ؟!**

فقبلت فدخل بها ، ومكثت عنده ثلاثة أيام ، ثم رجعت إلى قومها .

فقالوا لها : **أأصدقك ؟**

قالت : **لم يصدقني شيئا .**

فقالوا لها : **إنه قبيح على مثلك أن تتزوج بغير صداق .**

فبعثت إليه تسأله صداقا ...

فقال لها : **أرسلي مؤذنك أعرفه صداقك ...**

فأرسلت موذنها شبث من ربعي الرياحي. فقال له مسيلمة : نادي في قومك إن مسيلمة رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما أتاكم به محمد. هما صلاة الفجر وصلاة العشاء[1] ...

وبعد ذلك رجعت سجاح إلى بلادها.

واستمر مسيلمة في دعوته بعد وفاة رسول الله ﷺ إلى أن أتاه جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه فطعنه وحشي رضي الله عنه ، خلال المعركة وأجهز عليه أبو دجانة رضي الله عنه وذلك في موقعه "عقرباء" ، وانتهت بذلك أكذوبة مسيلمة .

١- تاريخ الطبري جـ٣ صـ٢٧٤ .

جوانب ردة مسيلمة

لم يدخل مسيلمة في الإسلام مخلصا منذ بدايته ، لأنه لم يذهب مع الوفد لمبايعة رسول الله ﷺ رغم أنه جاء معهم من ديارهم ، وإنما بقى يحرس الإبل والمتاع الذي جاء به الوفد.

ومع إسلام قبيلته أخذ مسيلمة ينشط فيهم ريح العصبية القبلية، وينمى خلق العنصرية، وأخذ يعمل لينال سلطانا وشهرة عن طريق تعلم فنون السحر، والشعوذة، والكهانة، واتصل بالجن، وأخذ يتابع ما ينزل من القرآن الكريم على محمد ﷺ لا حبا فيه، وإنما لينسج على منواله كلاما حتى يصل إلى قلوب الناس وعقولهم ، ويبعدهم عن الحق والصواب .

ولما تمكن من هذه الجوانب أخذ يعلن نبوته بين أقربائه فآمن به فريق منهم ، ثم استمر على ذلك حتى قويت شوكته وكثر أتباعه.

وقد قامت نبوته على أفكار خاطئة ، وتصورات ساذجة ، فهو يتصور أن موطن النبوة جزيرة العرب فقط ، وأن النبوة للعرب وحدهم ، ولذلك كتب إلى رسول الله ﷺ يطلب منه الاعتراف برسالته على أن تقسم الجزيرة قسمين، قسم لقريش وقسم لبنى حنيفة ، على أن يتعاونا ، ويأتلفا ، ويمتلكا رقاب الناس.

ولم يعلن مسيلمة دينا جديدا، وإنما ادعى أنه على دين الإسلام ، وأنه ييسر فيه ويخففه ، ويبينه ، ولعل أهم جوانب الردة في مزاعم مسيلمة هي :

- ادعاء النبوة . فلقد زعم مسيلمة أنه نبى مرسل يوحى إليه مشاركا للنبوة المحمدية، وذلك أمر يتناقض مع أصل عقدى وهو أن محمدا رسول الله وهو خاتم النبيين، وأنه لا نبى معه أو بعده.
- أخذ يخفف عن الناس بعض الصلوات والصيام ونحوها من تعاليم الإسلام مدعيا أن الوحي جاء به إليه. وهذا إبطال لشريعة الإسلام بلا دليل ناسخ ، أو قيد ثابت ، أو تخصيص مذكور ، أو غير ذلك .
- زعم أن الوحي ينزل عليه ، ويعلمه كتابا متمما للقرآن الكريم الذي

ينزل على محمد ﷺ . ومما نقل عنه في هذا الشأن أقواله في قرآنه المزعوم .

" لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى وحشى[١] ، فمنهم من يموت ويدس إلى الثرى، ومنهم من يبقى إلى أجل مسمى، والله يعلم السر وأخفى "[٢] .

" يا ضفدع بنت ضفدعين، نقي ما تنقين ، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين ، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين "[٣] .

" فسبحان الله إذا جاءت الحياة كيف تحيون؟ والى ملك السماء ترقون فلو أنها حبة خردلة لقام عليها شهيد يعلم ما في الصدور، ولأكثر الناس فيها ثبور "[٤] .

وهذا هراء لا معنى له، ولا يفيد أمرا ما.، ولا صلة له بإحدى جوانب الإسلام الحنيف.

إنه كلام خال من البلاغة والفصاحة ، وسجعه وحشي غريب، ومحاولات التشبه بنظم القرآن ، وفصاحته باهتة ضائعة ... وتساقط هذه النصوص في الدلالة على مزاعم مسيلمة الكاذبة يأتي من :

أ- إنه خال من بلاغة العرب، فهو عبارة عن كلمات مركبة متنافرة .

وكل ما يجمع بينها هو محاولة مسيلمة الإتيان بكلام مركب ككلام القرآن الكريم، وأي تلميذ مبتدىء يمكنه أن يأتي بمثل كلام مسيلمة، وأحسن منه كأن يقول: " **أيها الفلاح ، إزرع تفاح ، واعمل وارتاح ففي ذلك نصر وفلاح** "

يقول ابن كثير : **إن كلام مسيلمة هذيان لا قيمة له**[٥] .

١- حركة الردة ، صـ٧٣ للعتوم .

٢- البدء والتاريخ للمقدسي جـ٥ صـ١٦٢ .

٣- تاريخ الطبري جـ٤ صـ١٠٢ .

٤- حركة الردة ، صـ٢٧١ للعتوم .

٥- تفسير ابن كثير جـ٤ صـ٥٤٧ .

ب- لا يتضمن كلام مسليمة أى توجيه ، أو تربية في أى مجـال مـن مجالات الإسلام . والوحى لا ينزل إلا بتوجيه وتعليم في أمر دينى عقيدة ، أو شريعة ، أو خلقا .

ج- لا يتضمن كلام مسيلمة إعجازا ما ، ولم يحدث به تحد، ولو حدث لهوى وسقط وهو مثل من يقول من تلامذة زماننا : " **أيها الجنود ، احرسوا الحدود ، واحذروا اليهود ، تنالوا المجد و الخلود** " .

د- وحين نقارن بين نص قرآنى وكلام لمسيلمة يتضح الفرق جليا.

يذكر ابن كثير أن عمرو بن العاص قبل إسلامه التقى بمـسيلمة ، فسأله مسيلمة : **ماذا أنزل الله على محمد ﷺ من القرآن الكريم ؟**

قال عمرو : **أنزل الله عليه سورة العصر ، وهى قوله تعالى :**
﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾[1] .

فقال مسيلمة : **لقد أنزل الله على مثلها.**

فقال له عمرو : **وما هي .**

قال: " **ياوبر ، ياوبر ، إنما أنت أذنان وصدر، وسائرك حفر نقر" . فما ترى يا عمرو ؟**

فقال له عمرو وهو يومئذ على الوثنية: **والله إنك تعلم أنى أعلم أنك كاذب**[2] ... **فلم يرد عليه مسيلمة !!**

وبالنظر في سورة العصر وكلام مسيلمة يظهر هذيان مسيلمة، وتهافت كلامه.

يقول الباقلانى : **فأما كلام مسيلمة ، وما زعم إنه قرآن فهو أخـس مـن أن ننشغل به ، وأسخف من أن نفكر فيه ، وإنما نقلنا طرفا منه ليتعجب القارىء والسامع فإنه على سخافته أضل ، ومع ركاكته أزل**[3] .

١- سورة العصر .
٢- البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٨٦ .
٣- إعجاز القرآن للباقلانى صـ١٥٦.

سأل خالد بن الوليد رضي الله عنه مجاعة بن مرارة وكان يجلس إليه ، ويحادثه .

وقال له ذات يوم : **أخبرني عن مسيلمة ؟**

ما الذي يقرئكم ؟

هل تحفظ منه شيئا ؟

قال مجاعة : **نعم ... وذكر له شيئا من رجزه .**

فقام خالد ، وضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال : **يا معشر المسلمين اسمعوا إلى عدو الله . كيف يعارض القرآن ؟!! ... ثم قال : ويحك يا مجاعة ، أراك رجلا عاقلا ، أسمع كلام الله ، ثم انظر كيف عارضة عدو الله وقرأ عليه سورة الأعلى .**

فقال مجاعة : **إن مسيلمة قرب منه رجلا من البحرين كان يكتب له ...** وكان الرجل يقول للناس : **إن مسيلمة كذاب .**

فقال خالد : **أين هذا الرجل ؟!**

قال مجاعة : **هرب ولحق بالبحرين .**

وقد رفض بعض العقلاء من بني حنيفة نبوة مسيلمة ، وقاوموه بما استطاعوا ومن هؤلاء الرجال ثمامة بن أثال رضي الله عنه أحد مشاهير بني حنيفة.

رفض ثمامة مزاعم مسيلمة وقال لقومه : **ويحكم يا بني حنيفة اسمعوا قولي تهتدوا، وأطيعوا أمري ترشدوا، واعلموا أن محمدا ﷺ نبي مرسل ، لا شك في نبوته، وأن مسيلمة رجل كذاب لا تغتروا بكلامه، وكذبه، فإنكم قد سمعتم القرآن الكريم الذي أتى به محمد ﷺ ونقله عن ربه، وفيه نقرأ قوله سبحانه وتعالى** ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣ ﴾[١] .

فأين هذا من كلام مسيلمة الكذاب، فانظروا في أموركم، ولا يذهبن هذا عنكم"[٢] .

١- سورة غافر آية ١ : ٣ .

٢- حروب الردة صـ١١٧.

فقبل فريق نصح ثمامة ، وثبتوا على الإسلام ، وحاولوا بقدر استطاعتهم أن ينتصروا للإسلام في بنى حنيفة، وحينما جاءهم جيش المسلمين بقيادة خالد ابن الوليد لحقوا به ، وقاتلوا معه حتى تم القضاء على الردة وأصحابها .

إن ضلال مسيلمة وكذبه واضح من أعماله، وأقواله ، وسلوكه . ولو تعامل الناس بعقولهم مع دعوته لردوه ردا قبيحا.. حيث لا حاجة لنبوة مع رسالة محمد ﷺ ولا يصح أن يكون الرسول باحثا عن الملك والسلطان والجاه، ونصر الله لرسله قضاء لازم، أما مسيلمة فقد أخزاه الله، وهزمه، وأهلك جنده .

ولو تحركت القبائل بعقولها وتأملت في أقوال المتنبيين لعلمت أنهم يهرفون بكلام لا معنى له ، ولا يتضمن توجيها دينيا محددا ، لا في عقيدة ، ولا في نظام ، ولا في خلق ... لكنهم تحركوا بعصبيتهم كالعوام والدهماء فلم يتفحصوا كلاما ، ولم يحللوا فكرا ، وإنما أعماهم التعصب حتى صار لسان حالهم لقول : **كذاب ربيعة خير من صادق مضر .**

وماذا يقول العاقل في ظاهرة انتشار الإسلام بين العرب ، وبعدما ظهر هؤلاء الأدعياء ، وكل يدعى أنه مرسل لتبليغ الإسلام ، والتخفيف عن الناس ؟

إن المتأمل في هذه الظاهرة يعرف أن سببها عند هؤلاء هو البحث عن السلطة والجاه ، والحقد على قريش ، والظن الساذج من الأدعياء حين تصوروا أن الإسلام مرحلة زمنية وستنتهى كما رأوا فى دعوات سابقة .

وقد أثبتت الأيام كذب هؤلاء الأدعياء فقد هلكوا مع مزاعمهم، وبقى الإسلام دينا ثابتا للناس أجمعين كما نزل من عند الله تعالى .

تحرك مسيلمة في قومه

أعلن مسيلمة نبوته عقب إسلام قبيلته (بنى حنيفة) في حياة رسول الله ﷺ وأخذ يجمع حوله الأنصار والأتباع، وادعى نزول قرآن عليه، واستمر يحلل ويحرم، ويحذف من تعاليم الإسلام الحنيف... وكتب إليه رسول الله ﷺ ردا قويا وبين كذبه وإفكه.

ركز مسيلمة في دعوته قومه على العصبية القبلية ، والعنصرية التي تعيشها البداوة ، الأمر الذي أدى إلى افتتان قومه به فاتبعوه ، وصار بعضهم دعاة له .

ولما جاءت سجاح تريد الاستيلاء على ديار بنى حنيفة وقتل مسيلمة صانعها، وتزوجها، ودخل بها قبل أن ترحل إلى ديارها.

ولقى رسول الله ﷺ ربه، وأمر مسيلمة يقوى ، واستمر الحال على ذلك حتى جاء جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد، وقتل مسيلمة ، وتم القضاء على ردة بنى حنيفة .

مواجهة المسلمين لـ" مسيلمة "

استمرت ردة مسيلمة بعد وفاة رسول الله ﷺ ، حتى قضى عليها المسلمون بواسطة المجاهدين الصادقين الذي جيشهم أبو بكر رضي الله عنه للقضاء على فتنة الردة في الجزيرة العربية كلها.

وقد عارض نفر من بنى حنيفة أكاذيب "مسيلمة" ودعوا قومهم إلى عدم تصديقه، والثبات على الإسلام الحنيف، وعلى رأس هؤلاء الثابتين على الحق ثمامة من آثال ، ومعمر بن كلاب الرمانى ، وعامر بن مسلمة ، وقد بادر الثابتون على الحق إلى الانضمام لـ "جيش خالد بن الوليد ، وساهموا بأنفسهم جهادا في سبيل الله حتى عاد الحق ، وانتصر الإيمان .

ـ ثالثا ـ

سجاح بنت الحارث

التعريف بها

هي سجاح بنت الحارث بن سويد بن عثمان من نـصارى بنـي تغلـب العربية، تمتعت بذكاء العقل ، وجمال الشكل ، ونعومة السلوك ، وتأثرت بمـا سمعت في كتب النصارى وبخاصة بما جاء في سفر "أستير" الذي يفيد كيفيـة استفادة المرأة بجمالها في تحقيق أغراضها ، وإباحة الانحلال من أجل النصر . ولذلك نراها تصاحب في كل مكان ذهبت إليه سادة القوم، وأمراءهم، فلقـد أخذت نفرا من قومها، وذهبت إلى بلاد بنى تميم فاتبعها من قادتهم مالك بـن نويرة، وعطارد بن حاجب، وأخذت رجالا منهم وذهبت إلى بنى حنيفة، ولكنها سرعان ما صاحبت مسيلمة، وتزوجته، ومكثت معه ثلاثة أيـام ثـم تركتـه ورجعت إلى ديارها ...

وأهملت سجاح بعد ذلك كل من تعرفت عليه أو عاشـرته، أو تزوجتـه. وأقامت عند قومها بنى تغلب إلى زمن معاوية حيـث أجلاهـم عنهـا عـام المجاعة[١] .

جوانب ردة سجاح

خرجت سجاح بنت الحارث عن الإسلام بردتها لما يلي:

- ادعت النبوة وهذا ادعاء ضال من وجهين فهو **ـ أولا ـ** يخالف أصـلا من أصول الإسلام من أنه لا نبى بعد محمد ﷺ ، وهو **ـ ثانيا ـ** يعارض ما اتفق عليه جمهور المسلمين من أنه لا نبوة لامرأة .
- زعمت أن الوحي ينزل عليها بقرآن لها، وحدثتهم ببعض الوحي الـذي زعمته ، ومنه :

١- البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٦٠ .

قالت لهم وهى تدعوهم للذهاب إلى بنى يربوع في بلدهم (الربـــاب) :
" **أعدوا الركاب ، واستعدوا للذهاب ، ثم أغيروا على الرباب ، فليس بينهـــا وبينكم حجاب** " .

وقالت للناس وهى تدعوهم للذهاب إلى بنى حنيفة: " **عليكم باليمامة ، دفوا دفيف الحمامة ، فإنها غزوة صرامة، لا تلحقكم بعدها ملامة** " .

وكلام سجاع عبارة عن جمل مكونة من السجع الشاذ ، الخالى من جمال البلاغة العربية ...

وفوق ذلك فهو كلام لا صدق فيه فهي تخبر قومهـــا بغـــزو ، ونـــصر ، وغارة ، وحرب ، ومع ذلك لم يحدث شيء من هذا .

ويمكن لأى طفل أن يقول: **(اذهبوا إلى المحلة، واشتروا فانلة، فهي خير حلة وثمنها قلة)** وبعد ذلك يدعى أن مثل هذا الكلام وحى ينزل من عند الله تعالى.

- ادعت أنها قد أوحى إليها بإلغاء بعض الفرائض الإسلامية تخفيفا علـــى إتباعها، ومما ألغته شرط الإسلام وجود مهر وولى فـــي عقـــد النكـــاح وطبقته على نفسها عند زواجها من مسيلمة الكذاب.

حركة سجاح في قومها

بعد وفاة رسول الله ﷺ توقفت بنو تميم عن دفع الزكاة إلى الخليفة، حيث أعلن بعضهم موقفه من دفع الزكاة صراحة ، ومنهم من أخفى موقفـــه حتـــى ينجلي موقف العرب كلهم .

واستمر بنو تميم على ترددهم حتى أقبلت عليهم سجاح مدعيـــة النبـــوة، ووضعت عنهم الزكاة فأقبلوا عليها ، وتصوروا معها أن بإمكانهم غزو المدينة والاستيلاء على الجزيرة، وإعلان سجاح نبية للعرب كلهم.

وتحركت سجاح بنفر من قومها تجاه المدينة، إلا أنها أثناء سيرها التقـــت بسادة بنى تميم فعاشت معهم، وتحركوا سويا إلى اليمامة ديار مسيلمة فعاشت معه وتزوجته ، وتركت قصدها الذي خرجت من أجله ، ثم رحلت بعد ذلـــك إلى قومها بنى تغلب. وقد قضت جيوش المسلمين على الردة في بنى تميم .

ــ رابعا ــ

طليحة بن خويلــد

التعريف به :

هو طليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة الأسدى ، قدم مع قومه إلى الرسول الله ﷺ في المدينة المنورة عام الوفود،وأظهر إسلامه أمام رسول الله ﷺ وأعلن الوفد رسول الله ﷺ أنه لا حاجة لهم لدعاة ، وأنهم سيقومون بدعوة من وراءهم ، ويبدو أنهم دخلوا في الإسلام مع عدم خلوص نواياهم لأن الله أنزل فيهم قوله تعالى﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ . فبين بذلك سبحانه وتعالى انه لاحق لهم في التمنى بالإسلام ،بل الله يمن عليهم بذلك إن صدقوا وأطاعوا .

ولم يستمر طليحة طويلا على الإسلام ، لأنه عقب عودة الوفد إلى الــديار أعلن ردته ، وزعم نبوته ، وادعى أن الوحي ينزل عليه ، وأخذ يلقى كلمــات مسجوعة على متبعيه .

استغل طليحة طاقته العالية فى الشعر والخطابة ، وخدع العامة بحديثــه ، فاتبعه جمع غفير منهم ، وقويت شوكته وعلا شأنه بانــضمام بنـــى عــبس ، وذبيان ، وغطفان ، وبنى جديلة .

وقد استمر طليحة في مزاعمه حتى تم القضاء عليه في الحرب التي شنها أبو بكر رضي الله عنه عليه وعلى غيره من المرتدين .

جوانب ردة طليحة

ارتد طليحة عن الإسلام ، وخرج منه خروجا بينا ، وذلك يتــضح مــن التصرفات التالية :

١- زعم أنه نبى يكلم من السماء يتساوى في ذلك مع محمد ﷺ .

٢- ادعى ظهور معجزات على يديه مع أنها ليست كذلك ، و من ذلك أنــه كان في سفر مع بعض قومه فاحتاجوا إلى الماء فقال لهــم : **اركبــوا**

الفرس ، و امشوا إلى جهة كذا عدة أميال تجدون مـــاء ... فـسـاروا فوجدوا الماء[١] ، وعدوا ذلك معجزة ، مع أن كثيرا من الناس يمكنه أن يتوقع مكان نزول المطر بتتبع حركة السحاب ، وكثافته ... وما فعلـــه طليحة يختلف اختلافا واضحا عن نبع الماء مـــن الأصـــبع ، وتكثيـــر الطعام ، وتظليل الغمام وهكذا.

٣– زعم أن قرآنا ينزل عليه ، ومن أقواله في هذا :

– **اركبوا أعلالا ،واضربوا أميالا ، تجدوا بلالا .**

– **والحمام واليمام، والصرد الصوام ، قد صمن قـبلكم بـأعوام ، ليبلغن ملككم العراق والشام**[٢] .

٤– خفف عن الناس أيام الصيام ، وألغى لهم من الصلاة الـسجود مكتفيـا بالقيام والركوع .

وهكذا استمر طليحة في ردته الكاذبة حتى أثبتت الأيام ضلاله بالقضاء عليه والقضاء على ما كان يأمله و يبشر به .

تحرك طليحة في الناس

لم يكتف طليحة بردة قبيلته ، ونشر مزاعمه فيها بل أخذ يتحرك بكذبـــه ومعه قومه إلى القبائل الأخرى وبخاصة بعد أن تمكن من هزيمة ضرار بـــن الأزور الأسدى الذي ثبت مع بعض قبيلته على الحق بعدما كلفه رسول الله ﷺ بمقاومته .

وقد تمكن طليحة من عقد حلف بين أسد وغطفان بقيادته ، واستعان بهـــذا الحلف في ضم قبيلتى بنو عبس وذبيان ، كما حاول ضم قبيلتى بنـــى جذيلـــة والغوث إليه إلا أنه لم يتمكن من ذلك .

واستمر طليحة في تحركه وعبثه حتى تم القضاء عليـــه بمجـــئ جيـــش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه .

١- إعجاز القرآن صـ١٥٥ .

٢- المصدر السابق صـ١٥٤ .

ـ خامسا ـ

انتشار الردة في القبائل العربية

من القبائل التي ارتدت بعد وفاة رسول الله ﷺ .

ـ ردة أهل عمان :

ارتد أهل عمان ، وملكوا عليهم لقيط بن مالك الأزدى المعروف بـــ "ذو التاج" وقد ادعى النبوة بعد تملكه حينمــا رآهــا ادعــى لطاعــة النــاس وخضوعهم له ، وقد تمكن ذو التاج من إخضاع قبيلة المهرة لملكه .

أرسل إليه أبو بكر جيشا بقيادة حذيفة بن محصن،وعرفجة على أن يكون حذيفة ، هو الأمير في عمان،وعرفجة هو الأمير في بلدة " مهرة " .

عسكر "جيش ذى التاج " في قرية يقال لها "دبا" و تركوا الأموال والنــساء والذرارى وراءهم .

وصل الجيش الإسلامى إلى عمان وتقاتل الجيشـــان قتـــالا مريرا وابتلـــى المؤمنون في هذا القتال إلى أن جاءهم مدد من بنى نـــاجية وعبد القـــيس فنصَـــرهم الله تعالى وعـــادت عمان إلى الإسلام [١].

ـ ردة البحرين :

ارتد أهل البحرين و ملكوا عليهم المنذر بن النعمان الغرور ، وقالوا: **لـــو كان محمد ﷺ نبيا بحق ما مات** ، ولكن الجارود بن المعلى واليهم من قبل رسول الله ﷺ قام بدور متميز في محاولة دعوة قومه عبـــد القـــيس إلـــى الإسلام ، وإدخالهم جميعا فيه ، إلى أن واجهوه بمقالتهم عن موت رســـول الله ﷺ فجمعهم ، وقال لهم :

يا معشر عبد القيس إني سائلكم عن أمر فأخبرونى بـــه إن علمـــتم ، ولا تجيبونى إن لم تعلموا .

قالوا : **سل عما بدا لك .**

١ـ تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٣١٤ ـ ٣١٥ .

قال : **تعلمون أنه كان لله أنبياء فيما مضى ؟**

قالوا : **نعم**

قال: **تعلمون أو ترون ؟**

قالوا : **لا بل نعلمه .**

قال : **فما فعلوا ؟**

قالوا : **ماتوا .**

قال: **فإن محمد ﷺ مات كما ماتوا . وأنا أشـــهد أن لا إلـــه إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله .**

قالوا : **ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله وأنك سيدنا وأفضلنا و ثبتوا على إسلامهم** [١].

فهذا موقف يذكر للجارود بن المعلـــى رضي الله عنه ، فقـــد ثبـــت الله بـــه قومـــه عبد القيس فثبتوا على إسلامهم .

وقد ألهمه الله تعالى بضرب المثل بالأنبياء السابقين عليهم السلام ، حيـــث كانت نهايتهم الموت ، فكذلك رسول الله ﷺ فاقتنع قومـــه ، وزال عـــنهم الشك وهذا مما يبين مزيه التفقه في الدين ، وأثر ذلك في توجيه الاعتقاد والسلوك و خاصة عند حدوث الفتن .

ـــ ردة حضر موت

كان زياد بن البيدر الأنصارى واليا على قبيلته بحضر مـــوت ، متميـــزا بالصرامة والشدة ، فتمرد عليه حارثة بن سراقة ، وأعلن ردتـــه ، وأعـــد جيشا لقتال جيش زياد ... وبعد قتال عنيف أنهزم المرتدون و قتـــل عـــدد كبير منهم ، وتم القضاء على ردة كندة .

أما القبائل الصغيرة فقد تبعت في ردتها القبائل الكبيرة ، وبالقـــضاء علـــى الردة والمتنبئين عاد الجميع إلى الإسلام و الحمد لله [٢] .

١- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٣٠٣ .
٢- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٣٣٠ وما بعدها بتصرف كبير .

المبحث الثالث

المواجهه الشاملة للمرتدين

بعد أن استراح جيش أسامة ، وانهزمت القبائل حول المدينة ، وصارت (ذو القصة) خالصة للمسلمين أمر أبو بكر ﷺ بأن يتجمع المجاهدون في (ذى القصة) واتخذ منها مكانا للتعبئة والمتابعة ، ومركزا للقيادة والتوجيه .

ورأى أبو بكر ﷺ أن مواطن الردة تختلف قوة وضعفا ، فأقواها مواطن بنى أسد فى بزاخة واليمامة ، واليمن . وما عدا هذه المواطن الثلاثة فهى قوى متناثرة منفصلة عن بعضها .

قسم أبو بكر جيوش المسلمين إلى إحدى عشرة فرقة ،واتخذ من (ذى القصة) منطلق الجيوش كلها ،وأبقى معه كبار الصحابة لمشاورتهم فى شئون القتال ، وأمور الأمة ، وقد استمرت حروب الردة عاما كاملا ، انتشرت القوات المسلمة خلالها فى الجزيرة كلها ، وأبلت بلاء حسنا ، وصابرت فى جهادها ، وصبرت حتى تحقق لها النصر بإذن الله تعالى .

والفرق التى أعدها أبو بكر ﷺ ، وعين قادتها وحدد وجهتها هى :

(١) الفرقة الأولى :

بقيادة خالد بن الوليد وقد أرسلها الخليفة إلى بنى أسد في (بزاخة) لقتال طليحة الكذاب ، فإذا فرغت من طليحة ، كلفها بالتوجه إلى البطاح لقتال مالك بن نويرة إذا لم يرجع إلى الإسلام . وأخيرا أمرها بالانضمام إلى شرحبيل لقتال مسليمة .

(٢) الفرقة الثانية :

بقيادة عكرمة بن عمرو بن هشام (أبى جهل) ووجهها أبو بكر إلى اليمامة لقتال مسيلمة الكذاب . وبنى حنيفة .

(٣) الفرقة الثالثة :

بقيادة شرحبيل بن حسنة ، وأمرها الخليفة بمساعدة عكرمة ، فإذا فرغ

الجيشان من مسيلمة قصدا منازل قضاعة (الغساسنة) على حدود الشام .

(٤) الفرقة الرابعة :

بقيادة المهاجر بن أبى أمية إلى اليمن وبعثها أبو بكر لقتال أتباع الأسود العنسى بصنعاء ومعاونة المسلمين الذين يقاتلون قيس بن المكشوح وأنصاره ، فإذا انتهى الجيش من هؤلاء ، سار إلى منازل كندة بحضر موت .

(٥) الفرقة الخامسة :

بقيادة حذيفة بن محصن وأرسلها أبو بكر إلى ثوار دبا بعمان على بحر فارس .

(٦) الفرقة السادسة :

بقيادة عرفجة بن هرثمة إلى أهل مهرة . على أن تعمل مع الفرقة الخامسة ويكون قائد الخامسة أميرا على الفرقتين في عمان ، وقائد السادسة أميرا عليهما في مهرة (ويخضع كل قائد لإمرة أخيه في جهته) .

(٧) الفرقة السابعة :

بقيادة سويد بن مقرن وأرسلت إلى تهامة لقتال ثوارها .

(٨) الفرقة الثامنة :

بقيادة العلاء بن الحضرمى وأرسلت إلى البحرين .

(٩) الفرقة التاسعة :

بقيادة طريفة بن حاجز وأرسلت إلى منازل بنى سليم وهوازن .

(١٠) الفرقة العاشرة :

بقيادة عمرو بن العاص وأرسلت إلى جماع قضاعة وبنى وديعة وبنى الحارث في ديارهم في الشمال .

(١١) الفرقة الحادية عشرة :

بقيادة خالد بن سعيد بن العاص وأرسلت إلى مشارف الشام[١] .

وبالنظر فى مسار هذه الفرق نلحظ أن توجهها شمل الجزيرة كلها ، وأن

١- البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٥٥ .

القوة الرئيسية هى فرقة خالد بن الوليد رضي الله عنه الذي يعد بحق قائد النصر في حروب الردة ، وأن الخطة الموضوعة تقضى بالتواصل ، والترابط بين جميع الفرق ، يعين بعضها بعضا عند الضرورة ، ويتوحد بعضها مع الآخر حين التلاقى ، ورسم أبو بكر خطة دقيقة للاتصال ، والإمدادات حتى لا ينقطع المدد عن فريق يحتاجه .

وقد اتخذ التحرك الإسلامى ضد المرتدين ثلاثة محاور رئيسية هي :

المحور الأول

تقوية القوى الإسلامية فى القبائل

من الحقائق الثابتة أن الردة وإن كانت شاملة للجزيرة جغرافيا فإنها لم تشمل جميع أفراد القبائل ، بل بقى فى كل قبيلة نفر يؤمنون بالله تعالى ، ويلتزمون بالإسلام كما تعلموه من رسول الله ﷺ وجاهروا بموقفهم أمام أهليهم ، ووقعت بينهم مجادلات ومصادمات .

اعتمد أبو بكر رضي الله عنه على هذه الفئة ، وأمرها بالثبات ، وكلفها بمساعدة المسلمين حين القدوم عليهم ، وحثهم على نصح أقوامهم ، ودعوتهم إلى الحق. وكان لهذا الفريق المؤمن موقف مشهود قدم فيه للإسلام خدمات جليلة ، فبعضهم هو قاتل الأسود العنسى ، وفريق منهم من سليم الذين حاربوا المرتدين من قبيلتهم ، وهكذا لقيت الجيوش الإسلامية أنصارا لها من القبائل ، يمدونهم بالأخبار ، ويعينوهم بالمال والنفس ، وينضمون إليهم ، ويساعدونهم فى القتال حين ملاقاه المرتدين .

ولقد ساعد هذا المحور على تحقيق النصر لأن المرتدين وجدوا أنفسهم يواجهون رجالا أتوا من أمامهم ومن خلفهم فأصيبوا بالذعر والهلع ، وعادوا للحق والصواب .

المحور الثانى

إرسال الجيوش النظامية

جهز أبو بكر رضي الله عنه أحد عشر فريقا من المجاهدين ، ووضع لهـم خطـة التحرك ، وجعل على كل فرقة أميرا يقودها ، وأعطى لكل قائد أوامر الحرب والخطة العملية للحركة والقتال ــ كما سبق بيانه .

واختار رضي الله عنه للقبائل كثيرة العدد ، القوية استعدادا وعـدة أعظـم الفـرق تجهيزا واستعدادا ، وأقوى القادة فكرا وخبرة ... وكلف خالد بن الوليـد رضي الله عنه بالتوجه إلى الجنوب على أن تلتقى القوات المكلفة في سائر الأماكن في نقـاط محددة بعد الانتهاء من مهامها لتتحرك جميعا إلى الجهات التي يحددها الخليفة.

وتتجلى عبقرية الصديق فى وضع خطة محكمة لقتال المرتدين . فقد عمل على مواجهة المرتدين جميعا فى وقت واحد ، حتى لا يعين بعضهم بعـضا ، ونظم ترابط الفرق المسلمة لينصر بعضها بعضا إذا تعرضـت لـضغط ، أو قابلت قوة أكبر منها ، وحدد كيفية اتصال القيادات بمقر الخلافة ليعرف الوقائع أولا بأول ويمدهم بردء إن احتاجوا إليه ، ويعينهم بكل ما يمكنه .

وإن كانت الدول الحديثة تدير معاركها بما يسمى (حجرة عمليات) وتصدر للجيوش أوامر الحرب العامة التى تحدد الحركة ، والهدف، والأسـلوب فـى الحرب والقتال ... وتتابع سير المعركة لتمـد المقـاتلين بالعـدة و العـدد ، وترشدهم إلى التصرف المناسب لما يجد من الظروف .

إن كان ذلك هو العلم فى العصر الحديث فإن الإسلام سبق فى كل ذلـك ، وها هو أبو بكر رضي الله عنه يتخذ من (ذى القصة) موطن القيادة ، ومنها أخذ يصدر أوامره بعد الإعداد والتجهيز فى صورة خطابين بـصيغة واحـدة وأرسـل الخطاب الأول إلى كل القبائل المتمردة ، وأرسل الخطاب الثانى إلـى جميـع قواد الجيوش المسلمة الأحد عشر وأخذ يتابع سير المعارك ، ويصدر الأوامر ويمد المقاتلين بما يحتاجون إليه من عدة وسلاح .

المحور الثالث

توجيه الدعوة قبل القتال

مع توجيه الجيوش الإسلامية إلى القبائل المتمردة ، وتقوية الجبهة الإسلامية داخل القبائل حرص أبو بكر رضي الله عنه على دعوة القبائل إلى الله بالحسنى قبل قتالها ، وحرص على توجيه القادة الميدانيين إلى ضرورة الدعوة قبل الحرب ولذلك كتب كتابين أحدهما للقادة ، والثاني للقبائل ، وأمر بتعميم الكتابين لسائر القواد ، ولجميع القبائل .

ففي الخطاب المرسل إلى القبائل يقول أبو بكر رضي الله عنه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من أبى بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابى هذا ، من عامة وخاصة ، أقام على إسلامه أو رجع عنه .

سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى .

فإنى أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،وأن محمدا عبده ورسوله،نقر بما جاء به،ونكفر من أبى ذلك ونجاهده

أما بعد ...

فإن الله أرسل محمدا بالحق من عنده ، إلى خلقه بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، فهدى الله بالحق من أجاب إليه ، وضرب رسول الله ﷺ بإذنه من أدبر عنه ، حتى صار إلى الإسلام طوعا وكرها . ثم توفى الله رسوله ، وقد نفذ أمر الله ونصح لأمته ، وقضى الذي عليه ، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل فقال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1] وقال : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[2] وقال للمؤمنين : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ

١- سورة الزمر آية ٣٠ .

٢- سورة الأنبياء آية ٣٤ .

إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ [1]﴾ فمن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله له بالمرصاد حى لا يموت ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، حافظ لأمره ، منتقم من عدوه يجزيه .

وإنى أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم ، وما جاءكم به نبيكم ﷺ وأن تهتدوا بهداه وأن تعتصموا بدين الله ، فإن كل من لم يهده الله ضال ، وكل من لم يعافه مبتلى ، وكل من لم يعنه الله مخذول ، ومن هداه غير الله كان ضالا ، قال الله تعالى : ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ [2]﴾ لم يقبل له في الدنيا عمل حتى يقر به ، ولم يقبل له في الآخرة صرف ولا عدل ، وقد بلغنى رجوع من رجع منكم عن دينه ، بعد أن أقر بالإسلام ، وعمل به ، اغترارا بالله ، وجهلا بأمره ، وإجابة للشيطان ، قال الله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ [3]﴾ وقال سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ [4]﴾ وإنى بعثت إليكم فلانا في جيش من المهاجرين والأنصار ، والتابعين بإحسان . وأمرته أن لا يقبل من أحد إلا الإيمان بالله ، ولا يقتله حتى يدعوه إلى الله عز وجل ، فإن أجاب وأقر وعمل صالحا قبل منه ، وأعانه عليه ، وإن أبى حاربه عليه حتى يفئ إلى

١- سورة آل عمران آية ١٤٤ .

٢- سورة الكهف آية ١٧ .

٣- سورة الكهف آية ٥٠ .

٤- سورة فاطر آية ٦ .

أمر الله ، ثم لا يبقى على أحد منهم قدر عليه . وأن يحرقهم بالنار ، وأن يقتلهم كل قتلة ، وأن يسبى النساء والذرارئ ، ولا يقبل من أحد غير الإسلام فمن اتبعه فهو خير له ، ومن تركه فلن يعجز الله ، وقد أمرت رسولى أن يقرأ كتابى في كل مجمع لكم . والداعية الأذان . فإذا أذن المسلمون فأذنوا وكفوا عنهم ، وإن لم يؤذنوا فسلوهم ما عليهم ، فإن أبوا عاجلوهم ، وإن أقروا قبل منهم وحملهم على ما ينبغى لهم[١] .

ونلاحظ في كتاب أبى بكر رضي الله عنه أنه يبين الحقيقة الدينية كما هي أمام القبائل (جميع القبائل) ويبين لهم استمرارية الإسلام بثبوت الوحي ، ويطلب منهم الرجوع إلى الحق ، والعودة إلى الإسلام .

ويوضح لهم أن الموت حق لا ينبغى الجزع أمامه ، ويفصل لهم ضياع الردة ، وخيبة المرتدين وأنه لن يقبل من المرتد إلا التوبة ، وإن لا قتل .

لقد كان أبو بكر رضي الله عنه حاسما في بيانه ، واضحا في كل أمر يجب على المسلمين العمل به .

وفى الخطاب المرسل إلى القادة يقول أبو بكر رضي الله عنه :

هذا عهد من أبى بكر خليفة رسول الله ﷺ لفلان حين بعثه فيمن بعثــه لقتال من رجع عن الإسلام ، وعهد إليه أن يتقى الله ما استطاع في أمره كله سره وعلانيته ، وأمره بالجد في أمر الله ، ومجاهدة من تولى عنه ، ورجع عن الإسلام إلى أمانى الشيطان ، بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بداعية الإسلام فإن أجابوه أمسك عنهم ، وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقروا له ، ثم ينبئهم بالذى عليهم والذى لهم ، فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهــم ، لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم ، فمن أجاب إلى أمــر الله عــز وجل وأقر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف ، وإنما يتقبل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله ، فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه ســبيل ،

١- تاريخ الطبرى جــ٣ صــ٢٥٠ ، ٢٥١ .

وكان الله حسيبه بعد فيما استسر به ، ومن لم يجب داعية الله قتل وقوتـــل حيث كان وحيث بلغ مراغمه ، لا يقبل من أحد شيئا أعطاه إلا الإسلام ، فمن أجابه وأقر قبل منه وعلمه ومن أبى قاتله ، فإن أظهره الله عليه قتل مـــنهم كل قتلة بالسلاح والنيران ، ثم قسم ما أفاء الله عليهم إلا الخمس فإنه يبلغناه وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد وألا يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلـــم ما هم لا يكونوا عيونا ، ولئلا يؤتى المسلمون مـــن قـــبلهم ، وأن يقتـــصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل و يتفقدهم ، ولا يعجل بعضهم عن بعض ، ويستوصى بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول [١].

نلحظ فى رسالة القبائل أن أبا بكر بين للمرتدين خطأهم فى ردتهم لأنهـــم آمنوا بالإسلام ، وهم يعلمون أن محمدا ﷺ ميت حين أجله ، وأن الحق باق ولا حجة لهم فى ترك الحق وهجره ... كما وضح لهم أن الأسلوب الفوضـــى فى دين الله مرفوض ، لأن الإسلام حقيقة مطلقة ، وهى ثابتـــة ومقـــررة ، ومعاداة الحقيقة تجلب الفساد والضرر ، وليس من حق الإنسان أن يضر نفسه والناس والقيم بدعوى الحرية والتفكير ...

وقد سوى أبو بكر فى خطابه بين سائر النـــاس ، عـــامتهم وخاصـــتهم ، وعرفهم أن باب التوبة مفتوح لمن أراد ، والله يقبل التوبة عن عباده ، ويعفوا عن السيئات ، ويعلم ما تفعلون .

وفى خطابه للقادة يبين أبو بكر رضي الله عنه **أهمية الالتزام بأحكام الله تعـــالى ، وعدم المهادنة فى شأن العقيدة ، وضرورة أخذ الناس بالدعوة والرفق حتى يعينوهم في العودة إلى أمر الله تعالى ... وأن يحذروا الغرباء والمنافقين .**

وأن يتحابوا ويتعاونوا ، وينصر بعضهم بعضا ، ويعلموا أن نصر الله مع الطاعة والاستقامة ، والهزيمة مع المعصية وترك أمر الله تعالى .

وسارت الفرق بعون الله تعالى ، كل فى وجهتها المقصودة ،حتى تحقق لهـــا النصر والتوفيق بأمر الله تعالى .

١- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٢٥١ ، ٢٥٢ .

المبحث الرابع

المعارك الفاصلة

فى القضاء على الـــردة

تحركت الجيوش الإسلامية إلى الجهات التى حـــددها أبـــو بكـــر رضي الله عنه ، ودارت معارك كثيرة انتهت بنصر الله تعالى ، وعودة الجزيرة العربية إلـــى الإسلام مرة أخرى وأهم المعارك هى :

ـــ١ـــ

معـــركة الـــبزاخة

معركة " البزاخة " من أقوى معارك حـــرب الـــردة ، وأكثرهـــا اتـــساعا وانتشارا فى جغرافيتها ، وآثارها ، قادها خالد بن الوليد رضي الله عنه بتوجيهات مـــن أبى بكر رضي الله عنه ، ورعايته لها وهذا تحليل موجز للمعركة .

أ ـــ مقدمة المعركة[1]

انحاز المرتدون الذين انهزموا فى (ذى القصة) إلى طليحة الأسدى فـــى ديار بنى أسد فى الشمال الشرقى لنجد، وأرسل طليحة إلى قبائـــل غطفـــان ، وطىء ، وعبس ، وذبيان يستعديهم لقتال المسلمين ، ويطلب مـــنهم العـــون ، فأطاعوه، فحشد منهم جموعا غفيرة انضم إليها كثير من مرتزقـــة الأعـــراب والبوادى الذين خدعهم طليحة في دعوته النبوة .

أعد أبو بكر رضي الله عنه جيش خالد رضي الله عنه لمقاتلة طليحة ومن انضم إليه ، وأمر خالدا أن يبدأ بمن يلقاه أولا من المرتدين ، حيث قبيلة (طىء) القريبة ليتفـــرد بهم قبل أن ينضموا لجيش طليحة وبنى أسد .

واستفاد أبو بكر بالحرب النفسية فأشاع فى الناس أنه جهز جيشا آخر ليذهب

١- البزاخة : ماء لبنى شيبان في أعلى حدود نجد من جهة الشام وسميت القرية باسم هذا الماء .

إلى " خيبر " ويقاتل " طئ " فى الشمال ليحصرها مع جيش خالد الذي سيأتيها من الجنوب ، فأدى ذلك إلى تباطؤ " طئ " عن طليحة ...

وفى نفس الوقت خاف عدى بن حاتم الطائى على قومه فجاء إلى أبـــى بكر رضي الله عنه يستمهله قتالهم .

فقال أبو بكر له : **أدرك قومك لا يؤكلون ويجتاحهم خالد بمن معه ...**

فذهب عدى إلى قومه وناقشهم طويلا ، ورغبهم وأرهبهم ، فمازال بهـــم حتى قبلوا منه ، وطلبوا أن يستمهلهم ثلاثة أيام حتى يتمكنوا من استقدام أبنائهم الذين لحقوا بجيش طليحة ... فأمهلهم حتى عاد أبناؤهم إلى ديارهم ، وآمنـــوا بالله ورسوله ، وانضم منهم ألف فارس إلى جيش خالد رضي الله عنه وكما أنقذ حـــاتم قبيلة طئ أنقذ قبيلة أخرى مجاورة لها هى قبيلة " جديلة " حليفة (طئ) .

وقد أوصى أبو بكر رضي الله عنه خالدا قبل توجهه إلى طليحة بالوصية التالية :

يا خالد . عليك بتقوى الله ، وإيثاره على سواه ، والجهاد في ســـبيله ، والرفق بمن معك من رعيتك فإن معك أصحاب رسول الله ﷺ أهل الـــسابقة من المهاجرين والأنصار ، فشاورهم فيما نزل بك ، ثم لا تخالفهم.

فإذا دخلت أرض العدو ، فكن بعيدا من الحملة ، فأنى لا آمن عليك الجولة .

واستظهر بالزاد ، وسر بالأدلاء ، وقدم أمامك الطلائع ترتد لك المنازل .

وسر في أصحابك على تعبئة جيدة .

واحرص على الموت توهب لك الحياة .

ولا تقاتل بمجروح فإن بعضه ليس منه .

واحترس من البيات فإن في العرب غرة .

وأقلل من الكلام .

واقبل من الناس علانيتهم وكلهم إلى الله في سريرتهم .

وإذا آتيت دارا فأقحم ، فإن سمعت أذانا ، أو رأيت مصليا فأمـــسك ، حتـــى تسألهم عن الذى نقموا ومنعوا الصدقة من أجله .

فإن لم تسمع أذانا ولم تر مصليا شن الغارة ، فاقتل وأحرق كل من ترك واحدة من الخمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسـوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام شهر رمضان ، وحج البيت ، حتى إذا أسلموا وأعطوا الصدقة فمن شاء منكم فليرجع .

وإذا لقيت أسدا وغطفان فبعضهم لك وبعضهم عليك ، وبعضهم لا عليـك ولا لك، متربص دائرة السوء لمن تكون الدبرة فيميل مع من تكون له الغلبة. ولكن الخوف عندى من أهل اليمامة ، فاستعن بالله على قتالهم ، فإنـه قـد بلغنى أنهم رجعوا بأسرهم ، فإن كفاك الله الضاحية فامض إلى أهل اليمامة ، سر على بركة الله[1] .

ب ـ نتائج المعركة

وصل جيش خالد إلى بنى أسد وشد عليهم بقوة ، ولم يمر وقت طويل حتى انهزم جيش طليحة بعد هلاكه وموته .

وأرسلت القبائل وفودها للصلح والتوبة والعودة إلى الإسلام .

وقد جاء وفد أسد وغطفان إلى أبى بكر رضي الله عنه بالمدينة للـصلح فخيـرهم أبو بكر بين حرب مجلية أو خطة مخزية .

فقالوا : **يا خليفة رسول الله أما الحرب المجلية فقد عرفناها فما الخطـة المجزية ؟**

قال : **تؤخذ منكم الحلقة والكراع ، وتتركون أقواما ، تتبعون أذناب الإبل حتى يرى الله خليفة نبيه والمؤمنين أمرا يعذركم به ، وتودون ما أصبتم منا ولا نودى ما أصبنا منكم، وتشهدون أن قتلانا في الجنة وأن قتلاكم في النار.**

فقال عمر : **أما قولك تودون قتلانا فإن قتلانا قتلوا على أمر الله لا ديات لهم ، فامتنع عمر أولا ، وقال عمر في الثانى : نعم ما رأيت[2] .**

١- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ ٢٥٣ .

٢- البداية والنهاية جـ ٢ صـ٢٢٣ .

وشاع خبر هزيمة طليحة وأتباعه فى الجزيرة كلها ، وأقبلت قبائل غطفان وهوازن ، وسليم ، وغيرهم لمصالحة المسلمين فقبل خالد منهم على ما قبلـــه أبو بكر من بنى أسد .

واستمر خالد بجيشه فى ديار بنى أسد شهرا حتى استقر أمر الإسلام بها .

وبعد ذلك انتقل إلى المواطن المحددة له وفق الخطة التى وضعها أبو بكر رضي الله عنه

—٢—

معركة البطاح

البطاح بضم الباء إحدى قرى بنى تميم ، وليها مالك بن نويرة ، مجـــاورة لديار بنى أسد ، قصدها خالد بن الوليد رضي الله عنه بعد الانتهاء من فتنـــة طليحـــة وبنى أسد .

وترجع أهمية هذه المعركة رغم عدم وقوع قتال فيها إلى أنها تمت باجتهاد من خالد بن الوليد رضي الله عنه لعدم ورودها فى الخطة التى وضعها أبوبكر لخالد بن الوليد ، وأيضا لقتل " مالك بن نويرة " الذى دار حول مقتله كلام كثير يحتاج إلى الحقيقة التى تجليه ، وتبعد الشبه ، والزيف عن صـــحابة رســـول الله ﷺ وعلى رأسهم . خالد بن الوليد رضي الله عنه....

المعـــــركة

صانع مالك بن نويرة سجاح حين قدومها من ديار قومها بنـــى تغلـــب ، واتفق معها على التعاون والنصرة ، وشجعها على قتال مسيلمة الـــذى كـــان يخشاه على سلطانه وظهوره ...

إلا أن سجاح حينما ذهبت إلى مسيلمة تفاهمت معه ، وتزوجها ، ثم رحلت إلى بلادها بعد أن صالحها مسيلمة على نصف خراج أرض "اليمامة "[١] .

ندم مالك بن نويرة على مصانعة " سجاح " ورأى أنه لم ينل شيئا ، ولكنه وضع نفسه وقومه فى قيادة المرتدين .

---

١ – البداية والنهاية جـــ٦ صـــ٣٢٦

كان مالك يقيم فى " البطاح " فقصدها خالد بجنوده ، وكانت على مسيرة يومين من البزاخة . عسكر خالد فى البطاح ، وبث سراياه فى أنحائها لدعوة الناس إلى الإسلام ، فاستقبله أمراء بنى تميم بالسمع والطاعة ، وبذلوا الزكاة ، وأعلنوا التزامهم بالإسلام ، كما جاء به رسول الله ﷺ .

أما مالك بن نويرة فقد بقى مترددا حائرا مع بعض رجاله فأسره جنود خالد ... وبعدها قتل الحراس مالكا والأسرى معه .

وبذلك انتهت فتنة مالك بن نويرة وجماعته ، وظهرت نقطتان هامتان متصلتان بمعركه (البطاح) وهما إمكانية تعديل القائد الميدانى للخطة العامة ، وقتل (مالك بن نويرة) و بيانهما كالتالى :

النقطة الأولى

تعديل الخطة الميدانية

يجوز تعديل القائد الميدانى لخطة القتال إذا رأى أن الحاجة الميدانية تقتضى هذا التعديل ،أو أن التعديل فى حد ذاته يحقق فائدة للإسلام والمسلمين.

ذلك أن الأنصار عارضوا خالد بن الوليد حين أراد " البطاح " وقالوا له : ما هذا بعهد الخليفة إلينا ! إن الخليفة عهد إلينا إن نحن فرغنا من البزاخة ، واستبرأنا بلاد القوم أن نقيم حتى يكتب إلينا .

فقال خالد : إن يك عهد إليكم هذا فقد عهد إلى أن أمضى ، وأنا الأمير إلى أن تنتهى الأخبار . ولو أنه لم يأت لى كتاب ولا أمر ؛ ثم رأيت فرصة ؛ فكنت إن أعلمته فاتتنى ، فلن أعلمه حتى أنتهزها ؛ كذلك لو ابتلينا بأمر ليس منه عهد إلينا فيه لم ندع أن نرى أفضل ما بحضرتنا ، ثم نعمل به . وهذا مالك بن نويرة بحيالنا ، وأنا قاصد إليه ومن معى من المهاجرين والتابعين بإحسان ولست أكرهكم[١] . ومضى خالد نحو " البطاح " [٢].

١- تذامروا : حض بعضهم بعضا .

٢- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٢٧٦ ، ٣٧٧ .

ولم يعترض أبو بكر على تصرف خالد فدل ذلك على جواز تعديل الخطة للمصلحة وفق مستجدات ميدان المعركة .

ووجه جواز هذا التعديل يرجع إلى أن القائد فى الميدان يرى الواقع الـذى لا يراه القائد العام ، ويحتاج إلى اتخاذ موقف عاجل لتحقيق مكسب وانتصار.

فكر الأنصار فى الأمر ، ورأوا بعد تخلفهم ضرورة اللحاق بخالد فأرسلوا إليه يستمهلونه حتى لحقوا به ، واشتركوا معه فى " البطاح " .

وقد دل تصرف خالد هذا ، وعدم اعتراض الخليفة عليـه علـى جـواز تصرفات القائد الميدانى رعاية للمصلحة لأنه يرى ما لا يراه القائد الأعلـى ، وبخاصة فى الأمور التى تقبل الاجتهاد والنظر .

النقطة الثانية

قتل " مالك بن نويرة "

أدى قتل مالك بن نويرة والأسرى معه إلى جدل طويل ، واتهامات كبيرة وبخاصة أن خالد بن الوليد تزوج زوجة مالك بعد مقتله ، وقد عاتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه خالدا فى هذا .

وهذه النقطة تحتاج إلى تحليل ونظر للوصول الى الحق فيها مـن خـلال دراسة ما يلي :

أولا: الآراء فى قتل " مالك بن نويرة "

تعددت الآراء فى قتل مالك بن نويرة بين لائم لخالد بن الوليـد ، وبـين منصف . ولكل حجته .

فاللائمون لخالد وعلى رأسهم الصحابى أبو قتادة، وعمر بن الخطـاب ، وعبد الله بن عمر رضوان الله عليهم ، يحتجون بما يلى :

أ- شهادة أبى قتادة رضي الله عنه بأن القوم أذنوا ، وأجابوا داعى الله وهذا دليـل على إسلام مالك بن نويرة ومع ذلك أمر خالد بحبسهم وقتلهم،وذلك لا يجوز،وأبو قتادة صحابى لا يكذب أبدا،وقد شهد بهذا عند أبى بكر رضي الله عنه

ب- تزوج خالد بأم تميم زوجة مالك بن نويرة في ميدان القتال ، وكانت جميلة ، وفي هذا شبهة استغلها أعداء الإسلام للنيل من قائد المسلمين خالد ... وما كان له ذلك اتقاء للشبهة وتنزيها لعمله ونواياه .

ج- أقر أبو بكر أبا قتادة على شهادته ، وقال بعد سماع الشهادة : (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد)[١] .

استقدم أبو بكر خالدا وعنفه وأعاده إلى ميدان القتال مخالفا ما كان يراه عمر ، حتى لا تضطرب جبهة القتال ، وينزل الوهن بالمسلمين ، ودفع دية مالك من بيت مال المسلمين .

وكل هذا يدل على خطإ خالد حين قتل مالك بن نويرة .

أما المنصفون لخالد فيبرئونه من قتل مالك ويرجعون مقتله لأحد سببين :

السبب الأول :

إن الليلة التي أسر فيها مالك وصحبه كانت شديدة البرد ، ونادى خالد : **أن دافئوا أسراكم** . فظن القوم أن ذلك أمر بقتلهم . لأن دافئوا معناها عند القوم اقتلوا ، فقام ضرار بن الأزور وقتل مالكا ومن معه من الأسرى ، فلما علم خالد بعد انتهائهم من القتل قال : **إذا أراد الله أمرا أصابه**[٢] ...

وفي هذه الحالة لا لوم على خالد .

السبب الثاني :

يقول المنصفون لخالد أيضا : إن مالك بن نويرة لم يرجع عن ردته هو ومن معه . واستحق بذلك القتل ودلالة ذلك :

(١) أنه أمر قومه بالتفرق في الجبال ، ولو كان مسلما لأمرهم بالتجمع والأذان وتقديم إبل الصدقة التي عليهم .

(٢) أنه أغار على إبل الصدقة التي جمعت للخلافة في رحرحان ببطن نخل وحازها لنفسه ، ولو كان قد رجع إلى الإسلام ما فعل هذا .

١- البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٦٣ .

٢- البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٦٣ .

(٣) أنشد شعرا أظهر فيه ردته وعدم مبالاته بالمسلمين ، فجاءه الأقرع بن حابس والقعقاع بن معبد فنصحاه بعدم التسرع فعنفهما ولم يسمع لهما مما يشهد بعدم معاودته الإسلام .

(٤) نستبعد إقدام الخليفة على استقدام خالد وترك جيشه في المعمعة ، وقد رأينا في الصديق رجل حرب من الطراز الأول .

وإلا فكيف يرد أبا قتادة إلى خالد ، ثم يحضر خالدا وكان الأولى أن يناظرهما ، وهذا لم يثبت .

(٥) لقد قتل مع مالك بن نويرة خمسة وأربعون سيدا من سادة بني تميم ، وفيهم أنداد لمالك ، وموقفهم مثل موقفة ، فلماذا يثار هذا الجدل حول مقتل مالك ، ولم يثر حول أنداده ؟

أذلك لأجل زوجته ؟

أم لدية الخليفة ما لكا ؟

إن كان الأول ، فقد أثبت المؤرخون أن خالدا اشترى أم تميم من الفئ ، وأنها اعتدت بالحيض وقد تزوجها بعد ذلك ، وإن كانت عادة العرب وتقاليدهم القديمة تكره مثل هذا الفعل ، إلا أن الإسلام لا يمنعه ...!!

وإن كان الثاني فلأن الصديق جامل[1] متمم بن نويرة الذي حضر مع وفد قومه ، فقدم الولاء وطلب دية أخيه فدفعها أبو بكر رضي الله عنه كالتعزية لهم عن فقد زعيم بني يربوع ، ولم يدفع دية لغيره .

(٦) أوصى الخليفة كل قائد بما جاء في وصيته لخالد . أي بقتل كل من منع واحدة من الفرائض الخمس ، ثم جاء كتاب آخر من الخليفة إلى خالد بعد فراغه من بني أسد يأمره فيه (**... ولا تظفرن بأحد قتل المسلمين إلا قتلته ونكلت به غيره ، ومن أحببت ممن حاد الله ، أو ضاده ، ممن ترى أن في ذلك صلاحا فاقتله**[2]) لهذا لما عرض مالك

١- البداية والنهاية لابن كثير جـ ٦ صـ ٣٢٢ .

٢- تاريخ الطبري جـ ٣ صـ ٢٣٣ ـ ٢٤٢ .

على خالد وراجعه . أقر مالك بالصلاة فقط والتوى بالزكاة ، فقال له خالد : **أما علمت أن الصلاة والزكاة معا لا تقبل واحدة دون الأخرى ؟**

فقال مالك : **قد كان صاحبكم يقول ذلك ! (يريد الرسول ﷺ) .**

قال خالد : **أما تراه لك صاحبا ؟ لقد هممت أن أضرب عنقك !**

ولما فقال له خالد : **إني قاتلك .**

رد عليه مالك : **أو بذلك أمرك صاحبك ؟!**

قال خالد : **وهذه بعد تلك**[1] **.**

وإذن فمالك لايقر بالزكاة ! ويأنف أن يقول عن محمد رسول الله ، كما يأنف أن يكون الرسول ﷺ أو الخليفة الصديق صاحبا له ! ولا يقول بهذا مسلم .

أفلا يعذر خالد ، إذا رآى في هذا المانع للزكاة ، المتغنى بردته ، المنكر لنبوة محمد ﷺ ، أنه أهل لتنفيذ وصية الصديق ، ولهذا أمر ضرارا بقتله وإذن فلم هذه الثورة على خالد ؟

هذه ستة أمور ترجح لدينا أن مالك بن نويرة إن لم يكن كافرا ، فهو مشكوك في إسلامه على الأقل ، وهذه حالة حرب .

ومن هذه الأمور عذر أبو بكر خالدا وزاده تكريما ، وأمره على حرب اليمامة .

ويظهر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد اقتنع بعد ثورته بعذر خالد ، إذ ليس من المعقول أن تثبت على خالد جناية متعمدة ، ولا يأخذه بها أبو بكر في خلافته ، ولا عمر في خلافته ، وهما لا يجاملان في حدود الله والعقوبة في الإسلام لا تسقط بالتقادم .

وإذن فهل يسعنا ما وسع الصديق فنعذر خالدا في قتل رجل جاهر بعداوة الإسلام وارتد عنه ، ثم يشك في أنه رجع إليه ؟

١ـ تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٢٤٣ ، الإصابة لابن حجر جـ٦ صـ٣٦ وأبو الفداء جـ١ صـ١٥٨ ، طبقات الشعراء صـ ٤٩ .

نحن نلومه كما لامه الصديق من زواجه بأم تميم ، وإن كنا لا نـرى في ذلك بأسا عليه ولعل زواجه بها خفف عنها مصيبتها !!

وزواج خالد من أم تميم تم بطريقة شرعية تدفع عنه الأباطيل والزيوف فقد أتى بزواجه ﷺ عملا مباحا ، وسلك إليه سبيلا مشروعة ، أتـاه من هو أفضل منه ، فإذا كان قد أخذ عليه زواجه إبان الحرب أو فـي أعقابها ، فإن رسول الله ﷺ تزوج بجويرية بنت الحارث المـصطلقية إثر غزوة المريسيع ، وقد كانت من سبايا بني المصطلق فقضى عنهـا كتابتها وتزوجها ، وكان زواجه ﷺ بها طالع يمن وبركه على قومها ، إذ أعتق لهذا الزواج مائه رجل من أسـراهم لأنهم أصبحوا أصهـارا لرسول الله ﷺ .

وكان من آثاره المباركة إسلام أبيها الحارث بن ضرار[١] .

كما أنه عليه الصلاة والسلام تزوج بصفية بن حيي بن أخطب اليهودية إثر غزوة خيبر وبنى بها في خيبر أو في بعض الطريق[٢]، وإذا كان رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة فعل ذلك فقد توارى العتاب وانقطع الملام[٣] عن خالد .

وقد قام الصديق بالتحقيق في مقتل ابن نويرة ، وانتهى إلى براءة سـاحة خالد من تهمة قتل مالك بن نويرة[٤] .

وأبو بكر في هذا الشأن أكثر إطلاعا على حقائق الأمور ، وأبعد نظرا في تصريفها من بقية الصحابة ، لأنه الخليفة ، وإليه تصل الأخبار كما أنه أرجح إيمانا منهم ، وهو في معاملته لخالد يحتذى بسنن رسول الله : إذ أنـه ﷺ لـم يعزل خالدا عما ولاه في الوقت الذي كان يقع منه ما قد لا يرتاح له ، وكـان يعذره إذ يعتذر ، ويقول : " **لا تؤذوا خالدا فإنه سيف من سيـوف الله صبـه**

١- سيرة ابن هشام جـ٢ صـ٢٩٠، ٢٩٥ .

٢- نفس المصدر جـ٢ صـ٢٣٩ .

٣- حركة الردة ، صـ ٢٣٧ .

٤- الخلافة والخلفاء الراشدون للبهنساوى ، صـ١١٢ ؛ الخلفاء الراشدون للنجار ، صـ٥٨ .

الله على الكفار "[1] .

وقد ذكر ابن تيمية كلاما نفيسا عن ذلك فقال : ... **وهكذا أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ ما زال يستعمل خالدا في حرب أهل الردة ، وفى فتوح العراق** والشام ، وبدت منه هفوات كان له فيها تأويل ، وقد ذكر له عنه أنه كان له فيها هوى فلم يعزله من أجلها بل عاتبه عليها ، لرجحان المصلحة على المفسدة في بقائه ، وأن غيره لم يكن يقوم مقامه ، لأن المتولى الكبير إذا كان خلقه يميل إلى اللين فينبغى أن يكون خلق نائبة يميل إلى الشدة ليعتدل الأمر ، ولهذا كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يؤثر استنابة خالد بن الوليد رضي الله عنه ، لأن خالدا كان شديدا كعمر بن الخطاب وأبا عبيدة كان لينا كأبى بكر ، وكان الأصلح لكل منهما أن يولى من ولاه ليكون أمره معتدلا ، و يكون بذلك من خلفاء رسول الله[2] ، حتى قال: النبي ﷺ : " **أنا نبى الرحمة أنا نبى الملحمة**"[3].

ـ٣ـ

معركة اليمامة

كانت معركة اليمامة فى ديار بنى حنيفة من اكبر معارك المرتدين حيث جمع مسيلمة لها رجالا بلغ عددهم أربعين ألفا .

ويعد انتصار المسلمين على بنى حنيفة في معركة اليمامة نهاية لحركة الردة حيث تهاوت ردة القبائل بعدها بمقاومة سهلة ، وأسرعت فى التوبة والرجوع إلى الإسلام .

١ـ مقدمات المعركة

قدر أبو بكر رضي الله عنه خطورة مواجهة بنى حنيفة فى ديارهم " اليمامة " ولذلك أعد لهم عدته ، ووضع خطة تلائم ما هم فيه من استعداد وقوة .

وتقوم خطة أبى بكر فى بنى حنيفة على أساس كثافة عدد الجنود ، وتتابع

١ـ فتح البارى جـ٧ صـ١٠١ .
٢ـ الفتاوى جـ٢٨ صـ١٤٤ .
٣ـ مسند أحمد جـ٤ صـ٣٩٥ ، ٤٠٤ ، ٤٠٧ .

الجيوش ، وهدوء التقدم والهجوم ...

وعلى أساس هذه الخطة أرسل أبو بكر رضي الله عنه عكرمة بن أبى جهل إلى اليمامة على رأس لواء عقده له ، وأمره أن لا يعجل بالحرب ، ولا يلتقى ببنى حنيفة حتى يلحق به جيش آخر ...

ثم سير أبو بكر رضي الله عنه جيشا ثانيا بقيادة شرحبيل بن حسنة وكلفه باللحاق بعكرمة ومساعدته فى قتال بنى حنيفة ليشترك مع إخوانه السابقين الذين ذهبوا إلى بنى حنيفة

كما كلف أبو بكر خالد بن الوليد أن يسير إلى بنى حنيفة ليشترك مع المجاهدين الذين سبقوه .

وأرسل الصديق جيشا رابعا يقف خلف المجاهدين بقيادة الصحابى الجليل " سليط " رضي الله عنه .

هذا التخطيط من أبى بكر يدل على إدراكه لحقيقة الموقف ، وضرورة الاستعداد له ، لأن مسيلمة جمع أربعين ألف رجل يقاتلون فى ديارهم ، ويعملون لحماية نسائهم وذراريهم وأموالهم .

إن تتابع الجيوش ، ومجيئها إلى أرض المعركة ، واحدة بعد الأخرى تخطيط عسكرى حسن لأنه يحقق الثقة ، ويقوى المعسكر الإسلامي ، ويرهب الأعداء ويديم خط الاتصال بين الجنود والقيادة العليا .

وهذا ما رآه أبو بكر رضي الله عنه .

ب ـ أحداث المعركة

تحركت الجيوش من ذى القصة ، وتوجه عكرمة بن أبى جهل إلى بنى حنيفة فلما نزل فيها تصور إمكانية النصر عليها بجيشه وحده ، فدفعه حب الجهاد الى قتالهم ، ولم ينتظر وصول جيش شرحبيل ، الأمر الذى أدى إلى هزيمة جيش المسلمين أمام جيش " مسيلمة " . وحينما علم أبو بكر بما حدث مع جيش عكرمة أمر عكرمة أن يتجه بجنوده إلى البحرين ، وينضم إلى القادة المسلمين فيها ، وبذلك ترتفع معنوياته ، وينشط جنده .

ولما جاء شرحبيل بجيشه تعجل مثل سلفه عكرمة فنال الهزيمة الثانية أمام مسيلمة .

بعد ذلك أخذ خالد بن الوليد ينادى فى الناس بالجهاد ، فانضم إليه جمع من الثابتين على الإسلام ، وأمده أبو بكر بعدد آخر .

علم مسيلمة بقدوم " خالد بن الوليد " فزاد من استعداده ، وعسكر فى مكان يسمى بـــ "عقرباء " فى طرف اليمامة وجعل ظهره ريف اليمامة ، وأحـــرز النساء والأولاد والأموال بعيدا عن ميادين القتال ، واستعد جيشه للنصر أمـــلا أن يتحقق له مثل ما حدث مع عكرمة وشرحبيل .

بعث خالد بعض سراياه فأسروا ستين رجلا من بنى حنيفة بينهم الـــزعيم مجاعة بن مرارة ، فقتلهم جمعيا واستبقى مجاعة ، حين قال لــه : **إن تـــرد بقومى خيرا أو شرا فاستبقنى** ، فأبقاه لما عرف من شهامته ومروءته ، ثـــم دارت رحى معركة عنيفة مريرة ، واحتدم القتال ، وصبر الفريقان ، وتساجلوا ثم حمى بنو حنيفة فأزاحوا المسلمين عن مراكزهم ، وأمعنوا فيهم قتلا حتـــى مزقوا تعبئتهم ، وخلصوا إلى خيمة خالد وفيها زوجته ــ ليلـــى أم تمـــيم ــ وعندها أسيرها مجاعة ، وكادت الهزيمة تلحق بالمسلمين ، ولكن الله ســـلم ، وقال أهل البادية : **قد جبن المهاجرون والأنصار .**

وقال المهاجرين والأنصار : **قد جبن الأعراب .**

فلما رأى خالد تقول الناس بعضهم على بعض ، خاف الفتنة ، وكان واثقا من صدق المهاجرين والأنصار ، وخشى أن ينهـــزم الأعـــراب وهـــم قلـــب فيجرون الهزيمة على أهل النجدة والجهاد فقال : **امتازوا .**

وخافت كل فرقة عار الفرار.

ونادى زيد بن الخطاب : **غضوا أبصاركم ، وعضوا على أضراسكم أيهـــا الناس ، وامضوا قدما ، واضربوا في عدوكم .**

ونادى حذيفة : **يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال .**

وصرخ خالد في جنوده : **أن هلموا إليهم .**

فانقضوا كالليوث الكاسرة . واحتدم القتال ، وأبلى المسلمون أعظم البلاء وأزالوا جيش مسيلمة عن مواقعه ، ولا زالت الحرب سجالا . فرأى خالد أنها لا تنحسم إلا بقتل مسيلمة ، فتقدم الصفوف و نادى للمبارزة ، فلم يخرج إليه فارس إلا ويقتله ، وهو ينادى بشعاره يومئذ يا محمداه !

وطلب مسيلمة فبرز إليه ، فعرض عليه خالد كل ما يشتهى ، فتظاهر بأنه يستشير الوحي ، ثم لاذ بالفرار فركبه خالد فأرهقه ، وصرخ في المسلمين ، دونكم فلا تقيلوهم ، فركبهم المسلمون ، وهزموهم . وأخذتهم السيوف من كل جانب ، فنادى محكم بن الطفيل (محكم اليمامة) . **يا بنى حنيفة . الحديقة . الحديقة التي سميت بعد المعركة بـ " حديقة الموت " ، و كان اسمها قبلها حديقة الرحمن .**

فدخلوها وأغلقوا بابها عليهم .

فماذا يفعل المسلمون بنصر أعرج ، وإن كان عظيما فهذا مسيلمة في وسط جموعه بالحديقة حى ، ومن المرجح أن الفتنة باقية ببقائه ؟!!

قال البراء بن مالك : **يا معشر المسلمين . ألقونى عليهم !** فأبوا فألح وأقسم ليلقونه ، فاحتملوه حتى أشرف على جدار الحديقة ، ثم قاتل العدو وحده حتى كشفهم عن الباب وفتحه للمسلمين ، فدخلوها على العدو ودارت رحى معركة دموية هائلة ، انتهت بقتل مسيلمة ، وفرار بنى حنيفة وسيوف المسلمين لا تكف عن رقاب أعدائهم ، حتى قيل إن عدة من قتل من بنى حنيفة ، في الفضاء والحديقة وأثناء الفرار أكثر من عشرين ألف رجل ، وخسر المسلمون كما يقول الطبرى ألف رجل ومائتى رجل[١] .

جـ ــ نتائج المعركة

أدت هزيمة مسيلمة وبنى حنيفة أمام خالد بن الوليد الى ضعف المرتدين فى الجزيرة كلها ، وعلو الإسلام ، وكثرة التائبين العائدين إليه ، ولعل أهم نتائج هذه المعركة ما يلى :

١ـ تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٣٥٤ ـ ٣٦٠ .

أـ قتل مسيلمة وجنوده :

خلص المسلمون إلى مسيلمة لعنه الله وإذا هو واقف في ثلمة جدار داخل الحديقة كأنه جمل أورق ، فتقدم إليه وحشى بن حرب مولى جبير بن مطعم ـ قاتل حمزه ـ فرماه بحربته فأصابه بها حتى خرجت من الجانب الآخر .

وسارع إليه أبو دجانة سماك بن خرشة فضربه بالسيف فسقط ، فنادت امرأة من القصر : **وا أمير الوضاءة ، قتله العبد الأسود .**

وهكذا تمكن المسلمون من مسيلمة وجنوده وبلغت جملة من قتل من أتباع مسيلمة واحدا وعشرين ألف قتيل .

ب ـ كثرة الشهداء :

استشهد من المسامين فى معركة اليمامة عدد وفير ، أوصله بعضهم إلى ألف ومائتين من الشهداء أغلبهم من القراء ،و على رأسهم :

- ثابت بن قيس رضي الله عنه .
- زيد بن الخطاب رضي الله عنه .
- معن بن عدى رضي الله عنه .
- عبد الله بن سهيل رضي الله عنه .
- أبو دجانه (سماك بن حرب) رضي الله عنه .
- عباد بن بشر رضي الله عنه .
- الطفيل بن عمرو الدوى رضي الله عنه .

ج ـ توبة بنى حنيفة :

عادت بنو حنيفة إلى الإسلام ،وأرسلوا وفدا منهم ليعلن أمام أبى بكر رضي الله عنه توبتهم ، ورجوعهم إلى الحق .

فلما جاء الوفد قال له أبو بكر : **أسمعونى شيئا من قرآن مسيلمة .**

فقالوا : **أو تعفينا يا خليفة رسول الله ؟**

فقال : **لابد من ذلك .**

فقالوا : **كان يقول : والمبذرات زرعا ، والحاصدات حصدا ، والذاريات قمحا والطاحنات طحنا ، والخابزات خبزا ، والثاردات ثـــردا ، واللاقمـــات لقمـــا ، إهالة وسمنا .**

وكان يقول : **لقد فضلتم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المـــدر ، ريفكـــم فامنعوه والمعتر فآووه ، والناعى فواسوه**[1].

وذكروا أشياء من هذه الخرافات التي يأنف من قولها الصبيان وهم يلعبون .

وقال لهم أبو بكر : **ويحكم أين كان يذهب بعقولهم ؟ إن هذا الكلام لم يخـــرج من إله**[2] .

ولعل أهم الآثار التى أفادت الإسلام والمسلمين بعد موت كثير من القراء فـــي حروب الردة هو جمع أبى بكر للقرآن الكريم ، **ولأهمية هذا الموضوع سأعقد له مبحثا خاصا بعد الانتهاء من الكلام عن حروب الردة ...**

ـــ٤ـــ

الحمـــلات الأخـــرى

ضد المرتدين

دوى انتصار خالد على بنى حنيفة وقتل مسيلمة في ربوع بلاد العـــرب ، وبهذا النصر العظيم قذف الله الرعب في قلوب المتمردين في كل مكان .

فهذا العلاء بن الحضرمى لم يكد يصل إلى حدود البحرين حتى أتاه رؤساء القبائل كعبد القيس وغيرها وأعلنوا ولاءهم للخليفة ، وتمسكهم بالـــدين كلـــه وقدموا إليه الزكاة ، وانضم رجالهم إلى قوات العلاء . وساعدوه علـــى قمـــع الردة في البحرين ، بعد قتال طويل ، وقد انضم إليه أحد زعماء بنى بكر وهو المثنى بن حارثة ، فسار شمالا بقطعة من الجند حتى وصل دلتا نهر الفـــرات ووضع بذلك بذرة الفتوح الإسلامية في أرض فارس .

١- تاريخ الطبرى جـ٤ صـ١٠٢ ــ ١٠٤ بتصرف .

٢- تاريخ الطبرى جـ٤ صـ١١٨ ؛ (البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٣١) .

وبعد أن أخمدت حركة الردة في البحرين على يد العلاء الحضرمى بقليل تمكن حذيفة من اليمان من إخضاع المرتدين في عمان ، بمساعدة (عكرمة بن عمرو بن أبى جهل) الذي بعثه الصديق مساعدا لحذيفة إثر هزيمة عكرمة في اليمامة ، فلما فرغ ذهب إلى اليمن .

وفى نفس الوقت كان المهاجر بن أبى أمية يعمل في بلاد اليمن ، يعاونه مسلمو الفرس (الأبناء) ومن بقى على الإسلام من أهل اليمن ، وقد أبلى المهاجر وجنده أحسن البلاء، فلما فرغ عكرمة من عمله بعد رجوع عمان إلى الإسلام ، سار بفرقته على ساحل المحيط الهندى إلى اليمن ، وقد أخضع في طريقه كل المدن والقبائل ثم دار حول حضر موت حتى دخل اليمن وتعاون مع أمير الحرب فيها ، حتى أتم الله على أيديهما إعادة اليمن من جديد تحت لواء الإسلام .

فلما فرغا من اليمن انقضا معا على حضر موت حيث (كندة) العاصية العنيدة التي تزعم ردتها الأشعث بن قيس ، وقد عقد النصر للبطلين العظيمين على كندة التي فقدت كثيرا من رجالها على شفرات سيوف المسلمين ، وقد أسرا زعيم كندة الأشعث بن قيس ، فلما عرض الأشعث على السيف طلب أن يبعثوا به إلى الخليفة الرقيق ، فلما ذهب إليه لامه الصديق وعنفه ، وكاد يأمر بضرب عنقه ، فاستعطفه الأشعث ، واستوهبه نفسه ، فعفى عنه الصديق فقال الأشعث : **الآن سيرى الله عملى ، وحسن إسلام الأشعث ، وكان له شأن كبير في الحروب الإسلامية فيما بعد**[1] .

أما عمرو بن العاص فقد أخضع القضاعيين ، وتعاون مع قواد مشارف الشام حتى أسلم العرب جميعا بدين الله ، أو عقدوا الذمة ، ودفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، ومهما يكن من أمر فإن جهود هؤلاء جميعا مع عظمها لم تبلغ مبلغ ما لقى المسلمون على يد بنى أسد وبنى حنيفة .

١- تاريخ الطبرى جـ٤ صـ١٢٠ .

وهكذا فقأ أبو بكر عين الردة ، وأعاد العرب من جديد إلى راية الإسـلام وانتصرت جميع جيوشه على المرتدين ، فأعاد إلى الإسلام هيبته ورهبته في نفوس جميع القبائل . حتى إن بعض المرتدين رجع إلى الإسلام من غير قتال وقبل وصول الجيش الإسلامي إليه ، نتيجه لهذا الانتصار السريع الذي تم في جميع نواحى الجزيرة . وقد استغرق قتال المرتدين ، والقضاء علـى الـردة السنة الحادية عشرة فقط .

إن عودة الجزيرة كلها إلى الإسلام في عام واحد دليل على هشاشة الردة ، وبرهان على أن الإسلام لم يغادر قلوب وعقول الناس ... ولولا العـصبية ، وتسلط القادة ما كان للردة وجود .

المبحث الخامس

النتائج المباشرة لحرب الردة

استمرت حروب الردة عاما كاملا ، وانتهت بانتصار الإسلام ، وعودة أبنائه إلى ما كانوا عليه أول مرة ، يوم أن بايعوا رسول الله ﷺ على الصراط المستقيم : وقد أدت حروب الردة إلى نتائج مباشرة تحققت على أرض الواقع وأفادت الإسلام والمسلمين ، ومن أهم هذه النتائج ما يلى :

ـ١ـ

بـدء حركة الفتوح

أدت حركة الردة إلى إظهار العداوة التى يكنها الروم والفرس للإسلام ، فلقد حاولوا الاتصال بزعماء الردة ، وأخذوا فى تحريض الولايات التابعة لهم على منع دعاة الإسلام من أداء عملهم، وصد الناس عن الاستماع لكلمة الله تعالى .

لقد دعا الرسول ﷺ الفرس والروم والعالم كله بالرسائل التى أرسلها إلى القادة والزعماء ، ولما لم تجد الرسائل فى إيمان الناس ، ووقوف القادة والسلاطين ضد انتشار الإسلام ، أخذ رسول الله ﷺ يرسل الدعاة إلى الأقاليم المختلفة ليعرفوا الناس بالإسلام ،و يرشدوهم للحق باللين ، والحكمة ، والحسن فى العظة والجدال ، وذلك فى إطار الحرية التى كان يتمتع بها الناس يومذاك فى حركتهم أثناء التجارة والعمل .

لكن الرؤساء والزعماء لم يرتضوا لكلمة الله أن تنتشر ، ولا للدعوة أن تبلغ العقول والأفئده ، فأشتدوا فى أذى وإضطهاد الدعاة ، ومنع إتصالهم بالناس ، وصد الجماهير عن سماع حقيقة الإسلام ، وتصوير الإسلام لرعاياهم بصورة كاذبة منفرة .

حينئذ أصبح من الضرورى التصدى لهذا العدوان الموجه للدعوة والدعاة

ولا يتم هذا إلا بالطريقة التى تتناسب مع ظلم الطغاة ، وعدوان الجبابرة على عقول الناس ، واضطهادهم المستمر للجميع ، وصد الناس عن الحق .

وترجع أسباب الفتوح في عهد أبى بكر إلى عده أمور أهمها :

- الرغبة في نشر الإسلام ، وتبليغه للعالم كله لإنقاذ الناس من ظلمات الجهل وعبودية الإقطاع.
- حرمان الطغاة من فرض إرادتهم على الناس بما يملكون من قـوة ومال .
- منع الزيوف والدعاوى التي ينشرها الحكام ضـد الإسـلام وسـط رعاياهم .
- إتاحة الحرية للدعاة لينتقلوا بين الناس في سهولة ، ويعرضوا مـا لديهم من فكر ، ويناقشوا الغير في خلق وحكمة .
- تحقيق حرية الناس ليتمكنوا من الاستماع والنظر والاختيـار عـن اقتناع .

لهذه الأسباب الدينية تحرك المسلمون إلى العالم مبتدئين بالمجاورين لهم كما أمرهم الله وذلك في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[1].

ولم يهدف المسلمون أبدا من فتوحاتهم كسبا ماديا ، وإنما كانـت غـايتهم الدعوة إلى الله تعالى ، ولذلك اتبعوا في سائر الفتوح منهجا واحدا .. وهو أن يطلبوا من الناس الدخول في الإسلام فإن أسلموا فبهـا ونعمـت ، وإن أبـوا طالبوهم بدفع الجزية،فإن رفضوا الجزية قاتلوهم حتى يحققوا ما عرض عليهم.

والجزية في جملتها قدر مالي بسيط يقل كثيرا عما يدفعه المسلم من زكاة وصدقه وكفارة ... ولا يعد شيئا أمام ما يفرضه الأكاسرة والقياصرة على رعاياهم.

إن الفتوح الإسلامية كانت تهدف إلى صيانة الحرية للناس مسلمين وغيـر

---

١ – سورة التوبة الآية ١٢٣ .

مسلمين ... ولم تهدف مطلقا إلى كسب مادي ، أو قهر ديني مكتفية بالنصح والبيان .

لم يستول الفاتحون على مال أحد ، وإنما كانوا إذا وصلوا بلدا يقيمون في الخلاء المجاور للبيوت ، ويؤسسون مكانا لهم فيه كما فعلوا في مصر إذ أسسوا الفسطاط ، وأقاموا القطائع في بلاد أخرى .

ولما اقتنع أهل البلاد المفتوحة بالإسلام دخلوا فيه ، والتزموا بدفع أموال شرعية أكثر بكثير من قيمة الجزية .. واشتركوا مع المجاهدين في فتح البلاد المجاورة ، ولو لم يقتنعوا ما عرضوا أنفسهم للموت ، ولأبقوا على الجزية فهي أقل مما وجب عليهم بعد إسلامهم .

إن جند الشام اشتركوا في فتح مصر ... وجند مصر اشتركوا في فتح الشمال الأفريقى ، وجند الشمال الأفريقي اشتركوا في فتح الأندلس .. وهكذا في كل مكان فتحه المسلمون . حيث تحول المسلمون الجدد إلى جنود يعملون للإسلام ، ويجاهدون في سبيل الله .

ولعل الدليل الأكبر على اقتناع أهل البلاد المفتوحة بالإسلام سرعة تعلمهم اللغة العربية لأنهم لما أحبوا الإسلام أحبوا اللغة التي نزل بها ، فأتقنوها من أجل فهم دينهم ، والعمل به وخدمته .

إن أهل البلاد المفتوحة هم الذين حملوا لواء الإسلام ، ونشروا علومه ، وتراثهم العلمي الديني خير شاهد على ذلك .

ـ٢ـ

تحديد عاصمة الإسلام

حاول المرتدون أن يضعوا قبائلهم في منافسة مع قريش ، وأن يحولوا أوطانهم إلى عواصم لها سلطانها ، وأملاكها ، وبذلك تكون الفوضى ، ويضيع الحق بين ركام الأباطيل ، وتتحول الجزيرة العربية إلى عشرات الدول ، ومئات الأوطان، وبذلك يستمر هوان العرب وضياعهم كما كانوا في جاهليتهم.

لم يتم هذا الهدف للمرتدين بعد هزيمتهم ، وإنما تأكدت الحقيقة الضرورية وهى أن عاصمة الإسلام واحدة ، وهى المدينة المنورة التي اتخـذها رسـول الله ﷺ مقرا للحكم والتوجيه . فمنها انطلقت السرايا وتحركت الغزوات ، وفيها كان ينزل الوحي ، ويبلغ الإسلام للناس في كل مكان وفيها قبـر النبـي ﷺ ومسجدها حرم يشد المسلمون الرحال إليه .

وبعد انتصار المسلمين في حروب الردة عادت المدينة لعهدها ، وصارت المنطلق الوحيد . حيث مقر الخلافة ، ومؤسسات إدارة كافة شئون الأمة فـي مختلف أركانها .

واستمرت المدينة عاصمة الخلافة، إلى أن ولى الأمر على بن طالب رضي الله عنه فنقل مقر الخلافة إلى الكوفة حيث أتباعه وشيعته .

فلما كانت الدولة الأموية صارت دمشق مقر الخلافة .

واستمر الحال كذلك إلى أن جاءت الدولة العباسية فنقلت العاصـمة إلـى العراق ، وأسست "بغداد " لتكون عاصمة الخلافة العباسية ... وهكذا .

إن ارتباط الأمة بعاصمة واحدة يعنى أن الأمة واحدة يحكمها خليفة واحد. وبذلك تعيش الأمة قوية عزيزة .. ولعل توحد الأمة في إطار قيادة واحدة يمثل قوة ، وتقدما ، وتحقيقا للآمال أكثر بكثير مما يحققه الانقسام و التشرذم الـذي نلمسه في المسلمين اليوم بعدما وقعوا في شرك التخلف و التفرق و الانقسام .

ـ٣ـ

إنصهار القبائل في الأمة الواحدة

تميز العرب بالبداوة ، وتعودوا على الحياة في الـصحراء ، فـي إطـار تجمعات منفصلة ... كما تعود العربي على أن تعيش قبيلته مستقلة عن غيرها يحكمها شيخها ، ولها تقاليدها وعرفها الخاص بها كأنها دولة بذاتها ...

فلما جاء الإسلام من عند الله تعالى ، وآمن به العرب صار لزاما علـيهم أن يبتعدوا عن روح القبيلة ، وما تمليه عليهم من عصبية وعنصريـة وعـدم

الخضوع لأحد من غير قبيلتهم .

آمن العرب بالإسلام ، وأخذوا يتابعون الوحي مؤمنين به ، وجعلوه مصدرهم ، وطريقهم إلى الله ورسوله ... لكنهم بعد وفاة رسول الله ﷺ عادوا لعنصريتهم وعصبيتهم في صورة بغيضة لا يسلم بها عاقل حكيم .. فلقد ظهر في كل قبيلة زعيم منحرف يدعى النبوة ونزول الوحي ، ويزعم أن سيكمل الإسلام ويتممه .

وبذلك تفككت أوصال الجزيرة وأصبحت كل قبيلة وطنا مستقلا من جديد ، وأطلت الجاهلية بعاداتها وتقاليدها في حياة العرب مرة أخرى .

لم يرتض أبو بكر رضي الله عنه ما آل إلية الأمر بعد الردة ، وقرر التصدي له بحزم وقوة ، ونصره الله ، ووفق جنوده حتى تم النصر، وعادت الجزيرة إلى روضه الإسلام ونضارته .

عاد العرب إلى الإسلام وقد قوى إيمانهم ، وزاد يقينهم ، وتعلموا من دعاوى المرتدين ، ومزاعم المتنبئين مكمن الحق ، وحقيقة الإسلام فعادوا إليه أقوى مما كانوا قبل الردة .. وآية قوتهم ويقينهم تبدو في تحولهم إلى مجاهدين في سبيل الله تعالى ، حاملين دينهم في عقولهم وقلوبهم ، سائحين في سبيله في شرق الدنيا وغربها ، تاركين ديارهم ، وأموالهم ، وأولادهم ، ونساءهم خلفهم مضحين بكل شي .. وكل ما يعنيهم أن ينتشر الإسلام ، ويصل إلى المعمورة كلها .. وقد قبل الله جهادهم فبلغ الإسلام بواسطتهم إلى العالم كله .

وهكذا ...

انصهرت القبائل بعد حروب الردة في أمة واحدة هى الأمة الإسلامية وتميزت بخصائصها الإسلامية الخالصة ، حيث إيمانها الصادق المتين ، وارتباطها بالعقيدة الإسلامية، ومراعاة المصالح الشرعية ، والالتزام بمكارم الأخلاق ، والسعي الدءوب للجهاد والعمل ، والمحافظة التامة على عبادة الله تعالى بصدق وإخلاص.

— ٤ —

جمع القرآن الكريم

استشهد كثير من القراء الحفظة في معارك اليمامة ، فخاف أبو بكر رضي الله عنه أن يندثر شئ من القرآن الكريم ، إذا استمر الأمر على ذلك ، وبخاصة أن القراء يجاهدون في مقدمة الصفوف ، وصدورهم هى الحافظة للقرآن نصا مرتبا كما رتبه رسول الله ﷺ لهم بعد مراجعة جبريل عليه السلام القرآن الكريم كله معه ﷺ ...

بينما القرآن المكتوب على العسب ، واللخاف ، والخشب ، والورق ، والحجر موجود في موضعه الذي نزل فيه بلا ترتيب ، لأن ما كان ينزل على رسول الله كان يكتب ، ويوضع في المكان الذي نزل فيه .

خاف أبو بكر بعد استشهاد القراء ضياع شئ من القرآن الكريم ، وعدم الوقوف على ترتيب آياته وسوره ، كما حفظه الصحابة رضوان الله عليهم ونقلوه عن رسول الله ﷺ ، ولذلك فكر في جمع القرآن الكريم .

رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أهمية جمع القرآن وعرض الأمر على أبى بكر فاستشار أبو بكر كبار الصحابة وما زال بهم حتى وافقوه جميعا على جمع القرآن الكريم ، وذلك بجمع المكتوب المتفرق على ما كتب عليه ، ورصه مرتبا على أن يستعينوا في ذلك بالكتبة الحفظة الثقات .

يروى زيد بن ثابت رضي الله عنه قصة جمع القرآن الكريم فيقول : **أرسل إلى أبو بكر رضي الله عنه مقتل أهل اليمامة ، فذهبت إليه فإذا عمر بن الخطاب عنده ، فأخذ أبو بكر يقص لى ما حدث بينهما ، وما انتهوا إليه .**

قال أبو بكر رضي الله عنه : إن عمر أتانى فقال : إن القتل قد استحر[1] يوم اليمامة بقراء القرآن ، و إنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن .

١- استحر : كثر واشتد .

يقول أبو بكر : **فقلت لعمر كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ[1] ؟!!**

فقال عمر : **هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صـــدرى للذى شرح له صدر عمر ، ورأيت الخير في ذلك الذي رآه عمر .**

ثم قال : **يا زيد إنك رجل شاب ، عاقل ، لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فتتبع القرآن ، فاجمعه ، يقول زيد : فو الله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن .**

قلت : **كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ .**

قال : **هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لما شرح له صدر أبى بكر وعمر رضي الله عنهما .**

فتتبعت القرآن أجمعه من العسب[2] ، واللخاف[3] ، وصدور الرجال والرقاع[4] والأكتاف[5].

وكان زيد لا يجمع قرآنا مكتوبا إلا إذا وافقه حفظ عدد من الصحابة ، يشهدون أمامه بقرآنيته .

وتم الجمع على هذا النمط إلا آيات آخر سورة براءة فقد شهد لها صحابى واحد يقول زيد : **وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع غيره وهو قوله تعالى ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾[6] .**

وكانت الصحف عند أبى بكر حياته حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته حتى

١- وإنما لم يأمر رسول الله ﷺ بجمع القرآن في المصحف،لما كان يترقبه من نزول وحى بالقرآن عليه ، أو من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته،فلما انقضى نزوله بوفاته ﷺ ألهم الله الخلفاء الراشدين بذلك وأيضا فإن عدم جمع رسول الله للمصحف أدى إلى جمعه بعد وفاة رسول الله ﷺ مباشرة وبذلك تواتر القرآن حفظا وكتابة من لحظة نزوله إلى يومنا ، ولم يحدث أن غاب لحظة واحدة عن عقول المسلمين،وصدروهم ، وحياتهم .

٢- العسب : هو جريد النخل .

٣- اللخاف : جمع لخفة : وهى صفائح الحجارة .

٤- الرقاع : جمع رقعة وهى قطع الجلود .

٥- الأكتاف : جمع كتف ، وهو العظم الذي للبعير أو الشاة .

٦- سورة التوبة آية ١٢٨ ، ١٢٩ .

توفاه الله ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها[1] .

وكان اختيار أبى بكر رضي الله عنه لزيد بن ثابت رضي الله عنه لأنه أحد كتبة الوحي لرسول الله ، وأحد الذين حفظوا القرآن الكريم كله تلقيا من رسول الله ﷺ ...

وقد اتبع زيد طريقة جيدة في جمعه للقرآن الكريم ، فكان لا يثبت شيئا من القرآن إلا إذا كان مكتوبا بين يدى النبي ﷺ وفى الصحف ومحفوظا في صدور الصحابة ، وكان لا يكتفى بالحفظ دون الكتابة ، أو بالكتابة دون الحفظ خشية أن يكون في الحفظ خطأ أو وهم ،أو أن يكون المكتوب قد اختلط بغيره. وأيضا لم يقبل من أحد شيئا جاء به إلا إذا أتى به شاهدان يشهدان أن ذلك المكتوب كتب بين يدى رسول الله ﷺ ، وأنه من الوجوه التي نزل بها القرآن الكريم[2] .

وبرغم أن زيدا رضي الله عنه كان حافظا متقنا للقرآن للقرآن الكريم إلا أنه لم يعتبر نفسه شاهدا مع غيره ، وإنما اعتبر حفظه قرينة تحتم عليه الدقة والتحرى ، كالقاضى حيث لا يعتبر علمه بالشئ شهادة عليه ، وذلك ليسمع كل الآراء ويبحث عن العدل والسداد .

وعلى هذا المنهج استمر زيد رضي الله عنه في جمع القرآن حذرا متثبتا مبالغا في الدقة والتحرى .

وقد قدم أبو بكر رضي الله عنه بجمعه للقرآن الكريم خدمة جليلة للإسلام والمسلمين حيث صان القرآن الكريم من أي تحريف يلحق به ، وجمعه كما هو في صدور الحفظة ، وبين الألواح قبل أن يغيب منه حرف واحد ...

وبذلك تم حفظ النص ، وثبت الحفظ بالتواتر بعد ذلك ... ولم يتمكن الوضاعون من العبث بشئ منه ، كما فعلوا بالسنة حيث وجد التدليس ، والوضع ، والكذب : يقول على بن أبى طالب رضي الله عنه **أعظم الناس أجرا في المصاحف أبو بكر ، إن أبا بكر كان أول من جمع القران بين اللوحين**[3] .

١- صحيح البخارى - كتاب فضائل القرآن . باب جمع القرآن جـ٨ صـ٩٩ ، ١٠٠ .
٢- التفوق والنجابة على الصحابة ، صـ٧٤ .
٣- كتاب المصاحب . باب جمع أبى بكر الصديق رضي الله عنه القرآن صـ٥ .

المبحث السادس

ركائز الدعوة من حرب الردة

ساهمت حروب الردة من خلال تصرفات أبـــي بكـــر رضي الله عنه وتـــضحيات المجاهدين ، ونوعية القرارات التي اتخذها المسلمون خلال المعارك إلى عدد من الركائز التي تفيد الأمة كلها وبالأخص الدعاة وأولى الأمر علـــى طـــول الزمان والمكان ... وها هي أهم الركائز :

الركيزة الأولى

الحرية والمسئولية الدينية

يحترم الإسلام حرية الإنسان ، ويحثه على التفكير العقلي والاختيار السليم ويدعوه إلى رعاية المصلحة العامة والخاصة من خلال عدد مـــن المبـــادئ والأسس أهمها :

١ـــ ضرورة التفكير والنظر قبل اتخاذ القرار :

- وهذا المـــبدأ تقرره النصوص الشـــرعية ، الواضحـــة ، الثابتـــة يقـــول الله تعالى ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾[1] .
- ويقول سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ ﴾[2] .
- ويقول سبحانه وتعالى ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[3] .

١- آل عمران آية ١٣٧.

٢- آل عمران آية ١٩٠ .

٣- الذاريات آية ٢١.

وبالنظر والتفكير يتوصل الإنسان إلى اتخاذ القرار الذي يقتنع بـه ، ويتحمل مسئوليته بعد ذلك .

ب ــ الاقتناع قبل الاعتقاد :

يقوم الاعتقاد على الاقتناع لأن الاعتقاد أمر قلبي ابتداء ، وهذا لا يصح معه اكراه .

ــ يقول الله تعالى ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾[1] .

ــ ويقول سبحانه وتعالى ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾[2] .

وما دام الاعتقاد قد اعتمد على الاقتناع والنظر والتفكير فإنه يستمر مع صاحبه ، لأن العقل المؤمن يثبت ويتيقن ويعلم قيمة الاعتقاد فيقدره ويدوم معه ، ويصونه لنفسه ولغيره .

ج ــ رعاية المصلحة العامة والخاصة :

تحقيق السعادة ، ونشر الأمن هدف الإسلام الرئيسي وذلك أمر ينقذ الإنسان من الظلم و العدوان

ــ يقول الله تعالى ﴿ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[3] .

ــ ويقول الله تعالى ﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[4] .

---

١ - سورة البقرة الآية ٢٥٦ .
٢ - سورة الكافرون الآية ٦ .
٣ - سورة الأعراف الآية ٩ .
٤ - سورة الأعراف الآية ١٧٧ .

ــ **ويقول سبحانه وتعالى** ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝ ﴾[١] .

ــ ويقول سبحانه ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ ﴾[٢].

ومع هذا المبدأ يرى الإنسان مدى الخير الذي يحققه الإيمان في الدنيا وفى الآخرة مما يؤكد قناعته ، ويقوى عقيدته ، ويجعله يقدر أهمية الإيمان ، وضرورة المحافظة عليه ، وعدم اللعب به ومعه .

د ــ ملازمة حسن الخلق

الالتزام بمكارم الأخلاق هو الإسلام في الحقيقة

ــ **يقول الله سبحانه وتعالى** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ ﴾[٣] .

ــ **ويقول سبحانه وتعالى**﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[٤]

ــ **ويقول سبحانه وتعالى** ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾[٥]

ــ **ويقول النبي ﷺ :** " بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "[٦].

ومن المعلوم أن الأخلاق الكريمة تشمل سائر الأقوال ، والأعمال ، والأحوال ، والاعتقاد ، والسلوك ، ولذلك فهو يلزم صاحبه بالمعروف ، والمحافظة على حقوق الآخرين .

يقول ابن عبد البر : يدخل في حسن الخلق الصلاح ، والخير كله ،

١- سورة الزلزلة الآية ٧ ، ٨ .
٢- سورة المدثر آية ٣٨ .
٣- سورة التوبة الآية ١١٩ .
٤- سورة النحل الآية ٩٠ .
٥- سورة القلم الآية ٤ .
٦- مؤطأ مالك ــ كتاب حسن الخلق . باب ما جاء في حسن الخلق جــ٢ صــ٩٠٤ .

والدين ، والفضل والمروءة ، والإحسان والعدل ...

هـ ــ عدم العدوان على الغير

العدوان على الغير ظلم لا يرضاه الله أبدا .

ــ **يقول الله تعالى:** ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [١].

ــ **ويقول الله تعالى** ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [٢].

ــ **ويقول الله تعالى** ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٣٥﴾ ﴾ [٣].

ــ **ويقول الله تعالى** ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [٤].

وهذا العدل الذي يقرره الإسلام يعنى أن يكون الإنسان أمينا محافظا بعيدا عن الأذى ،محافظا على شعور الناس ، وعقائدهم وأحلامهم .

في إطار هذه المبادئ والضوابط يقر الإسلام حرية الإنسان ، ويجعلها حرية مسئولة ، وليست حرية مطلقة .

إن النظم العالمية كلها قديمها وحديثها لا تسمح بالحرية المطلقة لأنها تؤدى إلى الفوضى والفساد .

١- سورة البقرة الآية ١٩٠ .

٢- سورة الأنفال الآية ٥٨ .

٣- سورة النساء الآية ١٣٥ .

٤- سورة الحج الآية ٣٨ .

إنها تسمح بحرية الكلام ولكنها تمنع السب والشتم والافتراء .

وتسمح بحرية العمل ولكنها تمنع أعمال النهب والنصب والعدوان .

وتسمح بحرية التملك ولكنها تمنع الغصب والنهب والسرقة .

وتسمح بحرية التنقل ولكنها تمنع التحرك الضار القائم على إهمال حق الغير أو التعدي عليه.

وهكذا كل تصرف يحتاج إليه الإنسان ، إنه مقيد بتحقيق المصلحة ، وعدم الضرر .

إن وضع الدساتير والقوانين يعد تنظيما لحرية الإنسان ، وتحديدا لكافة الحقوق والواجبات كل على قدر توجهه و مذهبه .

لقد اتفقت البشرية كلها على أن الحرية المطلقة تؤدى في النهاية إلى مفسدة مطلقة ، ولذلك كانت القيود الخلقية ، والاجتماعية ، والقانونية ، وغيرها أطرا لتوضيح معالم (الحرية المسئولة) التي تفيد الإنسانية كلها .

وليس معنى تقييد الحرية أن يتحول الإنسان بالقيود إلى عبد ذليل يستغله أولوا البأس والقوة ، ويلعب به أصحاب الحكم والسلطان .

إن القيود تنطلق من القانون والنظام هو الذي يقرر الحقوق ، ويحدد الواجبات ويعطى لكل ذى حق حقه .

ولما جاء الإسلام رعى هذه القضية ، فوضع قيودا لتنظيم الحرية ، وحددت الشريعة الإسلامية مناط حرية الفرد، ومقدار حرية الجماعة ، ومعالم تكاملهما ، وكيفية التخلص من أى تعارض بينهما.

إن قيمة الفرد من قيمة الجماعة ، ونشاطه يجب أن يتوافق مع حاجة الجماعة ، و أى حرية للفرد تضر الجماعة لابد من إلغائها لأن حق الجماعة مقدم على حق الفرد الذي هو جزء منها .

ومن هنا

كان موقف الإسلام من " الردة " حيث اعتبرها عدوانا يضر الجماعة ، لأنها تقول بلسان حالها : **إن الجماعة على عقيدة باطلة ، وتصور الدين على**

أساس أنه دين فاسد لا حقيقة له ، وتهدم كافة القيم والأخلاق التي يؤسسها الدين للجماعة ، والمرتد بذلك معتد على الآخرين ، هادم لمصالحهم ، مسئ لأخلاقهم ومتهم لعقولهم ، مشكك في تقديرهم لمواقف الفكر والسلوك ، بعيد عن الحق والصواب .

إن ردة المرتد لا تمثل حينئذ سلوكا فرديا أو حرية مقررة ، و إنما هى دعوة للجماعة ليكونوا مثله ، ولم يحدث أن كتم المرتد ردته ، وإنما رأيناه يعمل دائما على إثارة الشكوك ودعوة الغير إلى الردة ، ويعمل على إيجاد جبهة مضادة للجماعة ولذلك يجب منع ردته ، ويزداد موقف المرتد خطورة حين ندرك أن الإسلام (وبحق) هو دين الله للناس أجمعين ، وهو دين الحق والحقيقة ومعه أدلة صدقه المستمدة من الوحي ، ومن العقل ، ومن الواقع، ومن التاريخ .

كل هذا الواقع يضع المرتد في موقف الهمجي الذي لا يعرف حقا ، والفوضوى الذي يحب الإثارة ، والبلطجي الذي يعتدي على الآخرين.

إن الإسلام قدم أدلة التوحيد ناصعة دقيقة ، ورد على كافة الشبه والأباطيل، ودعا الإنسان إلى التأمل والنظر ، وحث على التدبر في كافة العقائد ، ومصائر سائر الأمم .

- إن الإسلام يملك عقيدة سهلة تقنع العقل ، وتناسب الفطرة ، وترضى الوجدان ، وتبتعد كلية عن متاهات الفلسفة ، وتأويلات الضالين.
- كما يتميز بشريعة تحتوى على كافة النظم الذى تصلح الفرد ، وتفيد الجماعة بعيدا عن الهوى والأنانية ، مع التزام تام بنبل الغاية ، وشرف الأسلوب ، وسمو الهدف.
- وينبنى على أخلاق كريمة شاملة لكافة ألوان السلوك ، وجميع أنواع السجايا ، سلما ، وحربا ... حضارة ، وبداوة ... غني ، وفقرا ، وفى سائر الأعمال والأقوال والأحوال

- وأيضا فإن الإسلام يقر سائر الأديان السابقة ، ويقدس رسلهم وكتبهم ويؤمن بهم في إطار المشروعية الإسلامية القائمة على انطواء الجزء في إطار الكل ، وصبغ الفرع بطبيعة الأصل ، ويرى أهمية توحد الكل والجزء ما دام الجميع متحدا في المصدر والغاية .

بهذه الجوانب يتميز المسلم عن غيره ويكون إنسانا راقيا مستقيما .

ومن هنـــا

كان رفض المرتد للإسلام أو لجزء منه عدوانا على الجماعة، وانتقاصا لمصلحتها ، وكراهية لحركة المجتمع ، وتوجهه ، كما يعد الأخذ علـى يديـه إعانة له على الحق، وإعادة له إلى الصواب.

وهنا نســال

وأين حريه المرتد حين يعاقب على ردته ؟

والجواب هو : أن حريته تكون عند اختياره الأول ، فهو لم يكره على أن يكون مسلما .. ولئن كان أبواه مسلمين فهما مع المجتمع مسئولون عن تربيته وتنشئته ، وإقناعه بالإسلام ، لأن الإسلام هو المنهج الحق والجميع مسئولون عن تربية المجتمع على هذا الحق الذى أودعه الله أمانة بين المسلمين يقول الله تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .

إن مسئولية التربية تقع على عاتق الآباء ، ومؤسسات التوجيه في المجتمع كالمسجد ، والإذاعة ، والتليفزيون ، والنادى ، والرفاق ، والمدرســة ، ولــو تعاونت هذه المؤسسات وفق خطة كاملة لخرجت رجالا ونساء يعتز الإســلام بهم ، ويفخر المجتمع بهم ، أما إن حدث تقصير ما ونشأ الأبناء علـى فـساد فهي مسئولية الجميع كل على قدر تقصيره .

إن الإنسان ابن بيئته وأسرته ولذلك فإن الجميع مسئولون عــن أي فــساد يربى عليه الوليد .

والإسلام أعظم القيم، وأخلدها، ومسئولية الأسرة والمجتمع إزاءه كبيرة ... وواجب أن ينشأ الأبناء على الإسلام علما وعمـلا ، وفهمـا وسلوكا ، وبذلك يبرأ الآباء ويسلم المجتمع ، وتلتقى حرية الإنسان مع عظمة الإسلام .

إن الإنسان في الإسلام حر كريم ، ومكلف مسئول ، وعامل للرقى والبناء والتقدم ... ولا يرضى الإسلام له أبدا أن يضر ولا يفيد .

لقد رأينا ردة العرب وعلمنا تفاهة ما ذهبت إليه ، حيث قامت ردتهم على :

- ادعاءات كاذبة بالزعامة والنبوة .
- ومحاولة الاستيلاء على أملاك الناس .
- وحب الغلبة والتسلط .
- وإشباع الأهواء الضالة وإفساد الحياة
- والسيطرة على العقول و الأفهام .
- والقيام بمجموعة من الحيل المخترعة ، والسحر والتخيـل لإبهـار العامة ، والعبث بهم .

ولذلك عد القضاء على هذه الردة قضاء على فساد ضار ، والانتهاء مـن توجه ردئ ... وعدت العودة إلى الإسلام عودة إلى الحق ، والتزاما للصواب وبهذا تحددت معالم الحرية الدينية في الإسلام .

ومن خطإ النهضة الحديثة أنها تفتح باب الفساد على مصراعيه ، وتـضع القيود على الإصلاح ، وتترك الانحلال ليسود بدعوى الحريـة والتنـوير ... وهذا احتلال لا يجوز .

إن الإسلام يربى القيم ، ويحمى العقيدة ، ويحارب الفساد ، وبذلك يؤسس دولته عالية شامخة يصون ولا تهدد ، تحمي ولا تبـدد . تعمـل للمـصلحة والكرامة والحرية .

الركيزة الثانية

خصائص القيادة الإسلامية

تولى أبو بكر رضي الله عنه قيادة الأمة وسط ظروف عاصفة تجمعت كلها في وقت واحد ، فلقد توفى رسول الله ﷺ ، وبعده مباشرة انتشرت الردة في جزيرة العرب وبدأ الروم والفرس يتوقعون انهيار دولة المسلمين ، ومع ذلك تم تجهيز جيش أسامة رضي الله عنه الذي أمر الرسول ﷺ قبل وفاته بإعداده للذهاب إلى تخوم الروم .

أحداث كبيرة تحتاج كل منها إلى قائد يتميز بالحكمة وبعد النظر ، عليم بالواقع ، خبير بالنفوس ، يملك من الفطانة ما يتمكن به من تخيل النتائج ، وتحديد الأعمال التي توصله لما يريد ، ويتميز بالشجاعة التي تساعده على اتخاذ القرار المناسب ، والإصرار على تنفيذه بلا خوف ولا تردد .. ومع ذلك يملك الشفافية الإيمانية التي توصله بالله ، وتعطيه من السداد والتوفيق ما يستحقه من عند الله القادر العظيم .

عاش أبو بكر رضي الله عنه هذه الظروف وكان نعم الخليفة لرسول الله ﷺ وهو يقود الأمة الإسلامية في هذا الوقت العصيب .

شاور رضي الله عنه أصحابه واستمع لهم في كل القضايا،وناقشهم فيما ذهبوا إليه... أخذ رأيهم في الخلافة فبايعوه .

وأخذ رأيهم في بعث أسامة رضي الله عنه فأشاروا عليه بإيقافه لحاجة المدينة إلى الحماية وبخاصة بعد تكالب المرتدين عليها من كل جانب ، كما اقترحوا عليه اختيار قائد مسن إن أصر على بعث جيش أسامة رضي الله عنه .

وشاورهم فى محاربة المرتدين فنصحوه بالتوقف لأنه لا قبل لمسلمى المدينة بالعرب كلهم .

استمع أبو بكر رضي الله عنه لكل هذا ولم يرض به، فهو رضي الله عنه خبير بنفوس العرب

عليم بالعوامل المؤثرة فيهم ، وله تجاربه مع الروم ومع الفرس ومع الأعراب عن طريق معاملاته معهم أثناء التجارة ، وخلال مجيئهم إلى مكة ، وأخذ يحلل الموقف ، ويتأمل فيه فأمهل الصحابة ليلة ليقرر لهم ما يرى صبيحة الغد بإذن الله تعالى[1] .

وكأني بأبي بكر رضي الله عنه وهو يفكر وينظر طوال ليلته ، وأخاله قد رأى أن الحرب خدعة ، وأن معالجة النفوس أولى من مداواة الأجساد ، وأن إبراز القوة خير من إظهار السكينة ، وأن الصيحة بالحرب وإعلان التضحية والفداء نصف النصر ، وكما يقولون : **نصف الحرب صياح وزمر .**

لقد أثبتت الأيام أن النفوس الضعيفة لا تواجه الأقوياء ، وأن اليد المرتعشة لا تحمل السيف ، وأن الفكر المضطرب لا يقدر على قرار ، ولا يتحمل مسئولية .

رأى أبو بكر رضي الله عنه أن العرب جميعا تدرك الموقف العام لدى المسلمين ولكنهم يهابون قوة الإيمان،ونصر الله،وهو سلاح رأوه مع رسول الله ﷺ خلال الغزوات .

وأتصور – والله أعلم – أن أبا بكر رضي الله عنه سأل نفسه في تلك الليلة عن ماذا يحدث لو أطاع الصحابة فيما أشاروا به ؟؟

وأتصوره قد وصل إلى قرار يرفض به رأيهم ، ولا يرتضي تطبيقه ، لأنه حينئذ سيعطي فرصة للقبائل المرتدة لتتجمع ، وتتحد ، وتهاجم المدينة مرة واحدة ، وتستولي عليها بعد إتحادها ...

وأيضا فإن قبائل الشمال وبخاصة المتاخمة للروم سيزداد عملها ضد المسلمين ، وحين تدرك تمرد القبائل في الجنوب والوسط فإنها ستتصل بهم ، وتتفق معهم على الإطباق على المدينة ، والقضاء على الإسلام والمسلمين .

واليهود ليسوا بعيدين عن تطور الأحداث ، وسوف يهبون ، ويتآمرون

١– تاريخ الطبري جـ٤ صـ٤٥ .

ليعودوا إلى المدينة مرة أخرى .

والأعراب أشد كفرا ونفاقا و هم قريبون من المدينة ، ويحيطونها من كافة الجوانب ، وسوف يكونون عونا لكل من يقدم على حرب المسلمين وقتالهم إذا شعروا بضعف المسلمين وتخاذلهم .

وبعد ليلة عاشها أبو بكر رضي الله عنه فى فكـر ، ونظـر ، وتحليـل ، أخبـر الصحابة في الصباح بما استقر عليه رأيه ، وأمرهم بالالتزام بما قرر .

قال لهم : **سأنفذ جيش أسامة ولو تخطفت القبائل النسوة من المدينة .**

وقال لهم : **لن أبدل أسامة** رضي الله عنه **، ولن أغير شأنا أمر به رسول الله ﷺ .**

وقال لهم عن أهل الردة : **والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسـول الله ﷺ لقاتلتهم عليه .**

ووضع خطته لحماية المدينة ومواجهة المرتـدين وودع جـيش أسـامة واشترك بنفسه فى كل الأعمال التى أمر أصحابه بها ، وكان أصحابه رضوان الله عليهم نعم الجند لقائدهم لأنهم لم يرفضوا له قرارا ، أو يتمردوا على أمـر له أو توجيه .

وقد أثبتت الأحداث ، ودلت النتائج على فراسة أبى بكر رضي الله عنه ، وحكمتـه فى قيادة الأمة ، والوصول بها إلى النصر والظفر ، وخدمة الإسلام والمسلمين ولذلك قال أبو هريرة رضي الله عنه : **لولا أبو بكر ما عبد الله فى الأرض**[1] .

ويبقى للمسلمين المعاصرين الذين يرجون التقدم ويعملـون للنهـضة أن يستلهموا صفات أبى بكر رضي الله عنه فى القيادة التى تقودهم ، وتسوسهم فى شئون الدين والدنيا .

ولعل أهم الصفات التى نتوخاها فى هذا المجال هى :

١ـ الإخلاص التام لله :

لابد لقيادة المسلمين أن تكون ملتزمة بدينها لتتلاءم مع الناس فهم مسلمون

١- البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٦٠ .

ولا يتم للقائد هذا التلاؤم إلا أن يكون مثلهم مخلصا فى عمله ، صادقا فى دينه يعمل للدنيا وهو يرجو الآخرة ، ويشاور الناس وهو يستعين بالله ، ويحـــافظ على الحقوق والواجبات فى إطار الحلال المشروع .

لقد أخلص أبو بكر رضي الله عنه فى عمله فوفقه الله للحق وأعانه عليه ، وسدد قرارته فى كافة المواقف التى عاشها رضي الله عنه .

٢ــ الفهم الدقيق :

لابد للقائد المسلم أن يكون عالما بالواقع الذى يعيش فيه ، فاهما للنفوس ، محيطا بالأحوال المختلفة ، عارفا بالتوجهات الفكرية ، والثقافية .. وأن يتمتع بالدقة التى تمكنه من التحليل الواسع ، والقدرة على اتخاذ القرار المناسب ... وله من أجل ذلك اتخاذ المستشارين وجمع البيانات ، ورصد الــرأى العــام ، والوقوف على أحلام الناس وأمانيهم ، ومعرفة الاختلافات الاجتماعيـــة فـــى الثقافة ، والقدرة المادية ، والتخصص العلمى ، والمهنى ، وغير ذلك .

إن هذا الفهم يساعد القائد على اتخاذ القرار المناسب للموقــف والحــدث الجديد ولعل نجاح أبى بكر رضي الله عنه فى قرارته يرجع بجانب معونـــة الله الـــى خصائصه الذاتية التى مكنته من اتخاذ القرارات التى نـــصر الله بهـــا الأمـــة والإسلام .

٣ــ الشجاعة وعدم التردد :

يحتاج القائد المسلم إلى أن يكون شجاعا فى التنفيذ والعمل ، لا يتـــردد ، ولا يجبن ، ولا يتوقف . ما دام اتخذ قراره متوكلا على الله تعالى بعد النظـــر والتحليل والمشاورة .

إن التردد فى التنفيذ يشير إلى الضعف والخور ، ويسئ إلى العمل بعـــد تمامه ، ويضيع كثيرا من الفوائد التى يعمل لها القائد . وحين يعـــرف القائـــد بشجاعته تتحقق طاعته بسهولة ، ويتعامل معه الجميع بثقة وأمان

ولقد كان أبو بكر رضي الله عنه فى التطبيق الشجاع لقرارته أمة وحده ولـــذلك سارع أصحابه بطاعته وتنفيذ ما أمرهم به .

٤ــ العمل على تربية الأمة إيمانيا :

الحاكم المسلم مسئول عن حراسة الدنيا وحماية الدين ، وعليه لتحقيق هذه المسئولية أن يجعل كافة مؤسسات التوجيه فى المجتمع تؤدى إلى تربية الناس على حسن الخلق ، وحب الأوطان ، وصدق التدين ، والتعاون مع الجميع ...

إن أجهزة التوجيه الاجتماعي ، كفيلة بتربية الأمة ، وتنشئتها على النحـــو الذى تقصده .

ولهذا كان اهتمام الإسلام بالأسرة المحضن الأول للتنـــشئة ، وبالمدرســـة وبالمسجد ، وبما يذاع وينشر من أجل المحافظة على روح الأمة ، وتوجهها لله تعالى .

وليس من العقل أن تعمل المؤسسات الاجتماعية على نشر قضايا لا قيمـــة لها .

أو تنشر أموراً تذيع الفساد وتحرص عليه .

أو تهتم بمسائل تذيع السوء ، وتبعد الناس عن مصلحة الدين والمجتمع ...

وبعد ذلك نتعجب من الواقع السئ الذى يعيشه الناس .

وليس من المتصور مطلقا أن تنفق الأمة جزءا من المال على نشر المجون والخلاعة ، وتهييج المشاعر والأحاسيس ، وإرواء الغرائز المادية بالـــشهوات والحرام ، لأن هذا السلوك لا يسلم به عقل ، ولا يرضاه نظام ، ولم يـــشرعه وحى الله تعالى ... ولا ينتج إلا السوء والضرر .

لقد كان أبو بكر رضي الله عنه يوجه كل أفراد المجتمع . الجندى فـــى الميـــدان ، والمرأة فى البيت ، والمصلين فى المساجد ... وغيرهم إلى أهمية طاعة الله ، وتجنب المعاصى ، لأن النصر لا يتحقق إلا بالطاعة ، وما عند الله لا يدرك بالمعصية ، والراغب في أمر يقدم له بما يناسبه ، ولا يطلبه بالمعاصى .

وواجب القائد المسلم أن يعمل لله ، ويوجه الأمة كلها لخالقها ، ويـــربيهم على الطاعة والإتباع ، وفق دين الله وشريعته .

٥ـ المحافظة على منازل الناس :

لكل إنسان خصائصه ، وصفاته الذاتية التي تمكنه من عمل ما ، وتـضعه في منزلة اجتماعية معينة ، ولذلك اختلف الناس في البنية الجسدية ، والـشكل المادى ، كما اختلفوا في الفهم والإدراك ، وتنوعوا في الجوانـب النفـسية ، والعاطفية ، والعقلية .

ومن هنا صار لكل إنسان عمل يتخصص فيه على قدر طاقته ، وقدراته ، ولكل فرد منزلة بوضع فيها تبعا لجهده وعمله .

والقائد الناجح هو الذي يعلم حقائق الناس ويعطى لكل حقه ، وينزله فـي منزلته ، ويكلفه بما يليق به ، ويتعامل معه على هذا الأسـاس بعيـدا عـن المحسوبية وإهدار الحقوق ... وبهذا يتحقق الاستقرار ، ويتمكن القائـد مـن ضبط الأمور ، وتسيير شئون الحياة .

وذلك درس نستفيده من أبى بكر فلقد أنزل أصحابه منازلهم ، وكلف كـلا منهم بما يقدر عليه .

فهذا يجمع القرآن .

وذاك يقود الجيوش .

وثالث يتولى الولاية .

وهكـذا ...

عمل الناس وهم راضون ... ومقتنعون بما وضعهم فيه الصديق ﷺ .

ولا يصح مطلقا أن يسند القائد عملا لإنسان لا يكافئه ، بسبب قرابـة ، أو وجاهة ، أو مال ، أو قوة ... لأن ذلك الشخص يسئ إلى العمـل ، ويعطـل المصالح ، ويؤدى إلى كراهية الجمهور للنظام كله .

الركيزة الثالثة

القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى

الدعوة إلى الله تعالى قضيه واجبة ، يلتزم بها كل مسلم على قدر طاقته ، الفقير بعمله وسلوكه ، والغنى بماله وطاقته ، والعالم بعلمه وفقهه ، والواعظ بفنه ومواعظه ، والحاكم بسلطانه ووظيفته .

ولو تعاون المسلمون فى واجب الدعوة إلى الله تعالى لرأينا صورا عديدة من أهمها :

- صورة دعوة الإنسان لنفسه وأهله بالعلم والعمل والنصح والمشاورة .
- صورة دعوة المسلمين بعضهم بعضا ، الأخ مع أخيه ، والجار مع جاره والعامل مع زميله ، والموظف مع صديقه ... وهكذا يسود بين الجميع التناصح الخير ، والتعاون الأمين ، وإعلاء حكم الله تعالى فى سائر تجمعات المسلمين .
- صورة توجيه غير المسلمين إلى معرفة الإسلام ، وبيان مزاياه عسى أن يهديهم الله إلى الصراط المستقيم
- صورة صادقة للإسلام تظهر فى وسائل الإعلام مقروءة ، أو مسموعة ، أو مرئية أو مصورة ...
- صورة تلاقى الجميع على خط واحد من أجل الوصول إلى هدف واحد وهو نصرة دين الله تعالى .

والحاكم المسلم وسط هذه الصور يشجعها ، وينميها ، ويوجهها ، لتحقيق التكامل فيما بينها . وهو مسئول عن ذلك لما يملك من إمكانات وطاقات .

وحين تلتقى هذه الصور ، وتتحد فى الغاية والهدف تصير الدعوة بها أمرا سهلا ، جميلا ، محبوبا ، وتلك هى مسئولية الحاكم المسلم .

لقد كان أبو بكر رضي الله عنه يأمر كل مسلم بالنصح لأخيه ، والطاعة لله ورسوله . وكان دائما يخطب فى الجنود ، وفى المساجد ، وكان رضي الله عنه يرسل الرسائل

للقبائل منذرا ومحذرا ، وداعيا إلى الله تعالى ولذلك بقى المسلمون بعيدين عن التأثر بفلسفات الروم والفرس مع أنهم كانوا أصحاب دولة ، ورجال حكومة وسلطان .

حافظ أبو بكر رضي الله عنه على ما ورثه من رسول الله ﷺ فحافظ على ربط الإسلام بالوحي ، وربط الناس بالكتاب والسنة ، وأبعد عن الناس التأثر بحضارات العالم يومذاك – وكانت كثيرة ولها نظامها وفكرها ، وفلسفتها... الأمر الذى أدى إلى ظهور الأمة المسلمة بخصائصها ، ومزاياها ، وبهذا صارت أمة فريدة فى عظمتها ، سباقة في خيرتها ، تؤمن بالله تعالى ، وتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتحافظ على إنسانية الناس .

الركيزة الرابعة

أهمية التخطيط والمتابعة

توصلت البشرية بعقلها إلى أن الأعمال الناجحة تقوم على تخطيط يـربط الحاضر بالمستقبل ،وتنظيم يدرس الواقع ، ويعرف الامكانات المتاحة ، ويقدر الموقف من كافة جوانبه ، مع توقع الاحتمالات الممكنة ، وبعد ذلـك يكـون القرار ، وطريقة العمل ...

وهذا ما يعرف بالتخطيط ، أما المتابعة فهى مراقبة التنفيذ للوقوف علـى مدى تطبيق الخطة الموضوعة ، وتقييمها مرحلة . مرحلة .

وقد صار التخطيط . كما صارت المتابعة علوما لها دراسـاتها ، ومناهجهـا ومعاهدها ، وأصبح اهتمام العالم بهما واضحا ملموسا لدرجة أن الأمم كثيـرا ما تخطط لسنوات عديدة مقبلة .

والأمة الإسلامية محتاجة إلى التخطيط ، والمتابعة لتكتشف حقيقتها الكامنة وتتعامل مع الممكن ، وتستفيد بما يجد من أحداث ، وما يجرى من وقائع .... وحتى تتمكن من النهوض مرة أخرى ، وتعيد المجد الإسلامى إلى مـا كـان عليه .

يمكن للأسرة أن تخطط لتربية أبنائها ، وتكوينهم إيمانيا ، وثقافيا ، وعلميا وعمليا ، وتتابع ذلك مع سنوات العمر ، وحركة الزمان .

ويمكن للقرية والمدينة أن تقوم بهذا الجهد لتقدم لبنيها من عملهم خير مـا ينفعهم ، ويفيدهم ... وهكذا

يمكن لأى قطاع ، ولأى تجمع ، وللأمة كلها أن تعتمد التخطـيط الـسليم أسلوبا ومنهجا للحياة .

وهذا الدرس نستفيده من أبى بكر رضي الله عنه، فإنه رضي الله عنه تأمل الواقع الذى وجد نفسه فيه بعد الخلافة ، ودرسه من كافة جوانبه واتخذ له القرارات المناسبة ، فسير جيش أسامة ، وحمى المدينة المنورة ، و ناوش المرتدين ، ومنعهم مـن

التوحد والتجمع ، وبعد ذلك كر عليهم فى حملاته العسكرية بعد أن أعدها وجهزها ، ووجهها إلى مواطن المرتدين ، مراعيا قوة كل منهم ، وتعامل مع سائر القوى كل بالقدر الذى يناسبه .

وكان ﷺ يتابع الخطط التى وضعها ، ويحيط بأخبار المجاهدين فى كل المواقع ، ويمد من يحتاج لمدد ، ويوجه من حقق النصر لمساعدة غيره ... وهكذا كانت متابعة أبى بكر للخطط التى وضعها .

إن الإسلام دين يقوم على النظام ، والتخطيط . ولنا فى توزيع العبادات على أيام وأشهر العام دليل على التنظيم والتخطيط .

وليس من المعقول ، ولا من المقبول أبدا أن تصير الأمة المسلمة فى مؤخرة الأمم والإسلام دعوة إلى الرقى والتقدم ...!!

وليس من المعقول ، ولا من المقبول أبدا أن يتحول المسلمون إلى متسولين يأخذون من غيرهم طعامهم، وملبسهم، ومركبهم، وكافة ضرورات حياتهم ... ودينهم يدعو إلى الغنى ، والعمل ، والسعى ، والكفاح . والقوة ...!!

وليس من المعقول ، ولا من المقبول أبدا أن يركب غير المسلم الفضاء والصاروخ بينما يعيش المسلم فى غياهب الصحارى والقفار ، وهو يركب الإبل والحمار .

أين تخطيط المسلمين للمستقبل ؟!

وأين نظرتهم للحياة ؟!!

وأين حرصهم على التقدم والعلا ؟!

وأين الرجال في زمن يحتاج لرجال ؟!

ولنعد إلى أبى بكر ﷺ نرضى به النفس ، ونعيش معه وهو يخطط للنصر والحياة ، ويسبق الدنيا كلها ، ويحقق للإسلام والمسلمين مجدا يضاهى به العالم على طول الزمن .

الركيزة الخامسة

حسن سياسة الناس

الجماعة أشتات من الناس . مختلفون طبعا ، وفكرا ، وتوجها ، وقيادتهم تحتاج إلى سياسة حسنه تتميز بالشمول ، والواقعية .

إنها تتميز بالشمول بالضرورة ليشعر كل إنسان فى الأمة بأن القيادة حريصة عليه ، وعلى مصالحه ، فهى تحميه ، وتنميه وتضمن له الكرامة والحرية والأمان .

ولابد لها أن تتميز بالواقعية لتتعامل مع كل فرد بما يناسبه ، وبما يقدر على فهمه والرضا به .

إن السياسة هى فن التعامل مع الناس ، وإدارة شئون الجميع وفق المصلحة العامة والخاصة .

وأعظم القادة هم الذين يجمعون قلوب الناس حولهم ، حبا ، وإعجابا ، ورضا ، وطاعة ، وشرهم من يكرهه الناس ، ولا يرضون له حكما أو رأيا .

وحين نعود لأبى بكر رضي الله عنه لنستفيد منه بعض العبر والدروس فى هذا المجال فإننا نأخذ دروسا عديدة من أهمها :

أـ وضوح المنطلق الرئيسي للأمة :

يراد بالمنطلق الرئيسى الأساس التى تبنى الجماعة عليها نشاطها ، وتقيم به خططها ، وتضع عليه مناهجها ، وسلوكها ، وكافة أنشطتها .

فمثلا تعتمد الدول الغربية منطلق الحرية كأساس لحركتها ، ولذلك نجد هذه الحرية بارزة فى الاقتصاد ، والحركة ، والعمل . وكل نواحى الحياة ...

والاشتراكية كمنطلق لبلادها تظهر فى المال ، والأعمال ، والقانون ، والسلوك العام .

ومن هنا كان على الحاكم فى الأمة المسلمة أن يحدد منطلق أمته ، الذي هو نابع من الإسلام ، و مرتبط به ... وبهذا يكون الإسلام غطاء بارزا لكل

أنشطة المجتمع المسلم .

وبهذا لا يصح أن يتخذ القائد المسلم منطلقا من غير الإسلام حتى لا يتناقض المبدأ مع التطبيق ، ونرى مسميات لا صلة لها بأسمائها ، ونشاهد مكلفا بعمل يهدمه ولا يقيمه .

لا أمانة لخائن

ولا ثقة فى سارق

ولا عهد لمن لا أمانة له

وكيف يدعوا إلى الطهر فاسق ؟؟!

وكيف يحرس الحق من يعتدى عليه ؟؟

إن تحديد المنطلق ، والحرص عليه بدقة كفيل بنهضة الأمة ، وتقدمها ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة فقد حدد المنطلق فى قوله ﷺ: " **تركت فيكم ما إن تمسكم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى** "[١] ففى هذا منطلق الأمة ، وبالكتاب والسنه يتحقق الفلاح والفوز ، ورحم الله أبا بكر رضي الله عنه فقد التزم بهذا بدقة وقال : " **أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيت فلا طاعة لى عليكم**"[٢]

ب ـ تيسير المسار الدينى :

يعيش المسلم فى مجتمعه ملتزما بتعاليم الدين ، مطبقا لكافة مناسكه ، والحاكم مسئول أمام الله تعالى عن تيسير العمل المشروع أمام الأفراد والجماعات نظريا وعمليا .

فهو يقيم المؤسسات التعليمية والتوجيهية التى تنشر العلم بالدين ، وتحبب الإيمان فى النفوس ، وتساهم فى التنمية الدينية بكل ما يمكنها من برامج ومؤسسات .

إن إقامة المساجد للمسلمين لإقامة الصلاة ، ونشر العلم عمل يقوى الإسلام ويجمع الناس على دين الله تعالى .

١- المستدرك ـ كتاب العلم جـ١ صـ١٧٢ .

٢- البداية والنهاية جـ٦ صـ٤٥٠ .

وإصدار الصحف والمطبوعات والنشرات والملصقات التى ترفع شأن الدين ، وتعلى قدره ، وتوضح موقف الإسلام من مشكلات الحضارة والحياة من أساسيات حب الإسلام .

وإنشاء المدارس ، والاهتمام بالفكر الإسلامى ، وإبراز ما فى القرآن الكريم والسنة النبوية من كنوز يشجع على العمل والتطبيق ،وجوانب الحياة كثيرة ،ومسئولية الحاكم المسلم أن يضعها فى أطر تحدد للأمة مسارها ،وتبعد عنها الزيف والضلال ، وليس من المسئولية أن ينشط العابثون بالقيم ،ويكثر الهدم بين الناس ،ونرى المخالفات الشرعية فى كل مكان بلا حساب ، أو عقاب .

ولا يصح مطلقا في المجتمع المسلم أن يكون المسلم الملتزم هو المتهم بالعنف والعدوان ، وعده من العابثين واللصوص ، بينما شذاد الآفاق أحرار كرام ... لأن هذا الوضع يعد حربا للإسلام ذاته ، وإضعافا لحركته وقوته داخل المجتمع ، وصدا للناس عن إتباع المنهج المستقيم .

لقد ساهم أبو بكر رضي الله عنه فى المحافظة على إسلامية الأمة فنصره الله تعالى .

لقد حول نشاط المجتمع كله إلى حركة إسلامية تلتزم بالمشروع وتترك الممنوع ، وبذلك صارت الدعوة إلى دين الله تعالى حالة وقدوة ، وعملا وسلوكا ... وبذلك ظهر الإسلام أمام الناس تجربة حية مطبقة ، ونشاطا بشريا محبوبا لكل من يراه .

ج ــ ضرورة وضوح الغاية الكبرى للأمة :

يجب أن تعرف الأمة المسلمة غايتها ، وتعرف الأمانى التى تعمل لها ، وهى فى الإسلام منحصرة فى تطبيق شرع الله تعالى لتحقيق سعادة الدنيا ، وسعادة الآخرة .على أن تكون الأخرى أولى وأحق... وعلى كل مسلم أن يدرك أن الدنيا حركة متتابعة تنتهى بالرجوع إلى الله تعالى ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾ ، ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ ... ولذلك يرى المسلم أنه موضوع

بين طرفين أحدهما يقدم له المنهج ، والثانى يقدم له الغاية .. ولو كان صادقا مع نفسه فعليه أن يلتزم بالمنهج ليصل بيسر إلى الغاية ويعيش فى الدنيا عبدا ربانيا ... ومن فضل الله تعالى أنه حدد للمسلم المنهج ، وبين له الطريق ، وعرفه بالغايات المأمولة .. وبذلك لا يكون للمسلمين عذر إن ضلوا الطريق ، أو أهملوا المنهج ، أو استغنوا عن الغايات .

والحاكم المسلم مسئول قبل أفراد الأمة عن أى تقصير يلحق غبشا بموقف المسلمين من التطبيق الصحيح لتعاليم الله تعالى .

د ــ أهمية مراعاة الواقع :

الإنسان يتحرك فى واقعه ، ويتأقلم معه ، ويحاول أن يسمو به إلى إطـــار مقبول فى الشرع والدين .

والإسلام دين الفطرة ، يقدر الواقع ، ويسلم بما للعرف والعادة من تأثير .

ومن تعامل الإسلام مع الحياة أنه يبيح الفطر لأصحاب الأعذار كالمريض والحائض و النفساء ، ويقصر الصلاة للمـــسافر ، ويرفعهـــا عـــن الحـــائض والنفساء ، ويأخذ المال من الغنى ويعطيه للفقير .

ولا يكلف بالحج إلا المستطيع ... والأمثلة كثيرة .

والتعامل مع الواقع لا يعنى قبوله ولو كان محرما أو ممنوعا . فلو نـــشأ مجتمع على شرب الخمر ، أو تعود السرقة فإن الإسلام لا يسلم بذلك ، وإنما يتعامل بالتربية ، والترغيب ، والترهيب ، وبعد ذلـــك بالعقوبـــة والتعزيـــر ، وبذلك ينهض الإسلام بالواقع ، ويغيره .

لقد جاء الإسلام والعرب يهتمون بحفظ خطبهم وأشعارهم ، ويتعـــصبون لقبائلهم وذواتهم ، ويقضون أعمارهم فى حرب وقتال . فتعامل مع هذا الواقع وحول ملكة الحفظ إلى حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية ، وحول عـــصبيتهم إلى إخلاص وحب لدين الله تعالى .

وحول ميولهم القتالية إلى الجهاد فى سبيل الله تعالى لينتصر الحق ، وتعلو كلمة الله تعالى .

والحاكم المسلم مسئول عن مراعاة الواقع ليستفيد بخصائصه ، ويترقى بها ويضعها فى صورة إسلامية نافعة .

ومن مراعاة الواقع اختيار الرجل المناسب المتميز ووضعه فى العمل الذى يناسبه ليكثر نفعه ، ويحقق المطلوب منه .

ومن مراعاة الواقع كسب ود الناس ، ونيل ثقتهم ورضاهم . وأساس تحقيق ذلك نشر العدل بين الجميع ، والتسوية فى المعاملة ، وأن يعامل الإنسان بدينه وخلقه وعمله .

ومن مراعاة الواقع أداء الحق لصاحبه ، ومعاقبة المسئ بعد إقامة الحجة عليه بلا هوادة أو تأخير .

ومن مراعاة الواقع تقديم الأهم على المهم ، وتقديم المصلحة العامة على الخاصة ، ووضع الأقوياء فى مساندة الضعفاء ومساعدتهم ليشعر الجميع بالأخوة الإيمانية الصادقة .

لقد تعامل أبو بكر رضي الله عنه مع الواقع خلال حروب الردة فقدم فى كل مواقفه التي أشرت إليها ركائز خالدة للمسلمين على الزمن كله .

هـ ـ شمولية الإدارة والتوجيه :

قاد أبو بكر رضي الله عنه الأمة بكفاءة شاملة ، حيث وضع لكل جهة واليها ، وأمده بكافة المسئوليات ، وعرفه جميع الواجبات ... ولم يترك أمامه ثغرة تفيده في العمل الادارى والتنظيم الحركى إلا أمده بها لأنه شعر بمسئوليته عنها ...

وكان دائما رضي الله عنه يوجه الناس لكل جديد يحدث ، وكان يوصيهم بطاعة الله تعالى ، والتمسك بما جاء في أحكام الإسلام .

والحاكم المسلم في كل وقت مسئول عن ذلك حتى ينهض الناس وتتقدم الأمة .

الركيزة السادسة

أخذ الحيطة والحذر باستمرار

الحق لا يسلم من خصوم ، وأهل الباطل يعملـون علـى هزيمـة الحـق ويحاولون القضاء عليه ليستمر حالهم ، ويدوم لهم ما هم فيه .

والواجب على أصحاب الحق ، وبخاصة أولو الأمـر فـيهم أن يأخـذوا حذرهم ، ويتأملوا فى الوقائع التى يتعاملون فيها حتى لا يخـدعهم لئـيم ، أو يلعب بهم عدو ، وبخاصة في العصر الحديث التي كثرت فيه الحـضارات ، وتنوعت الثقافات ، وتعدد الصراع بين الأفراد والجماعات .

والأمة الإسلامية لها أعداؤها الذين يمكرون بها ، ويحـاولون تـشويهها والقضاء عليها بكافة ما أمكنهم من وسائل وطرق .

ومن هنا كانت ضرورة اليقظة ، والانتباه .

وحين نعود إلى عصر الإسلام الأول ونقف على بعض الأحداث المخادعة التى قام بها الأعداء ندرك أهمية ما ندعو إليه .

من ذلك ما حدث من **مجاعة بن مرارة الحنفى** الذى من عليه خالـد بـن الوليد ولم يقتله مع من أسرهم ، وقربه إليه ، وكان يحدثه فـى شـأن الـردة والمرتدين ، ووثق فيه خالد رضي الله عنه.... إلا أنه صنع بجيش خالد خديعة أوقفـت خالد عن غزو حصون اليمامة ...

وذلك انه بعد أن انتصر المسلمون فى حديقة الموت . أرسل خالد جيـشه إلى الحصون ليلتقطوا ما فيها من مال وسبى،ولم يكن فيها إلا النساء،والأطفال والشيوخ،فكذب مجاعة عليه وقال له: **إنها ملأى بالرجال والسلاح فصالحهم...** فمال خالد إلى الصلح ... ثم إن مجاعة ذهب إلى من فى الحصن،وأمر النساء أن يلبسن الحديد،ويبرزن على رءوس الحصون كأنهن رجال . فلما فعلوا ذلك ظنهم خالد رجالا فصالحهم،وعادوا إلى الإسلام ،ورد عليهم خالد ما سباه منهم[١].

١- ترتيب البداية والنهاية صـ ١١٥ .

ومن ذلك ما حدث من " **الفجاءة** " **من بنى سليم** . فإنه جاء إلى أبى بكـر وزعم أنه عاد إلى الإسلام ، وسأله أن يجهز معه جيشا يقاتل بـه المرتـدين فصدقه أبو بكر . وأرسل معه جيشا فاستغله في العدوان والفوضى وأخذ يقتل كل من يقابله مسلما أو مرتدا ويأخذ ما معه من مال . ونشر فسادا فـى كـل مكان وصل إليه . وقد عاقبة الصديق لما أمكنه الله منه[1].

وقد أخذ أبو بكر رضي الله عنه من هذه المواقف درسا وهو أن لا يعطى القيـادة لرجل عاد إلى الإسلام بعد ردة مخافة المكر والخداع .

وكان رضي الله عنه يسأل عن الرجل،ويفتش عنه قبل أن يكل إليه أمرا،وكان يجمع أخبار ولاته من رسائلهم ،ومن الجماهير ،ومن أهل الثقة فى مختلف الولايات.

والواجب أن يعيش المسلمون بهذه الروح دائما لان أعداء الإسلام كثيرون ولن يفوتوا فرصة يتمكنون خلالها الإضرار بالإسلام والمسلمين .

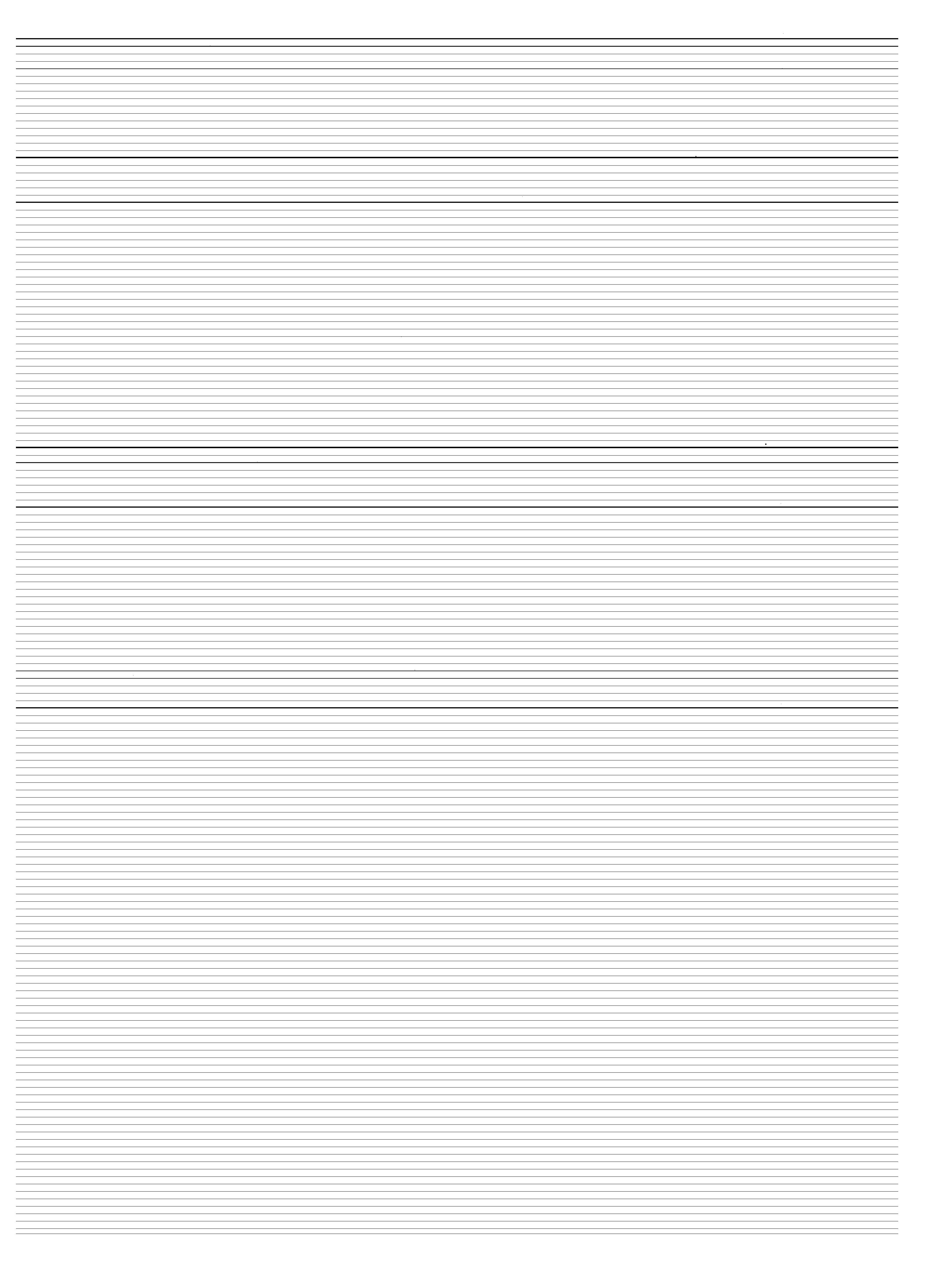
والعالم المعاصر يدعو إلى أهمية هذه الركيزة حيـث ينتـشر التنـافس ، وتتسابق الأمم ... وكل منها يتخذ لنفسه طريقا يبقيه سرا على الآخـرين ... ولا يهمه إن كان يفيدهم أو يضرهم ولذلك كثرت مؤسسات الأمن والمخابرات وتعددت صور التجسس .

والمسلمون عليهم أن يعيشوا واقعهم . ويعلموا أن أعـداءهم كثيـرون ، والواجب عليهم إزاء هذا أن يحتاطوا لأنفسهم ، ويحذروا عدوهم ، ويحـاولوا البحث عن فكر الآخرين ، وتوجهاتهم ليتجنبوا غدرهم ولؤمهم .

إن الإسلام دعا المسلمين إلى ضرورة معرفة مواطن الخطر والحذر مـن الوقوع فيها ، وأمر بمعرفة لغة الأعداء ، وكشف سياساتهم وخططهم الـسرية والمعلنة ، وتحليلها لمعرفة نوايا الآخرين وتوجهاتهم .

وعلى الحاكم المسلم أن يتحسس الخبر ، ويتعسس في خفاء ليتعامل مـع الواقع ، ويحقق الخير والمصلحة للناس أجمعين .

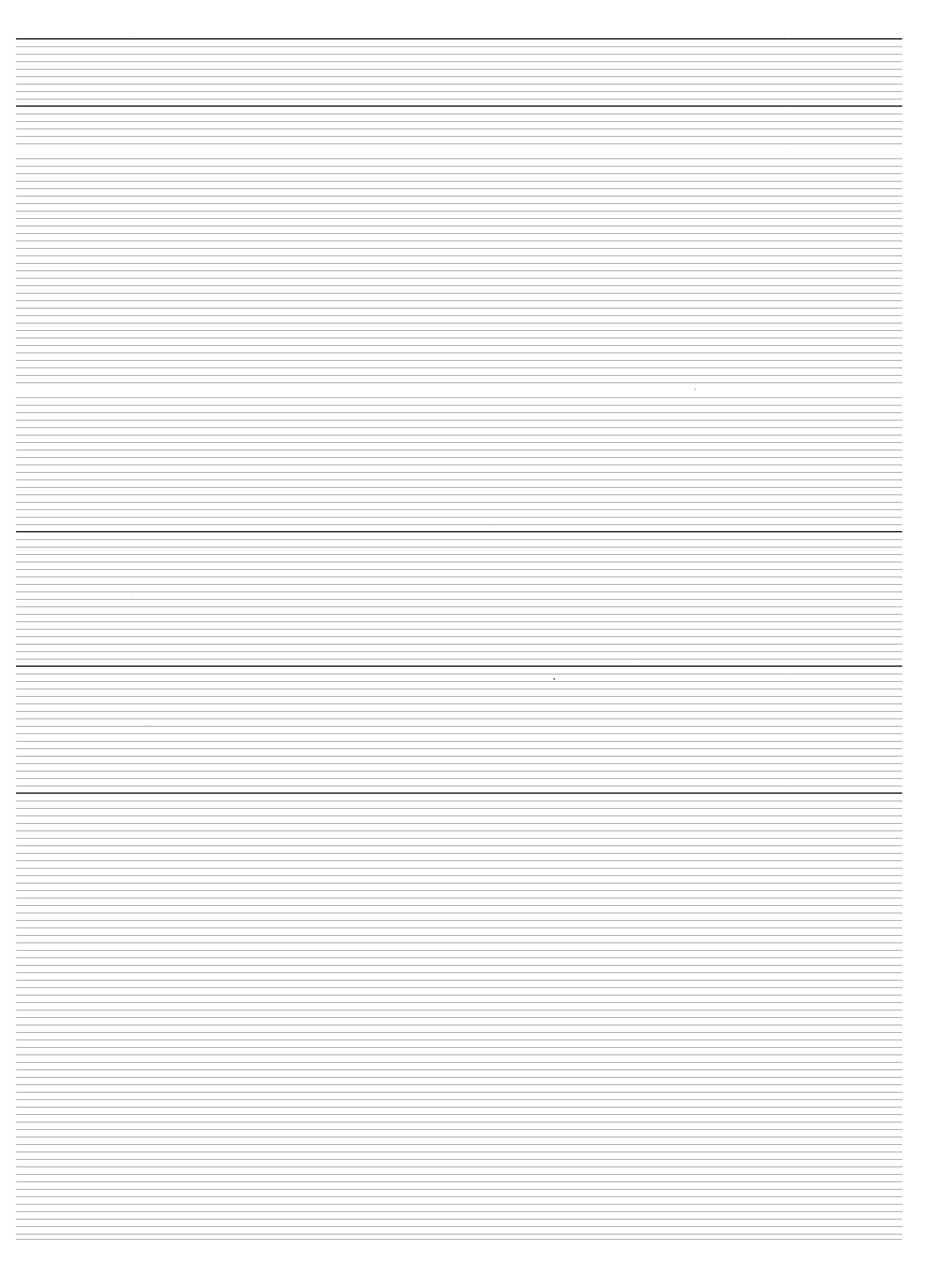
١- ترتيب البداية والنهاية صـ ١٠٦ .



الفصل الثامن

الفتــوح

في عهد أبى بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ



تمهيـــد

انتهت حروب الردة بعودة العرب إلى الحق مرة أخرى ، ونـــدمهم علـــى ما بدر منهم ، وعزمهم المؤكد على أن تكون حياتهم ومماتهم لله رب العالمين .

ورب ضارة نافعة فلقد أظهرت حروب الردة مجموعة من الحقائق الكامنة

ـــ برزت قوة الرجل العربى ، وشجاعته ، وتضحياته إزاء القضايا التى يؤمن بها ، ويرضى عنها .

ـــ ظهرت حقيقة الروم والفرس أثناء حروب الردة فلقـــد أعلنـــوا العـــداوة ، وعملوا على مساعد المرتدين ، وتصوروها فرصتهم للقضاء على المسلمين والإسلام ، ولذلك قدموا من أعمالهم ما وجب على المسلمين أن يجاهدوهم عليه بعد ذلك .

ـــ تحول المرتدون إلى جنود صادقين ، يريدون الآخرة قبل الـــدنيا ، ولـــذلك نراهم يعتادون على الجهاد الذي وجههم إليه أبو بكر رضي الله عنه بعد انتهاء الردة.

ـــ من هنـــا

فإن حروب الردة تعد مقدمه للفتوح الإسلامية في عهد أبـــى بكـــر ، لأن عداوة الفرس والروم أخذت طابعا عمليا ، وصدهم الناس عن دين الله ظهـــر جليا ، واضطهادهم للدعاة المسلمين صار سياسة شاملة ، ولذلك بدأت الفتـــوح بعد الردة مباشرة حيث أظهر الواقع ضرورة الجهاد ، وحتم السرعة فيه .

وسوف يأتى هذا الفصل مكونا من المباحث التالية :

المبحث الأول : صلة الفتوح بحرب الردة .

المبحث الثاني : الفتوح في الميدان الفارسى .

المبحث الثالث : الفتوح في الميدان الرومانى .

المبحث الرابع : النتائج المباشرة للفتوح في عصر أبى بكر رضي الله عنه .

والله الموفق ...

المبحث الأول

صلــة حــروب الــردة

بفتح فارس والروم

لم يشرع الإسلام الجهاد للظلم والعدوان ، ولم يجعله وسيلة للقهر والإذلال وإنما شرعه الله سبحانه وتعالى لتحقيق كرامة الإنسان ، وصيانة كافة الحقوق وضمان الحرية للناس في إطار المسئولية والمساواة ، وللتصدي لكل من تسول له نفسه إهانة الإنسان (أيا كان هذا الإنسان) في فكره ، أو في مذهبــه ، أو في ماله ... أو في أى شئ يتعلق بحق من حقوقه الفطرية التي يسلم بها العقل للناس .

إن الإنسان كائن حى عاقل ، فهو بكينونته موجود ، وبحياته لــه حركــة ونشاط وعمل ، وبعقله يفكر ، ويتصور ، ويحلل ، ويستنتج ... وهو بجملتــه يعرف حقوقه ، ويسلم بواجبه فإذا ما تمتع بماله ، وأدى ما عليه عاش راضيا سعيدا ، وإن حرم من حق من حقوقه ، وعجز عن أداء واجبه شعر بالــضعة والهوان .

وقد جاء الإسلام لتكريم الإنسان ، ولذلك كان الجهاد لــضمان الحقــوق ، وحماية السبيل للقيام بالواجبات .

وحين نتأمل في سائر الغزوات والسرايا التي وقعت في عهد رســول الله ﷺ نرى أنها تتدرج في إطار المحافظة على إنسانية الإنسان وكرامته .

وحين ننظر في أحداث حروب الردة ، وأحوال الفرس والروم نرى أنها لم تبعد عن هذا الخط المشروع ، وإن تميزت بملامح معينة احتاجــت لمواقــف جادة . اتخذها أبو بكر رضي الله عنه بعبقريته التي وفقه الله بها فــي اتخــاذ القــرار المناسب للواقع الموجود ، ووضع الخطة الملائمة للحالة العامــة التي رآهــا

تتجمع من حوله في بيئة الردة ، وعند الفرس والروم ...

ولذلك وجدنا أبا بكر ﷺ يواصل الجهاد في كل الجبهات ، ويستمر في جهاده بلا توقف ، ورأيناه بعد القضاء على الردة والمرتدين يكلف المسلمين بمواصلة فتح بلاد فارس والروم ، ومواصلة القتال وفق خطة متكاملة ، ودقيقة ذلك أنه حين بعث جيش أسامة ناوش المرتدين ، ولم يتحرك لمهاجمتهم .

ولما بدأ يهاجم المرتدين أرسل إلى تخوم الفرس والروم من يناوشهم ، ليهتموا بأمرهم وحده ، ولا يتعاونوا مع المرتدين .

وهكـــذا ...

وضع أبو بكر ﷺ عينه على الجبهات كلها ، وتعامل معها واحدة بعد واحدة، وهذا أمر سيتضح بإذن الله تعالى من خلال تحليل خطة أبى بكر ﷺ في الجهاد .

وفى هذا المبحث سأتناول مسألتين :

المسألة الأولى : الملامح العامة بعد تولية أبى بكر ﷺ الخلافة .

المسألة الثانية : فلسفة الخطة التي نفذها أبو بكر ﷺ للجهاد .

وبدراسة هاتين المسألتين تتضح الصلة بين حروب الردة وفتح بلاد فارس والروم ، وصلة الفتوح بفلسفة الجهاد الإسلامى .

المسألة الأولى

الحـــالة العـــامة

للعرب والفرس والروم

قبيل الفتح

الكفر ملة واحدة ، فهو وإن تباعدت دياره تتقارب أفكـــاره وأهدافـــه لأن أساس المنطلق واحد ، والأساس حين يفسد لا يحقق إلا فسادا ، و من المعلوم أن ظل العود الأعوج يكون أعوج دائما . وحين ننظر في الأحـــوال العامـــة للفرس ، والروم ، والمرتدين من العرب نجدهم جميعا يعيشون ظروفا واحدة ، ويتصفون بالأوضاع التالية :ـــ

أـــ فساد القيادات

عاشت القيادات في جزيرة العرب ، وفى بلاد فارس ، والروم حالة مـــن الرفض لاستقبال الدين الإسلامى بعدما رأوا أنه يحرمهم من الأوضاع الفاسدة التى صنعوها لأنفسهم ، ظلما للضعفاء ، وعدوانا على الرعايا .

ففى الجزيرة العربية أخذ المتنبئون وأعوانهم يثيرون العامة ، وينـــشرون العصبية ، ويدعون أن الوحي ينزل عليهم بالنبوة ، و يزعمون أن حقهم فـــي ملكية الأرض والمتاع والناس مثل ما ملك محمد وقريش ...

وهم في ذلك كاذبون ، لأن محمدا ﷺ كان رسولا من الله لتبليغ دين الله ، ولم يملك دينارا ولا درهما ، ولم يعتد على حق لإنسان ، ولم يتحدث التـــاريخ أن قبيلته (قريش) ملكت حق الضعفاء ، أو استولت على ما ليس لها ، بـــل الثابت أنه ﷺ ظل يجاهد العنت والظلم في قبيلته ، واستمر ﷺ يوجههم إلـــى الحق بعد إسلامها إلى قبيل وفاته ﷺ وهم له مطيعـــون ، وكثيـــرا مـــا دعـــا أصحابه إلى مجاهدة الظلم والظالمين فى كل زمان ومكان .

وفى بلاد الفرس انتشر الفساد و البغى فى البلاط الملكى الحاكم وبين أفراد الشعب ، حيث ادعى الملوك أن حقوقهم مقدسة وأنهم يمثلون الآلهة ، إن لم يكونوا هم الآلهة بأعيانهم و ذواتهم .

لقد انتشر الفساد ، وشاع الظلم ، وعم الفقر والجهل والمرض ، واحتكرت فئة قليلة خيرات البلاد والعباد ، وصار رجال البلاط وقادة الجيش هم رجال الإقطاع الذين يملكون الأرض وما عليها من عقار ومنشآت ، وما فيها من إنسان وحيوان .

فلما جاء الإسلام ، وحدث احتكاك بينه وبين الفرس في الولايات الفارسية جنوب وشمال جزيرة العرب أظهر الفرس عداوتهم للإسلام بعدما رأوه يتعارض مع وضعيتهم ، ومكاسبهم وأمجادهم ... ولذلك بادروا إلى الاتصال بالمرتدين في الجزيرة العربية وبخاصة في اليمن والبحرين ، وفى الشمال حيث أعانوا المناذرة حلفاءهم من العرب على مقاومة المسلمين ، والتصدى لهم ولدعوتهم التي يبلغونها لغيرهم .

أما الرومان فإنهم شعروا بقوة المسلمين، بعد غزوتى تبوك ومؤتة، فوجهوا ولاتهم في الولايات التابعة لهم وبخاصة تلك المجاورة للجزيرة العربية للتصدى للمسلمين ، ومنع الدين الجديد من الانتشار ، وذلك من أجل المحافظة على الدين الذي ألفوه للسيطرة على العامة،وإخضاعهم للقيصر، وكذلك لحماية مكاسبهم المادية والمعنوية التي يعيشون فيها، ويتمتعون بها من دون الناس .

وكانت الردة فرصتهم للانقضاض على المسلمين ، إلا أن أبا بكر رضي الله عنه فوت هذه الفرصة عليهم ببعث أسامة رضي الله عنه إليهم حيث حاربهم في عقر دارهم ومنعهم من الانطلاق والهجوم .

ب ـ خوار الأديان الموجودة

حين نتأمل في الأديان التي كانت سائدة في فارس والروم نجدها مجموعة من الخرافات والأكاذيب ، ففى فارس كانت عبادة النار ، وكان لكل شئ إله .

فهناك إله للخير ، وإله للشر ، وإله للجمال ، وإله للحب ... ألخ

وزعم الأكاسرة أنهم يمثلون هذه الآلهة ، ولذلك كانت أفكارهم مقدسة ، وأقوالهم حكمة ودين ، ... وعلى العامة أن يعاملوهم معاملة العبد لإلهه وسيده ... وبذلك عاش الشعب الفارسي ذليلا مستعبدا للأكاسرة والملوك ...

وإذا ذهبنا إلى الرومان فإننا نلمس نظام الإقطاع الذي يقوم على أن القيصر هو ممثل المسيح ، وأنه مالك الأرض ومن عليها من بشر وحيوان ومتاع ... وقد شغل القياصرة رجال الدين المسيحي بآراء فرقت آراءهم ، وأوقعتهم في صراع وتنافس ، وذلك مثل موضوع طبيعة المسيح ، وكيفية التقاء الناسوت باللاهوت ، وهل مريم العذراء إنسان ؟ أم إله ؟ أم ماذا ..؟

وهل مريم عليها السلام تتبع ولدها في الألوهية والقداسة أم تبقى على بشريتها التي كانت عليها قبل حملها بولدها ؟

ومن أجل هذا عقدت المؤتمرات ، وانقسم الشعب المسيحي ، وساد القيصر وملك كل شئ ، وتحقق للقياصرة ما يريدون من سلطان ، وملك ، وجاه .

أما الجزيرة العربية فقد بزغت فيها الردة بواسطة أفراد يبحثون عن الجاه ، والسلطان ، ولا يعنيهم ما ينادون به إن كان كاذبا أو صادقا .

ومن يتأمل في مزاعم قادة الردة و المتنبئين يدرك تفاهة ما ذهبوا إليه ، ولذلك كان تهافته وزواله بمجرد سقوط الزعماء ، وكل من له عقل يدرك ذلك ... وإن لا فأين الباقي من مزاعم ونشاط المتنبئين ؟!!

إن الخوار الديني الذي كان زمن الردة عند الروم ، والفرس ، والمرتدين ، ينبئ بضحالته ، وضرورة القضاء عليه ، إنقاذا للناس ، ومحافظة على الحق والحقيقة ، وتنظيفا للأرض من أراجيف الأفاكين ، وألاعيب المخادعين .

أرسل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه المغيرة بن شعبة الثقفي إلى رستم قائد الفرس قبيل معركة القادسية ، فأقبل المغيرة حتى جلس مع (رستم) على سريره ، فوثب عليه رجال رستم وأنزلوه ، فقال لهم : " **قد كانت تبلغنا عنكم الأحلام ،**

ولا أرى قوما أسفه منكم ! إنا معشر العرب لا نستعبد بعضنا بعضا ، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى ، فكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبرونى أن بعضكم أرباب بعض " !!! .

فقال عامة الناس : " **صدق والله العربى** " .

وقال رؤساؤهم : " **والله لقد رمى بكلام لا زال عبيدنا ينزعون إليه** "[١] .

فما أصدق قول المغيرة : " إن بعضكم أرباب بعض " !

وهكذا كان دين الناس وهم وخداع . وسبيل للذل والعبودية .

جـ ـ الضياع الاجتماعى

في إطار الزعامات الضالة ، والأديان الفاسدة عاشت المجتمعات مرحلة من الضياع ، والخضوع لمجموعة من الخيالات والأساطير ، واختلط الأمر على العامة فخضعوا لقادتهم وساروا وراءهم نحو الخسران والضياع .

استولى القادة على كل شئ ، وسخروا الناس لأهوائهم وسخروهم للقتال بلا أمل ولا رجاء .

وسار المرتدون خلف مزاعم أنبيائهم التي انتهت بهروب طليحة ، وتزوج سجاح ، وقتل مسيلمة . وغير ذلك من القضايا التي بنوا عليها ردتهم حتى انتهت ولم يبق من دعاويهم شئ .

وعلى نمط ضياع مجتمع المرتدين كان مجتمع الفرس والروم أكثر ضياعا بعد أن عاش واقعه هذا فترة طويلة .

د ـ تعاون الكفر والضلال

بدا واضحا خلال فترة الردة التعاون الوثيق بين أرباب الكفر والضلال ، فلقد أعانت القبائل المرتدة بعضها بعضا ، وأعانها الفرس والروم، وساعد الفرس أنصارهم في اليمن والبحرين وحضر موت ، ونشطت " سجاح " وهى نصرانية في قومها " بنى تغلب " وكان لنصارى " نجران " دور في مساعدة

١- تاريخ الطبرى (جـ ٣ صـ٣٦) الكامل لابن الأثير (جـ ٢ صـ١٧٩) .

المرتدين .

هـ ـ وجود يقظة عقلية عامة

أدى ظهور الإسلام ، ووصول دعوته إلى العالم يومذاك إلى إحداث يقظة عقلية عامة ، حيث بدأ الناس يتساءلون عن كل جديد يرونه أو يسمعون به .

ومن المعلوم أن الإنسان بفطرته باحث عن الغريب ، معجب بما ليس في يده .. ومن هنا اشتد البحث في كل أرجاء العالم للوصول إلى الحق في مسائل العقيدة ومسائل الدين .

ففى الجزيرة العربية لم ينكر المتنبئون رسالة محمد ﷺ ، وإنما ادعوا أنهم بعثوا على نحو بعثة رسول الله ﷺ فهم موحدون ، يؤمنون بالله الواحد الأحد ، ودارت أكاذيبهم حول ادعاءاتهم بالنبوة ونزول الوحي عليهم ، وتأليف كلمات زعموها كتابا مقدسا ، وتعديلات بالنقص والزيادة والتغيير في بعض الأحكام الإسلامية .. وقابل العرب مزاعم المتنبئين بالرفض والتكذيب ، ولـولا روح العصبية فيهم ما اتبعوهم،ولذلك عادوا إلى الإسلام جميعا بعد عام واحد،وندموا على ما كان منهم ، وأسقطوا الردة بأفكارها ، وزعمائها من عقولهم وحياتهم بصورة كلية ، وكأنها سحابة صيف تبخرت سريعا ، وانتهت بلا أثر أو فائدة .

لقد كان في العرب من يقارن بين مزاعم المتنبئين وآيات القرآن الكريم ، ويعرف الحق ، ويؤمن به ... وكانت هذه المقارنة أهم طرق الدعوة التي قام بها الثابتون على الإسلام في القبائل وكان لها أثرها الكبير في الناس .

ولو لم تكن هناك يقظة عقلية لترك الناس الدعاة ، وغفلوا عما يسمعون ، بسبب أنهم لا يفهمون منهم شيئا .

وفى فارس والروم كان النقد الموجود موجه إلى ما يحياه الناس من عقيدة ونظم ، وأخلاق .

لقد كثر الجدل حول طبيعة المسيح ، وحقيقة الإله، وكثيرا ما تساءل الناس

عن كيفية اندماج الكائن الإنسانى في كينونة الله ، وفسرها لهم رجـــال الـــدين بصور عديدة ، وخيالات متنوعة .

وتساءلوا كذلك عن دور مريم مع ابنها بعد اندماجه في ربه ، وعن وجود الإله المكون من الأب والابن والروح القدس ، وعن هوية الإله قبـــل مجـــئ المسيح، وأثناء ولادته، وبعد مولده وهل هو هو ... أم حدث له تطور وتغيير.

ومثل هذه الأسئلة لا تتحقق إلا في إطار يقظة عقلية تبحث عـــن الحـــق ، وترجو الوصول إليه .

وقد اشتد الصراع في فارس بين أبناء البيت الواحد ، وعاشت الجمـــاهير في عزلة عن قياداتها ، وتجرعوا كأس الذل والهوان .

ومن العوامل التي ساعدت على يقظة الناس اتـــصالهم ببعـــضهم خـــلال رحلات التجارة ، وأثناء الحروب ، ومجئ دعاة الإسلام ، ووصول رســـائله ورسله يدعون إلى الحق ، ويفندون الباطل ، ويطالبون بتركه والبعد عنه .

لقد وجدت سفارات عديدة من وإلى البلاد العربية للبحـــث عـــن الحقيقـــة بواسطة أفراد رغبوا في هذه المعرفة ، عرفوا بالحنفاء الذين التقوا مع قـــسس النصارى ، ورهبان اليهود . وكلهم أقروا ببطلان ما عليه النـــاس فـــي كـــل المواطن ، ورأوا ضرورة ظهور رسالة جديدة ، ورسول جديد يدعو للحـــق ، يعرف القسس والرهبان ملامحه ، وعلامات ومكان ظهوره .

وقد مثلت قصة إسلام " سلمان الفارسى " ما كان عليه الناس مـــن حيـــرة وضلال ، فإنه انطلق يبحث عن الدين الحق بعـــدما افتقـــده فـــي البوذيـــة ، واليهودية ، والنصرانية واستمر في البحث حتى جاء إلى المدينـــة المنـــورة . ودخل في الإسلام دين الله تعالى .

المسألة الثانية

خطـــة أبـــى بكـــر رضي الله عنه

في مواجهة الأعداء

بعد أن تولى أبو بكر رضي الله عنه الخلافة ، نظر إلى الأحوال المحيطة بدولتـه فرأى العداوة تحيط به من كل جانب ، ورأى أن جيش أسامة قد تجهز للسفر والجهاد ، فاستشار كبار الصحابة ، فأشاروا عليه بأنه لا قبل له بمواجهة كل هذه العداوات في وقت واحد ، ونصحوه بعدم إرسال جيش أسامة ، وترك المواجهة مع سائر الأعداء ، والاكتفاء بحماية المدينة ، وترك الأمور كلها حتى يتمكن من إعداد العدة ، وتجهيز الناس للمواجهة والقتال مرة أخرى .

وكأنى بأبى بكر رضي الله عنه وهو يرى أن الموافقة على رأى الصحابة تضر الإسلام ، وتقوى الأعداء ، وتضعف الأمة الإسلامية .

إن البقاء في المدينة ، وعدم الخروج منها يغرى المتمردين في الجزيرة العربية ويدعوهم إلى مهاجمة المسلمين ، ويؤدى إلى ازدياد قوتهم وأتباعهم ، وسيقول بعضهم لبعض : لو كان عند أبى بكر رضي الله عنه قوة لأتانا بها ...

وأيضا فإن البقاء في المدينة سيدفع المتمردين إلى محاصرة المدينة من جميع النواحى . وحينئذ تدور المعركة داخل المدينة ذاتها ، وفى ذلك هزيمة لأهل المدينة لأنه سيؤدى إلى إصابة النساء ، والأطفال ، والإضرار بالأموال ويمكن الهاجمين من اتخاذ العمران سواتر لهم أثناء الهجوم .

وقد حدث ما يؤيد هذا التوقع ، فقد أرسل الأعراب والقبائل حول المدينة وفودا منهم لمفاوضة أبى بكر ، وللتجسس على أحوال المسلمين بعدما جمعوا جموعهم حول المدينة ... ومن المعلوم أن حدوث القتال وسط البيوت ، وداخل المدينة ، يعطى للمهاجم قوة ، ويجعل أبناء البلد يخافون على أسرهم ، ولذلك تضعف مقاومتهم ، وتكثر خسائرهم ، وتهون شوكتهم .

وبالنسبة للروم فقد جمعوا جموعهم ، وآزروا الغساسنة ، وأعلنوا عداوتهم للإسلام والمسلمين . وكانت آخر مواجهتهم للمسلمين في غزوة (مؤتة) وهم من ساعتها يستعدون ، ويتجهزون .

وقد أعد الرسول ﷺ بعث أسامة للذهاب إليهم ، وعلم الجميع بهذا البعث ، فلو منعه أبو بكر أو أخره لقال الأعداء : لو كان بالمسلمين قوة ما عطلوا جيشا أمر به رسول الله ﷺ قبل وفاته .

إن الركبان والتجار هم نقله الأخبار يومذاك ، وما يحدث في مكان ينتقل إلى كل الأمكنة في وقت قصير والإشاعات تنتقل بسرعة عجيبة ، والعرب في الجزيرة كلها يتابعون أخبار المسلمين وبخاصة بعد وفاة رسول الله ﷺ .

أدرك أبو بكر رضي الله عنه بنور الله تعالى أن الأمر يحتاج إلى مواجهة نفسية ، وإلى تمويه وخداع في حرب هؤلاء المعتدين ،ورأى أهمية المحافظة على إظهار القوة في هذا الوقت العصيب ، وأدرك ضرورة الإعداد والتخطيط لمواجهة هذا المثلث العدوانى الرهيب .

ولكن ...

كيف له ذلك ؟

رأى رضي الله عنه ضرورة إنفاذ جيش أسامة ، وكان لذلك تأثيره القوى على القبائل التي ارتدت في شمال الجزيرة العربية . وكذلك كان له تأثيره على الروم وتوابعهم حيث قالوا جميعا : **لو كان المسلمون ضعفاء ما سيروا جيش أسامة .**

وقد وصل خبر وفاة النبي ﷺ إلى الروم مع قدوم جيش أسامة فقالوا :

أمة يموت زعيمها وترسل جيشا للقتال إنها لأمة قوية ... [1]

ورأى رضي الله عنه أيضا ضرورة مناوشة الأعراب المحيطين بالمدينة ، وأخذ الحيطة إزاءهم ، فتمكن بذلك من ردهم عن المدينة ، ومنعهم من اقتحامها ..

١- البداية والنهاية جـ٦ صـ٤٥٥ .

ونشر الأخبار عن استعداد المسلمين لإرسال جيش لكل قبيلة ، يقابلها في ديارها ... وهذا أدى إلى كمون كل قبيلة في موطنها استعدادا لمواجهة المسلمين القادمين .

وعاد جيش أسامة بعد أربعين يوما ، وأخذ الأعداء يكمنون في مواطنهم .

وهنا قسم أبو بكر رضي الله عنه المسلمين إلى أحد عشر فرقة وزعهم على كل أنحاء الجزيرة العربية مراعيا مناطق القوة والكثرة وغيرها ، ليتحقق التكافؤ بين المسلمين وأعدائهم وبدأت الفرق تهاجم الأعداء في ديارهم فأمنت المدينة ، وسيطر الفزع على قلوب الأعداء ، وحاولوا إظهار قوتهم وشجاعتهم ... ولكن بعد فوات الأوان .!!

وقد اهتم أبو بكر رضي الله عنه بمسلمي القبائل الذين ثبتوا على دينهم ، وعارضوا المرتدين من إخوانهم ، فأمرهم بمواصله الدعوة إلى الله ، والاستمرار في النصح والإرشاد ... وأن يجاهد كل منهم قومه بما يستطيع ، على أن يكونوا ردءا ونصيرا للجيش الإسلامي حين وصوله إلى ديارهم .

وكان لهؤلاء الثابتين على الحق دور رئيسى في هزيمة الردة ، وعودة الجزيرة الإسلامية[1] ...

وأبت بعض قبائل نجران ، وشمال الجزيرة الدخول في الإسلام ، والاستمرار على نصرانيتهم التي كانوا عليها ، وقبلوا دفع الجزية المقررة فصالحهم المسلمون على ذلك[2] .

وقد أدت حروب الردة إلى ضرورة مواصلة الجهاد لفتح فارس والروم لأنها أظهرت نواياهم ، وحقيقتهم ، وحتمت ضرورة إنقاذ شعوب هاتين الإمبراطوريتين من ظلم واستبداد القياصرة والأكاسرة .

ولعل في وصول المسلمين إلى مشارف بلاد الفرس ، وتداخل الكر والفر

١- أنظر ما سبق عن حروب الردة .

٢- أنظر ما سبق عن حروب الردة .

معهم أدى إلى حتمية المواجهة ، وضرورة الإسراع بها ، ذلك أن المثنى بـــن حارثة الشيبانى قد انضم بقومه إلى العلاء فى حضر موت ، وســـاعده علـــى إخضاع المرتدين ، ثم أخذ قومه وكانوا حوالى ثمانية آلاف مقاتل ، وسار بهم شمالا حتى قرب من مصبات الدجلة والفرات على الخليج الفارسى ، ثم جعل إغاراته على أطراف العراق الفارسى من ناحيتين ، من جهة الأبلـــه ، ومـــن جهة الحيرة ، ليوقع الفرس في ارتباك لا يدرون من أى ناحية تكـــون الغـــرة المقبلة ، وليلزمهم بتوزيع قواتهم .

كان المثنى يغير بقومه هنا وهناك ويغنم ثم يرجع إلى الصحراء ، وأصبحت لهم ضراوة على غزو الفرس في بلادهم .

وكتب المثنى إلى الخليفة أبى بكر بما فعله بالفرس حيث لم يتـــركهم فـــي عدوانهم المستمر على الناس ، فسر الخليفة بذلك وكتب إليـــه يـــشجعه علـــى الجهاد في سبيل الله .

ولكن القبائل الكلدية في غرب الفرات تجمعت ، واعتزمـــت صـــد هـــذه الغارات الإسلامية ، ووضع حد لها .

ووجد المثنى رضي الله عنه أن قواته لا تستطيع حمل الأعباء وحدها ، فكتب يستمد الخليفة ، وحضر بنفسه إلى المدينة مستنجدا . وكان الخليفة على ما يظهر قد رتب الأمر ، ودرس مسألة فتح فارس ، لأننا نجده يصدر أوامره إلى خالد بن الوليد بعد أن فرغ من اليمامة ، بالزحف على الفرس في اتجاه مدينة (الأبلـــة) لأنها الطريق إلى الهند . (قرب مجمع النهرين) ، ويأمر عياض بـــن غـــنم بالزحف على ريف العراق من ناحية المصيخ قرب حوران . واستعد القائدان لفتح فارس[١] بعد أن سبقهما المثنى بن حارثة رضي الله عنه) .

وهكـــذا ...

كانت حروب الردة مقدمة لفتح فارس ، وسببا من أسباب مواصلة الجهـــاد

١- تاريخ الطبرى جـــ ٤ صـــ ٢ : ٤ ، معجم البلدان للبلاذرى صـــ٢٥٠ .

والقتال .

وبحمد الله فقد هيأ الله للفتح أسباب النصر والظفر حيث عاد المسلمون إلى روحهم العالية ، وتخلصوا من الانهزامية والتراجع التي أرادها أهل الردة .

وفى نفس الوقت أدت الحروب والمنازعات إلى أن يكتشف العقلاء حقيقة الأمور الدينية وغيرها ، فتوصلوا إلى أن الإسلام هو الدين الخالد ، المحقق للعزة ، والكرامة ، المحافظ على الحق والعدل والمساواة ... وما عداه باطل لا يستحق الإيمان به ، أو الدفاع عنه ولو بكلمة واحدة .

ولله في قدره شئون وأسرار ...

المبحث الثانى

الفتوح في الميدان الفارسى

انتهت حروب الردة ، وتشابكت القوات الإسلامية بجنود الفرس بسبب عمليات الكر و الفر ، ووجد المسلمون أنفسهم أمام عدو يريد الإيقاع بهم ، فكان أن أغار المثنى بن حارثة رضي الله عنه بقوته على أرض العراق بعدما بلغ عدد قواته ثمانية آلاف من المقاتلين ، وقد سار بهم حتى عسكر على أطراف بلاد فارس من ناحيتين :ـ

الناحية الأولى : من ناحية الأبله .

والناحية الثانية : من ناحية المصيخ .

أخذ المثنى رضي الله عنه يغير على الفرس هنا وهناك ، ويغنم ، وهم فى حيرة من أمرهم يتوقعون القتال من هنا أو من هناك ،فوزعوا قواتهم على الناحيتين المذكورتين .

وأدى تصرف المثنى إلى أهمية التخطيط للمعركة ، وضرورة الخداع أثناء الحرب ، وقيمة معرفة واقع العدو عددا وعدة للتعامل معه وفق قدراته ، واستعداده .

سر الخليفة بما فعله المثنى بن حارثة رضي الله عنه فأرسل إليه يؤيده في خطته ويطالبه بتهدئة القتال تجنبا لشدة بأس الكلدانيين ، حتى لا يكونوا مع الفرس قوة واحدة مع استمرار المناوشات الخداعية لما لها من فائدة ، وطلب منه الثبات في مكانه حتى يصله المدد الإسلامي الذي أعده الخليفه بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه وعياض بن غنم رضي الله عنه ...

وبذلك بدأ فتح فارس ووقعت المعارك الفاصلة بين القوات الإسلامية وقوات الفرس .

وأهم المعارك التي دارت في هذا الميدان هي :

ـ ١ ـ

معركــة الحفيــر

" ذات السلاسل "

معركة الحفير[١] أولى المعارك الكبرى مع الفرس ، وقد تمت بعد الانتهــاء من حروب الردة ، وسميت بهذا الاسم لقربها من قرية تعرف بهذا الاسم تقــع جنوب البصرة الحالية ، وهى قريبة من حدود جزيرة العرب .

ـ أولا ـ

مقدمات المعركة

رأى أبو بكر رضي الله عنه أهمية الاستيلاء على (الحيرة) لأهميتها الحيوية فهي ملتقى الطرق لكل أنحاء العراق ، وهى السبيل للوصول للعاصمة (المدائن) ولذلك وجه إليها عددا من الجيوش للإحاطة بها من سائر جوانبها ... فكلــف خالد بن الوليد بأن يأتيها من جنوبها ، وأمر عياض بن غنم رضي الله عنه أن يأتيها من شمالها الشرقى ، وكان قد سبقهم إليها المثنى بن حارثة ... وأخــوه مــسعود رضى الله عنهما[٢] .

وبذلك تجمع عدد من القادة العظام في فتح العــراق ، وللاســتيلاء علــى الحيرة ، وقد أمرهم أبو بكر رضي الله عنه أن يكونوا جميعا تحت إمرة خالد بن الوليد رضي الله عنه حتى أنه لما خرج "مذعوربن عدى" على " المثنــى " ، وكتــب إلــى الخليفة أبى بكر ليؤمره على من معه بعيدا عن إمارة المثنى وقال له :

أما بعــد

فإنى امرؤ من بنى عجل ، نلازم ظهور الخيل ، ونحسن الإغارة . ومعى رجال من عشيرتى ، الرجل خير من مائة رجل ، ولى علم بالبلد ، وبــصيرة

١- الحفير : مكان به ماء يقع جنوب البصرة وهو أول ما يلقاه القادم من البصرة إلى مكة .

٢- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ١٦٣ .

بالأرض ، و جرئ في اللقاء ، فولنى أمر سواد العراق أكفكه إن شاء الله تعالى[1] .

لما طلب مذعور الولاية من أبى بكر ، رفض أبو بكر طلبه ، وكتب إليه يقول ... **أما بعد ، فقد أتانى كتابك ، وفهمت ما ذكرت ، وأنت كما وصفت نفسك ، وعشيرتك نعم العشيرة ، وقد رأيت لك أن تنضم إلى خالد بن الوليد فتكون معه ، وتقيم معه ما أقام بالعراق ، وتشخص معه إذا شخص**[2] .

ويشير رد أبى بكر هذا إلى عمق تفهمه لنفوس الناس ، ولذلك نراه يمدح مذعورا وقبيلته ، ومع ذلك لا يقبل رأيه ، ويأمره بمتابعة خالد بن الوليد ، فرضى الرجل وأطاع أمر الخليفة أبى بكر .

وبهذا توحدت جيوش المسلمين قبل المعركة في جيش واحد بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه .

وقد أمر الصديق رضي الله عنه أن يبقى المثنى بين عشيرته ، ولا يسير مع خالد ابتداء إلا إذا ندبه خالد للخروج ، ليمثل قوة خلفية مساعدة ، ومنعا لأى تآمر يحدثه مخادع لئيم من داخل القبيلة ، أو من خارجها .

وقد أرسل خالد بن الوليد رضي الله عنه قبل التحرك إلى الحفير كتابا إلى (هرمز) صاحب الثغر وقائد الجند يقول له فيه :

أما بعد ...

فأسلم تسلم ، أو اعقد لنفسك ولقومك الذمة ، وأقرر بالجزية ، وإن لا فلا تلومن إلا نفسك فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة[3].

وأمر خالد جيشه بالتحرك نحو الحفير في ثلاث فرق ، وواعدهم التجمع عندها حيث دارت المعركة قريبا منها .

١- مجموعة الوثائق السياسية صـ٣٧١ .

٢- تاريخ الطبرى جـ٤ صـ١٦٤ .

٣- البداية والنهاية . باب بعث خالد بن الوليد إلى العراق جـ٦ صـ٣٤٣ .

ــ ثانيا ــ

أحداث المعركة

علم هرمز قائد الفرس بالخطة العسكرية للمسلمين ، وسمع أنهم تواعدوا التجمع عند (الحفير) فأسرع إليها بعد أن كان قد ذهب وعسكر في "كاظمة" ... ذهب هرمز إلى " الحفير " وعسكر على موطن الماء . ليحرم المسلمين منه فيصيبهم الظمأ ، والعطش ، ويعجزون عن القتال .

نظم خالد جيشه ، ووجهه إلى " الحفير " وقسمه ثلاث فرق ، على أن تسير الفرقة الأولى أولا بقيادة المثنى رضي الله عنه .

وبعد يومين تسير الفرقة الثانية بقيادة عدى بن حاتم رضي الله عنه .

وتسير الفرقة الثالثة بعد ذلك بيوم واحد بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه[1] .

وبهذا التنظيم الحركى يتحقق للجيش الإسلامي معرفة الواقع ، وعدم المفاجأة ، ونشر الهيبة ، وتدارك أى شأن تظهر أهميته ، كما أنه يساعد القائد على تحقيق الضبط بين رجاله ، ويطمئنه عليهم ، ويحمى خط الإمداد والتموين للقوات المجاهدة ، ويجعل العدو يشعر بأنه يقاتل جيوشا عديدة حيث جاءت جيشا بعد جيش ...

وقد تحقق للمسلمين ما أرادوا غير أن هرمز سبقهم إلى الماء ومنعهم منه .

جمع خالد رجاله وقال لهم : **حطوا أثقالكم ، ثم جالدوهم على الماء ، فلعمرى ليصيرن الماء لأصبر الفريقين ، وأكرم الجندين**[2] .

ومن الله على المسلمين بمطر غزير نزل عليهم من وراء صفوفهم ، فنهلوا من مائه ، وتقوى أمرهم ، والتحموا بجيش هرمز ، واشتد القتال ، والغلبة تراوح مكانها ، ولم تحسم لأحد الفريقين ...

أعد هرمز مكيدة للمسلمين بأن طلب من خالد المبارزة ،وأعد فريقا من جنده

١- تاريخ الطبرى جـ٣ صـ١٦٣ .

٢- الكامل جـ٢ صـ ٥١ .

للغدر بخالد ، وقتله أثناء المبارزة إلا أن يقظة المسلمين أفسدت عليهم مؤامرتهم .

خرج خالد لمبارزة " هرمز " وعند بدء المبارزة هجم فريق من جند هرمز على خالد يريدون قتله إلا أن خالدا واصل المبارزة وقتل هرمز (قائدهم) ... ولما رأى القعقاع بن عمرو رضي الله عنه غدر الفرس هجم عليهم ، وتبعه المسلمون . وشدوا على أعدائهم بقوة حتى قتلوا منهم الكثير ، وفر الباقون هاربين .

ومما ساعد على كثرة خسارة الفرس أنهم ربطوا أنفسهم ودوابهم بالسلاسل ليثبتوا ولا يجدوا في الفرار .. إلا أنهم لما انهزموا وفكروا في الهرب كانت هذه السلاسل عبئا عليهم وليست لهم ... وبسبب هذه السلاسل عرفت الموقعة بـ (ذات السلاسل)[١] .

ـ ثالثا ـ

نتائج المعركة

أكدت المعركة شجاعة خالد ودقته في التخطيط للمعارك ، فلقد أدت حركة الجيوش الإسلامية وتتابعها إلى إدخال الرعب في قلوب الفرس ... كما أن صمود خالد في مبارزة " هرمز " في وقت ظهور غدر جنوده وخيانتهم دل على شجاعته وقوته ... وأيضا فإن نزول المطر عوض المسلمين عن الماء الذي منعه " هرمز " ودل ذلك على أن نصر الله تعالى يأتي للمخلصين من جنوده المؤمنين .

وغنم المسلمون غنائم كثيفة من الفرس ، أرسل خالد خمسها إلى الخليفة في المدينة ، ووزع الباقي على المجاهدين ، وخص أبو بكر رضي الله عنه خالدا بقلنسوة هرمز مكافأة له على بلائه وحسن تصرفه[٢] .

وقد برزت أخلاق الإسلام في الجهاد من خلال تصرف المسلمين مع

١- تاريخ الطبري جـ٤ صـ١٦٥

٢- البداية والنهاية . باب بعث خالد إلى العراق جـ٦ صـ ٣٤٧ ـ ٣٤٨ .

الجنود وأهل البلاد ، وذلك في عدد من الصور :

أ ــ أرسل خالد بن الوليد إلى قائد الفرس " هرمز " ينــذره ، ويحــذره ، ويبين له طريق النجاة فكتب إليه يقول :

أما بعــد

فأسلم تسلم ، أو أعقد لنفسك وقومك الذمة وأقرر بالجزية ، وإن لا فلا تلومن إلا نفسك ، فلقد جئتكم بقوم يحبون الموت كمــا تحبــون الحياة[١] .

وبهذا الكتاب علم هرمز ، وجنوده ، ومن والاه هدف المسلمين مــن جهادهم وحركتهم .

ب ــ لم يتعرض الجيش الإسلامي إلا للمحاربين ، ولذلك أبقى الفلاحين في أرضهم على أن يدفعوا زكاتها إذا أسلموا ، أو الجزية إن اســتمروا على مذاهبهم ، وكذلك أقر الفرس على أملاكهم ، ولم يستول علـــى شئ منهم .

ج ــ لم يقتل الجيش الإسلامي طفلا ، أو امرأة ، أو شيخا ، أو راهبا فـــي صومعتة وعلم الجميع بذلك .

د ــ برز من خلال تحرك الجيش الإسلامي أخــلاق الإســلام بــصورة واضحة حيث حافظ المسلمون على مناسك دينهم ، وابتعدوا عن كل ما حرم عليهم ، فلم يشربوا خمرا ، أو يرتكبوا فحــشا ، أو يعتــدوا على حق لغيرهم ... بل كانوا ينشرون الحق ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ... وقد ساعد هذا على إبراز صورة الإســلام ، وظهور أثره في الناس . وهذا خير دعوة له .

١- تاريخ الطبرى جـــ ٤ صـــ ١٦٤ .

ـ ٢ ـ

معـركة الثنـى[1]

" المـذار"

ـ أولا ـ

مقدمات المعركة

اتجهت فلول جيش هرمز المنهزمة إلى بلدة " الثنى " التـي تعـرف بـ " المذار " وأتاهم مدد من كسرى بقيادة " قارن " وقد تعاهد الفرس فيما بينهم على الثبات مهما كانت قوة المسلمين ، لأنهم تيقنوا أنهم إذا افترقوا أو انهزموا لن يجتمعوا مرة أخرى ، ولن ينتصروا بعدها أبدا .

وأما خالد فإنه وجه بعضا من رجالاته لتطهير منطقة الحفير من المعارضين فأخذوا يجوبون كافة الجهات حول الحفير ، وحينما رأوا قدوم الفرس بمدد جديد كتبوا بذلك إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه ، ورجعوا إليه ، وساروا جميعا إلى حيث يوجد الفرس وهم مستعدون للقتال ، والتقوا بهم عند الثنى حيث دارت المعركة .

ـ ثانيا ـ

أحداث المعركة

نظم الفرس جيشهم وجعلوا له ميمنة وميسرة ، وأمروا عليها " قباذ " و " أبو شروان " وعزموا على ضرورة النصر ...

وأنى لهم ذلك أمام عزيمة المسلمين ، وقوتهم ، وصدق ما يدعون إليه .

بدأت الحرب بالمبارزة حيث تبارز القادة ، وقتل معقل بن الأعمش "قارن" وقتل عاصم بن عمرو " قباذ " وقتل " أبو شروان " . وبذلك انفرط عقد الجيش

١- المذار : تقع شمال البصرة بمقدار مسيرة أربعة أيام .

الفارسى ، وفر الجنود هاربين من الميدان ونشط المسلمون في النيل منهم .

ـ ثالثا ـ

نتائج المعركة

فر الفرس بعد أن قتل منهم ما يقرب من ثلاثين ألفا ، وساعدهم على النجاة أنهم أوقفوا سفنهم في البحر قرب " الثنى " وبذلك ركبوها ، وفروا بها ، ولم يتمكن المسلمون من متابعتهم .

وغنم المسلمون منهم غنائم كثيرة ، وزعها خالد وفق الأنصبة الشرعية المقررة .

ـ ٣ ـ

معركة الولجة[1]

ـ أولا ـ

أحداث المعركة

انتهى خبر هزيمة الفرس في معركة " الثنى " إلى كسرى في عاصمته "المدائن" فأرسل جيشا كثيفا بقيادة " الأندر زغر " وأردفة بجيش آخر بقيادة " بهمن جاذويه " وسلك كل جيش طريقا معينا ليلتقى الجيشان مع المسلمين من جهتين في وقت واحد ، وقد جند الجيشان من قابلهما من الأعراب والعرب . وعسكروا جميعا حول " الولجة " .

علم خالد بتجمع الفرس حول " الولجة " فقرر الزحف إليهم ، ومهاجمتهم من ثلاث جهات حيث هم وبذلك تكون المفاجأة التي تحولهم للدفاع بدل خطتهم

١- موضع بأرض العراق عن يسار القاصد إلى مكة من القادسية ويقع نهر الفرات بين الولجة والقادسية .

التي وضعوها للهجوم .

أخذ خالد يعد العدة لخطة الهجوم على الفرس في " الولجة " فأمر سـويد مقرن بلزوم " الحفير " حماية للمؤخرة ، وتحرك بالجيش حتى أتى الولجـة ، فأخذ يستطلع ميدان المعركة ، وأحوال الأعداء ، ورأى خالد رضي الله عنه أن ميدان المعركة أرض مستوية تصلح للقتال ، وتسمح بحرية الحركة ، فأمر بمهاجمة الفرس من ثلاث جبهات ، حيث بعث بفرقتين لمهاجمة حـشود الفـرس مـن الخلف والجانبين ، وأمرهما بعدم الهجوم إلا بعد اشتداد القتال ، والالتحام.

وبدأت المعركة ، واشتد القتال بين الفريقين ، وشدد خالد بهجومـه علـى المقدمة التي توجه إليها ، وفى الوقت المناسب انقض الكمينان على مـؤخرة جيش العدو فحلت به الهزيمة المنكرة ، وفر الاندرزغر مع عدد من رجالـه ولكنهم ماتوا عطشا[١].

وقام خالد في الناس خطيبا فرغبهم في بلاد الأعاجم وزهدهم في بلاد العرب . وقال : " **ألا ترون ما ها هنا من الأطعمات ؟**

وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في سبيل الله ، والدعاء إلى الإسلام ، ولم يكن إلا المعاش لكان الرأي أن نقاتل على هذا الريف حتى نكون أولى به ، ونولى الجوع والإقلال من تولاه ممن اثاقل عما أنتم عليه "[٢].

ثم خمس الغنيمة وقسم أربعة أخماسها وبعث الخمس إلى الصديق وأسـر من أسر من ذرارى المقاتلة وأقر الفلاحين بالجزية[٣] .

وفي هذه الخطبة الموجزة يبين خالد أهمية قتـال الفـرس ومجاهـدتهم ، ويشير إلى الفوائد المترتبة على الجهاد في الدنيا والآخرة .

فهو في الآخرة فوز برضوان الله وجنته ، وهو في الدنيا كسب مادى وقوة

١- الكامل لابن الأثير جـ٢ صـ٥٢ .

٢- البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٤٩ .

٣- البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٥٠ .

يحمى الإنسان بها نفسه وكرامته ، ويصون دينه وأمته[1] .

ــ ثانيا ــ

نتائج المعركة

فر الفرس من المعركة إلا أن أغلبهم وعلى رأسهم قائدهم (انــدرزعر) ماتوا عطشا في الصحراء .

وأصيب في المعركة عدد كبير من نصارى بكر بن وائــل . وهــم مــن العرب فغضب قومهم ، وكاتبوا الفرس ليكونوا معهم ضد المسلمين العــرب . وبذلك دخل عرب الشمال مع الفرس في صراعهم لجند المسلمين .

ــ ٤ ــ

معركــة " أليــس "[2]

ــ أولا ــ

أحداث المعركة

تجمع بعض نصارى العرب من قبائل عجل ، وتيم اللات ، وصــبيحة ، وعرب الضاحية ... وظن خالد أنه سيقابلهم وحدهم ، فلما ذهب إلــيهم وجــد الفرس معهم بقيادة (جابان) . فلما أقبلت جنود المــسلمين علــى الجمــوع الحاشدة أمامهم طلب (جابان) من جنده مهاجمتهم ، فأظهروا عدم الاكتراث بخالد والتهاون بأمره ، وتداعوا إلى الطعام إلا أن خالدا لم يــدعهم يهنــأون بطعامهم فهجم عليهم ، واقتتلوا أشد القتال ، وقد زاد في عنف الأعداء وشدتهم ما يتوقعونه من لحاق " بهمن جاذويه " بهم في مدد كبير ، وصبر المــسلمون على هذا القتال العنيف .

١- البداية والنهاية لابن كثير . باب بعث خالد بن الوليد إلى العراق جـ٦ صـ٣٤٧ .
٢- موضع في أول أرض العراق من ناحية بادية العرب .

وقال خالد : **اللهم إن لك على إن منحتنا أكتافهم ألا أستبقى منهم أحدا قدرنا عليه حتى أجرى نهرهم بدمائهم**[١] .

ثم إن الله كشفهم للمسلمين ومنحهم أكتافهم ، فأمر خالد مناديه فنادى في الناس : **الأسر الأسر ، لا تقتلوا إلا من امتنع** ، فأقبلت الخيول بهم أفواجا مستأسرين يساقون سوقا .

ولما هزم القوم ، وجلوا من عسكرهم ، ورجع المسلمون عن طلبهم ، ودخلو معسكرهم وقف خالد على الطعام فقال : **فقد نفلتكموه فهو لكم و قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتى على طعام مصنوع نفله**[٢] .

فقعد عليه المسلمون لعشائهم بالليل وجعل من لم ير الأرياف ، ولا يعرف الرقاق يقول : **ما هذه الرقاق البيض !**

وجعل من قد عرفها يجيبهم ويقول لهم مازحا : **هل سمعتم برقيق العيش ؟**

فيقولون : نعم

فيقول : **هو هذا فسمى الرقاق وكانت العرب تسميه القرى**[٣] .

ـ ثانيا ـ

نتائج المعركة

أدى انتصار المسلمين في " أليس " على العرب والفرس معا إلى ضعف العدو ، وخوفه من مواجهة المسلمين . وكان لذلك أثره في المعارك القادمة .

وقد غنم المسلمون من عدوهم غنائم كثيرة وزعها خالد عليهم وفق الأحكام الشرعية .

١- أبو بكر صـ٣٧٥ .

٢- تاريخ الطبرى جـ٤ صـ١٧٣ .

٣- نفس المصدر جـ٤ صـ١٧٣ .

ـــ ٥ ـــ

معركة " أمغيشيا "[1]

بعد أن انتهت معركة " الولجة " اتجه خالد بجنوده إلى " أمغشيا" حيث فر إليها المنهزمون . فلما وصل إليها وجدها خالية من سكانها بعد أن هاجروهـا إلى الريف والسواد . فأخذ خالد ما فيها فيئا ووزعة وفق قواعـده الـشرعية وأرسل إلى أبى بكر يبلغه بالنصر ، وبوصول المسلمين إلى مشارف الحيرة ، فسر بذلك الخليفة أبو بكر رضي الله عنه وقال لمن حوله : **يا معـشر قـريش . عـدا أسدكم على الأسد فغلبه !! أعجزت النسوة أن يلدن مثل خالد[2] ؟!!!**

وقد قام خالد بهدم بعض حصون " أمغشيا " ودور زعمائها إظهارا للقوة ، وخزيا لحزب الشيطان الرجيم .

١– أمغيشيا : قرية كانت بالعراق أقام الفرس بها مسلحة كبيـرة ، وقـد هـدمها المـسلمون بعـد انتصارهم على الفرس .

٢– تاريخ الطبرى جـ٣ صـ١٧٥ .

ـ ٦ ـ

فتـــح الحيـــرة[1]

الحيرة هي أكبر مدن العراق، وهى الطريق إلى عاصمة الفرس (المدائن)...

وتعد المعارك السابقة تمهيدا لابد منه للوصول إلى الحيرة ... وكان للفرس في الحيرة استعداد وعدد ، ولهم بها تعلق واهتمام لمعرفتهم أنها بـــاب "المـــدائن" تمنع بها ، وتؤتى منها .

وقد وضع أبو بكر ﵁ خطته من البداية للاســـتيلاء علـــى " الحيـــرة " لينطلق بعدها إلى عاصمة الفرس " المدائن " .

ـ أولا ـ

مقدمات فتح الحيرة

بعد سقوط " أمغيشيا " في أيدى المسلمين تيقن حاكم الحيرة أن خالـــد بـــن الوليد آتيه لا محالة ، فأخذ يستعد له .

قسم المرزبان جيشه إلى فريقين ، أحدهما بقيادة ابنه ، والآخر بقيادتـــه ، وكلف ابنه بسد نهر الفرات حتى يجف الماء ، وتتعطل مراكب المسلمين التي ينتقلون بها .

قام ابن المرزبان بسد نهر الفرات فتعطلت سفن المسلمين ، فركب خالد مع بعض جنوده خيلهم ، وقصدوا ابن المرزبان . فجاءوهم وهم نيام ، فقتلوا ابن المرزبان ، وهزموا بعض جنوده وهم يحرسون فم نهر الفرات ، وقاموا بفتح الأنهار . ثم رجع خالد إلى جنوده ، وأخذ في التحرك نحو الحيرة .

أما المرزبان فلقد هاله قتل ابنه ، وموت أزد شير معه فعبر الفرات ، وفر هاربا .

١- الحيرة : مدينة على بعد ثلاثة أميال من الكوفة تسمى اليوم " النجف " ومعنى حيرة " إقامـــة " سميت البلدة بهذا لسعة عمرانها وحضارة سكانها .

انتهز خالد وجنوده الفرصة فعسكروا مكان جيش المرزبان ، وتحصن أهل الحيرة بحصونهم وقصورهم انتظار لما تسفر عنه الأيام .

ـ ثانيا ـ

أحداث المعركة

نظم خالد بن الوليد رضي الله عنه حصار الحيرة ، وحدد لجنوده طرق التعامل مع أهلها ، وحدد لكل فريق من المسلمين مهمة معينة ، وعين لكل فريق قائدا له ، وبذلك انقسم المسلمون إلى عدد من الفرق لتقوم كل فرقة بمحاصرة قصر أو حصن حتى يتم الفتح ، على أن تتعاون الفرق ، ويساعد بعضها بعضا بالمعلومات والجند والسلاح ... وغير ذلك .

وقد تم توزيع الجنود على النحو التالى :

أ ـ ضرار بن الأزور لمحاصرة القصر الأبيض وفيه إياس بن قبيصة الطائى .

ب ـ ضرار بن الخطاب لمحاصرة قصر العدسيين وفيه عدى بن عدى العبادي .

ج ـ ضرار بن مقرن لمحاصرة قصر بنى مازن وفيه ابن أكال .

د ـ المثنى بن حارثة لمحاصرة قصر ابن بقيلة وفيه عمرو بن عبد المسيح[١].

وعهد خالد إلى أمرائه أن يدعوا كل منهم القوم إلى الإسلام ، فإن أجابوا قبلوا منهم ، وإن أبوا أجلوهم يوما ، وأمرهم أن لا يمكنوا عدوا منهم ، ويكونوا على حذر معهم ، وعليهم أن يناجزوهم ، ويظهروا لهم القوة ، ولا يمنعون المسلمين من قتال عدوهم ففعلوا ، واختار القوم المنابذة ، وعمدوا لرمى المسلمين بالحذق ، فرشقهم المسلمون بالنبل ، وشنوا غاراتهم عليهم وفتحوا الدور والديارات .

١- تاريخ الطبرى جـ٤ صـ١٧٩ .

نادى القسيسون : **يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم .**

ونادى أهل القصور : **يا معشر العرب قبلنا واحدة من ثلاث فكفوا عنا .**

وخرج رؤساء القصور فقابلهم خالد كل أهل قصر على حدة ، ولامهم على فعلهم ، وتصالحوا مع خالد على الجزية ، وصالحهم عليها ، وبعث خالد بالفتح والهدايا إلى أبى بكر ، **فقبل الهدايا ، وعدها لأهل الحيرة من الجزية تعففـا عما لم يأذن به الشرع** ، وقطعا لدابر العادات الجاهلية التي كان يحتال بهـا الأمير على سلب أموال الناس[١] حيث الرشوة والهدايا لنيل أمر غير مستحق .

وكتب خالد في عهده لأهل الحيرة :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عديا ، وعمرو بن عدى ، وعمرو بـن عبد المسيح ، وإياس بن قبيصة ، وحيرى بن أكال ، وهم نقباء أهل الحيرة ورضى بذلك أهل الحيرة وأمرهم به ، وعاهدهم على مائة وتسعين ألف درهم تقبل في كل سنة ، وجزاء عن أيديهم في الدنيا ، رهبانهم وقسيسهم إلا من كان منهم على غير ذى يد ، حبيسا عن الدنيا تاركا لهمها ، وعلـى المنعـة وإن لم يمنعهم شئ فلا شئ عليهم حتى يمنعهم ، وإن غدروا بفعل أو بقـول فالذمة منهم بريئة[٢] .

وقد جاء في رواية أخرى : أن خالدا عرض على أهل الحيرة واحدة مـن ثلاث : **أن تدخلوا في ديننا فلكم ما لنا وعليكم ما علينا إن نهضتم وجاهدتم ، وإن أقمتم في دياركم ، أو الجزية ، أو المنابذة والمناجزة ، فقد والله أتيـتكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة .**

فقالوا : **بل نعطيكم الجزية .**

فقال خالد : **تبا لكم ، ويحكم إن الكفر فلاة مضلة فأحمق العرب من سلكها[٣] .**

١- تاريخ الدعوة إلى الإسلام صـ ٣٤٨ .
٢- تاريخ الطبرى جـ٤ صـ١٨١ .
٣- تاريخ الطبرى جـ٤ صـ١٧٨ .

وقد أقر أبو بكر رضي الله عنه صلح خالد لأهل الحيرة ، وأرسل كتابا له بـذلك .

وكتب خالد كتابا يقر لأهل الحيرة بالصلح ، ويلخص لهم الموقف ، ويوضح لهم فلسفة الإسلام في تقدير الجزية ، وحكمة فرضها على من يرغب فيها ، وجاء في الخطاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من خالد بن الوليد لأهل الحيرة .

إن خليفة رسول الله ﷺ . أبا بكر الصديق رضي الله عنه أمرني أن أسير بعد منصرفى من أهل اليمامة إلى أهل العراق ، من العرب والعجم ، بأن أدعوهم إلى الله عز وجل ثناؤه ، وإلى رسوله ﷺ وأبشرهم بالجنة ، وأنذرهم النار ، فإن أجابوا ، فلهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين ، وإنى انتهيت إلى الحيرة فخرج إلى إياس بن قبيصة الطائى في أناس من أهل الحيرة من رؤسائهم وإنى دعوتهم إلى الله وإلى رسوله . فأبوا أن يجيبوا ، فعرضت عليهم الجزية أو الحرب .

فقالوا : لا حاجة لنا بحربك ، ولكن صالحنا على ما صالحت عليه غيرنا من أهل الكتاب في إعطاء الجزية .

وإنى نظرت في عدتهم فوجدت عدتهم سبعة آلاف رجل ، ثم ميزتهم فوجدت من كانت به زمانة ألف رجل ، فأخرجتهم من العدة ، فصار من وقعت عليه الجزية ستة آلاف ، فصالحونى ، على ستين ألفا .

وشرطت عليهم ، أن عليهم عهد الله وميثاقه الذي أخذ على أهل التوراة والإنجيل .

ألا يخالفوا

ولا يعينوا كافرا على مسلم من العرب ، ولا من العجم .

ولا يدلوهم على عورات المسلمين .

عليهم بذلك عهد الله و ميثاقه الذي أخذه أشد ما أخذه من نبى من عهد

أو ميثاق أو ذمة .

فإن هم خالفوا ، فلا ذمة لهم ولا أمان .

وإن هم حفظوا ذلك ورعوه وأدوه إلى المسلمين فلهم ما للمعاهد ، وعلينا المنع لهم .

فإن فتح الله علينا فهم على ذمتهم ، لهم بذلك عهد الله وميثاقه . أشد ما أخذ على نبى من عهد أو ميثاق .

وعليهم مثل ذلك لا يخالفوا ، فإن غلبوا فهم في سعة ، يسعهم ما وسع أهل الذمة . ولا يحل فيما أمروا به أن يخالفوا .

وجعلت لهم . أيما شيخ ضعف عن العمل ، أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار السلام فإن خرجوا إلى غير دار الهجرة ودار السلام فليس على المسلمين النفقة على عيالهم .
وأيما عبد من عبيدهم أسلم ، أقيم في أسواق المسلمين ، فبيع بأغلى ما يقدر عليهم ، في غير وكس ولا تعجيل . ودفع ثمنه إلى صاحبه ، ولهم كل ما لبسوا من الزى إلا زى الحرب .

وأيما رجل منهم وجد عليه شئ من زى الحرب ، سئل عن لبسه ذلك ، فإن جاء منه بمخرج و إلا عوقب بقدر ما عليه من زى الحرب !!

وشرطت عليهم جباية ما صالحتهم عليه ، حتى يؤدوه إلى بيت مال المسلمين عمالهم منهم ، فإن طلبوا عونا من المسلمين ، أعينوا به ، ومؤونة العون من بيت مال المسلمين[١] .

وكل ما في الكتاب برهان على إنسانية الجهاد الإسلامي ، وعلى ما في عهد الذمة من عدل وإنصاف .

١- الخراج لأبى يوسف ، فصل في الكنائس والبيع والصلبان صـ١٤٣ ـ ١٤٤ .

ــ ثالثا ــ

نتائج فتح الحيرة

أدى انتصار المسلمين على الفرس ، واستيلاؤهم على الحيرة إلى تحقيق نتائج كثيرة هي :

أ ــ ترحيب الناس بالمسلمين :

أدى الانتصار السريع إلى تحقيق هيبة المسلمين عند الناس ، وقد عاشت الجماهير في البداية حالة الخوف والترقب من هذه القوة الجديدة الوافدة عليهم ... فلما عاشروها ، وشاهدوا سلوك أفرادها وقادتهم تيقنوا من حسن معاملتهم وسلامة مقاصدهم ، ورأى الفلاحون العراقيون التسامح من المسلمين إذ لم يتعرض لهم أحد ، ولم تؤخذ منهم أرض ، ولم يضيق عليهم في أمر من الأمور ... لما تيقن العراقيون ذلك تعاونوا مع المسلمين ، وأحبوهم ... وكان بعد ذلك أن دخلوا في دين الله تعالى .

ب ــ دخول الولايات المجاورة في عهد الذمة :

شعر الولاة في الولايات المجاورة للحيرة بأن شروط صلح أهل الحيرة مغرية لهم ، وبخاصة بعد ما علموا أن ما يدفعه المسلم زكاة أكثر بكثير مما يؤخذ منهم جزية ، مع أنهم لا يتحملون شيئا من الدفاع والحماية كما يتحمله المسلمون ... ولذلك كتبوا إلى خالد يطلبون منه الصلح على ما صالح عليه أهل الحيرة ، فاستجاب لهم ، وصالحهم . وكتب لهم يفيدهم بقواعد الصلح وبنوده ، وممن كتب إليهم خالد :

ــ صلوبا بن نسطونا ــ

جاء صلوبا بن نسطونا وهو صاحب قس الناطف إلى خالد فصالحه على بانقيا وباروسما وضمن له ما عليهما وعلى أرضهما على عشرة آلاف دينار ، وكتب لهم خالد كتابا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

" هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا بن نسطونا وقومه ، إني عاهدتكم على الجزية والمنعة على كل ذى يد بانقيا وباروسما جميعا على عشرة آلاف دينار سوى الخرزة، القوى على قوته والمقل على قدر إقلاله في كل سنة ، وإنك نقبت على قومك وإن قومك قد رضوا بك ، وقد قبلت ومن معى من المسلمين ورضيت ورضى قومك فلك الذمة والمنعة فإن منعنا كم فلنا الجزية وإلا فلا حتى نمنعكم "[١] .

ـ الدهاقـون ـ

كان الدهاقون يتربصون بخالد وينتظرون ما يصنع بأهل الحيرة ، فلما استقام ما بينه وبين الحيريين ، أتاه دهاقو البلاد فصالحوه على ما بين الفلاليج إلى هرمز جرد على ألفى درهم وكتب لهم بذلك كتابا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

" هذا كتاب من خالد بن الوليد لزاذ بهيش وصلوبا بن نسطلونا . إن لكم الذمة ، وعليكم الجزية ، وأنتم ضامنون لمن نقبتم عليه من أهل البهقباذ الأسفل والأوسط على ألفى درهم تقبل في كل سنة عن ذى يد سوى ما على بانقيا و بارو سما ، وإنكم قد رضيتمونى والمسلمين وإنا قد رضيناكم وأهل البهقباذ الأسفل ومن دخل معكم من أهل البهقباذ الأوسط على أموالكم ليس فيها ما كان لآل كسرى ومن مال ميلهم "[٢] .

ج ـ تنظيم إدارة الولايات المفتوحة :

بعد أن استقر خالد بن الوليد في الحيرة اتخذها مقرا للحكم ، وقاعدة الدعوة والجهاد ، وعين عمالا من قبله على سائر ولايات العراق و ثغورها وهم :

١- عبد الله بن وثيمة النصرى على الفلاليج .

١ـ كذا في تاريخ ابن جرير وفى معجم الأدباء لياقوت " مادة بانقيا " والخرزة هي مكان لماء لفزارة قبل بنى أسد .

٢ـ أبو بكر الصديق ، خالد الجنابى ، نزار الحديثى ، صـ ٥١ ، ٥٢ .

٢– جرير بن عبد الله على بانقيا .

٣– بشير بن الخصاصية على النهرين .

٤– سويد بن مقرن المزنى على تستر .

٥– أط بن أبى أط على روذستان .

وكان من قادة الثغور :

١– ضرار بن الأزور .

٢– المثنى بن حارثة الشيبانى .

٣– ضرار بن الخطاب .

٤– ضرار بن مقرن .

٥– القعقاع بن عمرو .

٦– بسر بن أبى رهم .

٧– قتيبة بن النهاس[١] .

وقد كتب خالد كتبا إلى قادة الفرس مع قادة الثغور جاء فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من خالد بن الوليد إلى رستم ومهران . ومرازبة فارس .

سلام على من اتبع الهدى .

فالحمد لله الذي فض خدمتكم ، وفرق جمعكم ، وخالف بين كلمتكم ، وأوهن بأسكم ، وسلب ملككم ، فإذا جاءكم كتابى هذا فابعثوا إلى بالرهن ، واعتقدوا منى الذمة ، وأجيبوا إلى الجزية فإن لم تفعلوا فوالله الذي لا إله إلا هو لأسيرن إليكم بقوم يحبون الموت كحبكم للحياة .

وقد أرسل خالد رسالته هذه إلى جميع قادة الفرس ... وفيها يدعوهم على اتباع الهدى ، ويذكرهم بفضل الله ، ويعرض عليهم الدخول في الذمة إن لم يؤمنوا .

١– أبو بكر الصديق للجنابى صـ٥١ .

د ــ مراسلة الفرس :

لما اتخذ خالد بن الوليد من الحيرة منطلقا للدعوة إلى الله تعالى أخذ يرسل الرسائل إلى خاصة الفرس وعامتهم ، حيث وضع صيغة واحدة أرسلها إلـــى الخاصة ، وصيغة أخرى أرسلها إلى العامة .

فكتب إلى خاصتهم يقول :

من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس .

أما بعــد

فالحمد لله الذي حل نظامكم ، ووهن كيدكم ، وفرق كلمــتكم ، وأوهــن بأسكم ، وسلب أموالكم ، وأزال عزكم ، فإذا أتاكم كتابى فأسلموا تــسلموا أو اعتقدوا منا الذمة ، وأجيبوا إلى الجزية ، و إلا والله الــذي لا إلــه إلا هــو لأسيرن إليكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة ، ويرغبون في الآخرة كما ترغبون في الدنيا[١] .

وكتب إلى عامتهم يقول :

من خالد بن الوليد إلى مرازبة أهل فارس :

أما بعــد

فالحمد لله الذي فض خدمتكم ، وفرق جمعكم ، وأوهن بأسكم ، وســلب أموالكم وأزال عزكم ، فإذا أتاكم كتابى فأسلموا تسلموا ، أو اعتقــدوا منــا الذمة ، وأجيبوا إلى الجزية ، و إلا والله الذي لا إله إلا هو لأســيرن إلــيكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة ، ويرغبون في الآخرة كما ترغبون في الدنيا[٢] .

والرسالتان متشابهتان إلا أن رسالة الخاصة تشير إلــى تفكــك النظــام ، ووهن الدولة .

١- أبو بكر الصديق ، خالد الجنابى ، نزار الحديثى ، صــ ٥١ ، ٥٢ .

٢- تاريخ الطبرى جــ ٤ صــ١٨٦ .

ـ ٧ ـ

فتـــح الأنبـــار[1]

تقع الأنبار في شمال الحيرة ، وإليها توجه عياض بن غنم رضي الله عنه ليفتحها ، على أن يأتى إليها خالد من جنوبها ... وقد أتم خالد بن الوليد فـتح الحيـرة وعياض بن غنم لا يزال بجنوده عند دومة الجندل .

ولى خالد بن الوليد القعقاع بن عمرو التميمى على الحيرة ، واتجه بجنوده إلى الأنبار لمعاونة عياض بن غنم فوجد رضي الله عنه أن الفـرس قـد تحـصنوا ، وتخندقوا ، وجلسوا أعلى الحصون ، فضرب عليهم الحصار ، وأمر جنوده أن يصوبوا سهامهم باسم الله تعالى إلى عيون أعدائهم ، فأصابوا منهم فـي أول رمية ألف عين ، ولذلك تسمى الموقعة " **ذات العيون** " .

رأى خالد أن الخندق الذي حفره الفرس لا يمكن المسلمين من القفز فوقـه لسعته ، ورأى أن الأمر يحتاج لإقامة جسر يربط ضفتى الخندق حتى يـتمكن المسلمون من عبور الخندق والوصول إلى الفرس في حصونهم .

فكر خالد رضي الله عنه في الأمر ورأى ضرورة ردم مكان بالخندق يعد جـسرا يمر الجنود فوقه ولما لم يجد ترابا أو حجرا أو خشبا ، أو حديدا عمـد إلـى ضعاف الإبل ، ونحرها ، وألقى بلحومها في الخندق ، وصنع بذلك جسرا عبر فوقه المسلمون ، وحينئذ فر الفرس إلى حصونهم ، فحاصـرهم المـسلمون ، واضطر " شيزار " إلى قبول الصلح بشروط المسلمين على أن يخـرج مـن الأنبار في عدد من الفرسان يحرسونه . فقبل خالد ذلك شريطة أن لا يأخـذوا معهم متاعا أو مالا[2] .

١- الأنبار : مدينة قديمة تقع في مكان مرتفع ، وقد اتخذها الفرس لجلب الزراعة والطعام .
٢- تاريخ الطبرى جـ٤ صـ١٩١ .

ـ ٨ ـ

عيـن التمـر

ولى خالد بن الوليد الزبرقان بن بدر على " الأنبار " ، وسار بجنوده إلى " عين التمر "[١] فوجد عقة بن أبى عقة ، وتغلب ، وإياد ، ومن خالفهم ... ومعهم من الفرس مهران بن مهرام بقواته .

لما علم الفرس بقدوم خالد ، قال عقة لمهران : **إن العرب أعلم بقتال العرب فدعنا وخالدا .**

فقال مهران : **صدقت لعمرى لأنتم أعلم منا بقتال العرب ، وإنكم لمثلنا في قتال العجم . قال ذلك ليشجعه على مقاتلة قومه العرب .**

وقد كان العجم ينظرون إلى العرب بعين الاحتقار والمهانة ـ فقال من مع مهران من العجم له : **كيف تقول ما قلت لهذا الكلب ؟ وتجعلهم أعلم منا في أى أمر من الأمور !!!**

فقال : **دعونى فإنى لم أرد إلا ما هو خير لكم وشر لهم . إنه قد جاءكم من قتل ملوككم، وفل جندكم فاتقيته بهم . فإن كانت لهم على خالد فهي لكم ، وإن كانت الأخرى لم يبلغوكم حتى يهنوا فنقاتلهم ونحن أقوياء وهم مضعفون فحمدوا له رأيه**[٢] .

فلزم مهران " **العين** " ونزل عقة لخالد على الطريق ، وعلى ميمنته بجير أحد بنى عبيد بن سعد بن زهير ، وعلى ميسرته الهذيل بن عمران وبين عقة ومهران غدوة أو روحة ، ومهران في الحصن في جند فارس وعقة كالخفير له بجنده .

قدم خالد في تعبئته ، وقال لمجنبتيه : **اكفونا ما معه فإنى حامل عليه ،**

١– عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار تقع غرب الكوفة يكثر بها النخيل والفاكهة .

٢– عبقرية خالد صـ٧٠ .

ووكل بنفسه " حوامى " ثم حمل عليه ، وعقة يقيم صفوفه فاحتضنه ، وأخـــذه أسيرا فانهزم جنده قبل القتال ، وأمعن المسلمون فيهم الأسر ، و أمعن كثيـــر من المشركين في الهرب .

لم يكد الخبر يصل إلى مهران حتى وهنت قوته فترك الحصن ونجا فيمن معه من الفرس . وجاء فلال جيش عقة إلى الحصن فاقتحموه ، واعتصموا به وكأنما كان اعتصامهم به إنما هو اعتقال وسجن ضرب عليهم ، حتى يتسلمهم خالد ، فإنه لما قدم إلى الحصن ، ومعه عقة وعمرو بن الصعق فـــي الأســـر نزل عليهم ، وكان القوم يظنون أن خالدا كغيره من العرب لا يلبث أن يعـــود أدراجه إذا أصاب مغنما ، فلما رأوه غير تاركهم يئسوا من النجاة ، ونزلـــوا على حكمه ، فأمر بعقة وعمرو بن الصعق فضربت أعناقهما وأجزر الـــسيف في بقية من كان معهما ، وغنم ما حواه حصنهم ، وسبى السبى .

وقد وجد في بيعتهم أربعين غلاما يتعلمون الإنجيل علـــيهم بـــاب مغلـــق فكسره عنهم **وقال : ما أنتم ؟**

قالوا : **رهن .**

فقسمهم في أهل البلاء ، من هؤلاء الأطفال أبو زياد مولى ثقيف . ومـــنهم نصير أبو موسى بن نصير . ومنهم أبو عمرة جد عبد الله بن عبد الأعلـــى الشاعر وسيرين أبو محمد بن سيرين . و حمران مولى عثمان بـــن عفـــان وغيرهم ...

وكان خالد أرسل الوليد بن عقبة بالأخماس إلى أبى بكر رضي الله عنه . فوجهـــه أبو بكر إلى عياض بن غنم في جند مددا له .

ويلاحظ ما كان يفعله القساوسة مع الغلمان وهم يجمعونهم من الأمصار ، ويحبسونهم على تعلم الإنجيل وسلوك دين النصارى ... وهولون من ألـــوان التربية الكنسية في الأديرة ، والأماكن النائية .

— ٩ —

دومـــة الجنـــدل[1]

— أولا —

مقدمات المعركة

وقف عياض بن غنم عند دومة الجندل ، وحاصر جمعا مـــن الفـــرس ، وحاصره غيرهم فاصبح المسلمون بذلك محصورين بين الفرس ، من أمامهم ومن خلفهم ، وأصبح الأمر خطيرا يحتاج إلى المعاونه .

أرسل عياض إلى الخليفة يستنجده ، فبعث له أبو بكر مددا بقيادة الوليد بن عقبة .

لما وصل عياض إلى دومة الجندل تشاور مع الوليـــد فـــرأوا ضـــرورة الاستعانة بخالد بن الوليد ليمدهم بجيش من عنده . فكتبوا إليه ، فـــرد خالـــد برسالة قصيرة جاء فيها :

من خالد إلى عياض ... إياك أريد[2] .

ولى خالد بن الوليد على عين التمر عويم بن كاهل الأســـلمى ، وســـار بجنوده إلى دومة الجندل .

أما أهل دومة الجندل فإنهم لما علموا بمقدم خالد بن الوليد أصابهم الذعر ، فاستنجدوا بحلفائهم من قبائل بهراء ، وكلب ، ونعسان ، وتنوخ .

برز في أهل دومة الجندل زعيم لهم هو **(** أكيدر بن عبد الملك **)** وطلـــب منهم قبول الصلح مع خالد بن الوليد وقال لهم : **أنا أعلم الناس بخالد ، لا أحد أيمن طائرا منه ، ولا أحد أقوى منه في حرب ، ولا يرى وجه خالد قوم أبدا**

١- دومة الجندل : تقع بين العراق والشام وموقعها بين دمشق والمدينة المنورة قريبة من دمشق .

٢- البداية والنهاية لابن كثير . باب فتح خالد بن الوليـــد الأنبـــار وتـــسمى هـــذه الغـــزوة ذات العيون جـــ٦ صـــ٣٥٠ .

قلوا أو أكثروا إلا انهزموا عنه ، فاطيعونى ، وصالحوا القوم فأبوا عليه .

فقال لهم : **لن أما لنكم على حرب خالد فشأنكم**[1] .

واستمر أهل دومة الجندل على عدتهم ونيتهم في حرب المسلمين ، واستمر المسلمون في توجههم لحرب الفرس .

ـ ثانيا ـ

أحداث المعركة

ونزل خالد على دومة الجندل ،وجعل أهلها ومشايعيهم من بهراء وكلب وتنوخ بين فكى (كماشة) ذراعها الأول عسكر خالد ، والثانية عسكر عياض بن غنم[2].

وتقدم الجودى بن ربيعة بجنوده نحو خالد .

وتقدم ابن الحدرجان وابن الأيهم بجنودهما ناحية عياض .

ودارت المعركة وأنزل خالد الهزيمة بالجودى وأتباعه .

وانتزع عياض النصر من ابن الحدرجان ومن معه بصعوبة ، وحاولت فلول المنهزمين الاحتماء بالحصن ولكنه كان قد عج بمن فيه فأغلقوه عليهم ، وتركوا أصحابهم حوله في العراء ، ولم يلبث خالد أن هاجم من بداخل الحصن بعد أن اقتلع بابه فقتل منهم جموعا كثيرة[3] وفر الآخرون،وتم النصر للمسلمين.

ـ ثالثا ـ

نتائج المعركة

تمكن المسلمون بفتح دومة الجندل من التمركز في موقع حصين وهام ، يقع في ملتقى الطرق ، ويربط ما بين بلاد الشام ، وبلاد فارس والجزيرة العربية ... كما دلت نتيجة المعركة على حسن تخطيط أبى بكر رضي الله عنه لأنه

١- البداية والنهاية جـ ٦ ص ٣٥٥ .

٢- خالد بن الوليد : صادق عرجان ، صـ ٢٣١ .

٣- تاريخ الطبرى جـ٤ صـ١٩٦ ؛ أبو بكر الصديق ، خالد الجنابى ، صـ ٥٤ .

وجه عياض إلى دومة الجندل مع أول الحرب ليعرقل وصول المدد منها لمحاربة خالد ، و لعل هذا هو السبب في أن عياضا ظل يحاصر (دومة الجندل) طوال المدة التي فتح فيها خالد أغلب ولايات العراق .

وأدى الاستيلاء على دومة الجندل بعد الحيرة إلى فتح الطريق نحو بلاد الفرس . وبلاد ما وراء النهرين مما ساعد على فتح هذه البلاد فيما بعد .

وقد تحقق فتح هذه البلاد في عصر الخلفاء الراشدين بعد أبي بكر ﷺ .

ـ ١٠ ـ

الحصيد[1]

أمر خالد بن الوليد الأقرع بن حابس بالرجوع إلى الأنبار ، وأقام بدومة الجندل فكانت إقامه خالد وحده بدومة الجندل مدعاة لطمع الفرس ، وظنهم به الظنون ، وكذلك فعل عرب المنطقة وتصوروها فرصة يتمكنون من خلالها هزيمة المسلمين .

كاتب العرب الفرس ليكونوا معهم على قتال (خالد) غضبا لـ (عقة) الذى لم ينسوا مصرعه بعد ، فخرج (رزمهر) ومعه (روزبة) يريدان الأنبار ، وتواعدوا في الحصيد والخنافس ، فوصل خبرهم إلى الزبرقان بن بدر وهو على الأنبار ، فاستمد القعقاع بن عمرو خليفة خالد على الحيرة ، فأمده بعبد بن فدكى السعدى (أبو ليلى) وأمره بالحصيد كما أمده بعروة بن الجعد البارقى وأمره بالخنافس .

وعندما علم خالد بتحرك بعض القبائل ، ورغبتهم بالانضمام إلى روزبة أمر بتوجه القعقاع إليهم ، فحضر بجنوده ، والتقى المسلمون بجموع الفرس عند "الحصيد" وقتلوا منهم مقتلة عظيمة من بينهم رزمهر ، و روزبة ، وغنموا غنائم كثيرة[2] .

١ـ الحصيد : موضع في أطراف العراق من جهة الجزيرة .
٢ـ البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٥٥ .

ـ ١١ ـ

المصيـــخ[١]

بعد أن وصلت أخبار المسلمين في الحصيد إلى خالد واعد قـــادة جيوشـــه وحدد لهم ليلة وساعة يجتمعون فيها عند " المصيخ " قرب " حـــورات " فلمـــا توافوا في موعدهم بيتوا بعض القبائل ، ومن آوى إليهم من ثلاثـــة أوجـــه ، فأوقعوا بهم خسائر كبيرة[٢] .

ثم علم خالد بتحشد بعض القبائل في (المثنى) وهو موضـــع قريـــب مـــن (الرقة) و (الزميل) في ديار بكر استعدادا لقتال المسلمين فباغتهم في (المثنى) من عدة اتجاهات فشتت جموعهم ، وكذلك هاجم المحتشدين فـــي(الزميـــل) و(الرقة) فأوقع بهم خسائر هائلة[٣] .

ـ ١٢ ـ

معركة الفـــراض

معركة (الفراض) هي آخر المعارك الكبرى في حرب العـــراق بقيـــادة خالد بن الوليد رضي الله عنه . ولها أهميتها الكبرى في تـــاريخ الجهـــاد الإســـلامي ، ومواجهته لأعداء الإسلام والمسلمين .

ـ أولا ـ

مقدمات المعركة

تقع (الفراض) في غرب العراق على حدودها مع بلاد الشام وهى بذلك تعد مكانا له أهميته في قتال الفرس والروم .

١- المصيخ : بفتح الصاد والياء المشددة المفتوحة إحدى بلاد العراق .

٢- أبو بكر الصديق ، خالد الجنابى ، نزار الحديثى ، صـــ٥٥ .

٣- تاريخ الطبرى جـــ٤ صـــ١٩٩ ، ٢٠٠ .

وقد أراد خالد بن الوليد من الاستيلاء على القـــراض أن يـــؤمن ظهـــر الجيـــش الإسلامي أثناء توجهه إلى الشرق .

إلا أن هذا التصرف العسكرى الذي أمر به خالد بن الوليد أغضب الـــروم خوفا من أن يهاجمهم خالد من قبل بلاد العراق .

كما أغضب الفرس لأنهم رأوا في سقوط (القراض) تطهير آخر جيوب الفرس في بلاد العراق .

وغضب العرب الموالون للفرس والروم لتصورهم أن ســـقوط القـــراض بداية للاستيلاء على كافة بلاد العرب .

ولم ينس هؤلاء جميعا أن المسلمين قتلوا كثيرا من قادتهم وأبنائهم .

لكل هذا رأينا هذا التجمع المعادى من جنود الفرس ، وجنـــود العـــرب ، وجنود الروم . في وحدة لمقاتلة المسلمين والقضاء عليهم عند " القراض ".

ــ ثانيا ــ

أحداث المعركة

تحركت جيوش التجمع المعادى إلى المسلمين حتى وصلوا نهـــر الفـــرات عند القراض ، ثم قالوا لخالد : **إما أن تعبروا إلينا أو نعبر إليكم .**

فقال خالد : **اعبروا .**

قالوا : **فتنحوا حتى نعبر .**

فقال خالد : **لا نفعل ولكن اعبروا أسفل منا .**

فقالت الروم وفارس بعضهم لبعض : **احتسبوا ملككم ، هذا رجل يقاتل علـــى دين ، وله عقل وعلم ، ووالله لينصرن ولنخذلن .**

ولم ينتفعوا بذلك الحق الذي عرفوه ، استكبارا ، وعنادا ، فعبروا النهـــر أسفل من خالد ، فلما تتاموا قالت الروم : **امتازوا حتى نعرف اليوم ما كان من حسن أو قبيح من أينا يجئ**[1] **!**

١- تاريخ الطبرى جـ٤ صـ٢٠١ .

ففعلوا فاقتتلوا قتالا شديدا طويلا .

ثم إن الله عز وجل هزمهم وقال خالد للمسلمين : **ألحوا عليهم ، ولا ترفهوا عنهم .**

فجعل صاحب الخيل يحشر منهم الزمرة برماح أصحابه فإذا جمعوهم قتلوهم ، وقتل من الأعداء عشرات الألوف ، وأقام خالد في القراض عشرة أيام ثم أمر بالرجوع للحيرة[1] .

ــ ثالثا ــ

نتائج المعركة

أدى انتصار المسلمين في معركة " القراض " إلى خذلان هذا التجمع المعادى، وتأكد المسلمون من نصر الله لهم،ورأى الأعداء أنفسهم في خزى وعار .

وبعد انتصار المسلمين في (القراض) شد الشوق خالدا إلى الحج فرحل إليه من غير أن يأخذ إذنا من أبى بكر رضي الله عنه ولم يخبر أحدا من جنوده ، وسار في طريق وعر،وشاق حتى لا يراه أحد،فيخبر القوم بما رأى وبعد أداء مناسك الحج عاد إلى جنده قرب الحيرة ... وقد تخفى خالد عن جنوده أيضا ولم يخبرهم بسفره للحج إلا بعد،ولم يعلموا بحجة رؤيته قد حلق رأسه حين عاد إليهم.

فلما علم أبو بكر بحج خالد لامه . وأمره بترك بلاد فارس ، والتوجه إلى الشام مع نصف الجند لنجدة المسلمين بها . وقال له : **سر حتى تأتى جموع المسلمين باليرموك فإنهم قد شجوا واشجوا ، وإياك أن تعود لمثل ما فعلت ، فإنه لم يشج الجموع من الناس بعون الله شجاك ، ولم تنزع الشجى من الناس نزعك ، فليهنأ أبا سليمان النية ، والخطوة فأتمم يتم الله لك ، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل ، وإياك أن تدل بعمل ، فإن الله له المن وهو ولى الجزاء[2] .**

١- تاريخ الطبرى جـ٤ صـ٢٠١ .

٢- تاريخ الطبرى جـ ٤ صـ ٢٠٢ .

ـ ١٣ ـ

موقعـــة " بـــابـــل "[١]

ظن الفرس أن رحيل خالد عن العراق يجعل المسلمين متاعا لهــم يــسهل الانتصار عليهم فأخذوا في الاستعداد لطرد الإسلام من بلادهم .

وكان المثنى بن حارثة رضي الله عنه يقدر أن الفرس سيستهينون به بعــد رحيــل خالد ، و أدرك أنه لن يقر للفرس قرار حتى يطردوا المسلمين من بلادهم ، أو تفنى جيوشهم ، فكان لذلك حذرا جد الحذر . فأمر الجيش أن يظل على تعبئته مستعدا للنزال في كل لحظة ! لا يبرح سلاحه في كافة حالاته ، وأعماله .

وتلك حكمة جاءت بأحسن الثمار ، فقد صح ما توقعه المثنـــى ، وتــولى عرش فارس كسرى جديد ، جمع جيشا جرارا ، وكلفه بطرد المــسلمين مــن بلاد العراق ، وعلم المثنى بذلك فجمع كل قواه وجعل أخويه على مقدمة جيشه والتقى بالفرس عند مدينة ـ **بابل** ـ ودارت رحى معركة هائلة ، أظهر فيهــا المثنى براعة في الحركة ، وفنا في إدارة الحرب . وأبلى المسلمون بلاء حسنا حتى استخلصوا النصر من زهرة جيوش فارس ، وكانت هزيمة الفرس مذلة لهم ، كسرت شوكتهم ، وحطمت آمالهم ، لأنهم لم ينهزموا أمام جيش كبيــر أبدا فكيف بهم ينهزمون أمام جيش صغير عنهم في عدده وعدته ؟!! وظلــوا مدة كبيرة لا يتحركون ، غير أن المثنى لم يأمن جانبهم ، وظل يقظا يرصــد عليهم أنفاسهم ، ومن ناحية أخرى كتب إلى الخليفة مستمدا العون ، فلما أبطأ المدد سافر إلى المدينة يستنجد الخليفة بنفسه .

فلما وصل المدينة وجد أبا بكر رضي الله عنه على فراش المرض وقــد شــارف الموت ، ومع ذلك استقبله أبو بكر رضي الله عنه واستمع إليه ، واقتنع برأيه ، ثم طلب

١- بابل مدينة بجوار الكوفة . اشتهرت في الجاهلية بالسحر والخمر ، وذكر بعض المفسرين أنهــا المقصودة بقوله تعالى " وما أنزل على الملكين ببابل " .

عمر بن الخطاب فجاءه ، فقال له أبو بكر : **اسمع يا عمر ما أقول لـك ثـم اعمل به إني لأرجو أن أموت من يومى هذا ، فإن أنا مت فلا تمسين حتـى تندب الناس مع المثنى ولا تشغلنكم مصيبة وإن عظمت عن أمـر ديـنكم ، ووصية ربكم وقد رأيتنى متوفى رسول الله وما صنعت ولم يـصب الخلـق بمثله ... وإن فتح الله على أمراء الشام فاردد أصحاب خالد إلـى العـراق ، فإنهم أهله وولاة أمره وحده ، وهم أهل الضراوة بهم والجراءة عليهم**[١] .

وهكـذا ...

واصلت الجيوش الإسلامية فتح بلاد الفرس وسيطرت على سواد العراق ، ووصلت إلى أبواب " المدائن " ... ذلك كله في عام واحد .

واستقر أمر سكان هذه الأماكن ، فلم تخرج مـنهم ثـورة ، ولـم يبـدوا معارضة ، وتهيأت نفوسهم للدخول في الإسلام .

وأيضا فلقد أظهرت معارك الردة ، وفارس براعة خالد القتاليـة ، وبـان عون الله له فلم تهزم له راية ، ولم ينثن سيفه عن ضريبته ، وكـان الرعـب يسبقه إلى كل قوم ، ويسير أمامه في كل موقعة أجمع عليها حتى أن اسمه كان بمثابة مدد للجيوش . وكان في كل أعماله فاتحا موطـدا لأركـان الخلافـة والإسلام . ولم تدن له بلد بالطاعة إلا خلف عليها حاميـة لحفـظ نظامهـا ، وأميرا لإقامة العدل فيها ، وآخر يجبى خراجها من الذمة على مقتضى كتـاب صلحهم .

ولم يتحدث التاريخ أن خالدا نهب مالا ، أو اغتصب أرضا ، أو ظلم ذميا أو ارتكب فاحشة ، أو اعتدى على حق إنسان .

ومن أحسن ما يؤثر لخالد من المحاسن الغراء أنـه لـم يكـن يتعـرض للفلاحين بسوء ، ولا يمسهم بأذى . بل كان يشملهم برأفته ، ويعمهم برعايته ، ويمنعهم ممن يريدهم بسوء لاعتقاده أنهم مادة الأمة ، وبهم قوام الدولة . ولهذا

١- الكامل لابن الأثير جـ٢ صـ٧٤ .

صاورا يفضلون حكمه على حكم الفرس لما كانوا يجدونه في عظمائهم الفرس من الغلظة عليهم ، والإعنات لهم ، ويستعبدونهم ، ويذلونهم .

وكما كان خالد رضي الله عنه رؤوفا بهؤلاء كان شديد الأخذ للمقاتلة وأهل الحرب لا يهدأ في الميدان إذا رآهم ، ولا يدع الجنود ينظر بعضهم إلى بعض دون أن يشنها غارة شعواء .

كان يباشر الحرب فور ظهور العدو ، وسرعان ما كان يطلب كبش الكتيبة في بحبوبة الميدان ، ويدعوه إلى المبارزة ثم ينقض عليه انقضاض البازى على العصفور ، وفى ذلك بواره .

كان عمله هذا يشرد أعداءه ، ويوقع الرعب في قلوبهم ، ويكون سببا للفشل ثم الهزيمة تلحق بالأعداء .

المبحث الثالث

الفتـــــوح

فـــي ميـــدان الـــروم

تمهيـــد

اتصل المسلمون بالروم وأتباعهم في وقت مبكر في عهد رســول الله ﷺ لما لها من أهمية في حياة العرب ، فإليها كانت رحلة الشتاء ، وإليهــا ذهــب الرسول ﷺ قبل البعثة مع عمه أبى طالب ، ومع ميسرة ، وتاجر فيها بأموال خديجة رضي الله عنها .

وكان أول الغزوات والسرايا خارج جزيرة العرب إلى بلاد الروم حيــث كانت (غزوة تبوك) وسرية (مؤتة) في حياة رسول الله ﷺ وكــان بعــث (جيش أسامة) عقب وفاة رسول الله ﷺ مباشرة .

ومع هذا رأينا **أن فتح بلاد فارس سبق فتح بلاد الروم** ، وأخذ جهدا كبيرا من المسلمين ...

وسبب هذا هو القرب الجغرافى بين قبائل شرق الجزيرة العربية وقبائــل الفرس في العراق ... وقوة التواصل بين القبائل في هذه المنطقة ...

ولقد أدى تواصل القبائل إلى اشتراك بعض الفرس في حرب الــردة مــع العرب القريبين منهم بالتحريض ، أو المدد ، أو المساعدة ، الأمر الــذي أدى إلى حدوث القتال مع الفرس متصلا مع قتال العرب .

ولم يحدث هذا الاشتباك مع الروم بسبب عدم اشــتراكهم مــع المرتــدين لبعدهم المكانى ، أو خوفا من العرب الذي ابتلوا بهم في الغزوات والسرايا ... وقد وضع أبو بكر رضي الله عنه خطة محكمة للحرب بعد وفاة رســول الله ﷺ فإنــه حين أرسل الفرق الإسلامية لقتال المرتدين عمل على تعطيل الجبهة الرومانية

حتى لا يؤتى المسلمون من قبلها ، وذلك بأن أرسل إليها جنودا بقيادة خالد بن سعيد ، وأمره أن يعسكر بهم في مكان ما ، و لا يغادره ليقاتل الروم ، وكـــل ما يقوم به مناوشات خاطفة ليشغلهم ويصرفهم عن مساعده المرتدين في هـــذا الوقت العصيب .

واستمر الأمر على هذا الحال حتى أتم الله القضاء على الردة والمرتدين ، وفتحت بلاد العراق .

بعد ذلك توجهت القوات الإسلامية لفتح بلاد الـــروم ، وبـــدأ غزوهـــا ، واستمر الانتصار حتى لقى أبو بكر رضي الله عنه ربه ، وواصل عمر بن الخطـــاب الفتح في الجبهات كلها .

وفى هذا المبحث سنتناول الموضوعات التالية :

١ــ مبشرات النصر لأبى بكر رضي الله عنه .

٢ــ أخذ رأى الصحابة في فتح بلاد الروم .

٣ــ دعوة أهل اليمن للجهاد .

٤ــ خطة الجهاد في بلاد الروم .

٥ــ حركة القوات الرومانية المعادية .

٦ــ الإعداد المعنوى للمجاهدين .

٧ــ المعارك الكبرى في الميدان الرومى .

والله الموفق ...

خطــوات الفتـــح

ــ أولا ــ

مبشرات النصر

اتخاذ قرار الحرب ليس من القرارات السهلة التي يصدرها القائد العام الصالح بلا دراسة وتمحيص ، لما يترتب عليها من أعباء ، وتبعات ... ولا بد لها من النظر والتحليل في الأهداف ، والغايات ، والتأكد من أنها تستحق التضحية بالنفس والمال ، مع أهمية الإعداد الممكن ، والاستعداد التام .

إن القائد مسئول عن رعيته ، كما هو مسئول عن حماية الدين وحراسة المعاش ، وصيانة كافة أمور الحياة ... وهو لذلك يجد نفسه أمام موازنات عديدة تحتاج إلى الدراسة والتأمل قبل اتخاذ القرار ، وبخاصة قرار الحرب والقتال .

ولقد كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه في أمور الغزو والقتال كما كان يشاورهم في كثير من الأمور ، وكان الله سبحانه وتعالى يؤيده ﷺ بالوحى الذي يبين الطريق ، ويحدد القرار المفيد ، فيتبعه المسلمون ، وافق اجتهادهم أو خالفه لأن الوحي يمثل نصا لا يصح الاجتهاد معه .

فلما لقى رسول الله ﷺ ربه انقطع الوحي ،وأخذ المسلمون يسيرون على هدى رسول الله ﷺ،ويجتهدون بعقولهم،ويستخيرون ربهم فيما جن عليهم،ويستفيدون بما بقى لهم من ميراث النبوة ، وبخاصة أن مما يحفظونه عن رسول الله ﷺ قوله في الحديث الذي صح عنه ﷺ : **لم يبق من النبوة إلا المبشرات ...**

قالوا : **وما المبشرات ؟**

قال ﷺ : **الرؤيا الصالحة**[١] .

١- صحيح البخارى ــ كتاب التعبير . باب المبشرات جـ٣ صـ٣٦٢ .

وقوله ﷺ : **الرؤيا الصالحة جزء من ست وأربعين جزءا من النبوة**[1] .

أخذ أبو بكر رضي الله عنه يفكر في أمر الجهاد في بلاد الشام ، ويتأمل فيـه مـن كافة جوانبه قبل أن يحدث به أحدا ، وكثيرا ما خلا بنفسه يفكر ويتأمل ، ويتجه إلى ربه ليهديه سواء السبيل .

وبينما كان أبو بكر رضي الله عنه مشغولا بهذا الأمر جاءته عناية الله ، وأحاطت به إلهامات الخير ، وذلك في واحدة من المبشرات الربانية الباقية من تراث النبوة إذ جاءه الصحابى الجليل شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه وقال له : **يا خليفة رسـول الله ﷺ أتحدث نفسك أنك تبعث إلى الشام جندا ؟**

قال: أبو بكر : **نعم قد حدثت نفسى بذلك ، ولم أخبر به أحدا ، وأراك تسألنى لشئ عندك !!**

قال شرحبيل : **نعم رأيت لك رؤيا يا أبا بكر .**

قال أبو بكر : **قصها على .**

قال شرحبيل :**إني رأيت يا خليفة رسول الله فيما يرى النائم كأنك تمشى فـي الناس في طريق وعر حتى صعدت قنة من القنات العالية ، فأشـرفت علـى الناس ، ومعك أصحابك ، ثم إنك هبطت من تلك القنات إلى أرض سهلة لينة فيها الزرع ، والقرى ، والحصون .**

فقلت للمسلمين : شنوا الغارة على أعداء الله ، وأنـا ضـامن لكـم بـالفتح والغنيمة.

وأنا فيهم ، معى راية ، فتوجهت بها إلى أهل قرية فسألونى الأمان فأمنتهم .

ثم جئت فأجدك قد انتهيت إلى حصن عظيم ففتح الله لك ، وألقوا إليك الـسلم ووضع الله لك مجلسا فجلست عليه .

ثم قيل لك: يفتح الله عليك ، وتنصر فاشكر ربك ، واعمل بطاعته ، ثـم قرئ لك قوله تعالى :

١- صحيح البخارى ــ كتاب التعبير . باب الرؤيا الصالحة جــ١٠ صــ٣٦١ .

﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝ ﴾ .

فقال له أبو بكر : نامت عينك ، خيرا رأيت ، وخيرا يكون إن شاء الله ، بشرت بالفتح ، ونعيت إلى نفسى .

ثم دمعت عينا أبى بكر وقال : أما المسلك الوعر التي رأيتنا فيها حتى صعدنا إلى القنة العالية فإشرافنا على الناس ، فإنا نكابد من أمر هذا الجند والعدو مشقة ، ويكابدونه ، ثم نعلو عدونا ، ويعلو أمرنا .

وأما نزولنا من القنة العالية إلى الأرض السهلة الدمثة ، والزرع ، والعيون والقرى ، والحصون ، فإنا ننزل إلى أمر أسهل مما كنا فيه من الخصب والمعاش .

وأما قولى للمسلمين : شنوا على أعداء الله الغارة فإنى ضامن لكم الفتح والغنيمة ، فإن ذلك دنو المسلمين إلى بلاد المشركين وترغيبى إياهم على الجهاد ، والأجر والغنيمة التي تقسم لهم وقبولهم .

وأما الراية التي كانت معك فتوجهت بها إلى قرية من قراهم ، ودخلتها فاستأمنوا فأمنتهم ، فإنك تكون أحد أمراء المسلمين ويفتح الله على يديك .

وأما الحصن الذي فتح الله لى فهو ذلك الوجه الذي يفتح الله لى .

وأما العرش الذي رأيتنى عليه جالسا فإن الله يرفعنى ويضع المشركين ، ويقول الله تعالى ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ۝ ﴾ .

وأما الذي أمرنى بطاعة الله وقرأ على السورة ، فإنه نعى إلى نفسى ، وذلك أن النبي ﷺ نعى الله إليه نفسه حين نزلت هذه السورة ، وعلم أن نفسه قد نعيت إليه ، ثم سالت عيناه وقال : لآمرن بالمعروف و لأنهين عن المنكر وأجاهد فيمن ترك أمر الله ، و لأجهزن الجنود إلى العادلين بالله في مشارق الأرض ومغاربها حتى يقولوا : الله أحد أحد لا شريك له ، أو يؤدوا

الجزية عن يد وهم صاغرون ، هذا أمر الله وسنة رسوله ﷺ ، فإذا توفاني الله عز وجل لا يجدني الله عاجزا، ولا واليا، ولا في ثواب المجاهدين زاهدا[١].

فهذه الرؤيا جاءت على قدر في وقت كان يحتاج فيه أبو بكر رضي الله عنه إلى مرجحات لما يفكر فيه ، ولتدفع الصديق إلى العزم على ما هم به ، وإعلان ما أضمره .

بعد استماع أبي بكر رضي الله عنه لهذه الرؤيا ، وتأويله لها دعا إلى عقد مجلس الشورى لدراسة موضوع غزو الشام ، وبذلك أخذ الصديق بالعزيمة القلبية والعمل الجماعي ، والتوكل على الله ، واستأنس بالرؤيا .

قوى عزم أبو بكر بهذه الرؤيا ، وأخذ يعد العدة لغزو الروم ، وبخاصة أن خالد بن الوليد رضي الله عنه انتهى من فتح سواد العراق ، فتم توجيهه إلى بلاد الروم ليدعم الجنود ، ويحقق النصر بإذن الله تعالى .

وهنا سؤال لابد منه وهو :

ـ لماذا تردد أبو بكر في فتح بلاد الروم ولم يتردد في فتح بلاد فارس ؟

إن الواقع كان يشير إلى إفلاس خزينة الروم ، وقيام الدولة بفرض الضرائب الباهظة على الناس ، وكراهية الناس للحكام الرومان ، كل ذلك صار قضية بارزة جعلت أبا بكر يفكر في قتال الروم .

ومع ذلك كان تردد أبي بكر رضي الله عنه ...

يرجع هذا التردد في رأيي ـ والله أعلم ـ إلى سابق معرفة أبي بكر بقوى الروم ، وقوة أتباعهم من خلال معايشته لهم في غزوة تبوك ، وما رآه المسلمون منهم في مؤتة .

لم تغب تلك الأحوال عن فكر أبي بكر رضي الله عنه ، وتأكد منه بما حدث لـ " خالد بن سعيد " حين أرسله عند بدء حروب الردة لمشاغلة القوات الرومانية ، ومنعها من مساعدة المرتدين ، وغيرهم من أعداء الإسلام ، فلقد عسكر خالد

١- تاريخ دمشق لابن عساكر جـ٢ صـ٦١ ، ٦٢ .

بن سعيد وجنوده بـ " تيماء " وبقى بها ، بعدما أمره أبو بكر أن لا يفارقها إلا بأمر منه ، ولا يقاتل إلا من يقاتله ، ويستمر وجنوده في حالة سكون ويقظة ، يحمى ظهر المسلمين ، ويمنع القوات المعادية من التجمع والتوحد .

لم يرتض " هرقل " وجود القوات الإسلامية على حدود دولته في " تيماء " رغم سكونهم ، وعدم محاربتهم لقواته ، فحرض العرب التابعين له على مهاجمة المسلمين وطردهم ، فتجمع جيش من العرب ، من قبائل بهراء ، وسيلح ، وكلب ، ولخم ، وجذام ، وغسان ، فسار إليهم خالد بن سعيد ، وهاجمهم في منازلهم ، فتفرقوا إلى جماعات صغيرة .

أرسل خالد بن سعيد إلى أبى بكر بما حدث ، وأخبره أن هرقل يجمع القوات لمهاجمة المسلمين ، فأمره أبو بكر أن يزحف على الرومان قبل أن يستفحل شأنهم ، ويقوى أمرهم ، على أن يصون مؤخرته ، ويحافظ على خطوط الإمداد والتموين ، وأن لا يتوغل كثيرا في بلاد الروم .

فتقدم خالد حتى بلغ (القسطل) في طريق البحر الميت فهزم جيشا من الروم على الشاطئ الشرقى للبحر ، ثم تابع مسيرته .

عند ذلك هاج الروم فجمعوا قوات تزيد على ما جمعوه عند توجههم إلى "تيماء" .

ورأى خالد تجمعهم فكتب إلى الخليفة يستمده ، ليتابع تقدمه .

فبعث إليه أبو بكر رضي الله عنه عكرمة بن أبى جهل رضي الله عنه بجيش البدال[1] كما بعث إليه الوليد بن عقبة بجموع أخرى .

فلما وصلت هذه القوات إلى خالد بن سعيد أمر بالهجوم على الروم ، وأخذ طريقه إلى (مرج الصفر) ، وانحدر القائد الرومى (ماهان) بجيشه يستدرج

١ـ كان عكرمة قد رجع من كنده وحضر موت عن طريق اليمن ومكة ، فلما بلغ المدينة أمره الخليفة أن يسير مددا لخالد بن سعيد ، وكان عكرمة قد سرح الجند الذين قاتلوا معه في جنوب شبه الجزيرة ، فاستبدل الخليفة بهم غيرهم وأمرهم أن يسيروا تحت لواء عكرمة إلى الشام . ولذلك عرف جيش عكرمة بالجيش البدال .

جيوش المسلمين التي اتجهت إلى جنوب البحر الميت ، ووصلت إلـى مـرج الصفر شرقي بحيرة طبرية .

واغتنم الروم على المسلمين الفرصة وأوقعوا بهم الهزيمة .

وصادف باهان سعيد بن خالد بن سعيد في كتيبة من العسكر فقتلهم ، وقتل سعيدا في مقدمتهم ، وبلغ خالد مقتل ابنه ، ورأى نفسه قد أحيط بـه فخـرج هاربا في كتيبة من أصحابه على ظهور الخيل ، وقد نجح عكرمة في سحب بقية الجيش إلى حدود الشام[١] .

هذه الأحداث التي عاشها المسلمون مع الروم خلال حروب الردة جعلـت أبا بكر رضي الله عنه يتردد كثيرا في حرب الروم ، ولولا ما رآه من مبشرات ما أقدم على فتح هذه البلاد .

أما بلاد الفرس فإن المثنى بن حارثة رضي الله عنه اصطدم بهم بعد انتهاء حروب الردة ، ورأى منهم خورا وضعفا .... فلما أحاط أبا بكر بالواقع ، وطلب منه المدد والعون أمده بخالد بن الوليد الذي أتم فتح سواد العراق ، وحقق للمسلمين النصر والفوز بفضل الله تعالى .

وعلـى كل ...

فإن هذا التردد من أبى بكر يدل على حرصه على المسلمين ، واهتمامـه بحمايتهم ، كما يدل على عقلية القائد الحكيم الذي يزن الواقع من كافة جوانبه ويستعين بإخوانه وأعوانه في الرأي والقرار .

وكان الله سبحانه وتعالى مع أبـى بكـر رضي الله عنه فهـداه للحـق ، وأعانـه بالمبشرات ، توضح له الطريق ، وتدله على الصواب ، فأخذ يعد العدة لفـتح بلاد الروم ، وبدأ يشرح الموقف لكبار الصحابة ، ويطلب رأيهم ، ومؤازرتهم.

١– أبو بكر الصديق ، نزار الحديثى ، د . خالد الجنابى ، صـ ٥٨ .

ـ ثانيا ـ

أخـذ رأى الصحـابة

في فتح بلاد الروم

عندما اقترب أبو بكر رضي الله عنه من اتخاذ قرار فتح بلاد الروم ، وقبل أن يأمر بتجهيز الجنود ، وإعداد العدة المناسبة جمع الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، و طلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام،وعبد الرحمن بن عوف،وسعد بن أبى وقاص،وأبو عبيدة بن الجراح ، ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر،والغزوات وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين ... وعرض عليهم الصورة من كافة جوانبها وطلب رأيهم .

قال أبو بكر رضي الله عنه للصحابة: **إن الله تبارك وتعالى لا تحصى نعمه،ولا تبلغ الأعمال جزاءها إلا بفضله،فله الحمد كثيرا على ما اصطنع عندكم، جمع كلمتكم،وأصلح ذات بينكم، وهداكم إلى الإسلام،ونفى عنكم الشيطان فليس يطمع أن تشركوا بالله،ولا أن تتخذوا إلها غيره،فالعرب أمة واحدة بنو أب وأم.**

وقد أردت أن استنفركم إلى الروم بالشام ، فمن هلك هلك شهيدا ، وما عند الله خير للأبرار ، ومن عاش عاش مدافعا عن الدين ، مستوجبا على الله عز وجل ثواب المجاهدين .

هذا رأيى الذي رأيت فليشر على كل امرئ بمبلغ رأيه[1] .

فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ثم قال: **الحمد لله الذي يخص بالخير من يشاء من خلقه ، والله ما استبقنا إلى شئ من الخير إلا سبقتنا إليه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، قد والله أردت لقاءك لهذا الرأي الذي ذكرت ، فما قضى الله أن يكون ذلك حتى ذكرته الآن ، فقد أصبت أصاب الله بك سبل الرشاد ، سرب إليهم الخيل في إثر**

١- تاريخ دمشق جـ٢ صـ٦ .

الخيل ، وابعث الرجال تتبعها الرجال ، والجنود تتلوها الجنود ، فإن الله عز وجل ناصر دينه ومعز الإسلام وأهله ومنجز ما وعد رسوله .

ثم قام عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال : يا خليفة رسول الله إنها الروم وبنو الأصفر حد حديد ، وركن شديد ، والله ما أرى أن تقحم الخيل إقحاما ، ولكن تبعث الخيل فتعبر في أدنى أرضهم ، ثم تبعثها فتغير ، ثم ترجع إليك ، فإذا فعلوا ذلك مرارا أضروا بعدوهم ، وغنموا من أرضهم ، فقووا بذلك على قتالهم ، ثم تبعث إلى أقاصى أهل اليمن ، وإلى ربيعة ومضر فتجمعهم إليك ، فإن شئت عند ذلك غزوتهم بنفسك ، وإن شئت بعثت على غزوهم غيـرك .
ثم سكت وسكت الناس معه .
فقال لهم أبو بكر : ماذا ترون ؟ رحمكم الله ؟

فقام عثمان بن عفان رضوان الله عليه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبي ﷺ ، ثم قال : رأيى أنك ناصح لأهل هذا الـدين ، علـيهم شفيق ، فإذا رأيت رأيا علمته رشدا وصلاحا وخيرا فاعزم على إمضائه غير ظنين ولا متهم[١] .

وقال طلحة ، والزبير وسعد وأبو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد وجميع من حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار رضي الله عـنهم أجمعـين قالوا : صدق عثمان فيما قال ، ما رأيت من رأى فأمضه ، فإنا سامعون لك ، مطيعون لا نخالف أمرك ، ولا نتهم رأيك ، ولا نقصر عن دعوتك .
أما على بن طالب رضي الله عنه فظل صامتا لا يتكلم ، فقال له أبو بكر : مـا تـرى يا أبا الحسن ؟
فقال على بن طالب : أرى أنك مبارك الأمر ميمون النقيبة[٢] ، إنك إن سـرت إليهم بنفسك أو بعثت إليهم نصرت إن شاء الله .

١- يعنى : لا نظن بك التقصير ولا نتهمك في إخلاصك .
٢- النقيبة : هي الرأي والمشورة .

فقال أبو بكر : **بشرك الله بخير فمن أين علمت هذا ؟**

قال : **سمعت رسول الله ﷺ يقول : " لا يزال هذا الدين ظاهرا على كل من ناوأه حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون[1] " .**

فقال أبو بكر : **سبحان الله ما أحسن هذا الحديث ! لقد سررتنى سرك الله في الدنيا والآخرة .**

ثم إن أبا بكر رضي الله عنه قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه وذكره بما هو أهله وصلى على النبي ﷺ ثم قال :

" أيها الناس إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام وأعزكم بالجهاد ، وفضلكم بهذا الدين على أهل كل دين ، فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام ، فإنى مؤمر عليكم أمراء ، وعاقد لهم عليكم ، فأطيعوا ربكم ، ولا تخالفوا أمراءكم ، ولتحسن نيتكم ، وسيرتكم ، وطعمتكم ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون[2] ...

وأمر أبو بكر بلالا فنادى في الناس : أن انفروا إلى جهاد عدوكم بالشام[3] .

وهكذا ...

وافق الصحابة الذين اجتمع أبو بكر بهم على فتح بلاد الروم، وأبدوا بعض الملاحظات العملية لحركة الجيش الإسلامي وأهم هذه الملاحظات ما يلى :

ـ عدم إرسال الجيوش دفعة واحدة ، وإنما يتم إرسالها على دفعات .

لأن الطريق إلى بلاد الشام طويل ، ويحتاج إلى حماية وصيانة ، وفي توالى الحركة ضمان من الخيانة والغدر . وأيضا ففى التوالى إشعار الأعداد بكثافة القوات الإسلامية ... وكذلك فإن التوالى يكشف ما خفى على المسلمين سواء عند الروم ، أو عند العرب ، أو في ثنايا

١- البخارى ، كتاب الاعتصام ـ باب قول النبي ﷺ لا تزال طائفة من أمتى جـ١١ صـ١٠٣ .

٢- تاريخ دمشق لابن عساكر جـ٢ صـ٦٣ ـ ٦٥ .

٣- نفس المصدر جـ٢ صـ٦٣ ـ ٦٥ .

الطريق .

ـ بدء حرب الروم بالإغارة السريعة المباغتة ، والعودة السريعة إلى مقر تجمع الجيش . لأن ذلك يضر الروم لعدم تعودهم على قتال الكر والفر ، ويساعد المسلمين على نيل الغنائم ، ويوضح ما عليه الروم من قوة واستعداد ، ويحدد في كل غارة مكان وزمان ونوعية الغارة القادمة . وأيضا فإن هذا الأسلوب في القتال يجهد الروم ، ويؤدى بهم إلى الهزيمة حين تكون الحرب الشاملة .

ـ ضرورة الاستعانة في حرب الروم بقبائل العرب في الجزيرة العربية كلها ، من أقاصى اليمن ، وربيعة ، ومضر . ليكونوا مع المسلمين ، فهم قوة ، واشتراكهم في قتال الروم يعمق إيمانهم ، ويصهرهم في بوتقة الإيمان ، ويبعدهم عن التعصب والعنصرية .

ـ أهمية الاستفادة بالخبرات القتالية التي استفاد المسلمون بها في حروب الردة ، وفارس سواء من ناحية التخطيط ، أو الدفاع ، أو الهجوم ، وقد وضح الصحابة أراءهم لأبى بكر رضي الله عنه ووكلوا إليه تنفيذها على الوجه الذي يراه مناسبا وأكدوا أنهم لما يراه مطيعون .

وهكذا ...

استشار أبو بكر رضي الله عنه أصحابة فلما وافقوه أخذ في إعداد العدة . وتجهيز الجيوش .

ــ ثالثا ــ

دعــوة أهــل اليمــن

للجهــاد

استفاد أبو بكر رضي الله عنه من استشارة الصحابة حول حرب الــروم ، وأخــذ يعمل بما نصحوا به .

لم يكن للجيش الإسلامي ديوان ، أو ميزانية ، وإنما كان يتجمــع رجالــه حين تكون الدعوة للقتال والجهاد ، وكانت العدة والنفقة تخرج من بيت المال ، ومن تبرعات المسلمين .

وكانت الدعوة للجهاد توجه لأهل المدينة ، ومن سكن حولها ، وكان أغلب المجاهدين من قبائل العرب في المدينة ، والديار القريبة منها ... ولذلك رأينا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يطلب من أبى بكر رضي الله عنه أن يدعو أهــل الــيمن ملوكا وعامة ، ويدعو أيضا قبائل ربيعة بنجد ، وقبائل مضر بنجد والــيمن ، والمنتشرين في الجزيرة كلها . لكثرة أعداد هذه القبائل ، وممارساتها الطويلة للحرب والقتال،ولعلم أهل اليمن بفنون القتال كما رأوه في حروب الفرس والروم وحتى يشغل أهل هذه النواحى بحق الإسلام عليهم ، وبذلك تنهزم الهــواجس الشيطانية ويخلص الإيمان والإسلام في قلوب وعقول وحياة هؤلاء الناس .

رأى أبو بكر رضي الله عنه دقة رأى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فأرسل إلــى أهــل اليمن يدعوهم للمشاركة في الجهاد ، وكتب إليهم يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

من خليفة رسول الله إلى من قرئ عليه كتــابى هــذا مــن المــؤمنين والمسلمين من أهل اليمن :

ســلام عليكــم

فإنى أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعـد ...

إن الله تعالى كتب على المؤمنين الجهاد ، وأمرهم أن ينفروا خفافـا وثقـالا ويجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، والجهاد فريـضة مفروضـة ، والثواب عليه عند الله عظيم ، وقد استنفرنا المسلمين إلى جهاد الروم بالشام وقد سارعوا إلى ذلك ، وقد حسنت بـذلك نيـتهم ، وعظمـت حـسنتهم ، فسارعوا عباد الله إلى ما سارعوا إليه ، ولتحسن نيتكم فيـه ، فـإنكم إلـى إحدى الحسنيين ، إما الشهادة ، وإما الفتح والغنيمة ، فإن الله تبارك وتعالى لم يرض من عباده بالقول دون العمل ، ولا يزال الجهاد لأهل عداوته حتـى يدينوا بدين الحق ، ويقروا لحكم الكتاب ، وحفظ الله دينكم ، وهدى قلـوبكم وزكى أعمالكم ، ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين[١] .

وقد حمل رسالة الصديق لأهل اليمن أنس بن مالك رضي الله عنه وقام بإيـصالها إلى عامتهم و خاصتهم ، وأخذ ينتقل بين الأحياء ، والقبائل ، والبطون . يقرأ على كل منهم رسالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وقد رأى أنس بن مالك رضي الله عنه في اليمنيين استجابة سريعة صادقة لطلـب أبي بكر رضي الله عنه .

يقول أنس رضي الله عنه : **فكان كل من أقرأ عليه ذلك الكتاب ، ويسمع هذا القول يحسن الرد ويقول : نحن سائرون وكأنا قد فعلنا .**

وكان ملوك اليمن أسرع استجابة ، وأحسن قبولا ، فإن ذا الكلاع الحميرى أحد ملوك اليمن لما قرئ عليه الكتاب دعا بفرسه ، ونهض فـي قومـه مـن ساعته ، ولم يتأخر في ذلك ، وأمر بالتجمع في المعسكر . فما مضى وقـت حتى عسكر ، وعسكرت معه جموع كثيرة من أهل اليمن ... فقام فيهم خطيبا وقال لهم : **قد دعا إخوانكم الصالحون إلى جهاد المشركين واكتساب الأجـر العظيم ، فلينفر من أراد النفير معي الساعة .**

١- تاريخ فتوح الشام للأزدى ، صـ٤٨ ، تهذيب تاريخ دمشق جـ١ صـ١٢٩ .

عاد أنس بن مالك رضي الله عنه وبشر أبا بكر بقدوم القوم فقال : **قد أتوك شعثا غبرا أبطال اليمن وشجعانها وفرسانها ، وقد ساروا إليك بالذرارى والحريم والأموال[1] ، وما لبث إلا أياما حتى قدم ذو الكلاع الحميرى وقومه .**

ولم تكن هذه الاستجابة الفورية الراغبة خاصة بأهل (حمير) بل كل من جاء من اليمن كان على نفس المستوى ، وعلى سبيل المثال فقد قدم من (همدان) أكثر من ألفى رجل ، وعليهم حمزة بن مالك الهمدانى[2] .

وعندما قدم أهل اليمن على المدينة دخلوا المسجد على أبى بكر رضي الله عنه فلما سمعوا القرآن اقشعرت جلودهم من خشية الله ، وجاشت أنفسهم ، وجعلوا يبكون خاشعين ، فبكى أبو بكر وقال : **هكذا كنا ثم قست القلوب[3]** .

وعندما رأى ذو الكلاع الحميرى الصديق وجده شيخا نحيلا ، معروق الوجه ، وعليه ثوب خشن ، ولا شئ يسطع من ثيابه ! لا شئ على الإطلاق غير الورع يفيئ من وجهه الأبيض ، وكان قبل أن يلقاه يتصوره واحدا من ملوك هذا الزمان ، في مظهره ، وصولجانه ، وسلطانه .

وكان ذو الكلاع قدم على الصديق من اليمن ومن خلفه ومن حوله ألف من الفرسان ، وعلى رأسه التاج ، وعلى حلته الجواهر المتلألئة ، وبردته تسطع بخيوط الذهب المرصع باللآلى والياقوت ، والمرجان ، فلما شاهد ما عليه الصديق من اللباس والزهد والتواضع و النسك ، وما هو عليه من الوقار والهيبة تأثر ذو الكلاع ومن معه من السادة فذهبوا مذهب الصديق ، ونزعوا ما كان عليهم[4] ، وبذلك سكن الإيمان قلوبهم . وسيطر على مظهرهم وعملهم .

وقد تأثر ذو الكلاع بالصديق ، وتزيا بزيه ، واستمر على ذلك حتى إنه رئى

١- اليمن في صدر الإسلام صـ ٣٠٢ .

٢- اليمن في صدر الإسلام صـ ٤٠٢ .

٣- الصديق أول الخلفاء ، صـ ١١٤ ؛ أبو بكر للطنطاوى ، صـ ٢١٨ .

٤- مروج الذهب للمسعودى جـ ٢ صـ ٣٠٥ .

يوما في سوق من أسواق المدينة على كتفيه جلد شاة ففزعت عشيرته .

وقالوا له : فضحتنا بين المهاجرين والأنصار !

قال : أتريدون أن أكون جبارا في الجاهلية جبارا في الإسلام ؟ لا ها الله (أى لا والله) لا تكون طاعة الرب إلا بالتواضع والزهد في هذه الدنيا[١] .

وصنعت ملوك اليمن كما صنع ذو الكلاع الحميرى ، فتخلوا عن التيجان المثقلة بالجواهر ، وتركوا حلل المخمل الموشى بخيوط الذهب ، والياقوت ، والدر ، والمرجان ، واشتروا من سوق المدينة ثيابا خشنة ، ووضع الصديق في بيت المال ما تخلو عنه جميعا من نفائس[٢] .

وقد انضم عرب اليمن إلى ربيعة ومضر ، وتهيأت الجزيرة كلها للجهاد وأجابوا دعوة أبى بكر رضي الله عنه .

١- نفس المصدر جـ٢ صـ٣٠٥ .

٢- الصديق أول الخلفاء صـ ١٣٧ ، ١٣٨ .

ــ رابعا ــ

خطـــــة

الجهاد في بلاد الروم

استفاد أبو بكر رضي الله عنه من نصيحة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تسيير قــوات المجاهدين متتابعة فأعدها ، وسيرها جيشا وراء جيش ، وسربا يليه سرب آخر وهكذا ... وأخذت الجيوش الإسلامية تتحرك وفق خطة مرتبة وضعها الخليفة أبو بكر رضي الله عنه وحركها إلى الأماكن التي عينها لها ...

وقد تحركت الجيوش على النحو التالي :

حركة الجيش الأول

جهز أبو بكر رضي الله عنه هذا الجيش من ثلاثة آلاف مقاتل ، ووجهه إلى بــلاد الشام ، وحدد مهمته في فتح " دمشق " ومساندة ومساعدة الجيوش الأخرى .

وقد أمر أبو بكر على الجيش الأول يزيد بن أبى سفيان رضي الله عنه ، وجعلــه أول الجيوش حركة إلى بلاد الروم ... وبعد مساره عززه بأربعة آلاف مجاهد فبلغ العدد سبعة آلاف .

ودع أبو بكر رضي الله عنه هذا الجيش ، وسار معه ماشيا ، ووجه نصيحة غالية لقائد الجيش على رءوس الأشهاد ليستفيد بها القائد ، وكل من يسمعها معه ...

وفى النصيحة قال أبو بكر رضي الله عنه :

إني قد وليتك لأبلوك ، وأجربك ، وأخرجك ، فإن أحسنت رددتــك إلــى عملك وزدتك وإن أسأت عزلتك ، فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل الذي من ظاهرك ، وإن أولى الناس بالله أشدهم توليا له ، وأقرب النـاس من الله أشدهم تقربا بعمله ، وقد وليتك عمل خالد بن سعيد .

فإياك وعبية الجاهلية ، فإن الله يبغضها ويبغض أهلها .

وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم ، وابدأهم بالخير ، وعدهم إياه .

وإذا وعظتهم فأوجز فإن كثير الكلام ينسى بعضه بعضا .

وأصلح نفسك يصلح لك الناس .

وصل الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها ، وسجودها ، والتخشع فيها .

وإذا قدم عليكم رسل عدوك فأكرمهم ، وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ، ولا ترينهم فيروا خللك ، ويعلموا عملك ، وأنزلهم في ثروة عسكرك ،وامنع من قبلك من محادثتهم ،وكن أنت المتولى لكلامهم.

ولا تجعل سرك لعلانيك فيخلط أمرك .

وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة ، ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك .

واسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار ، وتنكشف عندك الأستار .

وأكثر حرسك،وبددهم في عسكرك،وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك،فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه،وعاقبه في غير إفراط.

وأعقب بينهم بالليل ، واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة ، فإنها أيسرهما لقربها من النهار .

ولا تخف من عقوبة المستحق ، ولا تجبن فيها ، ولا تسرع إليها ، ولا تتخذ لها مدافعا .

ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده ، ولا تتجسس عليهم فتفضحهم ، ولا تكشف الناس عن أسرارهم واكتف بعلانيتهم .

ولا تجالس العابثين ، وجالس أهل الصدق والوفاء .

واصدق اللقاء ولا تجبن فيجبن الناس .

واجتنب الغلول فإنه يقرب الفقر ، ويدفع النصر ، وستجدون أقواما حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له[١] .

١- الكامل لابن الأثير جـ ٢ صـ ٦٤ ، ٦٥ .

حركة الجيش الثاني

جهز أبو بكر رضي الله عنه الجيش الثاني وأعده حتى بلغ عدده أربعة آلاف مقاتل وولى أبو بكر على هذا الجيش شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه ، وأمره أن يسير بعد ثلاثة أيام من سير الجيش الأول ، وأن يتجه إلى " تبوك " و " البلقاء " ثم إلى " بصرى " بعد ذلك ...

وقد قال أبو بكر لقائد الجيش : **يا شرحبيل ، أسمعت وصيتي ليزيد بن أبي سفيان ؟**

قال : نعم

قال أبو بكر : فإني أوصيك بمثلها ، وأوصيك بخصال غفلت عن ذكرها ليزيد ... أوصيك بالصلاة في وقتها ، وبالصبر يوم البأس ، حتى تظفر أو تقتل ، وبعيادة المريض ، وبحضور الجنائز ، وذكر الله كثيرا على كل حال .

فقال شرحبيل : الله المستعان، وما شاء الله أن يكون كان[1] .

حركة الجيش الثالث

أعد أبو بكر رضي الله عنه هذا الجيش ، وجهزه ، وولى عليه أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ... وحدد له الهدف المقصود وهو الاستيلاء على مدينة " حمص" بالشام ، وحركه بعد أربعة أيام من حركة الجيش الثاني .

وقد اتخذ الجيش موقعه على يسار الجيش الأول ، ويمين الجيش الثاني وقد أوصى أبو بكر رضي الله عنه أبا عبيدة وقال له :

اسمع سماع من يريد أن يفهم ما قيل له ثم يعمل بما أمر به ، إنك تخرج في أشراف الناس ، وبيوتات العرب ، وصلحاء المسلمين ، وفرسان الجاهلية كانوا يقاتلون إذ ذاك على الحمية ، وهم اليوم يقاتلون على الحسبة والنية الحسنة ، أحسن صحبة من صحبك ، وليكن الناس عندك في الحق سواء ،

١- فتوح الشام صـ ١٥ .

واستعن بالله وكفى بالله معينا ، وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ، اخرج من غد إن شاء الله[١] .

وقد انضم لجيش أبى عبيدة قائد عربى مشهور هو " قيس بن هبيرة بن مسعود المرادى " فأوصى أبو بكر رضي الله عنه أبا عبيدة رضي الله عنه بهذا القائد خيرا ، وقال لأبى عبيدة :

إنه قد صحبك رجل عظيم الشرف ، فارس من فرسان العرب ، ليس بالمسلمين غناء عن رأيه ومشورته وبأسه في الحرب فأدنه وألطفه ، وأره أنك غير مستغن عنه ، ولا مستهين بأمره ، فإنك تستخرج بذلك نصحيته لك وجهده وجده على عدوك[٢] .

ودعا أبو بكر رضي الله عنه قيس بن هبيرة فقال له :

إنى بعثتك مع أبى عبيدة الأمين الذي إذا ظلم لا يظلم ، وإذا أسئ إليه غفر ، وإذا قطع وصل ، رحيم بالمؤمنين ، شديد على الكافرين ، فلا تعصين له أمرا ولا تخالفن له رأيا ، فإنه لن يأمرك إلا بخير ، وقد أمرته أن يسمع منك فلا تأمره إلا بتقوى الله ، فقد كنا نسمع أنك شريف ذو بأس سيد مجرب في زمان الجاهلية الجهلاء إذ ليس فيهم إلا الإثم ، فاجعل بأسك وشدتك ونجدتك في الإسلام على المشركين وعلى من كفر بالله وعبد معه غيره ، فقد جعل الله في ذلك الأجر العظيم والثواب الجزيل والعز للمسلمين .

فقال قيس بن هبيرة : إن بقيت وأبقاك الله فسيبلغك عنى من حيطتى على المسلم وجهدى على الكافر ما تحب ويسرك ويرضيك .

فقال له أبو بكر رضي الله عنه : افعل ذلك رحمك الله[٣] .

فلما بلغ أبا بكر مبارزة قيس بن هبيرة للبطريقين بالجابية وقتله إياهما قال:

١– فتوح الشام للأزدى ، صـ ١٧ .

٢– المرجع السابق صـ٢٧ .

٣–المرجع السابق صـ٢٨ .

صدق قيس وبر ووفى[1] .

حركة الجيش الرابع

أعد أبو بكر رضي الله عنه هذا الجيش وأمر عليه عمرو بن العاص رضي الله عنه في جند بلغ عدده سبعة آلاف مجاهد ، ووجهه نحو فلسطين .

وقد أخذ أبو بكر رضي الله عنه رأى عمرو في توليه القيادة قبل أن يعينه فرد عليه عمرو بن العاص رضي الله عنه وقال :

إنى سهم من سهام الإسلام ، وأنت بعد الله الرامى بها ، الجامع لها ، فانظر أشدها ، وأخشناها ، وأفضلها فارم به .

وقد اشترك في جيش عمرو عدد من كبار الصحابة منهم الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو ، وعكرمة بن أبى جهل ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين .

ودع أبو بكر رضي الله عنه الجيش وقال لقائده عمرو بن العاص :

يا عمرو إنك ذو رأى وتجربة بالأمور ، وبصر بالحرب ، وقد خرجت مع أشراف قومك ، ورجال من صلحاء المسلمين ، وأنت قادم على إخوانك فلا تألهم نصيحة ، ولا تدخر عنهم صالح مشورة ، فرب رأى لك محمود في الحرب مبارك في عواقب الأمور .

فقال عمرو بن العاص رضي الله عنه :

ما أخلقنى أن أصدق ظنك وأن لا أقيل رأيك[2] .

وتحركت الجيوش إلى المناطق المحددة لها ، وبدأت في العمل وفق الخطة الموضوعة .

١- فتوح الشام للأزدى ، صـ ٢٦ .

٢- فتوح الشام للأزدى ، صـ ٤٨ ـ ٥١ .

ـ خامسا ـ

حركة القوات الرومانية المعادية

أعد الروم جيشهم لمقاومة فارس ، ولم يكن للعرب في تقديرهم حساب ، فلما ظهر العرب ، واشتد بأسهم كبر عليهم ذلك وعملوا على تلقين العرب درسا ، لا يحتاج لمزيد ، فأعدوا لهم جيشا ضخما وزعوه على مختلف مناطق بلاد الشام ليكون تأديب العرب شاملا ، وتصوروا أن بلوغ الغاية التي خرجوا لها ، واستعدوا من أجلها أمر يسير ، لتصورهم ضعف العرب ، وهوانهم ، وما دروا أن الإسلام أخرج من العرب أمة جديدة ، لها خصائصها الفريدة المتميزة .

وقد تمركز جيش الروم في الأماكن التالية :

أ- **أنطاكية :** وهى عاصمة الشام في العهد الرومى .

ب- **قنسرين :** وتقع بين حماة وحلب على مسافة خمسة وعشرين كيلو مترا جنوبى غربى حلب ، وهى حدود بلاد الشام التي تحاذى فارس في الشمال الغربى .

ج- **حمص :** ويمتد نفوذها العسكرى حتى تدمر ، وصحراء الشام ، وهى حدود بلاد الشام التي تحاذى فارس من الشمال الشرقى .

د- **عمان :** قاعدة البلقاء وفيها قلعة محصنة .

ه- **أجنادين :** قاعدة الروم العسكرية في جنوب فلسطين وعلى حدود بلاد العرب الشرقية والغربية ، وعلى حدود مصر .

و- **قيسارية :** في شمال فلسطين وتبعد عن حيفا ثلاثة عشر كيلو مترا ولا تزال أنقاضها قائمة حتى الآن .

أما مقر القيادة العامة فقد جعلوه فى أنطاكية وحمص لتوسطها في بلاد الشام ، وقربها من البحر ، ووجود طرق معبده تربطها بالدولة الرومانية ،

وعندما شهد قائد الروم (هرقل) الذي كان يشرف على الموقف بنفسه في (إيليا) توغل الجيوش الإسلامية ، في الولايات الرومانية ، هاله الأمر فأصدر أوامره إلى قواته بالتوجه لتدمير هذه الجيوش ، ووضع خطة مواجهة الجيوش الإسلامية كالآتى :

- يتراجع الروم أمام المسلمين ويتخلوا لهم عن الحدود الشامية الحجازية لعدم أهميتها للروم ، وحتى يتمكنوا من التركيز في المناطق الأخرى .
- تتجمع وحدات الجيش الأول الرومى في فلسطين بعد تعزيزها بقيادة سرجون .
- تتجمع وحدات الجيش الثانى في أنطاكيا بقيادة تيدور .
- تتحرك هذه الجيوش وتهاجم أمراء الإسلام الأربعة الواحد بعد الآخر ، وذلك لتسهيل تصفية جيوش الإسلام على انفراد .

ويلاحظ في هذه الخطة أنه ركز جيوش الرومان في مناطق متقاربة ، متصلة ووضعها فى إطار منطقة فلسطين وحدها ، لأنه جعل هدفه طرد المسلمين من فلسطين ، وبذلك يحرم المسلمين من الشام كلها ، لأن فلسطين هى مفتاح المسلمين للسيطرة على الشام كلها ، وقد قسم " هرقل " جيشه إلى فرق ضخمة ، وحدد لكل مجموعة من الفرق غاية محددة ، وأخذ يحرض الجنود على الصبر والقتال ، وعلى ضرورة تحقيق النصر ، للمحافظة على الإمبراطورية ، والقضاء على هؤلاء العرب .

وعلى أساس هذه الخطة التي وضعها هرقل تحركت جيوش الروم حسب الترتيب الآتى[١]:

- توجيه " تذارق " في تسعين ألفا للقضاء على جيش عمرو بن العاص ﷺ الموجود عند نهر " الأردن " .

١- معارك خالد بن الوليد ، العميد ياسين سويد ، صـ ٧٧ ، ٧٨ .

- توجيه بن توذر إلى يزيد بن أبى سفيان المتجه إلى دمشق .
- توجيه القبقار بن ننطوس في ستين ألفا إلى جيش أبى عبيدة المتجه نحو (حمص) للاستيلاء عليها .
- توجيه الدارقص نحو شرحبيل بن حسنة[١] المتجه إلى حدود فلسطين الجنوبية عند " تبوك " .

ومما يذكر أن الجيش الرومى كان قوى التسليح ، وله نظامه ، وتقاليده التي عاش فيها مدة طويلة ، وهو بهذه الكثرة العددية صار يمثل عقبة أمام تقدم الجيوش الإسلامية ، وأصبح من الضرورة وضع خطة جديدة لمواجهة زحف جيوش الروم تتضمن الإعداد المعنوى ، والتنظيم الحركى ، والتواصل أثناء الهجوم ، والتشاور المستمر بين القادة المسلمين .

ولم يبتعد أبو بكر رضي الله عنه عن واقع الجيوش الإسلامية ، واستمر يمثل في المدينة المنورة قاعدة الانطلاق والتوجية ، ومتابعة أخبار المجاهدين .

وحين ننظر فى حركة أبى بكر رضي الله عنه إزاء هذا الواقع نرى أنه اهتم بإعداد جنوده ، وإرسال المدد المتواصل لهم ، وأنه رضى الله عنه اهتم بتقوية الروح الإيمانية لدى جنوده لأن ذلك أساس النصر والفوز ، واهتم أبو بكر رضي الله عنه بتوجيه الحرب بصورة كاملة ، فلقد كانت الأخبار تأتيه من الميدان فيعرضها للدراسة والتحليل ، ويشاور كبار الصحابة ، ويصدر أوامره للرجال في الميدان حتى تحقق له النصر بمعونة الله تعالى .

١- العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين صـ ١٤٧ .

ـ سادسا ـ

الإعـــداد المعنـــوى للمجاهـــدين

سارت الجيوش الإسلامية الأربعة نحو أهدافها المحددة ، وفتحت العديد من البلدان التي قابلتها في الطريق .

فقد واصل الجيش الأول طريقة إلى دمشق ، واقترب منها .

وتمكن الجيش الثانى من التوغل في البلقاء ، وأخذ في حصار بصرى .

وتمكن الجيش الثالث من تأمين ما قابله في الطريق من بلدات ، وقبائل في وادى القرى ، ومدن صالح ، وذات منار ، وزيزا ، ومأمؤاب ، ثم تقدم نحـــو الجابية ، وعقد أول صلح مع الروم عند " مأمؤاب " .

بعد هذه الانتصارات السريعة للجيوش الإسلامية اهتم الروم بحشد الجيوش والنشاط في المواجهة والقتال ، وقد استفادوا بحصونهم ، وقلاعهم التي أعدوها للحرب ، مع اختراعهم كثيرا من الأسلحة والعتاد .

بدأ الروم في تنفيذ خطتهم لطرد المسلمين وهزيمتهم ، وجـــاءت الأخبـــار للمسلمين بما أعده الروم لهم فكتب قادة الجيوش الأربعة لأبى بكر ﷺ يبينون له الوضع ويطلبون المدد والعون ، وينتظرون منه أوامر الحركة والقتال .

أدرك أبو بكر ﷺ حاجة الجيوش الإسلامية إلى المدد ، ورأى ضرورة المحافظة على روحهم الجهادية العالية ، وأهمية التواصل معهـــم ، فاســـتقبل كتبهم ، ورد عليها بما يساعد في الإعداد المعنوى للمجاهدين .

كتب أبو عبيدة بن الجراح ﷺ لأبى بكر يقول له :

بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد الله أبى بكر خليفة رسول الله من أبى عبيدة بن الجراح .

سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعــد ...

فإنا نسأل الله أن يعز الإسلام وأهله عزا متينا ، وأن يفــتح لهــم فتحــا يسيرا ، فإنه بلغنى أن هرقل ملك الروم نزل قرية من قــرى الــشام تــدعى (أنطاكية) ، وأنه بعث إلى أهل مملكته فحشرهم إليه ، وأنهم نفروا إليه على الصعب والذلول ، وقد رأيت أن أعلمك ذلك فترى فيه رأيك والــسلام عليــك ورحمة الله وبركاته .

فكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعــد ...

فقد بلغنى كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه ، من أمر هرقل ملــك الــروم ، فأما منزله بأنطاكية فهزيمة له ، ولأصحابه ، وفتح من الله عليــك وعلــى المسلمين ، وأما ما ذكرت من حشره لكم أهل مملكته ، وجمعه لكم الجموع ، فإن ذلك ما قد كنا وكنتم تعلمون أنه سيكون منهم ، وما كان قــوم ليــدعوا سلطانهم ، ويخرجوا من ملكهم بغير قتال ، وقد علمت والحمد لله قد غزاهم رجال كثير من المسلمين ، يحبون الموت حب عدوهم للحياة ، ويرجون من الله في قتالهم الأجر العظيم ، ويحبون الجهاد في سبيل الله أشد مــن حــبهم أبكار نسائهم ، وعقائل أموالهم ، الرجل منهم عند الفتح خير من ألف رجــل من المشركين فألقهم بجنودك ، ولا تستوحش لمن غاب عنك من المسلمين ، فإن الله معك ، وأنا مع ذلك ممدك بالرجال ، حتى تكتفى ولا تريد أن تــزداد إن شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1] .

وكتب يزيد بن أبى سفيان إلى أبى بكر رضي الله عنه بنفس مضمون كتــاب أبــى عبيدة بن الجراح ، ورد أبو بكر على يزيد رضي الله عنهم جميعا ، بقوله :

١- التاريخ الإسلامي جـ٩ صـ٢١٣ نقلا عن فتوح الشام للأزدى صـ ٣٠ ، ٣١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعـــد ...

فقد بلغني كتابك تذكر فيه تحول ملك الروم إلى أنطاكية ، وأن الله ألقـــى الرعب في قلبه من جموع المسلمين ، فإن الله ـــ و له الحمد ـــ قد نصرنا ونحن مع رسول الله بالرعب ، وأمدنا بملائكته الكرام ، وإن ذلك الدين الذي نصرنا الله به الرعب ، هو هذا الدين الذي ندعو الناس إليه اليوم ، فوربك لا يجعل الله المسلمين كالمجرمين ، ولا من يشهد أن لا إله إلا الله كمن يعبـــد معه آلهة آخرين ، ويدين بعبادة شتى .

فإذا لقيتموهم فانهد إليهم بمن معك ، وقاتلهم فإن الله لن يخذلك ، وقـــد نبأنا الله تبارك وتعالى أن الفئة القليلة منا تغلب الفئة الكثيرة بإذن الله .

وأنا مع ذلك ممدك بالرجال في إثر الرجال حتى تكتفوا ، ولا تحتاجوا إلى زيادة إنسان إن شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله[١] .

وجاء كتاب من عمرو بن العاص بخصوص جموع الروم إلى أبى بكر ، ورد عليه أبو بكر رضي الله عنه فقال :

الســـلام عليـــك

أما بعـــد ..

فقد جاءني كتابك تذكر فيه ما جمعت الروم من الجمـــوع ، وإن الله لـــم ينصرنا مع نبيه ﷺ بكثرة جنود ، وقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ وما معنا إلا فرسان ، وإن نحن إلا نتعاقب الإبل ، وكنا يـــوم أحـــد مـــع رســـول الله وما معنا إلا فرس واحد ، كان رسول الله يركبه ولقد كان يظهرنـــا ويعيننـــا على من خالفنا ، واعلم يا عمرو أن أطوع الناس لله أشدهم بغضا للمعاصى فأطع الله ومر أصحابك بطاعته[٢] .

١- فتوح الشام للأزدى صـــ ٣٠ ، ٣٣ نقلا عن الحميدى .

٢- خطب أبى بكر الصديق ، محمد أحمد عاشور ، صـــ ٩٢ .

وبدأت قبائل الجزيرة ترسل بنيها إلى المدينة ليضمهم الخليفة للمجاهدين في بلاد الشام .

وأوصى أبو بكر أهل المدينة بحسن استقبالهم ، وتحمل بعض عاداتهم ، وخشونتهم .

ـ سابعا ـ

المعارك الكبرى

بين المسلمين والرومان

في عهد أبى بكر رضي الله عنه

هب الروم لمواجهة المسلمين ، وجمعوا حشودا غفيرة ، جهزوها بعتاد كثير ، وتحركوا لملاقاة الجيوش الإسلامية .

علم المسلمون بتحرك الروم ، فأرسلوا من قبلهم رجالا جاءوهم بما عليه الروم من عدد ، وعدة ... ولذلك عقد القادة المسلمين مؤتمرا بـ " الجولان " وتداولوا الأمر فيما بينهم ، وقرروا ما يلي :

أ- الانسحاب التام من كافة الأراضى التي استولوا عليها من الرومان .

ب- أن تتجمع الجيوش الإسلامية في مكان واحد .

ج-أن تكون اليرموك مكان التجمع ، ومركز القيادة .

د- أن يتم الانسحاب سرا ، مع تجنب الاشتباك بالعدو .

ه- التدرج في الانسحاب ، وأن يكون ليلا في الأغلب حتى لا يشعر العدو بانسحاب المسلمين .

كتب القواد بالقرارات التي رأوها إلى أبى بكر رضي الله عنه ، فوافقهم عليها ...

رأى أبو بكر رضي الله عنه ضرورة توحيد القيادة ما دامت الجيوش قد توحدت ، فأمر القواد الأربعة أن يقاتلوا متساندين ، كل منهم على فرقته ،ويعاون زملاءه

ويشاورهم ، على أن يعملوا في خط واحد .

كتب أبو بكر رضي الله عنه إلى قادة الجيوش الإسلامية يقول : " **اجتمعوا وكونوا جندا واحدا ، وألقوا جنود المشركين ، فأنتم أنصار الله ، والله ناصر من نصره ، وخاذل من كفر به ، و لن يؤتى مثلكم عن قلة ، و لكن من تلقاء الذنوب فاحترسوا منها**[١] " .

ورأى أبو بكر رضي الله عنه أن قتال الروم يحتاج إلى قائد خبير بالحرب ، محنك في القتال ، له شهرته في التخطيط ، والتدبير ، والمواجهة ... وأخذ يبحث في أصحابه فوجد خالد بن الوليد رضي الله عنه أهلا لهذه القيادة ، فقال : **والله لأشغلن الروم عن وساوس الشيطان بخالد بن الوليد .**

إن القواد الأربعة يتمتعون بمزايا شخصية ، فأبو عبيدة يتمتع بالقوة والإقدام ، وعمرو يتميز بالذكاء والحنكة ،وعكرمة يتميز بالهدوء والحكمة ، ويزيد يتميز بالشجاعة والإقدام .وكل تلك صفات ومزايا لابد منها في قتال الروم ... إلا أنها تحتاج لأن يتصف بها شخص واحد ليختار الأولى في المواجهة ، ويتحرك بكل هذه المزايا والصفات في خطوط متوازنة ، وحركات يكمل بعضها بعضا .

رأى أبو بكر رضي الله عنه أن هذه الصفات يتمتع بها خالد بن الوليد رضي الله عنه فأمره أن يتجه بنصف الجنود إلى الشام ، ويترك النصف الآخر مع المثنى في بلاد الفرس ، وأخبره بضرورة انضمامه للجيوش الإسلامية .

تحرك خالد نحو الشام حتى نزل على " **عين التمر** " ، فأغار على أهلها فأصاب منهم ، ثم أغار على جموع من تغلب ، وكلب على ماء يسمى قراقر . ثم واصل السير من قراقر إلى سوى ، وهو ماء لبهراء من ناحية السماوة .

وقراقر ماء لبنى كلب و بينهما خمسة أيام للراكب المفرد المخف ، وإنما أراد خالد هذا الطريق لأنه إذا مر في العمران ، ودار حول المفازة ، وجد

١- البداية والنهاية جـ٧ صـ٦ .

جموع الروم في طريقه ؛ وذلك يدعوه إلى منازلتهم ، فيتأخر عن الموعد الذي يريده ، وهو إغاثة المسلمين باليرموك ، فالتمس دليلا يسلك به المفازة فدل على رافع بن عميرة الطائى ، **فأراده خالد على الانطلاق بالناس .**

فقال رافع : **إنك لن تطيق ذلك بالخيل و الأثقال ، و الله إن الراكب المفرد ليخافها على نفسه ، وما يسلكها إلا مغررا . إنها لخمس ليال جياد ، ولا يصاب فيها ماء مع مضلتها .**

فقال خالد : **ويحك إنه والله إن لى بد من ذلك إنه قد أتتنى من الأمير عزمة بذلك فمر بأمرك .**

قال : **استكثروا من الماء ، من استطاع منكم أن يصر إذن ناقته على ماء فليفعل فإنها المهالك إلا ما دفع الله .**

وقال لخالد : **أبغنى عشرين جزورا عظاما سمانا .**

فأتاه خالد بهن فظمأهن ، حتى إذا أجهدن عطشا أوردهن فشربن حتى إذا امتلأن عمد إليهن فكممهن لئلا يجترون ، ثم أخلى أدبارهن ، ثم قال لخالد : **سر فسار بالناس مغذا بالخيول والأثقال .**

فكلما نزل نزلا اقتط أربعا من تلك الشوارف ، فأخذ ما في أكراشها فخلطه بما كان من لبن ثم سقى الخيل ، وسقى الناس مما حملوا معهم من الماء . فلما كان آخر يوم خشى خالد على أصحابه فقال لرافع : **ما عندك ؟**

قال : **أدركت الرى إن شاء الله ليطمئن الناس .**

فلما دنا من العلمين قال للناس: **انظروا هل ترون شجيرة من عوسج كقعدة الرجل ؟**

فوجدوا جذمها بعد جهد فأشار عليهم بأن يحفروا في أصلها فحفروا فخرجت لهم أوشال فشربوا ، وسقوا ظهرهم ، واتصلت بعد ذلك لخالد المنازل وقد قال بعض القوم في ذلك :

لله عينا رافع إنى أهتدى ... فوز من قراقر إلى سوى

خمسا إذا ما سارها الجيش بكى ما سارها قبلك أنسى يرى

ولم يكد خالد يصل إلى سوى حتى صبح بهراء بالقتال ، وهم لا يظنون أن أحدا يأتيهم من هذه المفازة المهلكة ، فدهمهم وبعضهم في صبوحه .

ثم أتى أراك فصالحوه .

ثم أتى تدمر فتحصن أهلها ثم صالحوه .

ثم أتى القريتين على مرحلتين من تدمر فقاتلهم فظفر بهم وغنم .

وأتى قصم فصالحه بنو شجعة من قضاعة .

وسار فوصل إلى ثنية العقاب عند دمشق ناشرا راية سوداء كانت لرسول الله ﷺ تسمى العقاب .

ثم أتى (مرج راهط) فصبح غسان في يوم فصبحهم فقتل وسبى .

ثم سار إلى بصرى فقاتل من بها فظفر بهم ، و صالحهم[١] فهى أول مدينة فتحت صلحا بالشام، على يد خالد،وجند العراق .ثم بعث بالخمس إلى أبى بكر ثم سار فأطل على المسلمين في ربيع الآخر وطلع " باهان " على الروم ومعه القسوس والشمامسة فكان كل حزب مستبشرا فرحا بما جاءه من المدد .

والمؤرخون يختلفون هنا في مسألة تعيين خالد للقيادة ، حيث يرى الطبرى وابن عساكر والمقدسى أن أبا بكر رضي الله عنه عينه قائدا عاما للمسلمين ، ويرى ابن الأثير والبلاذرى وغيرهما أن أبا بكر اكتفى بإرساله إلى الشام ، وهو يعلم أن المسلمين سيقدمونه عليهم ، ليقودهم نحو النصر والغلب ، وهذا هو الراجح كما توضحه الأحداث التالية .

وقد كتب أبو بكر كتابا لأبى عبيدة رضي الله عنه يقول فيه :

أما بعـد ...

فإنى قد وليت خالدا قتال الروم بالشام فلا تخالفه واسمع له وأطع أمره ، فإنى وليته عليك وأنا أعلم أنك خير منه ، ولكن ظننت أن له فطنة فى الحرب

١- البداية والنهاية جـ٧ صـ٧ .

ليست لك،أراد الله بنا وبك سبيل الرشاد،والسلام عليك ورحمة الله وبركاته[١].

وأرسل خالد بن الوليد أيضا خطابا لأبى عبيدة جاء فيه :

لأبى عبيدة بن الجراح من خالد بن الوليد . سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو

أما بعد ...

فإنى أسأل الله لنا ولك الأمن يوم الخوف والعصمة في دار الدنيا ، فقد آتانى كتاب خليفة رسول الله يأمرنى فيه بالمسير إلى الشام وبالمقام على جندها ، والتولى على أمرها ، والله ما طلبت ذلك ولا أردته ، ولا كتبت إليه فيه ، وأنت رحمك الله على حالك الذي كنت به : لا تعصى في أمرك ، ولا يخالف رأيك ، ولا يقطع أمرا دونك ، فأنت سيد من سادات المسلمين ، لا ينكر فضلك ، ولا يستغنى عن رأيك ، تمم الله ما بنا وبك من نعمة الإحسان ، ورحمنا وإياك من عذاب النار ، والسلام عليك ورحمة الله[٢] .

وكان مع حامل الرسالة خطاب من خالد موجها إلى المسلمين بالشام جاء فيه بعد حمد الله تعالى ، والثناء عليه بما هو شأنه قال خالد :

أما بعد ...

فإنى أسأل الله الذي أعزنا بالإسلام،وشرفنا بدينه،وأكرمنا بنبيه محمد ﷺ وفضلنا بالإيمان ، رحمة من ربنا لنا واسعة ، ونعمة منه علينا سابغة أن يتم ما بنا وبكم من نعمته ، واحمدوا الله عباد الله يزدكم ، وارغبوا إليه في تمام العافية يدمها لكم ، وكونوا له على نعمه من الشاكرين .

وإن كتاب خليفة رسول الله أتانى يأمرنى بالمسير إليكم ، وقد شمرت وانكمشت وكأن خيلى قد أطلت عليكم في رجال ، فأبشروا بإنجاز موعود الله وحسن ثوابه عصمنا الله وإياكم بالإيمان ، وثبتنا وإياكم على الإسلام ،

١- مجموعة الوثائق السياسية صـ ٣٩٢ ، ٣٩٣ .

٢- نفس المصدر صـ ٣٩٢ .

ورزقنا وإياكم حسن ثواب المجاهدين والسلام عليكم[1] .

فلما قدم عمرو بن الطفيل بن عمرو الأزدى رضي الله عنه على المسلمين وقــرأ عليهم خطاب خالد بن الوليد وهم بالجابية دفع إلى أبى عبيدة كتابــه ، فلمــا قرأه قال : بارك الله لخليفة رسول الله فيما رأى وحيا الله خالدا بالسلام[2] .

وهكذا تغيرت الأمور ، وعلم الجميع بقدوم خالد ، فسروا بذلك .

ووقعت بعض المعارك بين الروم والمسلمين قبل أن يلقى أبو بكــر رضي الله عنه ربه . وهى :

المعركة الأولى

معــركة العــرابــة[3]

وقعت أول معركة بين المسلمين والروم في أرض الشام عند قرية تــسمى " العرابة " بين خليج العقبة ، والبحر الميت بفلسطين ، وقد انتصر فيها عمرو ابن العاص بفرقته على جيش رومانى قدرت قواته بثلاثة آلاف .

ولما علم (سر جيوس) حاكم " القدس " بهزيمة قومه أسرع لنجدتهم فالتقى به عمرو عند مكان قريب من غزة فهزمه وقتله .

ثم رأى عمرو من قوة الروم وكثرة عددهم وتــصميمهم علــى مقاومــة المسلمين ما جعله يغير الخطة المرسومة .

رأى عمرو أن أعداد جيش الروم كثيرة وباستطاعتهم توزيع قواتهم علــى كل ميدان بشكل يتعب المسلمين فقرر حينئذ الرجوع بجنده إلــى " العرابــة " ليكون قريبا من بقية القواد ، ثم كتب إلى زملائه القواد ، يبين لهم أن توزيــع المسلمين في عدة جبهات من مصلحة الروم لا العرب ، واقتــرح علــيهم أن يجتمعوا فاستحسنوا رأية ، واتفقوا على أن تجتمع الجيوش الإسلامية كلها عند

١- فتوح الشام للأزدى صـــ ٦٨ ـــ ٧٢ نقلا عن الحميدى .

٢- نفس المصدر صـــ ٦٨ ـــ ٧٢ .

٣- العرابة : بلدة صغيرة مطلة على البحر الأبيض من أعمال " عكا " وتقع اليوم في " إسرائيل " .

اليرموك ، وكتبوا إلى الخليفة بالخطة الجديدة وطلبوا الإمداد . فوافق الخليفة أبو بكر على الخطة الجديدة بشرط أن يظل كل أمير مع جنده يصلي[1] بهم ، ويستمر على ولايته إن خلصت للمسلمين .

وكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد أمير الفتح في العراق وأمره أن يستخلف المثنى على من يتركه معه من الجند وليذهب مسرعا لنجدة المسلمين في الشام وقال أبو بكر لمن حوله : **خالد لها .**

المعركة الثانية

معركة أجنادين[2]

وصل خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بلاد الشام ، وتقابل مع القوات الإسلامية عند " اليرموك " .

نظر خالد إلى القوات الإسلامية فلم يجد جيش عمرو بن العاص ، وعلم أن عمروا لم يتمكن من إتمام انسحابه ، لأن قائد الجيش الرومانى تصدى له ، وحاول أن يجره لمعركة فاصلة يقضي فيها على جيش عمرو ليقدر بعد ذلك على مهاجمة باقي القوات .

وقد فطن عمرو لخطة قائد الجيش الرومانى ، ورأى أن عدد قواته أقل من عشر قوات الرومان ، فكتب لخالد بن الوليد رضي الله عنه بالواقع ، فطلب منه خالد أن ينسحب أمام الرومان ببطء وتدرج ، حتى تأتي القوات الإسلامية .

وتحرك خالد بقواته التي بلغت أربعة وعشرين ألفا حتى إذا كان قريبا من الروم أمر عمروا بأن يهجم على الروم في الوقت الذي ينقض خالد عليهم بقواته ، وبذلك يتم ضرب الروم من أمامهم ، ومن خلفهم .

وقد تمكن خالد وعمرو بهذه الخطة من الإطباق على جيش الروم ، وقتل قائدهم ، الأمر الذي أدى إلى هزيمة الروم ، وهروبهم من ميدان المعركة .

١- الطبرى جـ٤ صـ٣٩

٢- أجنادين : موضع بالشام في فلسطين وهى بلدة الرملة الحالية .

كتب خالد بن الوليد رضي الله عنه بنتائج معركة أجنادين إلى أبى بكر رضي الله عنه وقال له :

لعبد الله أبى بكر خليفة رسول الله من خالد بن الوليد سيف الله المصبوب على المشركين .

أما بعـــد ...

ســـلام عليكــم

فإنى أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد فإنى أخبرك أيها الصديق أنا التقينا نحن والمشركون وقد جمعوا لنا جموعا جمة كثيرة بأجنادين ، وقد رفعوا صـــلبهم ، ونـــشروا كتـــبهم ، وتقاسموا بالله لا يفرون حتى يصيبونا ، أو يخرجونا من بلادهم ، فخرجنـــا إليهم واثقين بالله متوكلين على الله فطعناهم بالرماح ، ثم صرنا إلى السيوف فقارعناهم في كل فج ، وشعب ، وغائط ، فأحمد الله علـــى إعــزاز دينـــه ، وإذلال عدوه ، وحسن الصنع لأوليائه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فلما وصل الكتاب إلى أبى بكر رحمة الله عليه فرح به وأعجبه . وقال : الحمد لله الذي نصر المسلمين وأقر عينى بذلك[1] .

وبعد الانتصار في " أجنادين " تجمعت الجيوش الإسلامية في اليرمـــوك ، استعداد للمعركة الكبرى التي عرفت بـــ " **معركة اليرموك** " .

ولا يفوتنا أن نشير إلى ما في كتاب خالد لأبى بكر من أدب وحسن خلق ، وتجرد خالص لله تعالى **إذ نراه يبدأ بذكر المرسل إليه " أبى بكـــر " تقـــديرا** وتوقيرا له ، مع أن عادة الكتابة جرت بذكر اسم المرسل أولا .

وأيضا يبدأ بتذكير أبى بكر بعبوديته لله ... وهى أحب الأوصاف إلى قلب خليفة رسول الله ﷺ والكتاب رغم إيجازه تضمن وصفا شاملا للمعركة مـــن بدايتها إلى نهايتها .

١- فتوح الشام للأزدى صـــ ٨٤ ـــ ٩٣ .

المعركة الثالثة

معـــركة اليرمـــوك[1]

موقعة " اليرموك " هي أكبر المعارك مع الروم في عهد أبى بكر رضي الله عنه ، ولها أثرها الكبير على سائر الأطراف التي اشتركت فيها ، وفى كافة المعارك التي وقعت بعد ذلك ... والحديث عنها يحتاج إلى دراسة النقاط التالية :

ـــ ١ ـــ

مقدمات المعركة

أدى انتصار المسلمين في " أجنادين " إلى ثقة المسلمين في نصر الله تعالى وعادت لهم روحهم القتالية الوثابة ، واجتمعت جيوش المسلمين في مكان واحد ورأى خالد أن تنوع الخطط ، وتغاير التوجه بين القواد الأربعة من عوامـــل الضعف التي يجب أن تتوقف فجمعهم وقال لهم :

" إن هذا اليوم من أيام الله لاينبغى فيه الفخر ولا البغـــى ، فأخلـــصوا لله جهادكم ، وتوجهوا لله تعالى بعملكم ، فإن هذا يوم له ما بعـــده ، وإن مـــن وراءكم لو يعلم عملكم حال بينكم وبين هذا العمل ، فاعملوا فيما لم تـــؤمروا به بالذى ترون أنه الرأى من واليكم " .

قالوا : فما الرأى ؟

قال : إن الذي أنتم عليه أشد على المسلمين مما غشيهم ، وأنفع للمـــشركين من إمدادهم ، ولقد علمت بأن الدنيا فرقت بيـــنكم ، فهلمـــوا فنتعـــاور " أى نتداول الإمارة " فليكن علينا بعضنا اليوم ، وبعضنا غدا ، والآخر بعـــد غـــد حتى يتأمر كلكم ، ودعونى اليوم عليكم .

فقالوا : نعم ... فأمروه .

وفى وقت لاحق قال لهم خالد : إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يـــرى أننـــا

١- اليرموك : مدينة بناحية الشام جهة غور الأردن الذي يصب في النهر قريبة من ديار قوم لوط .

سنتياسر ، ولو علم بالذى كان ويكون لما جمعكم ... إن الذي أنتم فيه أشـد على المسلمين مما قد غشيهم وأنفع للمشركين من أعدادهم ، ولقـد علمـت بأن الدنيا فرقت بينكم ، فالله ، الله ... فقد أمر كل رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه أحد من أمراء الجنود ، ولا يزيده عليه إذ دانو له .

إن تأمير بعضكم لا ينقصكم عند الله ، ولا عنـد خليفـة رسـول الله ﷺ هلموا فإن هؤلاء تهيأوا ، وهذا يوم له ما بعده . إن رددناهم إلـى خنـدقهم اليوم لم نزل نردهم ، وإن هزمونا لم نفلح بعدها ، فهلموا فلنتعاور الإمارة ، فليكن عليها بعضنا اليوم ، والآخر غدا ، والآخر بعد غد حتى يتأمر كلكـم ، ودعونى اليكم اليوم ... ، فأمروه ، وهم يرون أنها كخرجاتهم ، وإن الأمـر أطول مما صاروا إليه[1] .

لما ولى خالد الإمارة أعاد تنظيم الجيش الإسلامى ، واقتبس مـن الـروم نظامهم ، لأنه يصون وحدة الجيش ، ووحده الإمارة ، وذلك بأن قـسمه إلـى فرق ، وكراديس ، وعين لكل فرقة وكردوس أميرا وقائدا .

وقد أدى هذا التقسيم إلى وجود خمس فرق ، وخمسين كردوسا لأن الفرقة تتكون من عشرة آلاف مقاتل على الأقل ، وكل كردوس يتكون من ألف مقاتل على الأقل .

وبذلك يحدث تسلسل القيادة من الكردوس إلى الفرقة إلى القيادة العامة.

وقد اهتم خالد رضي الله عنه بالشئون المعنويـة ، والإداريـة ، وبالاسـتطلاع ، وحماية المؤخرة . وحدد لكل قائد مهمته .

ووزع خالد الفرق على المواقع أمام العدو ، بـصورة تحقـق الانتـشار والترابط على النحو التالى :

فرقة القلب

مؤلفة من ثمانية عشر كردوسا بقيادة أبى عبيدة بن الجراح ومعه عكرمـة

١- تاريخ الطبرى ٩٥١٣ ، البداية جـ٧ صـ٤ ـ الكامل جـ٢ صـ٤١١،الفتوح جـ١ صـ٨٠.

ابن أبى جهل والقعقاع بن عمرو رضى الله عنهم أجمعين .

فرقة الميمنة

مؤلفة من عشرة كراديس بقيادة عمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن حسنة .

فرقة الميسرة

مؤلفة من عشرة كراديس بقيادة يزيد بن أبى سفيان .

فرقة الطليعة (المقدمة)

مؤلفة من الخيالة ، والمخافر الأمامية ، ومهمتها المراقبة ، والاستطلاع والمحافظة على خطوط الإمداد ، والتموين ، ولذلك كانت الطليعة فرقة صغيرة وخفيفة .

فرقة المؤخرة

مؤلفة من خمسة آلاف مقاتل (خمسة كراديس) بقيادة سعيد بن زيد ومهمتها قيادة الظعن (الأمور الإدارية) .

وجعل على الأقباض (الغنائم)عبد الله بن مسعود ، وحدد مهمته في تأمين الأمور الإدارية ، والإعاشة ، وجمع الغنائم .

وعين القارئ **المقداد بن الأسود** للقراءة وكان يدور على الناس يقرأ عليهم سورة الأنفال ، وآيات الجهاد لرفع المعنويات .

وجعل خطيب الجيش **أبو سفيان بن حرب** وكان يطوف على الصفوف يحث الجند على القتال ، وعين قاضيا ميدانيا هو أبو الدرداء رضي الله عنه[1] .

واتخذ القائد العام خالد بن الوليد مكانه في الوسط ، وحوله كبار الصحابة يستشيرهم ، ويأخذ برأيهم في صورة حجرة عمليات ميدانية .

وأعد الجيش الإسلامى بقيادة خالد بن الوليد لكل شئ عدته ، وأخذ كل قائد من القواد يمر على جنده ويحثهم على الجهاد والصبر والمصابرة والمثابرة .

ورأى قادة المسلمين أن هذه المعركة هي معركة تتوقف عليها نتائج كبرى

١- البداية والنهاية جـ ٧ صـ٨ .

حاسمة ، وكان خالد يعلم أنه إن رد الروم إلى خندقهم فسيظل يـــردهم ، وإن هزموه فلن يفلح بعدها . أى أن هزيمة الروم في هذه المعركة تعنى هـــزيمتهم في أرض الشام كلها ، وتفتح أبواب الشام على مصراعيها للمـــسلمين ، دون حواجز ، ولا عراقيل ، والانطلاق منها إلى مصر وآسيا وأوربا[1] .

وقام كبار الصحابة بالتعبئة النفسية فوعظ أبو عبيدة المسلمين ، فقال : عباد الله ، انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم فإن وعد الله حق .

يا معشر المسلمين ، اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفـــر ، ومرضـــاة للرب ، ومدحضة للعار ، ولا تبرحوا مصافكم ، ولا تخطوا إليهم خطوة ، ولا تبدأوهم بالقتال وأشرعوا الرماح ، واستتروا بالدرق ، والزموا الـــصمت إلا من ذكر الله في أنفسكم ، حتى آمركم إن شاء الله تعالى .

وخرج معاذ بن جبل رضي الله عنه على الناس فجعل يذكرهم ويقول :

يا أهل القرآن ، ومستحفظى الكتاب ، وأنصار الهدى ، وأولياء الحق ، إن رحمة الله لا تنال إلا بالجهد ، وجنته لا تدخل بالأمانى ، ولا يؤتى الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا بالصدق ألم تسمعوا لقول الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[2] .

فاستحيوا رحمكم الله من ربكم أن يراكم فرارا من عدوكم ، وأنـــتم فـــي قبضته ، وليس لكم ملتحد من دونه ولا عز بغيره .

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه :

يا أيها المسلمون غضوا الأبصار ، واجثوا علـــى الركـــب ، وأشـــرعوا الرماح ، فإذا حملوا عليكم فأمهلوا حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة فثبوا إليهم

١- العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين ، صـــ ١٦٤ .

٢- سورة النور الآية ٥٥ .

وثبة الأسد ، فوالذى يرضى الصدق ، ويثيب عليه ، ويمقت الكذب ، ويعاقب عليه ، ويجزى بالإحسان إحسانا ، لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كفرا كفرا ،وقصرا قصرا ، فلا يهولنكم جموعهم ، ولا عددهم ، فإنكم لو صدقتموهم الشدة تطايروا تطاير أولاد الحجل .

وقال أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه :

يا معشر المسلمين إنكم قد أصبحتم في دار العجم منقطعين عن الأهل نائين عن أمير المؤمنين ، وأمداد المسلمين ، وقد والله أصبحتم بإزاء عدو كثير عدده ، شديد عليكم حنقه ، وقد وترتموهم في أنفسهم وأولادهم ونسائهم وأموالهم وديارهم ، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم ولا يبلغ بكم رضوان الله غدا إلا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة ، ألا وإنها سنة لازمة وإن الأرض وراءكم ، بينكم وبين أمير المؤمنين صحارى وبرارى ، ليس لأحد فيها معقل ، ولا معدل إلا الصبر ، ورجاء ما وعد الله فامتنعوا بسيوفكم وتعاونوا ، ولتكن هي الحصون .

ثم ذهب إلى النساء فوصاهن[1] . ثم عاد فنادى : يا معشر أهل الإسلام حضر ما ترون فهذا رسول الله ، والجنة أمامكم ، والشيطان ، والنار خلفكم . ثم سار إلى موقفه رحمه الله .

ووعظ الناس أبو هريرة فجعل يقول :

سارعوا إلى الحور العين وجوار ربكم عز وجل في جنات النعيم،ما أنتم إلى ربكم في موطن بأحب إليه منكم في مثل هذا الموطن،ألا وإن للصابرين فضلهم.

وجعل أبو سفيان يقف على كل كردوس ويقول :

الله الله إنكم ذادة العرب ، وأنصار الإسلام ، وإنهم ذادة الروم ، وأنصار الشرك اللهم إن هذا يوم من أيامك اللهم أنزل نصرك على عبادك[2] .

١- البداية والنهاية جـ٧ صـ٩ .

٢- البداية والنهاية جـ٧ صـ١٠ .

ولما جاء خالد بن الوليد من العراق قال له رجل من نصارى العرب : ما أكثر الروم وأقل المسلمين !!

فقال خالد : ويلك أتخوفنى بالروم ؟ إنما تكثر الجنود بالنصر ، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال ، والله لوددت أن الأشقر براء من توجيه ، وأنهم أضعفوا في العدد ، وكان فرسه قد حفى ، واشتكى في مجيئه من العراق[1] .

وجعل معاذ بن جبل كلما سمع أصوات القسيسين والرهبان يقول : اللهم زلزل أقدامهم ، وأرعب قلوبهم ، وأنزل علينا السكينة ، وألزمنا كلمة التقوى وحبب إلينا اللقاء ، وأرضنا بالقضاء[2] .

وأما الروم فقد جاءوا بجند كثيف ، يتبخترون ، ويفخرون ، وأتوا بالرهبان والقسس يقرأون الإنجيل ، ويحثون على مواصلة القتال ... وقسموا جيشهم على النحو التالى :

ـ الرماة في المقدمة ، وواجبهم أن ينشبوا القتال ، ثم الانسحاب إلى الوراء والأجنحة .

ـ الخيالة بالجناحين واجبهم حماية الرماة حتى انسحابهم إلى الخلف .

ـ الكراديس (المشاة) واجبهم الاقتحام .

وقد عين هرقل القيادة وحدد أماكنها ومهامها فعين :

ـ قائد المقدمة " جرجة " .

ـ قائد الجناحين ماهان والدارقص[3] .

وقد حاول المسلمون إنهاء الموقف بالسلام فتقدم أبو عبيدة ويزيد بن أبى سفيان رضي الله عنهما نحو جيش الروم و معهما ضرار بن الأزور ، والحارث بن هشام ، ونادوا إنما نريد أميركم لنجتمع به ، فأذن لهم في الدخول عليه وإذا هو جالس في خيمة من حرير . فقال الصحابة لأمير الروم :

١ـ البداية والنهاية جـ٧ صـ١٠ والأشقر هو فرس خالد ، ومعنى توجيه أى حفاه .
٢ـ أبو بكر رجل الدولة صـ ٨٨ .
٣ـ العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين صـ١٦٥ .

لا نستحل دخولها ،فأمر لهم بفراش بسط من حرير .

فقالوا: **ولا نجلس على هذه فجلس معهم حيث أحبوا ، وتفاوضوا على الصلح ورجع عنهم الصحابة بعدما دعوهم إلى الله عز وجل فلم يتم ذلك[١] لأنهم أبوا الصلح والسلام .**

وذكر الوليد بن مسلم : **أن " باهان " طلب خالدا ليبرز إليه فيما بين الصفين فيجتمعا في مصلحة لهم .**

فقال باهان : **إنا قد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم الجهد والجوع ، فهلموا إلى أن أعطى كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاما ، وترجعون إلى بلادكم ، فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها .**

فقال خالد : **إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت غير أنا قوم نشرب الدماء ، وأنه بلغنا أنه لا دم أطيب من دم الروم ، فجئنا لذلك .**

فقال أصحاب باهان : هذا والله ما كنا نحدث به عن العرب[٢] .

وقد من الله على المسلمين بإسلام أحد قادة الروم في ميدان المعركة فكان لذلك وقعه على الروم وعلى المسلمين ، وذلك أن القائد **(جرجة)** أحد القادة الكبار الذي ولى فرقة المقدمة خرج من صفوف الروم ، واستدعى خالد بن الوليد رضي الله عنه فجاء إليه حتى اختلفت أعناق فرسيهما فقال جرجة : **يا خالد أخبرني فاصدقني ، ولا تكذبني فإن الحر لا يكذب ، ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله ، هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه فلا تسله على أحد إلا هزمتهم ؟**

قال خالد : لا

قال جرجة : فبم سميت سيف الله ؟

قال خالد : إن الله بعث فينا نبيه فدعانا فنفرنا منه ، ونأينا عنه جميعا ، ثم

١- البداية والنهاية جـ٧ صـ١٠ .

٢- البداية والنهاية جـ٧ صـ١٠ .

إن بعضنا صدقه وتابعه ، وبعضنا كذبه وباعده ، فكنت فيمن كذبه وباعده ، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه ﷺ فقال لى : " أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين "[١] ، ودعا لى بالنصر فسميت سيف الله بذلك ، فأنا أشد المسلمين على المشركين .

فقال جرجة : يا خالد إلى ما تدعون ؟

قال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، والإقرار بما جاء به من عند الله عز وجل .

قال : فمن لم يجبكم ؟

قال : فالجزية ونمنعهم .

قال : فإن لم يعطها ؟

قال : نؤذنه بالحرب ثم نقاتله .

قال : فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم ؟

قال : منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا .

قال جرجة : فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر ؟

قال : نعم وأفضل .

قال : وكيف يساويكم وقد سبقتموه ؟

فقال خالد : إنا قبلنا هذا الأمر عنوة ، وبايعنا نبينا وهو حى بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ، ويخبرنا بالكتاب ، ويرينا الآيات وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا من العجائب والحجج ، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا .

فقال جرجة : بالله لقد صدقتنى ولم تخادعنى ؟

قال : تالله لقد صدقتك و أن الله ولى ما سألت عنه . فعند ذلك قلب جرجة الترس ومال مع خالد .

١- نفس المصدر السابق جـ٧ صـ١٣ .

وقال : **علمنى الإسلام يا خالد .**

فمال به خالد إلى فسطاطه وصب عليه قربة من ماء ثم صلى به ركعتين[١] وأعلن جرجة إسلامه ، وانتقل إلى صفوف المسلمين ، يقاتل معهم أعداء الإسلام من الرومان ، وكان هذا بداية النصر .

ـ ٢ ـ

أحداث المعركة

تقدمت صفوف الروم ، وأقبلت بغزارة للقيام بهجوم عام على الجيش الإسلامى ، وحملت ميسرتهم على ميمنة المسلمين فانكشف قلب الجيش الإسلامى من ناحية الميمنة ، واستطاع الروم إحداث ثغرة في صفوف المسلمين ، والتسلل إلى مؤخرتهم ، فصاح معاذ بن جبل رضي الله عنه : **يا عباد الله المسلمين إن هؤلاء شدوا للشد عليكم ، ولا والله لا يردهم إلا صدق اللقاء والصبر في البلاء . ثم نزل عن فرسه وقال : من أراد أن يأخذ فرسى ويقاتل عليه فليأخذه ، وآثر بذلك أن يقاتل راجلا مع المشاة**[٢] **.**

وثبتت قبائل الأزد ، ومذحج ، وحضر موت ، وخولان وتحملوا شراسة الهجوم حتى صدوا أعداء الله .

ثم ركبهم من الروم أمثال الجبال فزال المسلمون من الميمنة إلى القلب وانكشفت طائفة من الناس إلى العسكر ، وثبت جمع من المسلمين عظيم يقاتلون تحت راياتهم ، ثم تنادوا فتراجعوا حتى نهنهوا من أمامهم من الروم ، وأشغلوهم عن اتباع من انكشف من الناس ، واستقبل النساء من انهزم من الناس وأخذن يضربنهم بالخشب والحجارة . فتراجعوا إلى مواقفهم[٣] .

فقال عكرمة بن أبى جهل رضي الله عنه : **قاتلت رسول الله في مواطن ، وأفر منكم اليوم ؟ ثم نادى : من يبايع على الموت ؟!!**

١- البداية والنهاية جـ٧ صـ١٣ .
٢- العمليات التعرضية والدفاعية ، صـ ١٦٩ .
٣- فتوح الشام للأزدى ، صـ ٢٢٢ .

فبايعه عمه الحارث بن هشام ، وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم ، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعا جراحا ، وقتل منهم خلق منهم ضرار بن الأزور رضي الله عنه[1] .

وحملت ميمنة الروم بقيادة قناطر على ميسرة المسلمين حملـة شـديدة ، وكانت في ميسرة المسلمين قبائل كنانة ، وقيس ، وخثعم ، وجذام ، وقضاعة ، وعاملة ، وغسان ، فأزيلت عن مواضعها ، فانكشف قلب المسلمين من ناحية الميسرة وركب الروم أكتاف من انهزم من المسلمين ، وتبعوهم حتى دخلـوا معسكر المسلمين ، فاستقبلتهم نساء المسلمين بالحجـارة ، وأعمـدة الخيـام يضربنهم على وجوههم ويقلن لهم : **أين عز الإسلام والأمهات والأزواج ؟؟... أين تفرون وتدعوننا للعلوج ... ؟!!**

فإذا زجرنهم خجل أحدهم من نفسه ورجع إلى القتال ، وقتلوا من الـروم خلقا كثيرا واستشهد في هذه المرحلة سعيد بن زيد رحمه الله ، وحاولت ميسرة الروم مرة أخرى شن الهجوم على ميمنة المسلمين : فشدوا على عمـرو بـن العاص وجنده في محاولة اختراق الصفوف لكي يقوموا بعمليـة التطويـق ، وقاتل عمرو وجنده عن مواضعهم إلا أن الروم تمكنوا من دخول معسكرهم ، ونزلت المسلمات من التل ، وأخذن يضربن وجوه الرجال المراجعين .

وقالت ابنة عمرو : **قبح الله رجلا يفر عن حليلته ، وقبح الله رجلا يفر عـن كريمته .**

وقالت أخريات : **لستم بعولتنا إن لم تمنعونا .**

وبذلك عادت إلى المسلمين عزائمهم ، ودخلوا القتال مرة أخرى ، وحملوا على الروم من جديد ، حتى أزاحوهم عن المواضع التي كسبوها[2] .

وأخيرا حمل خالد بمن معه من الخيالة على الميسرة التي حملت على ميمنة

١- ترتيب وتهذيب البداية والنهاية صـ ١٧٠ .

٢- العمليات التعرضية والدفاعية صـ ١٧٤ .

المسلمين فأزالوهم إلى القلب ، فقتل من الروم في حملته هذه ستة آلاف ثم قال : **والذى نفسى بيده لم يبق عندهم من الصبر والجلد غير ما رأيتم ، وإنـــى لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم** ، ثم اعترضهم فحمل بمائة فارس معه على نحو من مائة ألف فما وصل إليهم حتى انفض جميعهم ، وحمل المسلمون علـــيهم حملة رجل واحد فانكشفوا ، وتبعهم المسلمون لا يمتنعون منهم[١] .

وقامت ميمنة المسلمين بإغلاق المنافذ والثغـــرات فـــي وجـــوه الـــروم ، وحصروا بين وادى اليرموك ، ونهر الزرقاء ، ودارت رحى المعركة ، وأبلى المسلمون بها بلاء حسنا ، واستطاع المسلمون أن يفصلوا فرسان الروم عـــن مشاتهم فحملوا على الروم وركبوا أكتافهم حتى أرهقوهم .

وبذلك أراد فرسان الروم مخرجا لهم للفرار منه فأمر خالد بن الوليد عمرو بن العاص أن يفسح المجال لهم بإجلاء طريق الهرب ، ففعـــل ذلـــك عمـــرو وهرب فرسان الروم ، وبذلك تحرك مشاة الروم دون غطاء من خيالتهم فجاء المشاة إلى الخنادق وهم مقيدون بالسلاسل حتى صاروا كأنهم حائط وقد هدم ، وجاءهم المسلمون إلى خندقهم في ظلام الليل ، وأخذ معظمهم ينهار بالوادى ، فإذا شخص منهم قتل سقط معه الجميع الذين كـــانوا مقيـــدين معـــه ، وقتـــل المسلمون منهم في هذه المرحلة خلقا كثيرا ، قدر عددهم بمائة ألف وعـــشرين ألفا ، والناجون منهم انسحب إلى " فحل " ، والقسم الآخر إلى " دمشق " داخل بلاد الشام[٢] .

وثبت يومئذ يزيد بن أبى سفيان ﷺ وقاتل قتالا شديدا ، وذلك أن أباه مر به فقال له : **يا بنى عليك بتقوى الله ، والصبر فإنه ليس رجل بهذا الـــوادى من المسلمين إلا محفوفا بالقتال فكيف بك وبأشباهك الذين ولوا المسلمين ؟! أولئك أحق الناس بالصبر والنصيحة ، فاتق الله يا بنى ولا يكونـــن أحـــد**

١– ترتيب وتهذيب البداية والنهاية صـــ ١٧١ ؛ فتوح البلدان للأزدى ، صـــ ١٧١ .

٢– العمليات التعرضية والدفاعية صـــ ١٧٥ .

من أصحابك بأرغب في الأجر والصبر في الحرب ولا أجرأ على عدو الإسلام منك .

فقال يزيد : **أفعل إن شاء الله .**

فقاتل يزيد يومئذ قتالا شديدا وكان من ناحية القلب رضي الله عنه[١] .

وقال سعيد بن المسيب عن أبيه رضي الله عنه : **هدأت الأصوات يوم اليرموك فسمعنا صوتا يكاد يملأ المعسكر يقول : يا نصر الله اقترب ، الثبات ، الثبات يا معشر المسلمين فنظرنا فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد[٢] .**

وأخر المسلمون المجاهدون صلاتى العشاء حتى استقر الفتح[٣] .

وأكمل خالد ليلته في خيمة تذارق أخى هرقل ـ وهو أمير الروم كلهم يومئذ[٤] .

وهرب هرقل فيمن هرب ، وباتت الخيول تجول حول خيمة خالد يقتلون من مر بهم من الروم حتى أصبحوا ، وقتل تذارق وكان له ثلاثون سرداقا وثلاثون رواقا من ديباج بما فيها من الفرش والحرير ، فلما كان الصباح حازوا ما كان هنالك من الغنائم[٥] .

وكان عدد شهداء المسلمين ثلاثة آلاف بينهم بعض صحابة النبى ﷺ وشيوخ المسلمين ، وأقطابهم .

وممن استشهد عكرمة بن أبى جهل ، وابنه عمرو ، وسلمة بن هشام ، وعمرو بن سعيد ، وأبان بن سعيد ، وغيرهم رضوان الله عليهم [٦] .

وكان عدد قتلى الروم مائة وعشرين ألفا ، منهم ثمانون ألفا مقيدون بالسلاسل وأربعون ألفا مطلقون سقطوا جميعهم في الوادى[٧] .

١ـ فتوح البلدان للأزدى صـ ٢٢٨ .
٢ـ ترتيب وتهذيب البداية والنهاية صـ ١٧٣ .
٣ـ ترتيب وتهذيب البداية والنهاية صـ ١٧٣ .
٤ـ ترتيب وتهذيب البداية والنهاية صـ ١٧٣ .
٥ـ ترتيب وتهذيب البداية والنهاية صـ ١٧٣ .
٦ـ العمليات التعرضية والدفاعية صـ ١٧٩ .
٧ـ العمليات التعرضية والدفاعية صـ١٧٩ .

لقد فرح المسلمون بهذا النصر العظيم إلا أن ذلك الفرح تغير بوصول خبر وفاة الصديق فحزنوا عليه حزنا شديدا ، وعوضهم الله تعالى بالفاروق رضي الله عنهم أجمعين[١] .

وجاء البريد بموت الصديق والمسلمون يحاربون الروم ، فكتم خالد ذلك عن المسلمين لئلا يقع في صفوفهم وهن أو ضعف ، فلما تم النصر وأصبحوا أجلى لهم الأمر .

وكان الفاروق قد عين أبا عبيدة بن الجراح بدلا من خالد بن الوليد على جيوش الشام ، وتقبل خالد أمر الفاروق برحابة صدر[٢] ، وعزى المسلمين في خليفة رسول الله ﷺ وقال لهم : **الحمد لله الذي قضى على أبى بكر بالموت وكان أحب إلى من عمر .**

والحمد لله الذي ولى عمر وكان أبغض إلى من أبى بكر وألزمني حبه[٣] .

وتولى أبو عبيدة القيادة العامة لجيوش الشام بأمر أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه .

وأصاب هرقل هم وحزن ، لما أصاب جيشه في اليرموك .

ولما قدمت فلول جيشه المنهزم على أنطاكية قال هرقل : **ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم ، وأليسوا بشرا مثلكم ؟**

قالوا : **بلى**

قال : **فأنتم أكثر أم هم ؟**

قالوا : **بلى نحن أكثر منهم أضعافا في كل موطن .**

قال : **فما بالكم تنهزمون ؟**

فقال شيخ من عظمائهم : **من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ، ويوفون بالعهد،ويأمرون بالمعروف،وينهون عن المنكر ،ويتناصفون بينهم .**

١- البداية والنهاية جـ٧ صـ١٤ .

٢- نفس المصدر السابق جـ٧ صـ١٦ .

٣- البداية والنهاية جـ٧ صـ١٤ .

ومن أجل أنا نشرب الخمر ، ونزنى ، ونركب الحــرام ، ونـــنقض العهــد ، ونغضب ونظلم ، ونأمر بالسخط وننهى عما يرضى الله ونفسد فـــي الأرض فقال : أنت صدقتنى[١] .

ـ ٣ ـ

النتائج الميدانية

لمعركة اليرمـــوك

بعد هذه المعركة تتبع المسلمون عدوهم ، وطاردوهم في كل مكان حتـــى استولوا على غزة ، وجميع البلاد المجاورة لها .

وقد وضعت هذه المعركة حدا لسيادة الروم على الشام ، وكسرت شوكتهم واتجهت سياسة الروم بعدها إلى تركيز قواتهم في الدفاع عن آسيا الــصغرى وإيقاف تقدم المسلمين في غير بلاد الشام .

وتحولت الشام كلها إلى ولايات تابعة للدولة الإسلامية ، وعين لها عمر بن الخطاب رضي الله عنه الولاة ، وعامل أهلها معاملة الذميين بعد أخذ العهد معهم ، إلا أنهم سرعان ما تحولوا إلى الإسلام ، وانضموا إلى قافلة المجاهــدين الــذين قاتلوا أعداء الله في آسيا الصغرى ، وشمال أفريقيا .

ونجد أيضا أن نصر المسلمين قد جرأهم على الروم إلى حد لم يكن متوقعا عند القادة أنفسهم .

وقد ساعد هذا النصر على جمع القبائل العربية المتفرقة ، كما شجع عرب الحدود والبادية ، وعرب الشام ، على الدخول في الإســلام والانخــراط فــي صفوف الجيش الإسلامي .

وقد انفتح طريق المسلمين إلى البحر الأبيض المتوسط لتكون لهــم فيـــه جولات كما سنرى في عهد الخلفاء الراشدين بعد أبى بكر رضي الله عنه .

١- البداية والنهاية جـ٧ صـ٥١ : ٦١ .

وجـــاءت

لحظـــة الرحيـــل

بعد الانتهاء من بيعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه آذن الله تعـــالى للفـــارس أن يرحل ، وجاء أجله فانتقل أبو بكر رضي الله عنه إلى الله في يوم الاثنين الموافق للثالث عشر من شهر جمادى الآخر سنة ثلاث عشرة للهجرة الشريفة .

تقول عائشة رضي الله عنها : **أول ما بدى مرض أبى بكر أنه اغتسل ، وكان يوما باردا فحم خمسة عشرة يوما لا يخرج إلى صلاة ، وكان يـــأمر عمـــر بالصلاة وكان أصحابه يعودونه ، وكان عثمان رضي الله عنه ألزمهم له في مرضه[1] .**

ولما اشتد به المرض قيل له : ألا تدعو لك الطبيب ؟

فقال أبو بكر : **قد رآني ، وقال : إني فعال لما أريد[2] .**

ثم قال : **يا عائشة : إنه ليس أحد من أهلي أحب إلى منك ، وقد كنت نحلتك حائطا[3]، وإن في نفسي منه شيئا فرديه إلى الميراث .**

فقلت له : **نعم ، فرددته .**

وقال رضي الله عنه : **أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم دينارا ولا درهمـــا ، ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا ، وليس عندنا من فئ المسلمين قليـــل ولا كثيـــر ، إلا هـــذا العبـــد الحبشى وهذا البعير الناضح ، وجرد هذه القطيفة ، فإذا مت فابعثى بهن إلى عمر ، وابرئى منهن ، ففعلت .**

فلما جاء الرسول بموت أبى بكر إلى عمر بكى عمر حتى جعلت دموعـــه تسيل في الأرض ، وأخذ يقول : **رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده ، رحـــم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده ، رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده[4] .**

١- أصحاب الرسول ، محمد المصرى جـ١ صـ١٠٤ .
٢- الطبقات الكبرى جـ٣ صـ١٩٤ .
٣- المصدر السابق جـ٣ صـ١٩٢ .
٤- المصدر السابق جـ٣ صـ١٩٢ .

المبحث الرابع

النتائج المباشرة للفتوح

في عصر أبي بكر رضي الله عنه

أدت حركة الفتح الإسلامي في عهد أبي بكر رضي الله عنه إلى نتائج كبيرة أثرت في الفتوح بعد ذلك وبخاصة في عصر الخلفاء الراشدين .

ومن أهم هذه النتائج :

أ ــ ضياع هيبة الفرس والروم

كان الفرس والروم قبل الإسلام هما الامبراطوريتان الكبيرتان في العالم ، اللذان يسيطران على مقدرات العالم وخيراته ، وقد تحول العالم كله إلى ولايات تابعة لهما ، يستعبدون مواطنيها ، ويستولون على خيراتها ، ويسخرونها لأمالهم وأغراضهم .

وقد استسلم الناس لهذا الواقع ، ولم يحاول أحد أن يخرج عن هذا الطوق المفروض عليهم .

وقد اتخذ الفرس والروم من الأنظمة ما يكفل لهم دوام السلطان والسيطرة فاخترعوا المذاهب ، وحرفوا الأديان ، وكونوا الجيوش ، وأنشأوا الولايات ، واتخذوا لأنفسهم أتباعا لتنفيذ أوامرهم ، وتحقيق مصالحهم .

ولم يقبلوا أبدا أن يتساوى بهم غيرهم لدرجة أن الروم غضبوا من قائد لهم حين قال لأحد الغساسنة وهو يدفعه لقتال العرب دفاعا عن الروم : **أنتم أعلم منا بقتال العرب** ... وسبب غضبهم أن هذا القائد رغم أنه يعمل للدفاع عنهم ، قد تلفظ بكلام لا يجوز لأن العرب لن يكونوا مطلقا أفضل من الروم . ولو كان في قتال أهليهم وقبائلهم نيابة عنهم .

هذه القوة أعطت هيبة عظمى للفرس والروم ، فلما تمت الفتوح ، وانتصر

المسلمون في العراق والشام تهاوت هذه الهيبة ، وتحولت إلى انكسار وذل .

نظر الناس إلى هذه القوة الجديدة ، وقارنوا أعمالها بالأحوال التي كـانوا فيها. فرأوها قوة تتمسك بالحق ، وتحمى العدل ، ولا تعتدى علـى إنـسان ، وتعطى حرية الفكر ، والحركة لكل من يعاهدهم ، ويتعاهد معهم .

وقد أدت هذه المقارنة إلى إهمال الناس لقيم الروم والفرس وإلى انصرافهم عنهم ، فتحولت هيبتهم إلى احتقار وصغار .

وقد شعر الروم والفرس بذلك فتركوا ولاياتهم إلى غير أمل في الرجـوع إليها . ولذلك قال: " هرقل " وهو يغادر " دمشق " : **سلام عليك يا سـوريا ، سلام لالقاء بعده ...**

ب ــ الإيمان طريق النصر

انطلقت الجيوش الإسلامية في بلاد فارس والروم ، وقابلت جيوشا كثيفـة العدد ، قوية العدة ، تفوقهم استعدادا ، وتتمتع بميزة عملية وهـى أن القتـال يجرى في بلدهم وموطنهم ، وهذا يحقق لهم المدد المستمر ، ويطمئنهم علـى كل حاجاتهم .

ومع ذلك اتصفوا بالخوف والفزع بسبب أنهم أدركوا تفاهة الهدف الـذي يقاتلون من أجله ، وعلموا أن النصر لا يحقق لهم فائدة لأن فائدته للرؤسـاء والقادة وحدهم ...

وأيضا فإنهم رأوا في المسلمين رجالا يحرصون على الموت ، ويحبـون الشهادة ، ويصبرون ، ويصابرون في الجهاد لإيمانهم بـأن النـصر يتحقـق للإسلام وللمسلمين جميعا .

عاش المسلمون في ميدان الجهاد بإيمانهم فانتصروا ... ولـذلك نـراهم يلتزمون بشرع الله ، ويؤدون حق الله عليهم ، ويحافظون على حقوق النـاس ... لم يأخذوا مالا ، ولم ينتهكوا عرضا ، ولم يقاتلوا مسالما ... ولم يتعـالوا على أحد التزم بدين الله تعالى الذين آمنوا به ، واتبعوه .

لقد وصى أبو بكر رضي الله عنه جنوده في كل الحالات بصدق الإيمان ، وإخلاص العمل ، والاستمرار في الطاعة الصادقة والتوجه التام لله تعالى ... وعمل المسلمون بوصايا أبى بكر فنصرهم الله تعالى ...

ومن وصاياه رضي الله عنه لجنوده :

استعينوا بالله ، واتقوه ، وآثروا أمر الآخرة على الدنيا يجتمعا لكم ، ولا تؤثروا الدنيا فتسلبوهما ، واحذروا ما حذركم الله بترك المعاصى ، ومعاجلة التوبة ، وأياكم والإصرار وتأخير التوبة .

جـ ـ بروز التنظيم العسكرى للمسلمين

عاش العرب أيامهم كرا وفرا بحيث لم يستول أحدهم على أرض أو عقار ولم تعمل قبيلة لإخضاع غيرها لنفوذها ، وبسط السيطرة عليها ، وجعلوا كل أهدافهم من حروبهم إثبات قوتهم ، وإظهار ضعف عدوهم ، وأخذ بعض الأموال والأسرى .

حتى الغزوات والسرايا التي تمت في عصر رسول الله ﷺ سارت في هذا الخط إلى حد بعيد ، فلم يستقر المسلمون في موطن انتصروا فيه إلا في مكة والطائف بسبب إسلام الناس ، وحاجتهم لقيادة إسلامية تأخذ بيدهم إلى الحق والصواب .

فلما كانت الفتوح في عصر أبى بكر رضي الله عنه تغير التنظيم العسكرى إلى حد بعيد ، وفى كثير من النواحى .

فلم تعد الحرب لمجرد الانتصار ، بل تحولت إلى وسيلة لنشر الإسلام ، وخدمة الناس ، وذلك أمر يستلزم الاستقرار في الموطن الجديد ، وإدخاله في إطار إدارة الدولة الإسلامية .

وقد ساعد المسلمون على ذلك أن البلاد المفتوحة لم تكن تحت سلطان بنيها وإنما ساد فيها طغاة محتلون ، نشروا فيها فسادهم ، وأباطيلهم ، وطغيانهم ... فلما انهزموا رحلوا فكان لابد من إحلال القيادة الجديدة مكانهم .

ولقد انتقلت المسئولية إلى أبناء البلاد المفتوحة بعد أن دخل الناس في دين الله تعالى .

هذا من ناحية نتائج القتال الميدانية .

أما من ناحية التنظيم والتخطيط :

فقد رأينا توجيهات أبى بكر رضي الله عنه للقادة والجند حيث نصحهم وأمرهم بعدد من الأساسيات العسكرية التي يعتد بها في العصر الحديث ومنها :

- أمرهم بمقاتلة الأطراف ، والمكث فيها ، وعدم الدخول في عمق البلاد المفتوحة قبل أن يؤمن الناس بدين الله تعالى ، وبذلك أمن جنوده من الغدر والخداع .

يوضح أبو بكر للمثنى بن حارثة فلسفة هذا التخطيط فيقول : **قاتلوا الفرس على حدود أرضهم ، على أدنى حجر من أرض العرب ، ولا تقاتلوهم بعقر دارهم ، فإن يظهر الله المسلمين فلهم ما وراءهم ، وإن كانت الأخرى رجعوا إلى فئة ، ثم يكونون أعلم بسبيلهم ، وأجرأ على أرضهم ، إلى أن يرد الله الكرة عليهم**[1] .

وحين ننظر في فتوحات الشام نرى أن الصحراء كانت من خلف المسلمين حماية لهم ، ومع هذا كان المسلمون يتأكدون " **أولا** " من أن عدوهم قد انقطع أمله في مفاجأتهم من خلف ظهورهم .

وكانوا ــ **ثانيا** ــ يستولون على ما يقع بيمينهم ، وشمالهم ، من المدن والبلاد ، وسد كل ثغرة بالمقاتلة من الرجال ، وقد كانت تلك القاعدة مرعية عندهم يحرصون علها أشد الحرص[2] .

- توخى أبو بكر رضي الله عنه اختيار الجنود الصادقين الذين ينطلقون لله ، ويعملون له . ولذلك نراه رضي الله عنه يأمر بعدم إشراك الذي عاد من الردة

١- الإصابة جـ٥ صـ٥٦٨ ؛ رقم ٧٧٣٦ ؛ تاريخ الدعوة إلى الإسلام ، صـ٣٣١ .

٢- تاريخ الدعوة إلى الإسلام ، صـ٣٣١ .

حتى يستبين صدقه ، لأنه لا يريد أن يؤتى من بين جوانحه .

- اهتم أبو بكر رضي الله عنه بالإمداد وخطوط التموين . فكان يحرص على تتابع المدد ، وتوالى الجيوش لما في ذلك من تجديد القوة ، وحماية الطريق ، وتواصل الأخبار .
- حرص أبو بكر رضي الله عنه على توحيد القيادة ، والالتزام العملي بالقائد الأعلى في ميدان القتال ... ولذلك نراه رضي الله عنه يوجه الأوامر لقادة الميدان بصورة تفصيلية لدرجة أنه يقوم بوظيفة حجرة العمليات العسكرية في الحروب الحديثة ... وكان رضي الله عنه يصر على الالتزام الميداني للقادة والجنود ، ولم يترك الأمر لواحد دون غيره ...
- والتزم الجنود بما رآه الخليفة ، ولذلك تحول خالد بن الوليد رضي الله عنه بأمر من عمرو بن الخطاب رضي الله عنه من قائد للجنود في الميدان إلى جندى مطيع لقائده أبى عبيدة بن الجراح رضي الله عنه .
- جعل أبو بكر رضي الله عنه لكل مجموعة من المجاهدين شعارا ينادون به عند القتال ، وهذا يعرف فى الجيوش المعاصرة بصيحة الحرب ففى بعثه رضي الله عنه جيش أسامة لقتال الروم كان شعارهم : يا منصور أمت[1] .

وفى حروب الردة عند مسير خالد بن الوليد نحو مسيلمة الكذاب باليمامة ، كان شعارهم يومئذ : يا محمداه يا محمداه[2] .

وشعار تنوخ في فتوح العراق : يا آل عباد الله[3] .

وفى فتوح الشام باليرموك نجد أن لكل قائد وقبيلة شعارا .

فكان شعار أبى عبيدة : أمت أمت .

وشعار خالد بن الوليد ومن معه : يا حزب الله .

١- الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية جـ١ صـ١٤٧ .

٢- تاريخ الطبرى جـ٤ صـ١١١ .

٣- الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية ، جـ١ صـ١٧٤ .

وشعار قبيلة عبس : يا لعبس .

وشعار اليمن من أخلاط الناس : يا أنصار الله .

وشعار حمير : الفتح .

وشعار دارم والسكاسك : الصبر الصبر .

وشعار بني مراد : يا نصر الله أنزل[١] .

– عمل أبو بكر رضي الله عنه على الاستفادة بما عند أعدائه من فنون القتال ، فنظم حركة القتال بالصفوف وجعلها تقصر ، وتطول ، وتتعدد ، تبعا لموقف العدو ... كما وافق على تقسيم الجيش إلى فرق وكراديس عند الحاجة لأن نظام الكراديس عبارة عن مجموعة من الجند تقف في صفوف متصلة ، بحيث لا تكون منفصلة عن الأخرى ، بينها مسافات متباعدة ، مما يسهل ذلك عليها عملية الحركة ، وزيادة الانتشار ، فمن قول خالد للجند لاستخدامه لنظام الكراديس : **إن عدوكم قد كثر وطغى وليس من التعبئة تعبئة أكثر في رأى العين من الكراديس**[٢] .

فجعل القلب كراديس وأقام فيه أبا عبيدة .

وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وفيها شرحبيل بن حسنة .

وجعل الميسرة كراديس وعليها يزيد بن أبى سفيان ، وهكذا خرج في ستة وثلاثين كردوسا إلى الأربعين ، وخرج في تعبئة لم تعبئها العرب قبل ذلك ، ووزع المهام الإدارية وشئون القيادة[٣] ، إلا أن نظام الصف ظل قائما ومعمولا به في النظام الحربى الإسلامي بعد اليرموك[٤] .

١- الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية جـ١ صـ١٧٤ .

٢- تاريخ الطبرى جـ٤ صـ٢١٥ .

٣- تاريخ الطبرى جـ٤ صـ٢١٥ .

٤- الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية جـ١ صـ٢٣٢ .

- اعتمد أبو بكر رضي الله عنه رأى القادة الميدانيين ، وبخاصة في الأحداث التي يرونها جديدة أمامهم ، وكان يعدل خطط الحرب تبعا للمرئيات الجديدة.
- أخذ أبو بكر رضي الله عنه بتكريم جنوده وقادته ، وكان ينزلهم المنزلة اللائقة بكل منهم .

حين أراد أبو بكر رضي الله عنه أن يغزو الروم ، ويعد الجيوش لفتح بلاد الشام، شاور في ذلك جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ، وبعد أن أخذ رأيهم ، وما أجمعوا عليه ، أمر الجند بالتجهيز للتوجه لما أمروا به[١] وأخذ ينصحهم ، ويوجههم إلى حسن المعاملة ، وضرورة الحذر .

وكان مما أوصى به الصديق رضي الله عنه أمراء وقادة جند الشام بأن يعملوا بالمشورة فمن ذلك ما قاله ليزيد بن أبى سفيان : **هذا ربيعه بن عامر من ذوى العلاء والمفاخر ، قد علمت صولته وقد ضممته إليك وأمرتك عليه فاجعله في مقدمتك ، وشاوره في أمرك ولا تخالفه[٢].**

قال يزيد : **حبا وكرامة .**

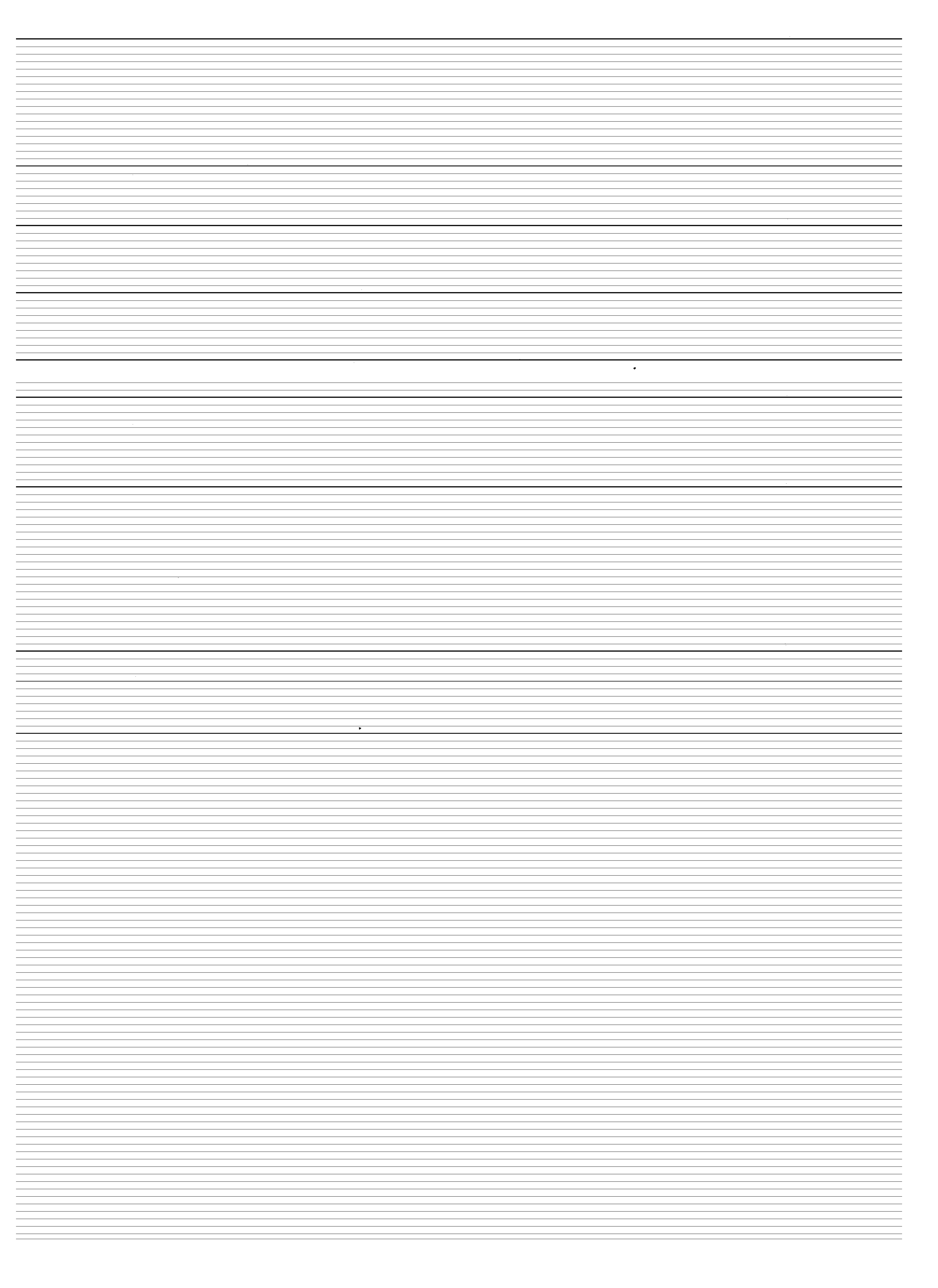
ثم أخذ أبو بكر رضي الله عنه يوضح له ضرورة التعاون الخير ، وأهمية المشورة ، وحتمية اللين والرفق في الصحبة فقال : **إذا سرت فلا تضيق على نفسك ، ولا على أصحابك في مسيرك ، ولا تغضب على قومك ، ولا على أصحابك ، وشاورهم في الأمر ، واستعمل العدل[٣] وإذا استشرت فاصدق الخبر ، تصدق لك المشورة ، ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك[٤] .**

- داوم أبو بكر رضي الله عنه على المحافظة على الروح المعنوية لجنوده ، فكان دائما يأمرهم بالطاعة ، ويخوفهم من المعصية ، ويذكرهم بجزاء الشهداء

١- تاريخ فتوح الشام ، صـ ٢ ؛ الفتوح ، ابن أعثم جـ١ صـ٨١ .
٢- فتوح الشام للواقدى جـ١ صـ٢٢ .
٣- فتوح الشام للواقدى جـ١ صـ٢٢ .
٤- مروج الذهب جـ٢ صـ٣٠٩ .

عند الله تعالى .

- لم يهمل أبو بكر معاقبة من يخطئ ، ومجازاة من يصيب فلقد عاقب خالد على قتل مالك بن نويرة ، وعلى ذهابه للحج وترك الجيش .
- ركز أبو بكر رضي الله عنه على التوجيه المستمر للقادة والجند ليلتزموا بطاعة الله ، ويتركوا الأنانية ويتمسكوا بالوحدة في التفكير والحركة .
- كان أبو بكر رضي الله عنه يقدر مواقف الرجال ، وينزلهم منازلهم ، ولذلك وضع خالدا في موضعه المناسب له في الميدان والمعارك .
- لم يكن أبو بكر بعيداً عن المعركة في الشمال رغم بعد المسافة وصعوبة الاتصال ، ولذلك كانت يأتيه البريد ، وتأتيه الرسل صباح مساء ، تحمل البشرى ، وتحضر المغانم ، وتطلب العون والمدد .

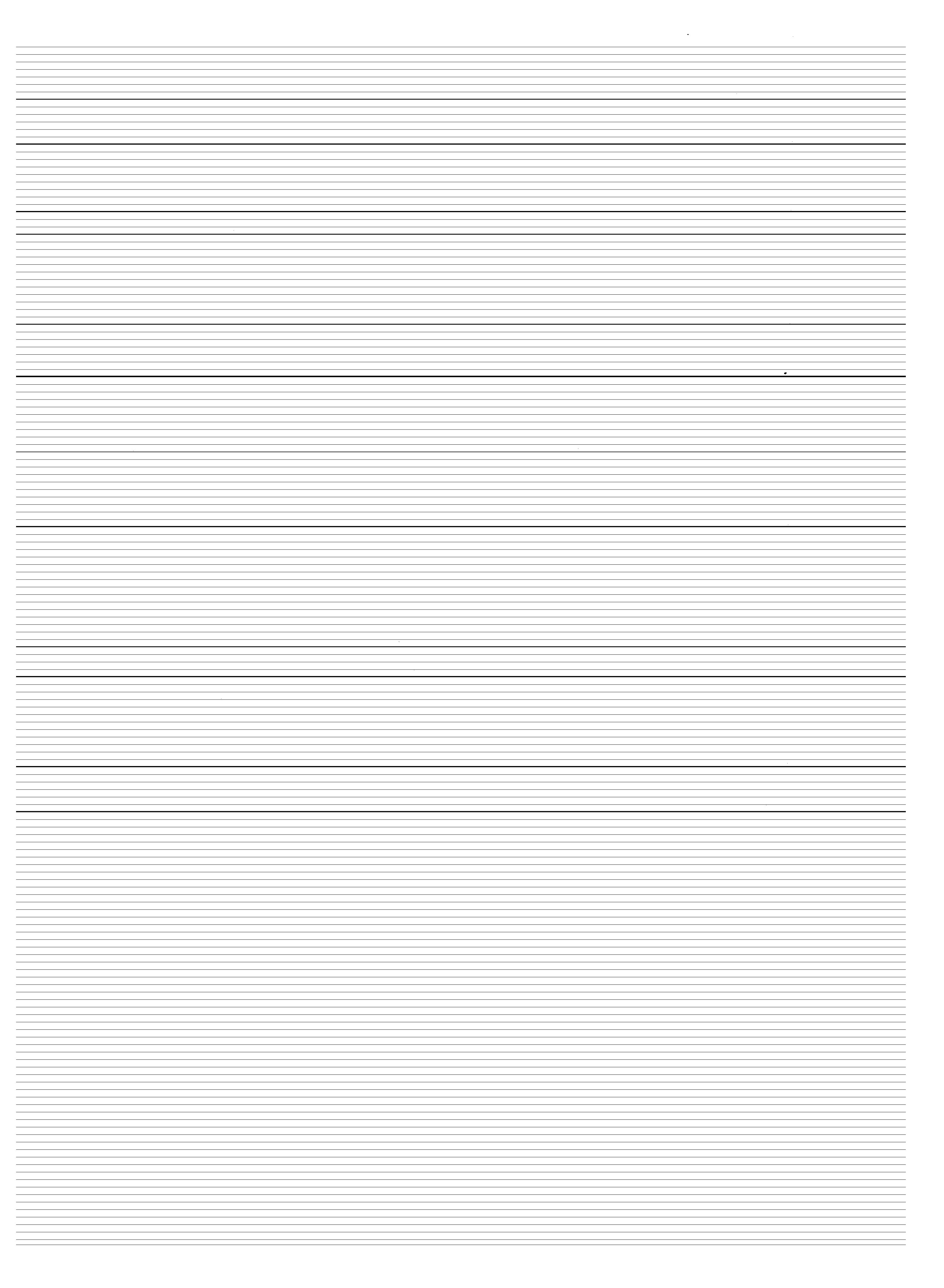


الفصل التاسع والأخير

مـــاذا بعـــد أبـــى بكـــر

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

؟



تمهيـــد

وهكـــذا ...

وصل بنا التطواف في سيرة أبى بكر رضي الله عنه إلى النهاية ، بعدما عشنا معه في حياته قبل ظهور الإسلام ، ووقفنا عند أهم صفاته ومزاياه ... ورأينا أنـــه رضي الله عنه كان خير معين لرسول الله ﷺ وهو يدعو أهل مكة والقبائل قبل الهجرة وتحمل كثيرا من الأذى وبذل من ماله ونفسه الكثير من أجل دين الله تعـــالى وكان رضي الله عنه هو الصاحب في الهجرة ، وهو الذي عاش في المدينة مستـــشارا لرسول الله ﷺ ووزيرا له .

وقد اختاره المسلمون خليفة عليهم لما رأوا من إخلاصه وصدقه مـــع الله ورسوله ، ولما علموه من تزكية رسول الله ﷺ .

وقد قدم رضي الله عنه خلال مدة خلافته القصيرة الكثير الكثير للإسلام والمسلمين .

والآن نقف عند نهاية الدراسة متسائلين عن الحياة بعد أبى بكر رضي الله عنه .

ولن يطول بنا التساؤل فقد اهتم أبو بكر رضي الله عنه بما بعده قبل لقـــاء ربـــه ، ووجه المسلمين إلى سبيل الخير والمحافظـــة علـــى الإســـلام . وذلـــك فـــي صورتين:

الصورة الأولى : اختيار الخليفة الذي يلي الأمر من بعده .

الصورة الثانيـــة : ترك للناس نصائحه ، ومواعظه ، وإرشـــاداته لتكـــون ركائز للأمة تسير عليها .

وفى هذا الفصل الأخير سأتناول هاتين الصورتين في مبحثين هما :

المبحث الأول : اختيار أبى بكر رضي الله عنه عمر خليفة بعده .

المبحث الثاني : أهم الركائز المستفاده من عهد أبى بكر رضي الله عنه.

المبحث الأول

أبو بكـــر رضي الله عنه

يختار الخليفة من بعده

بعد أن بلغ أبو بكر رضي الله عنه سن الثالثة والستين ، أصابه المرض ، وبأن له دنو أجله ، وخاف على حال المسلمين من بعده ، فعمل على أن يختـــار لهـــم خليفة يلي أمرهم قبل أن يموت ... وقد اختار عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبايعه المسلمون ...

والحديث عن اختيار عمر ومبايعته يحتاج لدراسة عدة مسائل :

ــ أولا ــ

سر اختيار أبى بكر رضي الله عنه

للخليفة بعده

لما شعر أبو بكر رضي الله عنه بدنو أجله خاف على الأمة من التمزق والــضياع بحدوث أمر ضار يمكن وقوعه .

فالمجاهدون من المسلمين في حرب مع فارس ، والــروم ، والغــساسنة والمناذرة في الشمال يقاتلون مع الأعداء ، وأى فراغ في الحكم يحدث خلــلا بين المجاهدين ، ويوقعهم في الهزيمة والانكسار .

وقبائل العرب في الجزيرة قريبو عهد بالردة ، وليس ببعيد أن يعلنوا الردة مرة أخرى إذا وجدوا لها سببا ما .

والمسلمون في الجزيرة وغيرها في عنقهم بيعة لأبى بكر رضي الله عنه وبوفاتـــه تسقط بيعتهم،الأمر الذي يؤدى إلى وساوس شيطانية تصيب ضعاف الإيمـــان بسبب فراغ السلطة ، ومحاولة الكثير الوصول إليها .وفى ذلك نزاع وضياع .

كما أن كثيرا من الصحابة يتمتع بالمزايا والخصائص التي تؤهله للخلافة ، ومن حقه أن يطلبها أداء للواجب ، وقياما بالمسئولية التي يشعر بها كل مسلم صادق ...

عاش أبو بكر ﵁ هذه الاحتمالات ، وتذكر يوم وفاة رسـول الله ﷺ ، وما حدث وقتها من ردة أناس بايعوا رسول الله ﷺ وعاهدوه ، ومن محاولـة الأوس ، والخزرج ولاية الأمر ، ومن فزع وهرج أصاب المـسلمين لفـراق رسول الله ﷺ .

لهذا كله رأى أبو بكر ﵁ ضرورة تولية خليفة للمسلمين يلي الأمر من بعده على أن تتم بيعته قبل أن يفارق الدنيا ... ولذلك قال للناس حين اشتد به المرض : **إنه قد نزل بى ما قد ترون ولا أظننى إلا ميتا لما بى ، وقد أطلـق الله أيمانكم من بيعنى ، وحل عنكم عقدتى ، ورد عليكم أمركم ، فأمروا عليكم من أحببتم ، فإنكم إن أمرتم في حياة منى كان أجدر أن لا تختلفوا بعدى**[1] .

وأعان الله أبو بكر ﵁ لما أراد ، وتمت بيعة عمر في حياة أبى بكـر ، ولم يشعر المسلمون بفراغ عند وفاة أبى بكر ﵁ ولم يدر بخلد أحـد مـن الصحابة خاطر ما لتولية الخلافة لأنهم وجدوا الخليفة وقد تمت بيعته ، وتيسير شئون الخلافة واقع محقق وموجود .

ــ ثانيا ــ

إجراءات اختيار أبى بكر ﵁ للخليفة من بعده

اتبع أبو بكر ﵁ طريقة سديدة في اختيار الخليفة من بعده ، أرضى بها جميع الصحابة ، وشاورهم في الموضوع ، وشاركهم في الاختيـار ، وذلـك بإتباع الخطوات التالية :

١- البداية والنهاية جـ٧ صـ١٨

الخطـوة الأولـى

اتصل بكبار الصحابة، وبخاصة من بشرهم الرسول بالجنة، ومن مات ﷺ وهو عنهم ﷺ راض ، ومن تحمل بعض المسئوليات مع رسول الله ﷺ ومع أبى بكر رضي الله عنه . وسأل كلا منهم أن يتقدم للخلافة . ليرشحه أبو بكر رضي الله عنه للناس فأبوا جميعا ، ورأى كل منهم أن غيره أولى منه لصلاحه وأهليته . وأعادوا الأمر إلى أبى بكر رضي الله عنه وقالوا له : **رأينا يا خليفة رسول الله ﷺ رأيك فأشر بما ترى**[1] .

الخطـوة الثانيـة

طلب أبو بكر رضي الله عنه من الصحابة أن يبدوا رأيهم في عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعدما رآه أحق الصحابة من بعده بتولى الخلافة لما يتمتع به من جرأة في الحق ، وصلابة في مواجهة الشدائد ، وقوة في نصر دين الله تعالى.

فدعا أبو بكر عبد الرحمن بن عوف فقال له : **أخبرنى عن عمر بن الخطاب .**

فقال عبد الرحمن : **ما تسألنى عن أمر إلا وأنت أعلم به منى .**

فقال : **وإن**

فقال عبد الرحمن : **هو والله أفضل من رأيك فيه .**

ثم دعا عثمان بن عفان . فقال له : **أخبرنى عن عمر بن الخطاب .**

فقال عثمان : **أنت أخبرنا به .**

فقال : **على ذلك يا أبا عبد الله .**

فقال عثمان: **اللهم علمى به أن سريرته خير من علانيته،وأنه ليس فينا مثله.**

فقال أبو بكر : **يرحمك الله ، والله لو تركته ما عدوتك .**

ثم دعا أسيد بن حضير فقال له مثل ذلك .

فقال أسيد : **اللهم أعلمه الخيرة بعدك يرضى للرضا ، ويسخط للسخط ، والذى يسر خير من الذي يعلن ، ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه .**

١- البداية والنهاية جـ٧ صـ٢٠ .

وكذلك استشار سعيد بن زيد وعدد من الأنصار والمهاجرين .

وكلهم تقريبا كانوا على رأى واحد في عمر إلا طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فإنه خاف من شدته ولذلك قال لأبى بكر : **ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته ؟**

فقال أبو بكر : **أجلسوني أبالله تخوفونني ؟ ... خاب من تزود من أمركم بظلم أقول : اللهم إني استخلفت عليهم خير أهلك**[1] .

وهكذا أخذ أبو بكر رضي الله عنه رأى كبار الصحابة في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكلهم أبدى موافقته ، ولما أشار أحدهم إلى شدته بين لهم أبو بكر رضي الله عنه أن هذه الشدة كانت ضرورة مع أبى بكر رضي الله عنه لما فيه من لين ورقة ... أما حين يتولى الأمر كله فإن العدل سيلازم أمره ، ويلتقى الإحسان و الرفق مع قوته وصلابته .

إن أبا بكر رضي الله عنه يعرف ما عند عمر من حسن خلق ، وما يتمتع به من حرص على مصلحة الإسلام والمسلمين ، وموقفه مع أبى بكر يوم بعث أسامة وعند حروب الردة دليل على شفقته ، وحرصه على حياة الناس .

الخطوة الثالثة

أرسل أبو بكر رضي الله عنه كتابا إلى الناس في الأمصار ، وأمر أمراءه بقراءته على الناس ، وذلك ليخبرهم بترشيح عمر رضي الله عنه ، وحتى يعلم كل فرد هذا الترشيح ، ويبدى رأيه فيه .

وفى الخطاب قال أبو بكر رضي الله عنه :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد به أبو بكر بن أبى قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجا منها ، وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها ، حيث يؤمن الكافر ، و يوقن الفاجر ،

١- الكامل لابن الأثير جـ٢ صـ٧٩ ؛ التاريخ الإسلامي ، محمود شاكر ، صـ ١٠١ .

ويصدق الكاذب .

إنى استخلفت عليكم بعدى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاسمعوا له وأطيعوا ، وإنى لم آل الله ورسوله ودينه ونفسى وإياه خيرا ، فإن عدل فذلك ظنى به وعلمى فيه ، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب ، والخير أردت ولا أعلم الغيب ﴿ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾[1] [2] .

ولم يكتف أبو بكر رضي الله عنه بالكتاب يتلى على الناس . فخرج إليهم بنفسه ، وخاطبهم قائلا : **أترضون بمن استخلف عليكم ؟ ... فإنى والله ما آلوت الرأي، ولا وليت ذات قرابة، وإنى قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاسمعوا له ، وأطيعوا ...**

فقالوا : **سمعنا وأطعنا**[3]

وقد اتجه أبو بكر لله داعيا وقال : **اللهم وليته بغير أمر نبيك ، ولم أرد بذلك إلا صلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة واجتهدت لهم رأيى ، فوليت عليهم خيرهم وأحرصهم على ما أرشدهم ، وقد حضرنى من أمرك ما حضر ، فاخلفنى فيهم فهم عبادك**[4] .

الخطــوة الرابعـــة

أحضر أبو بكر رضي الله عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأخبره بترشيحه لتولى الخلافة فأبى ورفض، فتهدده أبو بكر رضي الله عنه بالسيف ، فما كان أمام عمر رضي الله عنه إلا أن قبل .

الخطــوة الخامســـة

كلف أبو بكر رضي الله عنه عثمان بن عفان رضي الله عنه أن يتصل بالناس ويأخذ البيعـــة

١- سورة الشعراء آية ٢٢٧ .
٢- تاريخ الإسلام صـ١١٦ .
٣- تاريخ الطبرى جـ٤ صـ٢٤٨ .
٤- الطبقات الكبرى جـ٣ صـ١١٩ .

العامة لعمر ، وكتب له كتابا بذلك ، وختمه بخاتمه . فقام عثمان بالأمر وقال للناس : **أتبايعون لمن في هذا الكتاب (يعنى عمر رضي الله عنه) ...**

فقالوا : **نعم ، وأقروا بذلك جميعا ورضوا به .**

وبذلك تمت بيعه عمر رضي الله عنه .

الخطـــوة السادســـة

بعد أن تمت بيعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى به أبو بكر رضي الله عنه واختلى به ونصحه نصيحة جامعة لينجو من أى تبعة ، فما قصد إلا المصلحة ، وما سلك إلا طريق الخير والرشاد ...

قال أبو بكر رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه :

اتق الله يا عمر ، واعلم أن لله عملا بالنهار لا يقبلــه بالليــل ، وعمــلا بالليل لا يقبله بالنهار .

وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى فريضة .

وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة بإتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم ، وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا أن يكون ثقيلا .

وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة بإتباعهم الباطــل فــي دار الدنيا وخفته عليهم ، وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا أن يكون خفيفــا .

وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم فإذا ذكرتهم قل : إني أخاف أن لا ألحق بهم .

وإن الله تعالى ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ورد عليهم أحسنه ، فإذا ذكرتهم قل : إني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء .

ليكون العبد راغبا راهبا لا يتمنى على الله ولا يقنط من رحمه الله .

فإن أنت حفظت وصيتى فلا يك غائب أبغض إليك من الموت ولست تعجزه[1] .

١- صفة الصفوة جـ١ صـ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

ــ ثالثا ــ

الشــورى

وبيعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

التزم أبو بكر رضي الله عنه في اختيار عمر بالشورى ، وأخذ رأى الناس فــيمن يلي أمرهم ، وأخذ لعمر رضي الله عنه البيعتين الخاصة والعامة .

وقد استشار في البداية كبار المسلمين ، وصحابة الرسول ﷺ وسألهم عن عمر ، فكلهم قالوا فيه خيرا وفق قناعتهم ورؤيتهم بلا ضغط أو إكراه ، ومن رأى فيه شيئا أبانه لأبى بكر رضي الله عنه ليقرر ما يرى ، وكان رضي الله عنه ينــاقش كــل صاحب رأى في رأيه وبخاصة إذا كان مخالفا .

وكان أبو بكر رضي الله عنه حريصا على تعرف آراء الجميع في سرية وأمانــة ، فكان يأمر كل من يستشيره بالكتمان حتى لا يتأثر به غيره ، فلما وقف علــى رأى أغلب القوم في عمر . أشرف على المسلمين تمسكه زوجته أسماء بنــت عميس وقال لهم : **أيها الناس إني قد عهدت عهدا أفترضون به ؟**

فقال الناس : **رضينا يا خليفة رسول الله !...**

فقام على بن أبى طالب رضي الله عنه وقال : **لا نرضى إلا أن يكون عمر !!...**

قال أبو بكر رضي الله عنه : **فإنه عمر !!**[1]

فترشيح أبى بكر رضي الله عنه لعمر كان بعد أن فوضه الصحابة في الاختيار فلما اختار لهم عمر أعلنوا رضاهم به ، وأيضا فإن بعض الصحابة اختاروا عمر بعينه .

وبذلك تكون الشورى قد تحققت في ترشيح عمر رضي الله عنه .

هذا الترشيح هو البيعة الخاصة ، ولا تتم بها البيعة فهي مجرد ترشيح من أهل الحل والعقد يقبله المسلمون أو يرفضونه .

١- تاريخ الخلفاء للسيوطى صــ٩٦ .

وبعد موافقة كبار الصحابة وهم أهل الحل والعقد على هذا الترشـيح دار عثمان رضي الله عنه على الناس فردا ، فردا ، بتكليف من أبى بكر ، وأخذ منهم البيعة العامة وبذلك تم اختيار عمر رضي الله عنه خليفة للناس باختيارهم ورضاهم .

لقد وضع أبو بكر رضي الله عنه الأمر في موضعه ، وأسكت كـل راغـب فـي الخلافة باقتناع ، وأرضى آراء الجميع ...

ومن هذا الذي له رأى بعد اجتماع الأمة على رأى وكيلها الشرعي الـذي وثقت به ؟!!

فهل كان له مقصد غير مصلحة المسلمين ، وحفظ الإسلام ؟

اللهم لا

إذ لو كانت له مصلحة خاصة لورثها لأبنائه وعشيرته .

ولو كان له مأرب في حياته لأخذ ما يريد ، ونال ما يبغاه وهو خليفة ... وكيف يكون له مأرب دنيوى يختفى في صحته وقوته ولا يظهر إلا بعـد أن يضع قدمه على سلم الآخرة !...

وبهذا الاستخلاف أكد أبو بكر رضي الله عنه ، قضاء الإسلام على التحكم الفـردى في توريث العروش المتبع في الكسروية والقيصرية ، كما أكد أن الحكم حـق الأمة لأصلح رجالها .وأعظمهم مقدرة ، ووضع قاعدة رشيدة للمـسلمين فـي ضرورة تولية الخليفة باختيار الجمهور بعد ترشيحه من أهل الحـل والعقـد الأمناء الصادقين .

أما لماذا إتمام البيعة بالطريقة التي اتبعها أبو بكر رضي الله عنه في هذا الاختيـار توفيق ربانى لأن العالم يومذاك لم يعرف الشورى ، ولم يتعود علـى نظـام للاختيار الحر ، ولذلك كان اجتهاد أبى بكر في اختيار هذا الأسلوب موفقا إلى حد بعيد ... مع العلم بأنه لم يحدده طريقا وحيداً للاختيار . بل تـرك للواقـع والمجتهدين يحددون ويختارونه .

رحم الله الصديق وجزاه عن الإسلام وأمة محمد ﷺ خير الجزاء .

المبحث الثاني

ركائز الدعوة المستفادة

من عهد أبى بكر رضي الله عنه

حين نتأمل في حركة الفتوح في عهد أبى بكر رضي الله عنه ، ونحاول أن نأخذ منها الدروس والعبر في محاولة لتحقيق نهضة حضارية تشبه تلك النهضة التي حققها أبو بكر رضي الله عنه للأمة الإسلامية نجد الكثير الذي لا ينتهى .

وسنحاول بإذن الله تعالى ربط أحداث الماضى العريق بمستجدات العصر الحديث لتأكيد أصالة العمل الإسلامي وتوافقه مع ما وصل إليه العقل السليم ، وسنحاول بعد ذلك بإذن الله تعالى وضع هذا في ركائز يحتاجها المسلمون المعاصرون استفادة من أعمال أبى بكر رضي الله عنه ... **ومن أهمها :**

الركيزة الأولى

الجهاد فريضة حضارية

آمن المسلمون بفريضة الجهاد ، والتزموا به ، وقاموا بواجبه وقدموا للإنسانية بذلك عملا أنقذهم من العبودية والاستغلال ، والسخرة ، وحقق لهم الكرامة، والحرية، والمساواة ... وصان حقوقهم ،وجدد ما عليهم من واجبات.

والجهاد فريضة ماضية إلى يوم القيامة ، وهى ثابتة بالكتاب ، والسنة ، وإجماع الأمة .

إلا أنه في العصر الحديث حيث انقلبت أحوال المسلمين ، وصاروا ضعافا بين الناس ، وأصبحوا عالة على غيرهم في كل شئ ... الأمر الذي ضيع الحقوق ، وشوه حياة المسلمين ، وأدخل عليهم ما ليس من دينهم .

في هذا الزمان أخذنا نسمع من يحاول إلغاء فريضة الجهاد ويعمل علـــى إلصاقها بالإرهاب ، وتصويرها بصور منفرة ومؤلمة .

في هذا الوقت يحتاج الأمر إلى بيان يوضح عددا من المسائل بإجمال وهي :

١ـ أسباب الجهاد الإسلامي

٢ـ أخلاقيات الجهاد الإسلامي

٣ـ فلسفة الجهاد والقوى المعاصرة .

٤ـ أهمية استمرار الجهاد للأمة الإسلامية .

٥ـ ضرورة التربية الجهادية .

وبجلاء هذه النقاط تظهر الحقيقة ، ويتضح الصواب .

١ـ أسباب الجهاد الإسلامي :

من خلال تتبعنا لغزوات رسول الله ﷺ والفتوح في عصر أبى بكر رضي الله عنه ندرك أن أسباب الجهاد ترجع إلى ما يلى :

أ ـ فتح طريق الحرية أمام دين الله تعالى ليصل إلى عقول النـــاس وأفهامهم بالصورة التي نزل بها من عند الله تعالى ... وتلـــك قضية حق لا يصح الاعتـــراض عليهـــا ، لأن الله هـــو رب العالمين ، وهو سبحانه وتعالى خير من يربى ويشرع ، ومـــا دام قد أنزل منهج هداية الناس وإصلاح شئونهم ، فمن الواجب أن يصل هذا المنهج إلى الناس ليختـــاروا لأنفـــسهم بـــإرادتهم الحرة ، واختيارهم السليم .

ولا يصح أن يقال : **إن لديهم منهجـــا خاصـــا بهـــم ســـواء اخترعوه من عقولهم ، أو جاءهم من دين آخر ...**

لا يصح ذلك لأن الأديان السابقة لم تأت بمناهج كاملة ، والعقل قاصر على الوصول إلى الكمال ، وقد جاء الإســـلام بـــالمنهج الكامل المناسب للكمال العقلى ، والصالح لكل زمان ومكان .

ومادامت الأديان السابقة والعقول البشرية قاصرة عن حاجات الإنسان المادية والروحية معا فالواجب أن يعلم الناس كل ما جاءهم الله به ... والاختيار لهم في النهاية بعد البيان والوضوح.

إن الجاهل عليه أن يستفيد من العالم ، والضعيف يستعين بالقوى ، والمريض يعالجه الطبيب ، وعلى هذا يلتزم العبد المخلوق بمنهج الله الخالق فهو العليم الخبير .

وهذا السبب ثابت ، تقرره العقول ، والأديان ، ويستمر مع البشرية في تاريخها الطويل .

ب ـ إيقاف الزيف الدعائى ، والتسلط الفوضوى الذي يمارسه الطغاة على الناس ، لأن الثابت تاريخيا أن أمم العالم سيطر عليها طغاة قدسوا أنفسهم ، واستعبدوا الناس بهذا التقديس ، وأخذوا يشوشون على الناس باتهام أى دعوة أخرى بالعدوان ليضمنوا استمرار وضعهم وسلطانهم ... وذلك شأن الطغاة في كل وقت إذ نراهم يعيشون لذواتهم ، ويهملون القيم العالية ، ويشرعون من عقولهم ما يمكن لهم بلا ارتباط بدين أو تشريع ... وفى نفس الوقت يوجهون إعلامهم والمنتقفين بهم إلى الإساءة لغيرهم بالأكاذيب والرفق .

ولو ترك هؤلاء لزاد طغيانهم ، وملأوا الأرض فساداً وبغيا ، ولعم الكون ظلم وظلام ... وبذلك تضيع القيم ، وتفسد تعاليم الدين ... ويعم الجهل والغرور .

هذان هما السببان الرئيسيان للجهاد الإسلامي .

ولقد حاول رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه من بعده التغلب على هذين السببين بالحسنى فلم يجدوا إلا قتل الدعاة والاعتداء على الآمنين ، ومحاولة القضاء على المسلمين أجمعين .

وهنا كان لابد من الجهاد الذي شرعه الله تعالى . وفيه نزل قوله سبحانه ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾[١] . والإنسانية هي هي في مسارها الطويل ، ولذلك كان الجهاد الإسلامي صيانة للحق ، وحماية للتقدم والرقى .

٢ـــ أخلاقيات الجهاد الإسلامي :

برز واضحا خلال الدراسة ما كان عليه المسلمون في جهادهم ، وكانت الوصية الدائمة للمجاهدين أن يبدأوا أولا بالدعوة ، وعرض الإسلام ، فإن استجاب الناس فبها ونعمت ، وإن لا طولبوا بدفع الجزية لحمايتهم ، والدفاع عنهم ، وصيانة حقوقهم ، فإن امتنعوا مع ما فيهم وفى قادتهم من طغيان وفساد يكون الجهاد ...

وقد حث الإسلام المجاهدين على عدم الغلول ، وترك الغدر ، والعدوان وعدم التعرض للأمنين من النساء ، والأطفال ، والشيوخ ، ورجال الدين ... وحسن معاملة أهل البلاد المفتوحة ... وقد حفلت الكتب والدراسات المعاصرة بالحديث عن الأخلاق العالية في الجهاد الإسلامي .

ينبغى أن نقف على حقيقة الواقع الاجتماعى في البلاد المفتوحة بواسطة الجهاد والمجاهدين قبيل الفتح لنعرف أخلاقيات الجهاد الإسلامى ودوره مع الناس .

إن الواقع يؤكد مدى القهر الذى كان الناس فيه .

فهم العبيد يتحكم فيهم السادة ...!

وهم الضعاف يستنزفهم الأقوياء ...!

وهم العامة يلعب بهم رجال الدين ، ومنتفعوا المذاهب ...!

لقد حولتهم النظم يومذاك إلى سلعة تباع وتشترى ...!

إن الواقع يشهد بأن أهل البلاد المفتوحة دخلوا في الإسلام حبا فيه ، وفى

١- سورة البقرة آية ١٩٠

معتنقيه ، وأسرعوا إلى تعلم اللغة العربية ليتقنوا فهم الوحي ، كما اهتموا بإتقان فهم الإسلام ، والتبحر في أصوله وفروعه .

لقد قدمت البلاد المفتوحة نوابغ التابعين ، وأئمة الهدى والفكر أئمة الهدى حتى رأينا هم أئمة في الفقة الأصول كأبى حنيفة رضي الله عنه ، ورأينا منهم الحفظة والمحدثين كأصحاب الكتب الستة ، ورأينا سباقين في كل المجالات العلمية حتى حققوا لسلف الأمة نهضة عالية .

ولو كان الجهاد غدرا ، وعدوانا ، وإهانة لكرهوه ، وكرهوا مشروعيته ، وكرهوا كل من يؤمن به . لكنهم تحولوا إلى مجاهدين ، وأحبوا إخوانهم ، وجاهدوا في سبيل الله بكل ما أمكنهم وكانوا من الصافين ...

٣ــ القوى المعاصرة وفلسفة الجهاد :

تبدل الحال ، وأصبحت القوة مع غير المسلمين ورأيناهم وهم يملكون الحياة يحاولون تشويه الجهاد الإسلامي ويتهمونه بالعنف ، والإرهاب والإكراه وفى نفس الوقت يعتمدون فلسفته .

إنهم الآن يجندون الجنود ، ويجيشون الجيوش ، ويعدونها بالسلاح والعتاد ويجهزونها للقضاء على الظلم والطغيان في أى مكان في العالم . ويطلقون عليها مسميات عديدة مثل :

" قوات حفظ السلام الدولى "

" قوات التحالف "

" القوات المتعددة الجنسيات "

" قوات فض الاشتباك "

... ألخ هذه المسميات ، وفلسفتها المعلنة أنها تهدف إلى القضاء على الطغيان ومحاربة المفسدين ، ومساعدة الضعفاء على اكتساب الكرامة ، وتحقيق الديمقراطية ، والقضاء على الفساد ، وقد تحركوا تحت هذه المسميات بأهدافها المعلنة إلى أفغانستان والعراق والصومال والسودان ... والأمر مستمر ...

هذه أهدافهم المعلنة ولذلك حاربوا بقواتهم في أماكن كثيرة من العالم .

وهى هي نفس فلسفة الجهاد الإسلامي فلماذا الهجوم عليه ؟!

وإذا جئنا للتطبيق الواقعى للقوى المعاصرة فإننا نراها تعمل بلا خلـق ، وأهدافها الحقيقية ليست هي المعلنة ، وأخبار الاغتصاب والتعذيب ، والقتـل تلازمهم في كل حين .

إنهم يهدفون إلى السيطرة على الشعوب ومحاربة الإسلام ، وإخضاع كافة القوى لإرادتهم .

بينما الجهاد الإسلامي بأخلاقه العالية شهد له القاصى والدانـى ، وأعظـم الشهادة له كانت من أبناء البلاد التي تم فتحها ، وجرت فيها وقائع الجهاد .

وعلى هـذا

يكون واجب المسلمين أن يحافظوا على فريضة الجهاد ، ويستعدوا للقيـام بها ملتزمين بأخلاقها ، وأهدافها ، وليعلموا أن الجهاد هو الوسـيلة الأساسـية لتحقيق وجودهم ، وحماية دينهم وأوطانهم ، وهو السبيل الوحيد لمواجهة أعداء الأمة وإفساد مخططاتهم .

إن الأعداء يحاولون بكل وسائلهم صرف المسلمين عن فريضة الجهاد ... وعلى المسلمين أن لا تبعدهم خطط الأعداء عن الجهاد المشروع ... وليتيقنوا من صدق صيحة أبى بكر ﷺ وهو يقول : **ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا .**

٤ـ أهمية استمرار الجهاد للأمة الإسلامية :

القوى الكبرى اليوم تفرض شروطها ، وتمارس العدوان علـى الضعفـاء بعلل واهية لا حيلة للضعفاء إزاءها ... ولا نجاة للمسلمين اليوم إلا بالمحافظة على الجهاد المشروع ، صيانة للحق ، وحماية للدين ... وقد أثبتت التجـارب أن الكلام والصوت وحده لا يكفى ... ولا ضمان لحق إلا بتضحيات أصحابه ومحافظتهم على الجهاد ، ولن تقوم نهضة الأمة إلا بما نهضت به أول مـرة وقد أقام الجهاد دولة الإسلام الأولى وأسكت الردة ، وأزاح طغيـان الفـرس

والروم وحقق للمسلمين هيبة ، وعزة ، وكرامة ... فلما تقاعس الناس عن الجهاد ضاعت حقوقهم ، واستهان بهم خصومهم ، وما تفعله إسرائيل دليل شاهد على ضيعة المسلمين بترك الجهاد .

٥ـ ضرورة التربية الجهادية :

الأمة المسلمة بمجموعها مسئولة عن حماية الدين ، وحسن سياسة الدنيا ، وعليها أن لا ترضى بالواقع الذليل الذي تعيش فيه وذلك يحتاج منها إلى :

- الابتعاد عن التفرق المذهبي . والالتقاء على كلمة سواء .
- أخذ الحذر من تتبع مناهج غير المسلمين وتوجيهاتهم لأنهم يصدرون للمسلمين ما يضر دينهم ودنياهم .
- الالتزام بمنهج الإسلام في التربية والتكوين .
- ضرورة إعداد القوة ، وتنشئة الشباب على حب الجهاد والتضحية في سبيل الله تعالى .

وبغير هذا الطريق سيبقى للمسلمين ضعفهم . وتدوم الأمة في الضعف والهوان .

الركيزة الثانية

الدولة الإسلامية حقيقة ثابتة

امتد الإسلام في عهد أبى بكر رضي الله عنه إلى الجزيرة العربية وإلى بلاد العراق ، وفلسطين ، وأخذ أبناء البلاد المفتوحة ينتظرون ماذا يفعل المسلمون بهم ... وبخاصة أنهم كانوا يرون العرب قبل الإسلام قبائل متفرقة في الصحراء ، لا يجمعها إلا الحرب ، والقتال ، حيث كانت كل قبيلة تمثل دولة مستقلة لها نظامها وتقاليدها . بينما كانوا هم يعيشون في إطار إمبراطورية منظمة لها جيشها ، وولاتها ، ونظامها الإدارى والمالى والدولى ... الخ ما عرف عن الفرس أو الروم من نظم وخطط .

ولم يطل تأمل الناس فلقد رأوا المسلمين أمة جديدة تغاير كل ما كان عليه العرب والأعراب .

رأوا المسلمين يخضعون لحاكم واحد هو الخليفة الذي اختاروهم بإرادتهم ، وخضعوا لسلطانه ، وأطاعوا أوامره ، ورأوا أن هذا الخليفة يتبع مرجعية ثابتة هي نصوص الوحي المنزل من كتاب وسنة .

ورأوا أن هذا الخليفة رضوان الله عليه يستشير أصحابه ، ويخطط لمواقفه ويحدد لكل شأن حاجته ، ويغطى بقراراته سائر الشئون ، وكافة الأمور .

رأوا هذا الخليفة يخطط للعدو والقتال ، ويرسم لكل حركة طريقها ، وهدفها ، ومآلها الأخير .

ورأوا هذا الخليفة يعين الولاة ، ويرسم القضاء ، وينظم القيادات .

ورأوا هذا الخليفة يشرف على كافة شئون الأفراد والجماعات ، ودائما يجدونه داعيا إلى الله بالحكمة ، محققا العدل بإنصاف . مراعيا كافة الحاجات والمعونات .

رأوا المناداة المستمرة بالتزام حسن الخلق ، والقيام بفضائل الأعمال .

رأى الناس كل ذلك بأعينهم ، ولم يكتفوا بسماعه بآذانهم بل رأوه مطبقـا بأعينهم ، وعاشوه بذواتهم فتيقنوا أنهم أمام نظام جديد ، ينبع من عند الله ، وينتشر في الأرض ، وفيه كل مقومات السعادة والحياة ... فسعدوا به ، وأطاعوه ، ورموا ما كانوا فيه خلف ظهورهم وذهبوا إلى الفتح والإسلام .

أقام أبو بكر رضي الله عنه دولة منظمة متكاملة الجوانب والأركان لا تحتاج لنظام من هنا أو من هناك ... اللهم إلا في بعض الخطط العسكرية ، أو الترتيبات الإدارية.

لقد أقام أبو بكر دولة الإسلام ، وأرسى الحقيقة الثابتة وهى :

أن الإسلام دين ودولة .

فهو دين ينظم كافة علاقات الإنسان بالله وبغيره من الناس .

وهو دنيا لأنه يملك النظام السياسى الذي يقيم الدولة بكافة عناصرها ومؤسساتها ، وينظم العلاقات الدولية ، ويوقع المعاهدات والاتفاقات المختلفة مع المسلمين ومع غيرهم .

ومن الغريب أن هذه الأمور ثابتة بمراجعها ومصادرها ومع ذلك يأتى من الناس من يقول : **أن الإسلام دين لا دولة فيه ، وهو خال من نظام سياسى خاص به** ويدلل على مزاعمه بواقع المسلمين المعاصر ، لأنهم جميعا يعيشون في إطار نظم ديكتاتورية تأخذ دساتيرها وقوانينها من الفكر الوضعى شرقا وغربا ، ويزعمون مع هذا أن الإسلام هو سبب التخلف ...

وتوضيح هذا الأمر سهل لأن العالم الإسلامي رزح تحت نير الاستعمار الاجنبى مدة طويلة ، تمكن خلالها المستعمر من تعطيل الحكم بشرع الله ، وإيجاد طبقة تابعة له ، غريبة في حقيقتها قريبة الصور والمسميات من العامة إرضاء للعامة ، وذرا للرماد في العيون .

لقد قتلوا التطبيق الإسلامي . وبعدها يتساءلون أين هو التطبيق ؟

فهم القتلة . ويبحثون عن القائل ...!!

وهنـــــا

نستغيث بأبى بكر رضي الله عنه ونعود إليه في حياته ، ودولته ...

ونحيل المشككين إلى عهد أبى بكر رضي الله عنه ليروا كيف أقام دولتــه وكيــف أسسها على دعامات دينيه أصيلة .

ومن الغــريب ...

إن هؤلاء المشككين يعلمون حقيقة دولة الإسلام ، وحقيقـــة مـــا فعلـــوه ، ويحاولون استمرار ما خططوا له ... وذلك ظاهر في معاداتهم ، وهجـــومهم على أى محاولة في أى مكان في العالم لإبراز الإسلام الـــسياسى فـــي حيـــاة الناس.

وسوف يستمر هؤلاء الأعداء في محاولات الهدم والتفتيت ، ولن يقلعـــوا عن الكذب والافتراء ، ولن يتوقفوا عن إبعاد النظام الإســـلامي عـــن الحيـــاة ما دام استسلام المسلمين ، وخنوعهم ، وعدم غيرتهم لدينهم الحنيف .

والواجــب هنـــا

نوجهه للمسلمين المخلصين ليفهموا دينهم ، ويعملوا بمقتضاه ، ويلتزمـــوا بما جاء به ويقيموا دولة الله في الأرض ، لأن في ذلك إقامة الحق ، وإزهاق الباطل ، وصيانة الكرامة والعزة للإنسان ... ورد قوى لكل ألـــوان الزيـــف والبهتان .

إن كل مسلم مسئول عن إقامة الإسلام في قلبه ـــ **أولا** ـــ وعليه أن يراجع نفسه بين الحين والحين ليعرف مدى قربه أو بعده عـــن الإســـلام ـــ عقيـــدة وشريعة وخلقا ـــ وعليه ـــ **ثانيا** ـــ أن يقيم الإسلام في بيتـــه وأســـرته فهـــم رعاياه وهو مسئول عن رعيته .

وعليه ـــ **ثالثا** ـــ أن يكون دعوة قولية وعملية لأصدقائه ، ومرافقيه وكل من يعاشرهم .

وبعدما ستجد الدولة نفسها مضطرة أن تكون وفق رغبات الناس وتوجهاتهم.

الركيزة الثالثة

أهمية العلم في الدولة الإسلامية

دعا الإسلام إلى العلم ، ورفع شأن العلماء ، وحثهم على جعل العلم طريق التقدم والخير ، وسبيل البناء والنهضة .

وقد أخذ الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين بالتلقى المباشر من رسول الله ﷺ فحفظوا القرآن الكريم ، وحفظوا السنة النبوية ، وأخذوا منهما أحكام الحياة من كافة جوانبها . فأقاموا بذلك سياجا دينيا لكل أمر من الأمور وبرعوا في كافة الأنشطة ، فامتلكوا القوة المادية وهم مؤمنون .

والتزم أبو بكر رضي الله عنه بما ورثه وأصحابه عن رسول الله ﷺ وأقاموا دولتهم على أساس علمهم بالدين ، وبتوجيهات وتطبيقات النبي ﷺ لهم .

والناظر في عهد أبى بكر رضي الله عنه يرى اهتمام الخليفة بالعلم بكل صوره ، ويرى تقديره للعلماء كافة،إذ كان يستشيرهم،فهم أولو الرأي عنده،وكان رضي الله عنه يوليهم إدارة الولايات ، وقيادة الجيوش اعتمادا منه على جدارتهم ومعارفهم ، وصدقهم مع الله ورسوله ... ولذلك لا عجب أن رأينا رجال الشورى ، والولاة والقادة في عهد أبى بكر رضي الله عنه من كبار رواة الحديث عن رسول الله ﷺ . ومن المعلوم أن حفظ السنة يأتى تبعا لحفظ القرآن الكريم ، وبالقرآن والسنة تنفتح العلوم كلها .

وكما اهتم المسلمون بعلوم القرآن والحديث اهتموا بعلوم الحياة فنشطوا في التجارة ، والزراعة ، والصناعة ، وحركة المال ... وأتقنوا أحكام البيع ، والرهن ، والسلم ، والخيار ، والتجارة والمضاربة . وإحياء الأرض . والجهاد والأعداد .

إن هذه الأمور تؤكد اهتمام الدولة الإسلامية في عهد أبى بكر رضي الله عنه بالعلم والعلماء لما في ذلك من أهمية في تحقيق النهضة والتقدم .

والمسلمون في العصر الحديث في أمس الحاجة إلى هذه الركيزة فإنها مع أهميتها في العهد الماضي نجد أنها أشد أهمية في العصر الحديث .

إن العالم المعاصر يعيش صراعا يتصوره صراعا بين الحـضارات ، إذ يحاول أصحاب كل حضارة أن تسبق علميا ، و تخترع ما يمكنها من السبـق والغلب .

والحقيقة أن الصراع ليس بين الحـضارات ، لأن الحـضارة الإسـلامية لا تصارع غيرها ، وإنما تحاول أن تقدم نفسها للغير في صورة أمن وسـلام ... وفى نفس الوقت يقدم الغير حضارته لتسود العالم كله ، وتزيل ما عـداها من حضارات ، ولذلك فهو في صراع لا يقره الإسلام .

ولو كانت الحضارة الغربية وغيرها قائمة على التقدم المادى وحده لرحب بها الجميع لما في التقدم المادى من خير وفائدة ... لكنها تقدم جانبها المعنوى وفلسفتها الفكرية لتسود العالم ، وتتحكم في كافة أنشطته ، وأركانه ... ولذلك تبدع في الجانب المادى ما يساعد على إفساد الجانب المعنوى ، وتقدم لغيرهم الصور الباهتة الضالة لتشغلهم بها ، وتصرفهم عن أى سبق جاد ، وتبعـدهم عن طريق الحضارة المادية النافعة .

إن الحضارة المادية الغربية هي التي توجه الجانب المعنوى نحو الفسـاد والإفساد بما تخترع له من مثيرات شهوانية ، وبدعوتها للحرية المطلقة التـي تضيع القيم ، وتفسد الأخلاق ، وتعتدى على الحقوق ، وتهمل الواجبات .

وبعد ذلك تدعى أن ما يحدث بين من يتمسكون بمواريثهم ، ومن يجـرى وراء حضارتهم بالمتصارعين ، ويسمون ذلك صراع الحـضارات ، وكـأن حضارتهم قد اعتدى عليها .

إنها إرادة السيطرة ، وحب الغلب ، والتوجه نحو الاستعلاء والتفرد .

إن الفساد الموجود في الدول الضعيفة هو من صناعة الدول الكبـرى ... وشأن الضعيف أن يصيح بلا فائدة ، وينادى بلا مجيب .

إن الفساد والتحلل في المجتمع الغربى يتلاءم مع هذا المجتمع وحـــده ... وحين نقله مجتمع المسلمين يظهر قيمه وشذوده ... ويعده الناس جرما لا خلق فيه .

تلك هي الحقيقـــة .

والمطلوب من المسلمين أن يهتموا بإسلامهم علما ، وعمـــلا ، وفهمـــا ، وسلوكا ففى ذلك الغناء .

يوم أن اهتم المسلمون بالعلم سبقوا في المجالات كلها سواء كانت علوما نظرية أو علوما تجريبية .

أما الآن فالوضع العلمى للمسلمين متخلف ، ولذلك صاروا عالـــة علـــى الناس .

وهنا نعود إلى التاريخ ونتساءل : **أين أيام أبى بكر رضي الله عنه ؟!**

لقد بدأ التخلف العلمى بين المسلمين بالعلم التجريبى والآن عـــم التخلـــف سائر العلوم ، لدرجة أن تجد شخصا مسئولا لا يعرف من أحكام الـــشريعة إلا القليل .

فكيف يعلم من ولى أمرهم ؟

وكيف يقدره الناس وفيهم من أعلم منه ؟

ولهذا نكرر السؤال :

أين أيام أبى بكر رضي الله عنه ؟؟

الركيزة الرابعة

القيـــام بالدعـــوة

ضرورة واجبة

حمل الإنسان الأمانة ، ورضي منذ القدم أن يتحمل مسئولية الدين مؤمنا به وداعيا إليه .

وجاء الإسلام خاتم الأديان ، وجعل الله علماءه كأنبيـاء أديـان سـابقة ، وعرف رسول الله ﷺ الناس بمسئوليتهم تجاه دين الله تعالى ... ومـن أهـم الواجبات نشره بين الناس ، وتبليغه للعالمين .

وأدى سلف الأمة هذا الواجب بصدق و أمانة ، و خلفوا الأمر من بعـدهم ليتوارث المسلمون هذا الواجب جيلا بعد جيل .

اهتم أبو بكر رضي الله عنه بالدعوة إلى الله تعالى ، وهيأ الدولة المـسلمة بكافـة عناصرها ، وأعمالها لتساهم في هذا الواجب فقاموا به خير قيام .

قام العلماء وأولوا الأمر بتعليم من يلونهم ، ومن يتصل بهم وكانوا خيـر ناصحين لله ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم .

وقام المجاهدون ... وغيرهم بالدعوة إلى الله تعـالى بـالقول والعمـل ، والقدوة ، والسلوك ، والأوصاف والحالات لأنهم كان في كل هذا مـسلمون صادقون . فرأى الناس الإسلام عملا وتطبيقا ، قبل أن يروه مواعظ وكلمات . فنصروا دينهم وانتصروا به .

وفي هذا ركيزة أساسية للمسلمين المعاصرين علـيهم أن يهتمـوا بهـا ، ويعدوا لها عدتها المادية والمعنوية .

إن واجب المسلمين أن يحيطوا العمل الدعوى بعوامل نجاحه من ناحيـة إيجاد الداعية الكفء ، وإمداده بكل ما يحتاج إليه ، ومساعدته في تبليغ ديـن الله تعالى ، وتهية الرأي العام للسماع له . والوقوف على حقائـق الإسـلام

بالحسنى .

ولا يصح مطلقا أن يظهر الداعية في مؤخرة النـــاس ، ولا أن نــصوره بصورة مزرية في وقت يظهر فيه الفساد والهوى بثوت مزركش جميل .

إنها مسئولية هامة . وعلى المسلمين أن ينتبهوا لها .

إن القيام بالدعوة الإسلامية يحقق للمسلمين المعاصرين عددا من الفوائد :

أولـــى هذه الفوائد :

أن يصير للمسلمين ذاتية يعرفون بها ويتميزون بها وســط العــالم ، لأن الأمم اليوم لها اهتماماتها الخاصة المرتبطة بها . كالرأسمالية ، والديموقراطية والاشتراكية . وهكذا ... وواجب على المسلمين أن يرتبطوا بدينهم .

ثانـــى هذه الفوائد :

أن الدعوة إلى الله تعالى تصل المسلمين بخالقهم ، لأنهم حين يعملون على ربط الناس بخالقهم فإنهم يرتبطون به أولا . فالدعاة إلى الصلاة يــصلون ... والمنادون بالخلق يتخلقون ، والحريصون على السبق يسبقون ... وهكذا .

ثالثهــا :

أن الدعوة إلى الإسلام تحقق للمسلمين احترام العالم ، وتقــديره ، وذلــك لأنهم يدركون أن المسلمين يتميزون بأصالتهم الخاصة ، ومــرجعيتهم التــي يتفردون بها ، وليسوا بعالة على هذا الفريق أو ذاك ، وكلما اعتــز الإنــسان بنفسه احترمه الآخرون .

رابعهــا :

إن الدعوة إلى الله تعالى قيام بالواجب وتحمل للمسئولية ، وحينئذ يرضى المسلم عن نفسه ويشعر بقيامه بالواجب عليه .

وأخيــــرا ...

فإن الدعوة إلى الله تعالى طريق التقدم والنهضة ، وسبيل العلا والرقى .

لقد سبق بها المسلمون الأوائل ، والواجب أن نكون مثلهم ، وعلى طريقهم .

الركيزة الخامسة

أهمية اتصال المسلمين بغيرهم

الإسلام دين للجماعة كما هو دين للفرد بالضرورة ، حيث يربط الإنسان بأخيه،ويدعو إلى توسيع دائرة التلاقى،والتعاون . في صور عديدة وأعمال كثيرة.

إن حركة الإسلام في حقيقتها لا تكمل إلى في إطار الجماعة ، فالمسلم عليه أن يقيم أسرة مسلمة يكون مسئولا خلالها عن أمه وأبيه ، وأخته وأخيه ، وصاحبته وبنيه ، يربى ، وينفق ، ويعين ، ويعان ، وينشد الخير لهؤلاء ولغيرهم من الناس .

وعلى المسلم أن يهتم بشئون الجماعة فهو واحد منهم ، ينصح ، ويشير ، ويتفاعل مع الحاجات التي يطلبها من المجتمع الكثير .

إن عبادة الإسلام تؤصل في المسلم الروح الجماعية . فهو إذ يصلى ، أو يصوم ، أو يزكى ، أو يحج يجد نفسه مع إخوانه في عمل واحد ، وتوجه واحد ، وغاية واحدة .

وتشريعات الإسلام في العبادات ، والمعاملات ، وشئون المال تؤدى إلى إقامة حياة المسلمين على تواصل دائم ، وتعاون كامل ، وتحديد للحقوق والواجبات ليسير المجتمع نحو الخير والفلاح .

لقد كان المسلم في عهد رسول الله ﷺ يؤمن بمسئوليته الكاملة تجاه الناس وتجاه دينه ، وتجاه ما يحيط به من مخلوقات . فحافظ عليها وقام بها .

قام بمسئوليته تجاه الناس فأحب إخوانه وعلم أن " **المسلم أخ المسلم** " [١] كما قال ﷺ .

وأيقن أن ...

" **المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى فيه عضو**

١- صحيح البخارى ــ كتاب المظالم . باب المسلم أخو المسلم جـ٤ صـ٢٣٠ .

تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى كما قال: رسول الله "[١] .

وسلم بأن التعاون أمر ضروري لتحقيق الخير والتقدم وطاعة الله لقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢ ﴾[٢].

وعاش عمليا حقيقة الإيمان وصورة المؤمنين كما عرفهم رسول الله ﷺ في قوله : " **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا** "[٣] .

وقد برزت مسئولية المسلم تجاه إخوانه في صور عديدة . حيث انتشر التناصح الأمين ، والتعاون التام ، فمن مرض يعوده أصحابه ، ومن ابتلى بأمر أغاثه إخوانه .

وبالحكمة كانوا جميعا يدا واحدة في السراء والضراء ... وقام المسلم كذلك بواجبه تجاه دينه فاهتم بحفظ القرآن الكريم ، ومعرفة السنة النبوية ، والوقوف على أحكام الإسلام ، وجعلها مصدر التشريع ، ومناط الإتباع ... كما اهتم بأمر الدين ، وقام بإيصاله إلى الناس ، ودعا إليه من يعرفه ، ومن لا يعرفه ، وأمكنه الوصول به إلى الناس ، مسلمين كانوا أو غير مسلمين ، وبذلك تحولت البيوت ، والمجالس و اللقاءات إلى مركز لفهم دين الله تعالى ، والدعوة إليه بالحكمة ، واللين ، والحسن .

وقام المسلم أيضا بواجبه تجاه كل ما خلق الله تعالى وفق شرع الله . فهو

١- صحيح البخارى ــ كتاب الأدب . باب رحمة الناس جـ٩ صـ٢٢٣ .

٢- سورة المائدة آية ٢ .

٣- صحيح البخارى ــ كتاب الأدب . باب تعاون المؤمنين جـ٩ صـ٢٢٧ .

رفيق بالحيوان ، محافظ على النبات ، يضع كل شئ في موضعة في نظام وطهارة ، وحسن .

هذا هو المسلم في علاقاته ، وهذا هو الإسلام بروحه الجماعية والاجتماعية .

عاش أبو بكر رضي الله عنه هذه الحقيقة فعمل على نشر العدل بين الناس ، وحكم فيهم بشرع الله تعالى ، واهتم بتعليم الإسلام ، والدعوة إليه ، وكلف الولاة وقادة الجهاد بدعوة خصومهم ، وتعريفهم بالإسلام ، وأن يعيشوا الإسلام بأقوالهم وأفعالهم .

وعلى هذا يمكننا القول أن الدولة الإسلامية أقامت علاقات طيبة مع الآخرين ، ولم تعش في عزلة ، وانقطاع عن الناس .

إن الإسلام دين يقوم على العلم ، ويظهر في تطبيق المؤمنين ، ولا يتم ذلك إلا بتعليم الإسلام ، وتفهيمه للناس ليتمكنوا من معرفته ، وتطبيق تعاليمه.

والإسلام ــ كذلك ــ دين ينتشر بالدعوة ، وذلك يقضي بأهمية التعامل الحسن مع سائر الناس لتكون الدعوة إليهم موجهة بلسان الحال ، ومنطق العمل والمقال .

والعالم كله هو أمه الدعوة على مدار الزمن حتى تقوم القيامة ــ وأهمية التواصل بين المسلمين وغيرهم ضرورة لتتم دعوة العالم بالحسنى ، وحتى يتم القيام بهذا الواجب الدعوى الهام .

ومن هنا ...

فإن درسا مهما يجب العمل به في العصر الحديث خدمة للإسلام والمسلمين ، وذلك يقضي بأهميةالعمل على تكوين علاقات جيدة بين المسلمين وغيرهم شريطة أن يفهم المسلمون إسلامهم ، ويعيشون به في حياتهم ، وأعمالهم .

إن تكوين علاقات حسنة مع الآخرين يحقق نتائج هامة .

فهو ــ **أولا** ــ يبرز الحقيقة الإسلامية كما أرادها الله تعالى لكل مسلم ، وهي أن يعيش بكيانه كله لله ، وأن يلتزم في كل أموره بأوامر الله تعالى ، وذلك كما يقول الله تعالى ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴿١٦٢﴾ ﴾[1] .

وهو ــ **ثانيا** ــ يبين ما في الإسلام من يسر وفائدة لأن التطبيق الحسن للإسلام يجعله عادة متوافقة مع الفطرة ، بلا حرج ولا مشقة ، كما أنه يحول العبد إلى إنسان ذي خلق عال يفيد نفسه ، وأهله ، وأمته ، والناس أجمعين .

وهو ــ **ثالثا** ــ يرد ما يشيعه أعداء الإسلام عن الإسلام ليثبت الحق ، وينتهي الزيف والكذب .

إن أعداء الإسلام يلحقون به العنف ، والإرهاب ، ومعاداة الحضارة ، والتقدم ... وتلك كلها أكاذيب تحتاج إلى من يردها ، وينفيها ... وليس هنا أبلغ من التطبيق الإسلامي الصحيح في رد هذه الافتراءات .

وهو ــ **رابعا** ــ يعد دعوة عملية للإسلام ، لأن الناس الذين يرون المسلم بإسلامه سيعجبون به ، وسوف يتساءلون عن سبب استقامته ، ودقته ، وأمانته وحبه للخير .

وسوف يتساءلون عن رقيبه الذي يراقبه ، وقائده الذي يوجهه ...

وسوف يبحثون عن الغاية التي يعمل لها ، ويبذل جهده ونشاطه من أجل الحصول عليها .

وسوف يصل الناس في بحثهم ، وسؤالهم إلى معرفة أن الإسلام هو سبب ما عليه المسلم من استقامة ، وصدق وأمانة ... وسيعلمون أن المسلم يتعامل مع الله الذي يعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور ، وأنه على يقين دائم بأن الله سبحانه وتعالى يراه في كل حركاته وسكناته وسائر عمله ومقالاته ... وأن غايته هو إرضاء الله تعالى ، ونيل ما عنده من نعيم ورضوان ... وهو وإن

١- سورة الأنعام آية ١٦٢ .

كان ينال متاعا دنيويا بعمله ، وسلوكه فإن هذا المتاع يأتي تبعا للغايات الكبرى التي ينشرها ، والقيم الإنسانية العالية التي يؤسسها ، ويدعمها يقول الله تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[١] .

إن الإسلام انتشر بين الناس بالكلمة الحسنة ، والدعوة الحكيمة ... ولم يكن السبب في إسلام الناس غزو ، أو جهاد ، أو فتوح .

إن المجاهد المسلم كان يرحب بالجزية يدفعها غير المسلم ، ويحقق له إزاءها أمنه، ويصون له حياته ، على أن يكون له ما للمسلم وعليه ما عليه ... وكانت الجزية قدرا ماليا ، يعبر به الذمى عن ولائه للنظام الجديد ... ويفرق به المسلمون بين الذمي والمحارب .

والأهم هنا هو البحث في سبب إسلام أهل البلاد التي افتتحها أبو بكر رضي الله عنه .

لم يكن السبب هو التخلص من الجزية لأن الذمى كان يدفع بعد إسلامه أضعاف ما كان يدفعه في الجزية بالإضافة إلى مسئوليته الجديدة في مشاركة المسلمين في الحماية والجهاد .

إن السبب الحقيقى يرجع إلى وضوح الصورة الإسلامية ، وفهم تعاليم الله وذلك من خلال رؤية الأعمال ، وسماع الأقوال ، والإطلاع على تصور جديد يقدر الإنسان ، وينشر الحق ، والعدل ، والمساواة .

إن الدعوة إلى الإسلام تحتم ضرورة التواصل مع الناس ليستمر الإسلام بين الناس بوضوحه وخيريته .

إن التجار هم الذين نشروا الإسلام بأخلاقهم الإسلامية في أغلب مناطق العالم .

إن حركة الإسلام في العصر الحديث ، وفى البلاد غير الإسلامية تؤيد هذه

١- سورة الشورى آية ٢٠ .

الحقيقة ، وتؤكد أهمية التواصل ، والتعاون ، والعمل مع سائر الناس في العالم كله .

إن الدعوة إلى الإسلام لا تقوم إلا في حضور جماعى ، متواصل لضرورة وجود داع ومدعوين . ومن هنا كانت حتمية وجود الجماعة لنشر الإسلام وتبليغه للناس .

الركيزة السادسة

ضرورة الاستفـــــادة

مــــن الوقـــت

العمر أنفاس محدودة ، ولحظات معدودة ، تتوالى حركته ، وتتابع مراحله والإنسان مكلف بواجبات عدة خلال عمره ،وعليه أن يستفيد بالوقت لأدائها .

ومن المعلوم أن الواجبات أكثر من الأوقات ، ولذا فإن العاقل يستفيد مـــن كل عمره الذي يعيشه في الحياة الدنيا .

والأمم كالأفراد في صفحة الزمان ، إما أن تستفيد به حركة وبناء ، وتقدما وإما أن تضيعه في اللهو والعبث .

والعاقل من أدرك هذه الحقيقة ، واستفاد بعمره ، وسد منافذ الشيطان فـــي حياته ، وبعد عن التقصير وإضاعة الفرص .

وقد كلف الله الإنسان ، ووزع تكاليفه على ساعات الليل والنهار ، والأيام والشهور ، والسنين ، وبث في كل ذلك العلاقات الجاذبة ، والبراهين القويـــة ليستفيد الإنسان بكل وقته .

إن الإسلام نظم حياة الفرد ، وحياة الجماعة ، وجعل كل فرد مسئولا عن غيره ، وجعل الجماعة مسئولة عن أبنائها . في إطار شرعى محدد ... ومن المعلوم المحتم أن كل إنسان سوف يسأل سؤالا تفصيليا عن حياته ونـــشاطه .

يقول النبي ﷺ : **لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع :**

ـــ عن عمره فيم أفناه ؟

ـــ وعن شبابه فيم أبلاه ؟

ـــ وعن ماله . من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقه ؟

ـــ وعن علمه ماذا عمل به[١] .

١– صحيح البخارى .

وقد قال الحكماء :

دقات قلب المرء قائلة له   إن الحياة دقائق وثوان

وقالوا :

الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك

وقالوا :

الوقت من ذهب فمن لم يأخذه ذهب

وقد أوجب الله على المسلمين أعمالا بالليل لا يصح أداؤها بالنهار ،وكلفهم بأعمال بالنهار لا يصح أداؤها بالليل والعاقل من دان نفسه ، واستعد بدنياه لآخرته .

إن الأمم الناهضة هي الأمم العاملة المجدة التي تخطط لعملها ، وتستفيد بماضيها لحاضرها ، وتراجع عملها بين الحين والآخر ، لتتمسك بما هو مفيد وتترك مالا فائدة فيه .

وقد استفاد أبو بكر ﷺ والمسلمون معه بوقتهم ففى عامين وثلاثة أشهر ولى أبو بكر ﷺ الخلافة خلالها قام بأعمال " سبق ذكرها " ، لا يتصور عقل الانتهاء منها في هذه المدة الوجيزة ... لكن الواقع يؤكد حدوثها . ويرجع ذلك إلى قيام المسلمين بواجبهم ، وعدم تفريطهم في أى عمل لزمهم فإنهم رضوان الله عليهم كانوا يسارعون إلى الخيرات ، ولم يؤجلوا عمل اليوم للغد ولم يهملوا أمرا يحتاج إليه الناس ... لقد أقاموا حضارة راقية في مجالات العلم والعمل ، والفكر والسلوك ، والتربية والخلق ، وقدموا حياتهم لخدمة دينهم ، وجعلوا دينهم هامة عظيمة تشهد بالحق ، والرقى ، والأمان .

والمسلمون اليوم ...

ماذا أصابهم ؟؟

فالجهالة تتسلط عليهم . فبرغم كثرة الجامعات ، وتعدد التخصصات ، وتنوع المدارس ، وكثرة مؤسسات التوجية ... برغم ذلك فلا أثر للعلم في

الحياة ، ولا فائدة من كل هذه المنظومات ، والمؤسسات ... لقد أصبحت صورا بلا روح ، ورحى بلا طحين . وإن لا ... فأين النتائج والآثار ؟!!!

وأما الجمهور فالبطالة تقتلهم ، والهوى يلعب بهم ، والتسول صار سمتهم الرئيسى ... مع أنهم يملكون المال ، والموارد ، والعلماء ، والرجال ... وغير ذلك .

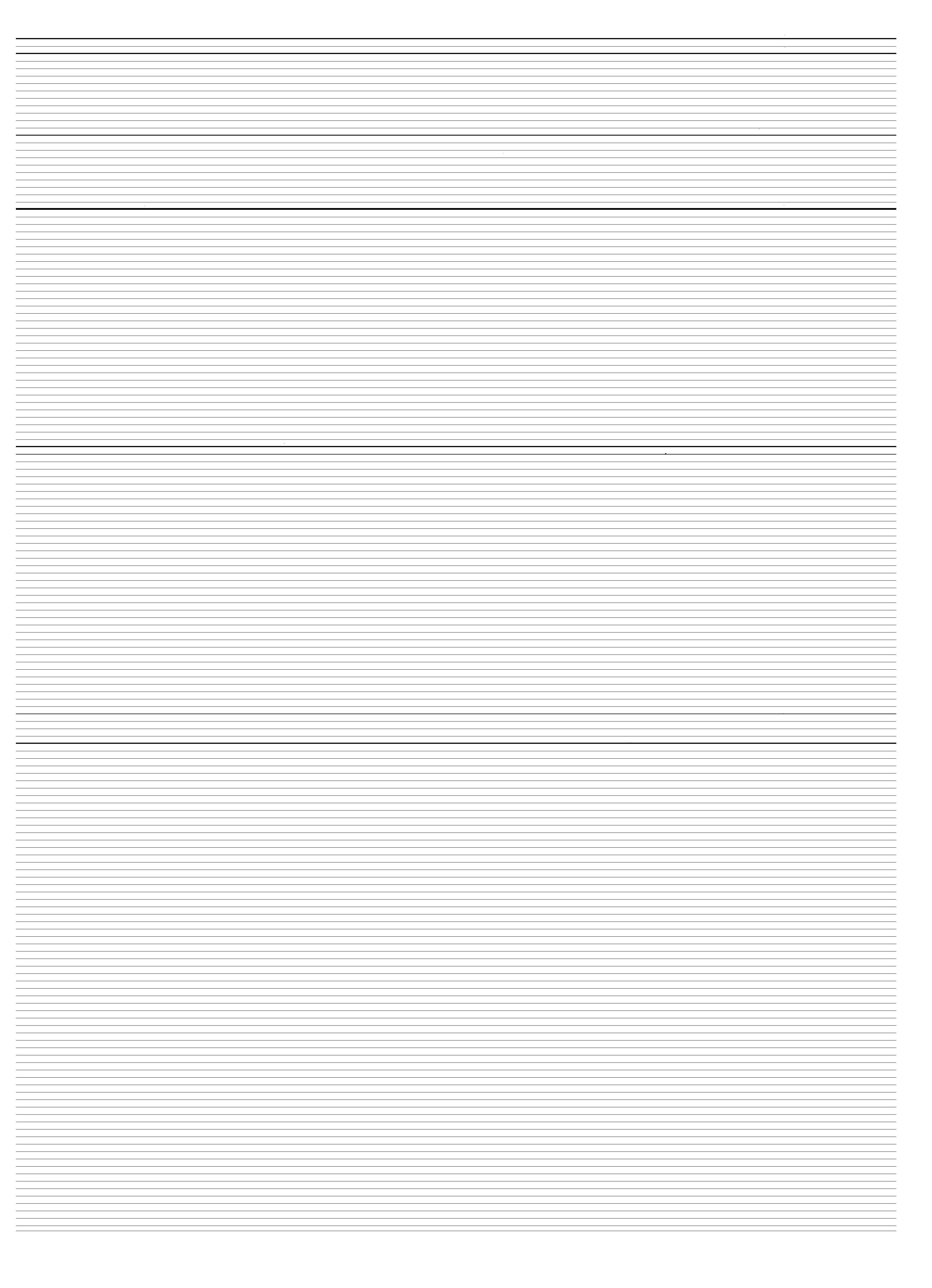
وحين ننظر في الخدمات داخل المجتمع نراها في حاجة إلى بناء ، وتطوير ، وتجديد .

لقد تخلف المسلمون ، وصاروا عاله على غيرهم ... والواجب الذي نناديهم به هو ضرورة اليقظة والصحوة بصدق ، وأمانة ... وعليهم أن يقوموا بواجبهم ، ويتقنوا عملهم .

وعليهم يتيقنوا أن الله سيحاسبهم على أعمارهم ، وأعمالهم ، ولن يفلتوا من عقاب الله إن ثبت تقصيرهم .

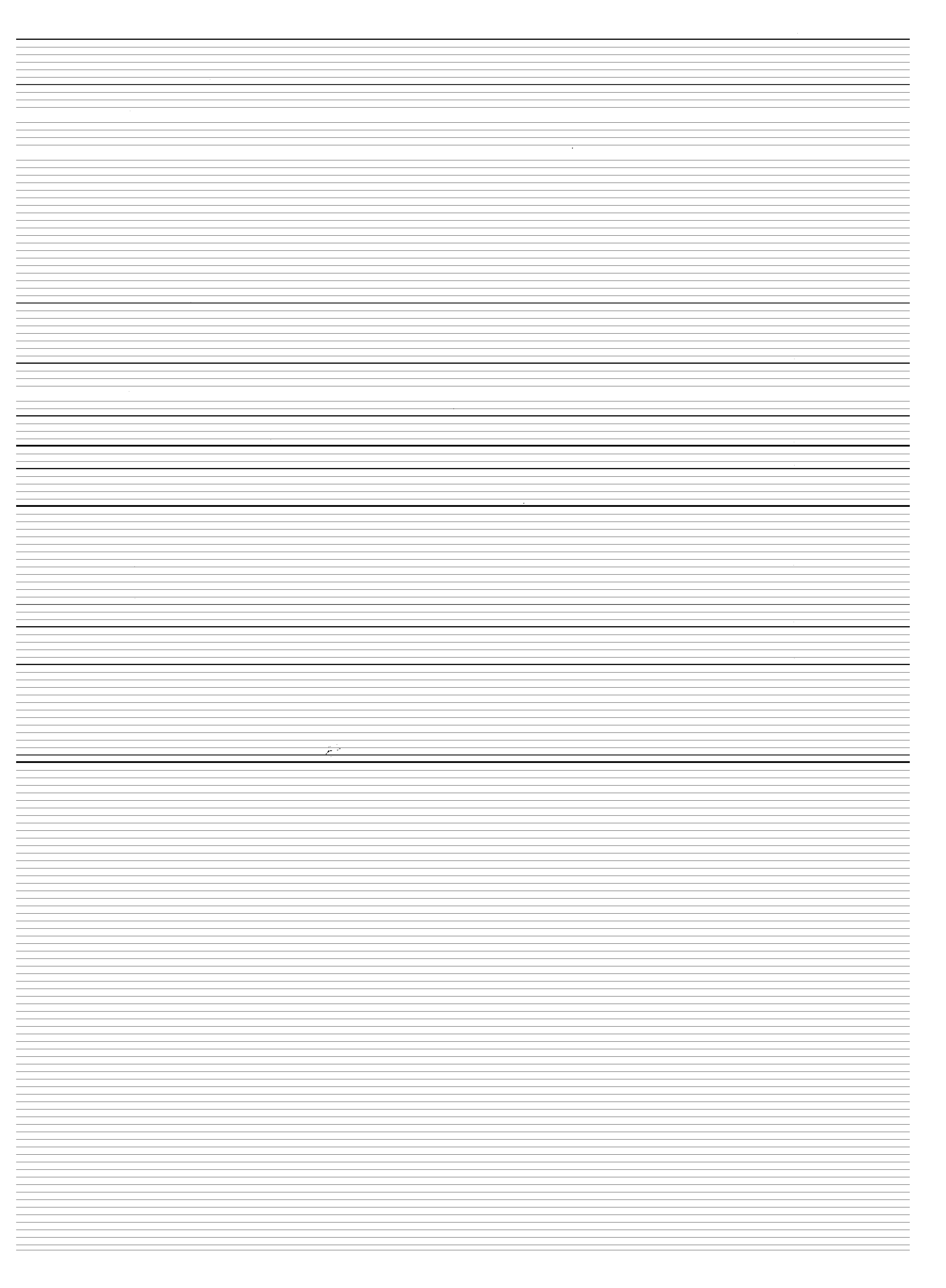
إن الزمن يمضى ، والحياة تتقضى ، ولا يبقى إلا الذكر والتاريخ .

وعلى – **كل مسلم** – كل في موقعه أن يقيم بواجبه ويجعل حياته منفعة لنفسه ولغيره من الناس .





الخــــاتمــــة



الخاتمـــة

كيف نواجه الســؤال ؟

والسؤال الذي أقصده هو السؤال الذي سيوجه إلى كل فرد مسلم عند لقــاء الله تعالى لأن كل إنسان سيسأل حتما عن :

ـ ربه

ـ ونبيه

ـ ودينه

وسوف يسأل كذلك عن :

ـ عمره

ـ وشبابه

ـ وعلمه

ـ وماله

ومن الضرورى أن يتناول السؤال تفصيلات عن مساهمة المـسئول فـى عمله وجهده ، ومدى مساهمته في انحطاط الأمة ، وتأخر المسلمين ، وعــن الجهد الذي بذله في خدمة الإسلام والمسلمين إن وجد .

إن أخوف ما أخافه هو افتضاح كثير من الناس الذين يعيشون الدنيا بعيدين عن الله ، مقصرين في الواجب ، والناس يظنون بهم خيرا .

وستكون فضيحة على الملأ لا نجاة منها إلا بفضل الله يؤتيه من يشاء .

لا يليق بمسلم أن يعيش حياته الدنيا من غيــر أن يعمــل للآخــرة ، وأن يستعذب الكسل والحرام والشهوات وهى طريقه إلى العذاب .

لقد عشنا هذه الدراسة مع عهد أبى بكر رضي الله عنه ، ورأينا فيه الصورة الرائدة للمسلم العادى ، وللحاكم المسلم وآمل أن نتخذه قدوة ، وأســوة لنلتقــى معــه برسول الله ﷺ يوم ينعم الصالحون بصحبته ﷺ في الآخرة .

ولقد حاولت بقدر جهدى إبراز أعمال أبى بكر رضي الله عنه قبل البعثة وبعدها ،

في مكة ، وفى المدينة ... في حياة رسول الله ﷺ وبعد أن ولى الخلافة أملا في إبراز أساسيات حياته ، وإظهار أهم الركائز التي تمكن المسلمين المعاصرين من الاستفادة بها . والنهوض بالأمة مرة أخرى .

إن حال الأمة اليوم لا يرضى أحدا ، والأمر يحتاج إلى عودة سريعة إلى الله تعالى ، وتطبيق الإسلام في حياة الفرد " عبادة وسلوكا " وفى الأمة نظما ومنهج حياة ، ولو على سبيل التجربة ، فقد عاشت الأمة المسلمة تجارب عديدة مع الاشتراكية ، والشيوعية ، وكافة المناهج الوضعية . ولم تحقق مع كل منها شيئا يذكر ... ألا يستحق الإسلام أن نجرب الحياة به ؟؟

والأمل أن نجرب المنهج الإسلامى مرة أخرى فقد أثبت نجاحه ، وهذا تشجيع على إعادة التجربة .

وليس من المسلم أن يقال : **إن الأمة مسلمة فهى تصلى ، وتصوم ، وتحج ، فأين نجاحها ؟**

لا يقال ذلك لأن الإسلام لا وجود له في الحقيقة حين الاكتفاء بهذه المناسك لأنه منهج شامل لحياة الأفراد والجماعات ، ولا يجوز معه أن نطبق بعضه دون بقيته ، لأن المتروك يهدم الموجود .

أين العقيدة الدافعة إلى العمل والتوكل ، والرضا بقضاء الله وقدره ، وانتظار النصر من الله بعد أداء الواجبات ؟!

وأين تطبيق الشريعة في القانون ، وفى كافة الأنشطة الفردية والجماعية ؟!!

وأين الحكومة المسلمة التي تعمل بمنهج الله لإرضاء الله ورسوله ؟ .

وأين نحن من المسلمين في عصر رسول الله ﷺ وفى عهد أبى بكر رضي الله عنه ؟؟

لنقبل على الله ، ونستعد للقائه ، ونتهيأ لتحسين الإجابة يوم أن نسأل ، ونفوز مع الفائزين ونتمتع بمقعد صدق عند مليك مقتدر .

والله نسأل أن يوفقنا والأمة كلها للخير ، ويهيئ للجميع السداد والتوفيق ...

والله على كل شئ قدير ،،،،

فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
المقـــدمـــة	٧
الفصل الأول	
المجتمع العالمى عند وفاة رسول الله ﷺ	
التمهيـــد	٢١
المبحث الأول : أحوال المسلمين	٢٢
أولا : الاختلاف حول وفاه الرسول ﷺ	٢٤
ثانيا : ظهور النفاق والردة	٣٠
ثالثا : الاختلاف حول الخلافة	٣٦
المبحث الثانى : أحـــوال الـــروم	٣٩
المبحث الثالث : أحـــوال الفـــرس	٤٣
الفصل الثانى	
الإســـــلام والحكــــم	
التمهيـــد	٤٩
المبحث الأول : ضرورة السلطة الحاكمة	٥٠
المبحث الثانى : الحاكم في الإسلام	٥٤
المبحث الثالث : الأمة في إطار الحكم الإسلامى	٥٧
المبحث الرابع : السلطات في الحكم الإسلامى	٦٢
المبحث الخامس : أولو الأمر في المجتمع المسلم	٦٩
المبحث السادس : مدى استفادة الصحابة بالمبادئ الإسلامية	٧٢

الفصل الثالث

سيرة أبى بكر الصديق رضي الله عنه

التمهيــد ٧٧
المبحث الأول : التعريف بشخصية أبى بكر رضي الله عنه ٧٩
أولا : اسمه وكنيته وألقابه ٧٩
ثانيا : آباء أبى بكر رضي الله عنه ٨٤
ثالثا : زوجات أبى بكر رضي الله عنه ٨٦
رابعا : أبناء أبى بكر رضي الله عنه ٨٨
خامسا : وفاة أبى بكر رضي الله عنه ٨٩
المبحث الثانى : أبو بكر في مكة قبل الإسلام ٩٣
المبحث الثالث : أبو بكر في صحبة الحبيب المصطفى ﷺ في مكة ١٠٢
أولا : إسلام أبى بكر رضي الله عنه ١٠٣
ثانيا : تضحيات أبى بكر رضي الله عنه في مكة ١٠٧
المحور الأول : تحرير المعذبين ١٠٩
المحور الثانى : الدفاع عن النبى ﷺ ١١٤
المحور الثالث : تحمل الأذى في سبيل الله تعالى ١١٩
ثالثا : القيام بواجب الدعوة في مكة قبل الهجرة ١٢٣
رابعا : أبو بكر رضي الله عنه ومعجزة الإسراء والمعراج ١٢٨
المبحث الرابع : أبو بكر رضي الله عنه في صحبة المصطفى ﷺ في المدينة المنورة ١٣٣
أولا : هجرة أبى بكر رضي الله عنه ١٣٥
١ــ الهجرة وآثارها في أبى بكر ١٣٥
ــ ثبوت الصحبة لأبى بكر رضي الله عنه ١٣٨
ــ المشاركة في التخطيط ١٤١

٢ـ دور عبد الله بن أبى بكر في الهجرة ١٤٤
٣ـ دور أسماء في الهجرة ١٤٤
٤ـ دور عائشة في الهجرة ١٤٥
٥ـ دور عامر بن فهيرة في الهجرة ١٤٥
٦ـ استقرار أبى بكر في المدينة ١٤٧
ثانيا : ملامح شخصية أبى بكر في المدينة ١٤٩
١ـ صفاء الإيمان ١٥٢
٢ـ حب رسول الله ١٥٧
ثالثا : قيام أبى بكر بالدعوة في المدينة ١٥٩
رابعا : اشتراك أبى بكر في الجهاد ١٦٩
١ـ اشتراكه في السرايا قبل بدر ١٧٣
٢ـ اشتراكه في غزوة بدر ١٧٤
أ. الخروج مع الرسول ﷺ إلى بدر ١٧٥
ب. مشاركة أبى بكر النبى في الاستطلاع ١٧٦
ج. الدفاع عن الرسول ﷺ ١٧٧
د. رأى أبى بكر في الأسرى ١٧٩
٣ـ اشتراكه في أحد ١٨١
٤ـ اشتراكه في غزوة حمراء الأسد ١٨٣
٥ـ اشتراكه في الحديبية ١٨٤
٦ـ اشتراكه في فتح مكة ١٨٧
٧ـ اشتراكه في عدد من السرايا والغزوات ١٩٠
خامسا : دور أبى بكر في ختام عصر النبوة ١٩٥
١ـ إمارة الحج والبراءة من الشرك ١٩٦
٢ـ ثبات أبى بكر يوم وفاة رسول الله ﷺ ١٩٩

٣ــ ملء الفراغ بعد وفاة رسول الله ﷺ ٢٠١

الفصل الرابع

خلافـــة أبـــى بكـــر رضي الله عنه

تمهيــد ٢٠٩

المبحث الأول : بيعة أبى بكر رضي الله عنه ٢١١

المبحث الثانى : اختيار أبى بكر للخلافة ٢٢١

المبحث الثالث : إجماع الصحابة على بيعة أبى بكر رضي الله عنه ٢٢٧

المبحث الرابع : رأى الشيعة في خلافة أبى بكر رضي الله عنه ٢٣٧

أولا : رأى الشيعة ٢٣٩

ثانيا : الرد على الشيعة ٢٤٧

المبحث الخامس : المستشرقون وبيعة أبى بكر رضي الله عنه ٢٥٥

الفصل الخامس

أسس الحكم في خلافة أبى بكر رضي الله عنه

تمهيــد ٢٦٥

الأساس الأول : الالتزام المطلق بالشرعية الدينية ٢٦٦

الأساس الثانى : تحقيق الكرامة بنشر العدل والمساواة ٢٧٣

الأساس الثالث : المحافظة على الأمة بنشر قيم الجهاد ٢٨٠

الأساس الرابع : تنظيم السلطات في الدولة ٢٨٤

الأساس الخامس : الاهتمام بتبليغ الدعوة ٢٨٨

ــ خطبة أبى بكر يوم وفاة النبى ٢٩٤

ــ خطبة ثانية لأبى بكر ٣٠١

ــ خطبة أخرى لأبى بكر ٣٠٥

الأساس السادس : اعتماد عوامل النجاح في الحكم ٣٠٩
أولا : القيادة المثالية ٣٠٩
ثانيا : واقعية الحكم والإدارة ٣١٤
ثالثا : صدق الأمة مع الله ٣١٧
رابعا : وحدة المؤثرات الدعوية ٣١٧

الفصل السادس

بعــــث أسامـــة رضي الله عنه

التمهيـــد ٣٢١
المبحث الأول : الأحوال العامة ودورها في بعث أسامة ٣٢٣
المبحث الثانى : موقف الصحابة من بعث أسامة ٣٢٧
المبحث الثالث : النتائج المباشرة لبعث أسامة ٣٣٥
أولا : ثقة المسلمين في نصر الله ٣٣٥
ثانيا : إضعاف الأعداء ٣٣٦
المبحث الرابع : ركائز الدعوة في بعث أسامة ٣٣٧
أولا : ضرورة الاتباع ٣٣٧
ثانيا : الاهتمام بالشأن العام ٣٣٨
ثالثا : إبراز دور الشباب ٣٤٠
رابعا : وضوح إنسانية الجهاد الإسلامى ٣٤١
خامسا : استمرارية الدعوة ٣٤٣
سادسا : احترام الإنسان ٣٤٤

الفصل السابع

أبو بكر في مواجهه الردة والمرتدين

تمهيـــد ٣٤٧

المبحث الأول : خطة أبى بكر لحماية المدينة ٣٤٩

المبحث الثانى : التعريف بزعماء الردة ٣٥٩

أولا : الأســـود العنســـى ٣٦١

أ. التعريف به ٣٦١

ب. جوانب ردته ٣٦٣

ج. تحرك الأسود في قومه ٣٦٤

د. مواجهه المسلمين له ٣٦٥

ثانيا : مسيلمـــة الكـــذاب ٣٧٠

أ. التعريف به ٣٧٠

ب. جوانب ردته ٣٧٥

ج. تحرك مسيلمة في قومه ٣٨٠

د. مواجهته ٣٨٠

ثالثا : سجـــاح ٣٨١

أ. التعريف بها ٣٨١

ب. جوانب ردتها ٣٨١

ج. حركتها في قومها ٣٨٢

رابعا : طلحـــة بن خويلـــد ٣٨٣

أ. التعريف به ٣٨٣

ب. جوانب ردته ٣٨٣

ج. حركته ومواجهته ٣٨٤

خامسا : انتشار الردة في القبائل ٣٨٥

ـ ردة أهل عمان	٣٨٥
ـ ردة البحرين	٣٨٥
ـ ردة حضر موت	٣٨٦
المبحث الثالث : المواجهة الشاملة للمرتدين	٣٨٧
المبحث الرابع : المعارك الفاصلة في حروب الردة	٣٩٥
١ـ معركة البزاخة	٣٩٥
٢ـ معركة البطاح	٣٩٨
أ. تعديل الخطة الميدانية	٣٩٩
ب. قتل مالك بن نويرة	٤٠٠
٣ـ معركة اليمامة	٤٠٥
٤ـ الحملات الصغيرة الأخرى	٤١٠
المبحث الخامس : النتائج المباشرة لحرب الردة	٤١٣
١ـ بدء حركة الفتوح	٤١٣
٢ـ تحديد عاصمة الإسلام	٤١٥
٣ـ انصهار القبائل في الأمة	٤١٦
٤ـ جمع القرآن الكريم	٤١٨
المبحث السادس : ركائز الدعوة في حروب الردة	٤٢١
الركيزة الأولى : الحرية والمسئولية الدينية	٤٢١
الركيزة الثانية : خصائص القيادة الإسلامية	٤٢٩
الركيزة الثالثة : القيام بواجب الدعوة	٤٣٥
الركيزة الرابعة : أهمية التخطيط	٤٣٧
الركيزة الخامسة : حسن سياسة الناس	٤٣٩
الركيزة السادسة : أخذ الحيطة والحذر	٤٤٤

الفصل الثامن

الفتوح في عهد أبى بكر رضي الله عنه

تمهيـــد ٤٤٩

المبحث الأول : صلة حروب الردة بالفتوح ٤٥٠

المسألة الأولى : ملامح الحياة في عهد أبى بكر عند العرب والفرس والروم ٤٥٢

أ. فساد القيادات ٤٥٢

ب. خوار الأديان ٤٥٣

ج. الضياع الاجتماعى ٤٥٥

د. تعاون الكفر والضلال ٤٥٥

هـــ. وجود يقظة عقلية ٤٥٦

المسألة الثانية : خطة أبى بكر رضي الله عنه لمواجهة الأعداء ٤٥٨

المبحث الثانى : الفتوح في الميدان الفارسى ٤٦٣

١ــ معركة الحفيــر " ذات السلاسل " ٤٦٤

أولا : مقدمات المعركة ٤٦٤

ثانيا : أحداث المعركة ٤٦٦

ثالثا : نتائج المعركة ٤٦٧

٢ــ معركة الثنـــى " المذار " ٤٦٩

أولا : مقدمات المعركة ٤٦٩

ثانيا : أحداث المعركة ٤٦٩

ثالثا : نتائج المعركة ٤٧٠

٣ــ معركة الولجـــة ٤٧٠

أولا : أحداث المعركة ٤٧٠

ثانيا : نتائج المعركة ٤٧٢
٤ــ معركة أليــس ٤٧٢
أولا : أحداث المعركة ٤٧٢
ثانيا : نتائج المعركة ٤٧٣
٥ــ معركة " أمغيشيــا " ٤٧٤
٦ــ معركة فتح الحيــرة ٤٧٥
أولا : مقدمات معركة الحيرة ٤٧٥
ثانيا : أحداث المعركة ٤٧٦
ثالثا : نتائج فتح الحيرة ٤٨٠
٧ــ فتــح الأنبــار ٤٨٤
٨ــ معركة عيــن التمــر ٤٨٥
٩ــ معركة دومــة الجنــدل ٤٨٧
أولا : مقدمات المعركة ٤٨٧
ثانيا : أحداث المعركة ٤٨٨
ثالثا : نتائج المعركة ٤٨٨
١٠ــ معركة الحصيــد ٤٨٩
١١ــ معركة المصيــخ ٤٩٠
١٢ــ معركة الفــراض ٤٩٠
أولا : مقدمات المعركة ٤٩٠
ثانيا : أحداث المعركة ٤٩١
ثالثا : نتائج المعركة ٤٩٢
١٣ــ معركة بــابــل ٤٩٣
المبحث الثالث : الفتوح في ميدان الروم ٤٩٦
التمهيــد ٤٩٦

خطوات الفتح	٤٩٨
أولا : مبشرات النصر	٤٩٨
ثانيا : أخذ رأى الصحابة	٥٠٤
ثالثا : دعوة أهل اليمن للجهاد	٥٠٨
رابعا : خطة الجهاد في بلاد الروم	٥١٢
ـ حركة الجيش الأول	٥١٢
ـ حركة الجيش الثانى	٥١٤
ـ حركة الجيش الثالث	٥١٤
ـ حركة الجيش الرابع	٥١٦
خامسا : حركة القوات الرومانية	٥١٧
سادسا : الإعداد المعنوى للمجاهدين	٥٢٠
سابعا : المعارك الكبرى مع الروم	٥٢٣
المعركة الأولى " العرابـــة "	٥٢٨
المعركة الثانية " أجناديـــن "	٥٢٩
المعركة الثالثة " اليرمـــوك "	٥٣١
١ـ مقدمات معركة اليرموك	٥٣١
٢ـ أحداث معركة اليرموك	٥٣٩
٣ـ النتائج الميدانية للمعركة	٥٤٤
وجـــاءت لحظة الرحيل	٥٤٥
المبحث الرابع : النتائج المباشرة للفتوح	٥٤٦

الفصل التاسع والأخير

مـــاذا بعـــد أبـــى بكـــر رضي الله عنه

تمهيــد ٥٥٧
المبحث الأول : اختيار عمر رضي الله عنه للخلافة ٥٥٨
أولا : سر اختيار أبى بكر للخليفة بعده قبل موته ٥٥٨
ثانيا : إجراءات أبى بكر للاختيار ٥٥٩
ثالثا : الشورى واختيار عمر للخلافة ٥٦٤
المبحث الثانى : ركائز الدعوة المستفادة من عهد أبى بكر رضي الله عنه ٥٦٦
الركيزة الأولى : الجهاد فريضة حضارية ٥٦٦
١ــ أسباب الجهاد في الإسلام ٥٦٧
٢ــ أخلاقيات الجهاد الإسلامى ٥٦٩
٣ــ القوى المعاصرة وفلسفة الجهاد ٥٧٠
٤ــ أهمية استمرار الجهاد ٥٧١
٥ــ ضرورة التربية الجهادية ٥٧٢
الركيزة الثانية : الدولة الإسلامية حقيقة ثابتة ٥٧٣
الركيزة الثالثة : أهمية العلم في الدولة المسلمة ٥٧٦
الركيزة الرابعة : ضرورة القيام بالدعوة ٥٧٩
الركيزة الخامسة : أهمية اتصال المسلمين بغيرهم ٥٨١
الركيزة السادسة : ضرورة الاستفادة من الوقت ٥٨٧
الخــاتمــــة ٥٩٣
فهرس الموضوعات ٥٩٧

والحمد لله رب العالمين

****

